

داعش بعد عقد..
إلى أين يتجه التنظيم؟

داعش بعد عقد.. إلى أين يتجه التنظيم؟



المدير العام: د. خالد عكاشة
نائب المدير العام: اللواء. محمد إبراهيم الدويري
تحرير وإشراف: د. دلال محمود
إخراج فني: أحمد حسني

الطبعة الأولى: يناير 2025

رقم الإيداع: 2024/34333

التقييم الدولي: 4-05-9694-977-978

© حقوق الطبع محفوظة للمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

100 شارع الميرغني - مصر الجديدة - القاهرة - مصر.

الهاتف: +20226905861 - +20226905862 - +20226905863

البريد الإلكتروني: info@ecss.com.eg

www.ecss.com.eg

داعش بعد عقد.. إلى أين يتجه التنظيم؟

07	الافتتاحية
13	الفصل الأول: أيديولوجيا داعش ما بين التجديد والانحسار
51	الفصل الثاني: إشكالية الخلافة في داعش بين الواقعية والرمزية
77	الفصل الثالث: داعش في أرض الخلافة المكانية: إعادة بناء التنظيم وإشعال حرب الاستنزاف
103	الفصل الرابع: الصحوة الداعشية في أفغانستان وعودة طالبان للحكم: مواجهة أم توافق؟
139	الفصل الخامس: داعش في غرب أفريقيا: المسارات والمستقبل
165	الفصل السادس: تحركات داعش في وسط أفريقيا: ما الهدف؟
207	الفصل السابع: تحولات الخطاب الإعلامي لداعش بين التمدد والانحسار
239	الفصل الثامن: العائدون من داعش: هل عادوا؟
271	الفصل التاسع: داعش ومستقبل العلاقة مع الجريمة المنظمة العابرة للحدود
305	الخاتمة

الافتتاحية:

قبل عقد من الزمن، ظهر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على الساحة العالمية كأحد أكثر التنظيمات المتطرفة إثارة للرعب والجدل، بعد انشقاقه عن تنظيم القاعدة. وبظهوره المفاجئ وقدرته على السيطرة السريعة على مساحات شاسعة من الأراضي في العراق وسوريا، شكل التنظيم تحديًا غير مسبوق للأمن الدولي، حيث أعلن عن إقامة "الخلافة" وزعم أنه يجسد النقاء العقائدي الذي فقدته التنظيمات الجهادية الأخرى. لقد شغل "داعش" الإعلام، وأربك القوى الإقليمية والدولية، واستقطب آلاف المقاتلين من مختلف أنحاء العالم.

تميز تنظيم "داعش" عن غيره من التنظيمات الإرهابية بعدد من الخصائص التي جعلته ظاهرة فريدة في العالم الجهادي. أبرز هذه الخصائص كان إعلانه عن إقامة "الخلافة"، وهو ما شكل عنصر جذب لكثير من المتطرفين الذين رأوا في التنظيم تجسيدًا لحلم الخلافة الإسلامية الذي طالما روجت له التنظيمات الجهادية الأخرى دون تحقيقه. هذا الإعلان أعطى "داعش" بعدًا رمزيًا قويًا وساهم في استقطاب آلاف المقاتلين من مختلف أنحاء العالم.

وعلى الصعيد العملي، تفوق "داعش" بقدرته على الدمج بين الأساليب التقليدية للحروب وبين الهجمات الإرهابية الحديثة. استخدم التنظيم تكتيكات عسكرية متطورة مكنته من السيطرة على أراضٍ واسعة في فترة زمنية قصيرة، معتمدًا على مزيج من المفاجأة والتنظيم العسكري المحكم. بالإضافة إلى ذلك، برع التنظيم في استغلال التكنولوجيا الحديثة، حيث أطلق حملات إعلامية على منصات التواصل الاجتماعي كانت الأكثر احترافية مقارنة بغيره من التنظيمات. هذه الحملات لم تكن مجرد أداة للترويج، بل وسيلة رئيسية للتجنيد وبث الرعب في نفوس خصومه.

اقتصاديًا، تميز "داعش" بإنشاء شبكة تمويل ذاتية، اعتمدت على مصادر متنوعة مثل: تجارة النفط غير الشرعية، والابتزاز، والنهب. هذا الاستقلال المالي أتاح للتنظيم مرونة كبيرة في تنفيذ عملياته وتعزيز موارده البشرية. وإضافة إلى ذلك، اتسم "داعش" بقدرته على التكيف مع الضغوط الخارجية. فبعد خسارته

للأراضي التي سيطر عليها، تحوّل التنظيم إلى استراتيجية "الذئاب المنفردة" والخلايا النائمة، مستفيداً من الفوضى في المناطق الهشة لتعزيز وجوده.

لكن بعد مرور عقد من الزمن، أين يقف التنظيم اليوم؟ كيف استطاع أن يتكيف مع المتغيرات الجيوسياسية والعسكرية؟ وما الذي تبقى من أيديولوجيته وطموحاته المكانية؟ هذا الكتاب يسعى للإجابة عن هذه الأسئلة عبر دراسة متعمقة لأبعاد مختلفة تتعلق بـ "داعش" وتطوره بعد عشر سنوات من بدايته.

يتناول هذا الكتاب تطور تنظيم "داعش" عبر تسع قضايا محورية، كل واحدة منها تمثل جانباً هاماً من التغيرات التي شهدتها التنظيم منذ ظهوره وحتى اليوم. فالهدف ليس فقط توثيق ما حدث، بل أيضاً تقديم تحليل نقدي للتحديات التي يواجهها "داعش"، واستشراف مستقبله بناءً على المعطيات الحالية.

في الفصل الأول (أيديولوجيا داعش ما بين التجديد والانحسار)، يتم تسليط الضوء على الأيديولوجيا التي شكّلت نواة التنظيم، وكيف تطورت بين محاولات التجديد والانحسار. فمنذ بدايته، تميز "داعش" بأيديولوجيا فريدة تجمع بين خطاب ديني صارم واستراتيجيات عسكرية مرنة، لكن هذه الأيديولوجيا لم تسلم من النقد والانشقاقات الداخلية، خاصة مع تعرض التنظيم لهزائم متتالية.

أما الفصل الثاني (إشكالية الخلافة بين الواقعية والرمزية)، فيركز على مفهوم "الخلافة"، وهو الركيزة الأساسية التي استند إليها "داعش" لبناء شرعيته. يُناقش هذا الفصل إشكالية هذا المفهوم بين الواقع والرمزية، وكيف أثرت خسارة الأراضي المكانية على شرعية "الخلافة" في عيون أنصاره.

وفي الفصل الثالث (داعش في أرض الخلافة المكانية: إعادة بناء التنظيم وإشعال حرب الاستنزاف)، تتناول جهود التنظيم لإعادة بناء ذاته في المناطق التي فقد السيطرة عليها. هنا يظهر مفهوم "حرب الاستنزاف" كاستراتيجية محورية للتنظيم في مواجهة القوى الدولية والإقليمية، حيث أصبح التنظيم أكثر اعتماداً على العمليات النوعية بدلاً من السيطرة المكانية.

ومع امتداد داعش إلى أبعاد جغرافية جديدة يمتد التحليل ولا يقتصر على العراق وسوريا، بل يمتد ليشمل ساحات جغرافية جديدة باتت تمثل ميداناً لأنشطة التنظيم.

ففي الفصل الرابع يتم تناول (الصهوة الداعشية في أفغانستان وعودة طالبان للحكم: مواجهة أم توافق؟)، نسلط الضوء على "الصهوة الداعشية" في أفغانستان، خاصة مع عودة "طالبان" إلى الحكم. يناقش هذا الفصل العلاقة المعقدة بين "داعش" و"طالبان"، والتي تتراوح بين المواجهة العسكرية والتنافس على الشرعية.

أما الفصل الخامس (داعش في الساحل والصحراء: الساحات البديلة)، فيتناول تمدد التنظيم في منطقة الساحل والصحراء، حيث أصبحت هذه المنطقة بيئة خصبة لنشاط "داعش" بسبب هشاشة الحكومات المحلية والصراعات العرقية. هذه المنطقة تُظهر كيف استطاع التنظيم أن يستغل الفراغ الأمني لتحقيق مكاسب استراتيجية على الأرض.

الفصل السادس (تحركات داعش في وسط أفريقيا: ما الهدف؟)، يركز على تحركات "داعش" في وسط أفريقيا، مع تحليل الأهداف الاستراتيجية وراء هذا التمدد. يناقش الفصل الديناميات المحلية التي سمحت للتنظيم بتعزيز وجوده هناك، ودور العوامل الاجتماعية والسياسية في تمكينه من التوسع.

لم يمتد التغيير في داعش إلى العمل العسكري فحسب، بل كان تطور خطابه الإعلامي خطوة أساسية تناولها الفصل السابع (تحولات الخطاب الإعلامي لـ "داعش" بين التمدد والانحسار)، ويستعرض تحولات الخطاب الإعلامي للتنظيم، الذي كان في بدايته أداة فعالة لاستقطاب الأنصار وإرهاب الخصوم. يناقش هذا الفصل كيف تغيرت نبرة هذا الخطاب مع تبدل ظروف التنظيم، وكيف حاول "داعش" التكيف مع التحولات التكنولوجية والإعلامية.

وارتبط داعش بإعادة طرح قضية العائدين من التنظيمات الإرهابية، وأظهر الاختلاف في طرق الدول في التعامل معهم، ففي الفصل الثامن (العائدون من داعش: هل عادوا؟)، يتم التطرق إلى قضية "العائدين من داعش"، وهي من أكثر القضايا حساسية وتعقيداً. يتناول الفصل كيفية تعامل الدول مع المقاتلين العائدين من صفوف التنظيم، وما إذا كانت برامج إعادة التأهيل قادرة على تقليل التهديدات الأمنية.

أخيراً، الفصل التاسع (داعش ومستقبل العلاقة مع الجريمة المنظمة العابرة للحدود)، يناقش العلاقة بين "داعش" والجريمة المنظمة العابرة للحدود. وكيف أسهمت هذه العلاقة في تمويل التنظيم؟ وما هي التحديات التي تفرضها هذه الروابط على جهود مكافحة الإرهاب؟

الرؤية المستقبلية

من خلال فصول هذا الكتاب، نحاول تقديم رؤية شاملة عن مستقبل "داعش". فهل هو تنظيم في طور الانحسار النهائي؟ أم أنه بصدد التكيف مع الظروف الجديدة ليظهر بصورة أكثر خطورة؟ الإجابة عن هذا السؤال تتطلب دراسة معمقة لا تقتصر على اللحظة الراهنة، بل تنظر إلى السياقات التاريخية والجيوسياسية التي ساهمت في تشكيل "داعش" وتطوره.

على المستوى الاستراتيجي، يبدو أن "داعش" يتبع مساراً مزدوجاً: التكيف مع الأوضاع المحلية في المناطق التي ينشط فيها، مع الحفاظ على طموحاته العالمية. في العراق وسوريا، يعتمد التنظيم على خلايا نائمة وعمليات نوعية تعيق جهود الاستقرار. أما في مناطق جديدة مثل أفريقيا وأفغانستان، فيستفيد من الفوضى السياسية والاجتماعية لتوسيع نفوذه.

على الجانب الآخر، قد تؤدي الضغوط العسكرية والاستخباراتية المتزايدة إلى دفع التنظيم نحو التحالف مع شبكات أخرى، مثل الجماعات الإجرامية أو حتى

جماعات جهادية منافسة، لتحقيق أهداف مشتركة. هذا التكتيك يمكن أن يعزز موارده المالية والبشرية، ولكنه قد يخلق تناقضات داخلية تهدد تماسكه.

مع ذلك، يظل السؤال الأكبر هو: هل يمكن القضاء على "داعش" عبر الأدوات العسكرية فقط؟ الإجابة عن هذا السؤال تتطلب نهجاً شاملاً يعالج جذور التطرف، مثل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تُسهم في خلق بيئات حاضنة للتنظيم.

في الختام، يمثل هذا الكتاب دعوة للباحثين وصناع القرار لفهم أكثر عمقاً لتعقيدات "داعش"، ليس فقط كتنظيم متطرف، بل كظاهرة تعكس أزمات متعددة في العالم العربي والإسلامي، بل والعالم بأسره. فَهْمُ "داعش" اليوم هو خطوة ضرورية نحو بناء استراتيجيات فعالة لمواجهة التطرف بكل أشكاله.

1

أيدولوجيا داعش ما بين التجديد والانحسار

د. عمرو الورداني*

تنظيم داعش يمثل نموذجًا معقدًا بين التنظيمات الإرهابية؛ نظرًا لقدراته على المزج بين الأيدولوجيا الدينية المتطرفة والأهداف السياسية الكبرى، فهذه التركيبة شديدة الخصوصية جعلته قادرًا على فرض نفسه ككيان عسكري وديني يختلف عن غيره من التنظيمات المتشددة التي سبقته.

النشأة والارتباط بالقاعدة: من صناعة التوحش إلى صناعة التوحش

لقد نشأ تنظيم داعش كامتداد لتنظيم القاعدة، لكنه سرعان ما انفصل واتخذ نهجاً أكثر عنفاً ووحشية وشمولية، متخلياً عن التزام القاعدة باستهداف العدو البعيد - أي الغرب - وفضل التركيز على "العدو القريب"، أي الدول الإسلامية والأنظمة العربية التي يعتبرها "أنظمة مرتدة". فاختار داعش أن يقدم نفسه كمخلص لأمة الإسلام، وسعى إلى استقطاب المتعاطفين والمقاتلين عبر دعاوى "إقامة الخلافة الإسلامية" وإعادة بعث "العصور الذهبية للإسلام".

الأيديولوجيا كأداة للسيطرة وشرعنة العنف ودليل المظلومية: وظف داعش الأيديولوجيا المتطرفة كأداة رئيسية لجذب الأتباع وإحكام السيطرة، حيث يستمد التنظيم مشروعيته من فهم جاهل متعنت للقرآن والسنة، يحاول بواسطته شرعنة العنف وتصويره كوسيلة دينية لا غنى عنها لتحقيق العدل الإلهي الغائب عن المجتمعات المسلمة. وقد كانت هذه الأيديولوجيا فعالة في تعبئة الأفراد المتحمسين لخطاب "الخلافة" العازف على وتر أن المظلوم أذن له الشرع أن يمارس العنف في وجه من ظلمه، ومن ثم خلق ولاء عقائدياً مظلومياً يتجاوز الولاء الوطني أو القبلي.

مركزية القضاء على "العدو القريب" وتفعيل مشروع البديل في عقيدة داعش: في حين كان تنظيم القاعدة يركز على "العدو البعيد"، توجه داعش لاستهداف الدول الإسلامية والمجتمعات المسلمة في المقام الأول، معتبراً إياها هدفاً يجب إخضاعه لتطبيق الشريعة وفق تصوره.

يدّعي التنظيم أن نهجه في مهاجمة المسلمين المرتدين أولاً يمهّد الطريق لإقامة الخلافة وإعداد المجتمع لمواجهة القوى العالمية لاحقاً، وبذلك يفعل مشروع البديل المسلم التوحيدي ألا وهو إقامة مجتمع الخلافة الموعود.

استغلال الصراعات الإقليمية وتفعيل فلسفة المخلص: أدرك داعش أن التوترات والصراعات الإقليمية توفر بيئة خصبة لزرع بذور التطرف وتوسيع نفوذه. استغل التنظيم الأزمات الاجتماعية مثل الفقر والتهمة، إلى جانب الأزمات

السياسية والفراغات الأمنية، ليجتذب المتضررين من هذه الأوضاع بوصفه قوة قادرة على توفير الأمن والنظام. تضافرت هذه العوامل لتمكين داعش من التجذر وترسيخ أيديولوجيته المتطرفة عبر استراتيجية يمكن وصفها بـ "التطرف المنهجي"؛ حيث يسعى التنظيم لتطبيق التطرف على كافة مستويات المجتمع، ليصبح أسلوب حياة يجمع بين الولاء المطلق والالتزام بالعنف لتحقيق أسمى غاياته وهي أن يتبنى المجتمع كله أن داعش هو المخلص الإلهي الذي بدونه يهلك المسلمون.

مقاصد وأهداف هذه الدراسة

يسعى هذا الفصل إلى الغوص بعمق في جذور أيديولوجيا داعش، لاستجلاء الأبعاد التي شكلت أساساتها الفكرية وأطرها التنظيمية، وتحديد السبل التي أتاحت للتنظيم بلورة خطاب يجمع بين العنف المقدس والدعوة إلى استعادة مجد "الخلافة" كغاية كونية.

يهدف هذا البحث إلى تشريح التراكيب الفكرية التي اعتمدها التنظيم، والتي لم تقتصر على المفاهيم الدينية، بل اتسعت لتشكّل نسيجاً أيديولوجياً متماسكاً يجمع بين العنف، والتعبئة العقائدية، والاستغلال العميق للأزمات الاجتماعية والسياسية.

في سياق التحولات التي طرأت على أيديولوجيا التنظيم على مدى العقد الماضي، يبرز هذا الفصل أهمية دراسة تطورها من حركة مسلحة محلية إلى كيان افتراضي واسع النفوذ، تتغير خطاباته وتنبؤ استراتيجياته وفق السياقات المحيطة والتحديات المتجددة.

يسلط البحث الضوء على مدى المرونة البراجماتية التي يتمتع بها خطاب داعش، والتي تمكنه من التأقلم مع المستجدات لاستقطاب الأتباع من مختلف الفئات، عاكساً بذلك التحديات الفكرية والاجتماعية التي تواجه مجتمعات تعاني من التهميش والأزمات.

كما يتناول الفصل مدخلاً جديداً لتحليل هذه الأيديولوجيا من منظور علم اجتماع التدين، حيث يُعنى هذا المدخل بتفكيك البنى الاجتماعية والدينية التي يتبناها التنظيم وطرق تأثيره في شبكات الولاء والانتماء.

إن هذا التحليل لا يقف عند حدود الخطاب الديني، بل يتعمق في فهم الديناميكيات الاجتماعية التي تغذي الولاءات الأيديولوجية، ويستكشف كيف يمزج التنظيم بين القداسة والعنف لخلق مجتمع متخيل يُعاد تشكيله وفق رؤية تُختزل فيها الحقيقة المطلقة والاحتكار الديني.

أولاً- ثوابت التطرف في داعش: الأسس الفكرية والتنظيمية

التعريف الإجرائي للتطرف في سياق داعش:

في البدء لا بد من التنبيه على أن الحديث عن التطرف في رؤية داعش ليس خروجاً عن السياق البحثي؛ لأن من العلوم بالضرورة البحثية في دراسات التطرف والإرهاب أن داعش تنظيم إرهابي كامل، ولكن يأتي الحديث عن التطرف في سياق داعش؛ لأن التنظيم يروج للتطرف المجتمعي حتى يصل إلى مجتمع التطرف.

ومن ثم فالتطرف في سياق تنظيم داعش، يمكن تعريفه على أنه "انحراف منهجي هيكلي يؤدي إلى العنف ويعيق التنمية ويهدم الحضارة". هذا التعريف ينطوي على أبعاد متعددة تتجاوز مجرد الفعل العنيف ليصبح التطرف، كما يمارسه داعش، نظاماً بنيوياً يتغلغل في النسيج الاجتماعي والديني ويعيد تشكيله بما يتوافق مع رؤيته المغلقة. يعتمد التنظيم على هذا الانحراف المنهجي ليعيد صياغة مبادئ التنظيم الاجتماعي والسياسي وفقاً لعقيدة تُلغي التنوع وتحتكر الحقيقة وتشرعن العنف وتجعل الكراهية أساساً مجتمعياً.

الانحراف المنهجي:

يمثل التطرف الداعشي انحرافاً منهجياً؛ إذ لا يُعد تعبيراً فردياً أو انعكاساً محدوداً على أحداث معينة، بل هو نظام فكري منظم ومنسجم مع ذاته، يسعى إلى تدمير الأنساق القيمية والبنى الثقافية والاجتماعية التي ترفض فرضياتها المطلقة. يقوم هذا التطرف على تحويل الكتاب والسنة وكافة النصوص الدينية إلى أدوات لتبرير

وشرعنة العنف المنهجي، مما يجعل العنف ليس فقط وسيلة، بل غاية مؤسسية تُمارس بوعي وتخطيط من قبل التنظيم لفرض هيمنته.

الهيكلية وإعادة تشكيل الواقع الاجتماعي:

يكن جوهر التطرف الداعشي في كونه هيكلياً، إذ يسعى لتأسيس بنية فكرية وعملية مغلقة تُشكل أساساً لإعادة بناء المجتمع من الصفر، فهي رؤية شديدة الراديكالية، وذلك وفق نظام يعارض أسس التنوع والحضارة التي تُعتبر ضرورية لتقدم المجتمعات الإنسانية. في هذا السياق، تصبح المؤسسات، والأعراف، وحتى المفاهيم الإنسانية السائدة بمثابة عقبات تُعيق التطبيق الكامل لأيديولوجيا التنظيم. ولذلك يسعى داعش إلى إعادة ترتيب المجتمع بموجب هيكلية تقسم العالم إلى "مؤمنين وكفار"، "أتباع ومرتدين"، محاولاً إلغاء الهويات المتعددة والارتقاء بعقيدته الخاصة لتصبح القوة الحاكمة الوحيدة النافذة لكل معتقد أو فكر سواها.

التطرف كأداة ضد الحضارة والتنمية:

في هذا التعريف، يشكل التطرف أداة معادية للتنمية والحضارة؛ حيث ينظر التنظيم إلى المبادئ التنموية والحضارية كأشكال من الانحرافات التي تعيق "تحقيق النقاء الديني". وبهذا يقف داعش في مواجهة مباشرة مع التاريخ البشري وقيم الحضرة، ويؤسس لنموذج "التطور العكسي" حيث ينظر إلى كل أشكال التقدم على أنها تآكل لأصالة العقيدة. لذا، يصبح التطرف في فكر داعش "واجباً حضارياً" مقلوباً يقود إلى هدم الحضارة واستبدالها بنظام "الإحياء الديني" العنيف الذي يبرر القمع والتدمير كوسائل ضرورية لحماية ما يراه التنظيم "النقاء" والأصالة.

ثانياً - التطرف كعملية منهجية لتغيير الهيكلية الاجتماعية والسياسية (صناعة معسكرها هوية)

يستفيد داعش من هذا التطرف المنهجي في عملية إعادة الهيكلة القسرية للنظامين الاجتماعي والسياسي. فلا يُعد التطرف المجتمعي الداعشي حدثاً عابراً بل

هو رؤية شاملة لإعادة تشكيل العالم بدءًا بالداخل المسلم ثم الانطلاق إلى الخارج غير المسلم. يهدف التنظيم بذلك إلى تحويل كل جوانب الحياة إلى أدوات عقائدية عسكرية، ويستغل هذه العملية لإعادة تعريف القيم والولاءات وفرض حدود جديدة تركز سيطرته حتى نصل إلى (المجتمع المُعسَّكَر). وفي هذا الصدد يستغل تنظيم داعش البنى الاجتماعية لتأصيل الانقسام المجتمعي، والذي فيه يعتبر أن الإقصاء والكراهية والإرهاب مثلث يشكل ضرورة لبناء النظام "الإلهي" وفق فهمه الخاص لمعنى الخلافة في الأرض.

التجريد الفلسفي للتطرف عند داعش:

يبرز هذا التعريف الذي قدمته في هذا الفصل تصورًا فلسفيًا عن التطرف كحالة تمرد على كينونة المجتمع التراجعي والإنسانية المنطلق من الأصل المجتمعي الرئيس الوارد في حديث "الراحمون يرحمهم الله تعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". فعبر جعل العنف قوام النظام، يقوم التطرف بخلق "وعي مغلق" يعيش داخل دوامة أيديولوجية من التفرقة والولاء من خلال مفهوم "الولاء والبراء". إن هذا التطرف يمثل حالة تمرد على كل ما هو إنساني، ويحوّل العنف من وسيلة إلى "غاية معرفية" تجعل من الأتباع قوى تنفيذية للعدمية الحضارية، بحيث يكون تدمير المجتمع هدفًا نهائيًا يُحتفى به.

تصنيفات التطرف وفق منظور داعش:

يعتمد تنظيم داعش على تصنيفات متعددة للتطرف، تشكل معًا هيكلًا متماسكًا يهدف إلى ترسيخ الأيديولوجيا الداعشية في النسيج الاجتماعي العام، بحيث تصبح الأيديولوجيا جزءًا من البنية اليومية والتوجهات الحياتية للأفراد والجماعات.

التطرف الفردي والمجتمعي: بناء مجتمع خاضع لهيمنة العقيدة المؤدلجة:

يعتمد داعش على مفهوم التطرف الفردي والمجتمعي كمحور أساسي، يسعى من خلاله إلى جعل التطرف جزءًا من الحياة اليومية للأفراد، وتكوين شبكة فكرية واجتماعية مترابطة من المتطرفين الذين تتوحد أهدافهم وتتماهى هويتهم مع هوية

التنظيم؛ حيث يقوم التنظيم بدفع الأفراد إلى ممارسة تطرفهم في أبسط تفاصيل حياتهم، بحيث تصبح كل مواقفهم وخياراتهم اليومية تجسيداً لأيديولوجيا التنظيم. في هذا السياق، يُشجع التنظيم الأفراد على الاعتقاد بأن التطرف هو نمط حياة يضمن لهم الانتماء لشيء أكبر، وهو "الخلافة" المزعومة التي يسعى التنظيم لإقامتها.

ويهدف هذا النهج إلى بناء هوية مجتمعية تتماهى مع أيديولوجيا التنظيم، حيث يرى داعش أن تطرف الفرد لا يكفي لتحقيق أهدافه، بل يسعى إلى نقل هذا التطرف ليصبح "تطرفاً مجتمعياً" يتغلغل في المؤسسات والبنى الاجتماعية بحيث يُعاد تشكيل المجتمع ككل تحت هيمنة الأيديولوجيا الداعشية. ويشكل هذا الأسلوب تجسيداً لما يمكن تسميته بـ "تطرف مؤسسات المجتمع"، حيث تصبح المؤسسات جزءاً من أيديولوجيا العنف، وتُملّي على أفرادها واجب الالتزام بالمبادئ الأصولية.

التطرف الفكري والحياتي: صياغة السلوك وفق أسس أصولية (حياة بلا قيم ولكن بأيديولوجيا):

يمازج داعش بين نوعين من أنواع التطرف هما: الفكري والحياتي، ويهدف بهما إلى فرض أيديولوجيا صارمة تشمل الحياة العامة والخاصة على حد سواء. يستخدم التنظيم أساليب متعددة لبناء إطار صارم من القيم والمعتقدات التي تتحكم بكل سلوكيات الفرد، بحيث تكون هذه الأيديولوجيا هي الدافع خلف كل تصرفاته وقراراته. ويحاول التنظيم أن يحكم سيطرته على حياة الأفراد في جوانبها المختلفة (الفكرية، والأخلاقية، والسلوكية) عبر تكوين قواعد صارمة تشمل جميع التفاصيل، بدءاً من طريقة اللباس إلى أنماط التفاعل الاجتماعي، ليصبح الالتزام بتلك القواعد معياراً لمدى "إخلاص" الفرد لأيديولوجيا التنظيم.

التطرف الظاهر والخفي: بناء شبكات من الخلايا الكامنة (هيكلية عالم الظلام):

إن تصنيف التطرف الظاهر والخفي يبرز بوضوح نهج داعش في استخدام أساليب مزدوجة لنشر أيديولوجيته، حيث يرى التنظيم أن التطرف يجب أن يأخذ أشكالاً متعددة ومتكيفة مع السياقات المختلفة، فيكون علنياً في حالات معينة

وسريًا في حالات أخرى. ويُعتبر التطرف الظاهر تجسيدًا لوجه التنظيم الصريح، الذي يتجلى في العمليات المسلحة والقتال العلني، حيث يستعرض قوته ويعزز حضوره كقوة مسلحة تُرهب أعداءه. وهذه العمليات تهدف إلى إبراز التنظيم كقوة لا يُستهان بها، وتجذب اهتمامًا كبيرًا في الإعلام الذي يستخدمه التنظيم بمهارة لتعظيم آثاره النفسية على المجتمع، وتهدف أيضًا إلى جذب الأنظار إليه باعتباره قوة عالمية ومن ثمَّ يستطيع التفاوض على المكاسب المادية التي يريدها.

أما التطرف الخفي عند داعش، فيُمثل جانبًا استراتيجيًا يعتمد على تأسيس الخلايا الكامنة التي تهدف إلى نشر الأيديولوجيا بشكل غير مباشر، وبشكل بعيد عن الرصد الإعلامي أو الأمني. يتم تدريب أعضاء هذه الخلايا على نشر الأفكار المتطرفة بين أفراد المجتمع بطرق غير معلنة، مما يخلق بيئة خصبة للتطرف من دون إثارة الشكوك. وهذه الخلايا تمثل خطرًا كبيرًا مجتمعيًا حيث إنها تعمل على تربية إرهابيين فكريًا قابلين للتجنيد في أي وقت، فيكرس في المجتمع ما أسميه بظاهرة (كمون الإرهاب).

صناعة الوهم كبنية تحتية لمجتمع التطرف عند داعش:

يتبنى تنظيم داعش نموذجًا أيديولوجيًا معقدًا يعتمد على ما يمكن تسميته بـ "مثلث الوهم"، وهو نموذج فلسفي يبني من خلاله تصورًا شاملاً للعالم، ويسعى عبره لاستقطاب الأتباع ودعم استمرارية التنظيم. يتشكل هذا المثلث من ثلاث زوايا رئيسية: دليل المظلومية، مشروع البديل، وفلسفة المخلص. يستخدم التنظيم هذه الزوايا كأدوات لبناء سردية متماسكة توحد بين المحبطين وتخلق أرضية فكرية تدفع نحو الالتزام العقائدي والشرعي الخاص بالتنظيم باعتباره وسيلة الخلاص الجماعي.

الزوايا الأولى - دليل المظلومية: بناء الشرعية عبر الاستنكار والتمرد:

في الزاوية الأولى من مثلث الوهم، تركز فلسفة داعش على دليل المظلومية، والذي يعدّ الأساس لتبرير وجوده واستمرار نشاطه؛ حيث يقوم التنظيم بتصوير نفسه على أنه ضحية لمؤامرة عالمية تستهدف الإسلام والمسلمين، ويعزز هذه

الرواية بعرض مشاهد العنف والتهميش الذي يتعرض له المسلمون في مختلف أنحاء العالم، ويؤكد تمرده ورفضه لهذه المؤامرة.

ويتم بناء هذا الإحساس بالمظلومية على فكرة أن "العالم بأسره متآمر ضد الإسلام"، مما يهيج البيئة النفسية للشعور بالاضطهاد الجمعي، ويدفع الأتباع إلى الإحساس بالحاجة إلى الانتقام والعدالة، التي يُصورها التنظيم كواجب ديني ودفاع عن الدين.

والتحليل الفلسفي الديني يؤكد أن داعش يربط دليل المظلومية بنظريات فلسفية أكثر قوة وعمقاً حول ما أسميه (الضحية الجمعية) مما يصبغ العقل الجمعي بأن الأمة الصادقة ضحية، وهنا يسعى داعش إلى تحويل مفهوم الظلم إلى مبدأ يُبرر الفعل المتطرف، محوّلًا المظلومية إلى قوة دافعة لعقيدة "الجهاد المستمر"، ويزيد هذه النظرية عمقاً في نفوس عناصره بالإشعال المستمر للرفض والغضب والتمرد المقدس من خلال نظرية (الثأرية الدينية) من كل الظالمين مجتمعاً كان أم ديناً آخر.

ومن هذا المنطلق، لا يُعد الاضطهاد حالة عرضية، بل يشكل "قوة أخلاقية" تُعبّر عن انحياز ديني مستمر يقابل الصراع العالمي ضد الإسلام، ويجب التصدي له. وبهذا، يُصبح العنف مشروعاً أخلاقياً يأتي كردّ فعل ضروري على التهميش، مما يُشعر الأتباع بواجب الدفاع عن كيانه المظلوم ويعطيهم إحساساً بالقوة رغم ضعفهم الفعلي.

الزاوية الثانية - مشروع البديل: تأسيس "يوتوبيا الخلافة" كنموذج مثالي:

تتمثل الزاوية الثانية لمثلث الوهم في مشروع البديل، حيث يطرح داعش نفسه كبديل للنظم السياسية "الفاسدة" و"المنحرفة" على حد وصفهم عن عقيدة الإسلام وشرعه. وهنا يقدم التنظيم نفسه كحامل للخلافة الإسلامية الحقيقية، مستنداً إلى تصور مصطنع للشرعية الدينية والسياسية، ويسعى لإقناع الأفراد بأن داعش هو التجسيد الوحيد لنظام "الخلافة" التي تمثل النموذج الأمثل للحكم الإسلامي. ويهدف هذا المشروع إلى جذب الفئات المهمشة التي تشعر بالغيرة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية الراهنة، ويجعل من التنظيم ملاذاً لفكرة "اليوتوبيا" الدينية، أو (حلم المجتمع النقي عقيدة وشرعاً) الذي يوفر الحلول الشاملة لكل أزمات العالم الإسلامي.

والتحليل الفلسفي الديني يؤكد على أن مشروع البديل عند داعش يرتكز على مفهوم اليوتوبيا السياسية، التي تُصاغ كبديل منظم وواضح يَعدُّ بتحقيق الاستقرار والعدالة الأخلاقية. وهنا يقوم داعش بإعادة تعريف الشرعية السياسية من منظور ديني، حيث يتم تصوير "الخلافة" كرمز شامل للنظام الأخلاقي والسياسي الوحيد القادر على إعادة العدالة. وبهذا يتحول التنظيم إلى تجسيد عملي للبديل الذي تتوق إليه الجماهير المهمشة، ويصبح وعد "الخلافة" شكلاً من أشكال الخلاص الجماعي، حيث يقدّم العالم تحت سيطرة داعش كمدينة فاضلة تتحدى الأنظمة الحديثة.

الزاوية الثالثة - فلسفة المخلص: التجسيد العقائدي للقيادة الدينية المعصومة:

الزاوية الثالثة لمثلث الوهم هي فلسفة المخلص، والتي يُروج فيها داعش لنفسه كالمخلص المنتظر لأمة الإسلام. ويزعم التنظيم أنه القوة الوحيدة القادرة على تخليص العالم الإسلامي من هيمنة الغرب والأنظمة "المنحرفة"، ويطرح نفسه كوكيل لله على الأرض، مما يعزز ارتباط الأتباع به ويضفي على التنظيم هالة من القداسة. ويعتبر التنظيم أن ولاء الأفراد له يُمثل واجباً دينياً، حيث تُعتبر البيعة للتنظيم بمثابة فعل ديني يعكس الولاء للإله ذاته.

التحليل الفلسفي الديني يبين أن فلسفة المخلص عند داعش يقوم على مفهوم التجسيد الروحي للقيادة، حيث يتمتع التنظيم بهوية دينية خالصة تجمع بين المعتقدات العقائدية والفعل السياسي، مما يحوّل داعش إلى "مخلص" ذو بعد ميتولوجي وديني.

فيسعى داعش من خلال فلسفة المخلص إلى إعادة تعريف السلطة الدينية عبر إبراز نفسه ككيان مفوض من الله ليحمل رسالة الخلاص، فهذه الفلسفة تركز على إقناع الأتباع بأن الانتماء للتنظيم هو تجسيد عملي للإيمان، وأن التخلي عن الولاء له هو بمثابة خيانة لله، مما يدفعهم للشعور بواجب أخلاقي مقدس تجاه التنظيم.

البعد السيبراني في التطرف الجهادي لداعش :

في سياق ما يمكن أن نطلق عليه "الجهاد السيبراني"، يتبنى تنظيم داعش نهجاً متطوراً يستخدم فيه التكنولوجيا والفضاء السيبراني كوسيلة مركزية لنشر أيديولوجيته والتواصل مع أتباعه. بل يُعتبر البعد السيبراني امتداداً لعمليات التنظيم في العالم الواقعي، حيث يوفر لهم مجاًلاً غير محدود لنشر الرسائل الدعائية لتجنيد الأفراد، وتوجيه العمليات دون الحاجة إلى الحضور المادي أو التقيد بقيود الجغرافيا. ونرى هذا التطرف تارة في دعوات الاغتيال أو التظاهر والتخريب تارة أو نراه في صورة الاغتيال المعنوي لبعض الشخصيات التي تقف أمام هذا التنظيم تارة أخرى، والجدير بالذكر أن هذا يحدث على محورين محور مخطط له ومحور تفاعل عشوائي ناتج عن تخطيط منهجي، وهو ما يتضح فيما يلي:

المحور الأول - التطرف السيبراني المنظم: الإطار المؤسسي والتخطيط المنهجي:

يتمثل التطرف السيبراني المنظم في شبكة من الهياكل المؤسسية التي يستخدمها داعش للتحكم بعمليات التواصل والدعاية على الإنترنت. ويمتاز هذا النوع من التطرف بتخطيط عالي التنظيم، حيث يعمل ضمن هيكل هرمي يعتمد على توجيهات وعمليات مدروسة جيداً من قادة التنظيم بحيث يتم تصميم هذه الأنشطة بشكل يحقق أهدافاً استراتيجية محددة، مثل بناء صورة للتنظيم على أنه "دولة" قوية قادرة على فرض هيمنتها، وتجنيد أفراد جدد، أو تحفيز المتعاطفين على تنفيذ عمليات فردية.

المحور الثاني - التطرف السيبراني العشوائي: الانتشار الشعبي والنمط الفيروسي:

على النقيض من التطرف السيبراني المنظم يأتي التطرف السيبراني العشوائي في نشر أيديولوجيا التنظيم بصورة غير منظمة تعتمد على التفاعل التلقائي للأفراد دون توجيه مركزي مباشر، وفيه يُشجع داعش أفراداً متعاطفين من خارج الشبكة التنظيمية الرسمية على نشر محتوى متطرف عبر حساباتهم

الشخصية، أو الترويج لفكر التنظيم عبر منصات غير رسمية، مما يُتيح لتلك الرسائل الانتشار في شبكات أوسع وبطرق أقل انكشافاً للمراقبة. هذا النمط العشوائي يشبه "النمط الفيروسي"، حيث ينتقل المحتوى عبر منصات الإنترنت بشكل غير قابل للتنبؤ، مدفوعاً بردود الفعل التلقائية من المتابعين والمشاهدين في ظاهرة أسميه (فيروس الفضاء الإلكتروني بالداعشية).

ولا بد هنا أن نؤكد أن البعد السيبراني في التطرف لدى داعش يعبر عن فهم عميق لديناميكية الفضاء الإلكتروني وطرق استخدامه في نشر التطرف بأساليب متعددة، مما يمنح التنظيم قدرة فريدة على التأثير والتأقلم مع الأوضاع، سواء كانت مُحكمة أو عشوائية، وهنا تكمن خطورة هذا التنظيم في الوضع الراهن.

ثالثاً - أهم الأسس الأيديولوجية لداعش:

الأطر الفكرية والمعتقدات المؤسسة

العلاقة مع الله ودور الإله في خطاب داعش:

في بنائه الأيديولوجي، يتبنى داعش مفهوم "التعاقدية في العلاقة بالله"، حيث يُصور الله كتاجر - حاشاه - في علاقة مصلحة متبادلة مع المؤمنين: يُكافئ طاعتهم المطلقة بنصرٍ دنيوي وأجرٍ أخروي. هذه العلاقة ليست قائمة على مفهوم روعي بقدر ما هي علاقة نفعية محضة تجعل من الله وكيلًا أعلى في عقد يلزم المؤمن بالطاعة القسرية في مقابل المكافأة. في هذا السياق، تُصبح الطاعة المطلقة المبنية على فهم التنظيم الخاص لنصوص الكتاب والسنة الوسيلة التي تجلب النصر فيطبقون هذا على قوله تعالى: "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ". وبهذا التصور يُضفي على العنف طابعاً مقدساً ويحوّل أفعال التنظيم إلى أداة إلهية مطلوبة وفي خضم هذه العلاقة يتبنى التنظيم مجموعة من الأوهام:

وهم الإله المتريص: فيستخدم داعش وهم الإله المتريص الذي يظهرون الله فيه يتبنى قانوناً عقابياً يتريص فيه لأخطاء العباد ليعاقبهم، وهذا الوهم

يثير مشاعر الخوف والذنب لدى الأفراد. فيستغل التنظيم هذا المفهوم للسيطرة النفسية على الأفراد، وإخضاعهم لأيديولوجيات متشددة بتصوير الطاعة المطلقة كوسيلة لتجنب العقاب الإلهي.

وهم احتكار الربوبية: داعش تروج لمفهوم يقوم على احتكار مفهوم الوعود الربانية لأنفسهم فالنصر لا يكون إلا لهم باعتبارهم منفذين للإرادة الإلهية على الأرض ويصبح الوعيد لكل من لا يطيع أوامرهم.

العلاقة التعاقدية كشرعية أيديولوجية:

يُعد مفهوم التعاقد مع الله استراتيجية تُعطي التنظيم شرعية مطلقة وتكرس الولاء له، ومن خلال هذا التصور، يتم تصوير الأوامر الدينية كتعليمات إلهية مباشرة لهم، وكل تصرف وإرادة خاصة للتنظيم وقادته والتجاوز عنها أو تحديها يمثل انتهاكاً للعلاقة مع الله. وهذه العلاقة التعاقدية لا تمنح التنظيم سلطة دينية فحسب، بل تنقله إلى مرتبة الوكيل الشرعي لإرادة الله، حيث كل أفعال التنظيم بما فيها العنف، تصبح إرادة إلهية.

والرد الشرعي: أن تبني هذا التنظيم هذه الأفكار التي لم ينزل الله بها من سلطان، على الرغم من وضوح مخالفتها لصحيح الفهم الشرعي، حيث:

رفض التفسير النفعي الكمي للعلاقة مع الله في الإسلام:

فالعلاقة مع الله ليست علاقة نفعية أو عقد تبادلي مادي؛ بل هي علاقة تعبدية تقوم على الإخلاص لله والتقرب إليه بالعبادات والطاعات، وليس لهذه العبادات أبداً أن تتحول لمصدر لاستحقاق العباد على الله بالنصر أو بالمكاسب الدنيوية، بل يجب أن يعتقدوا أن هذا العبادة هي منة من الله عليهم وهو سبحانه وتعالى غني عنها. والإنسان خلقه الله ليكون عبداً له على كل حال وليس نظيراً له، فقد قال تعالى في سورة الذاريات: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات: 56).

الله - سبحانه وتعالى - ليس رد فعل لعمل أحد من خلقه :

فالله سبحانه وتعالى هو خالق الأفعال والأقوال والأحداث، والتعامل مع الله على أنه رد فعل لأعمالنا، مخالفة واضحة لصحيح العقيدة التي تُقر لله كمال الإرادة، فلا شيء يؤثر في أمره وإرادته ولا يلزمه .

رفض "تجريد الأخلاق من جوهرها القيمي وتحويلها إلى طاعة قسرية" :

الأخلاق في الإسلام ليست مجرد طاعة عمياء بل هي جوهر الدين، الأخلاق في الإسلام مطلقة، غير متحيزة لعرق أو لون أو دين بل هي معنى يخرج من القيم الإنسانية، فهي جاءت رحمة للعالمين، فرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جاء رحمة للعالمين ليطمئن مكارم الأخلاق، فالمؤمن الحقيقي هو من يمارس هذه الأخلاق ويتحقق بها ويجعلها حياة لا أدوات لفرض القمع على البشر.

الأسس المرتبطة بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -
كمرجعية للتشدد:

يستغل تنظيم داعش صورة سيدنا النبي ﷺ، كمصدر للشرعية لتغذية نزعة العنف في أتباعه؛ حيث يعيد التنظيم بناء صورة النبي ﷺ في عقول الأتباع وفق قراءة انتقائية ومحدودة تركز على جوانب القوة والحزم، مُهملين بذلك الجوانب الإنسانية الرحيمة للنبي ﷺ. بل يقدم التنظيم النبي ﷺ كـ "قائد عسكري مطلق" متجاهلين دوره كمصلح ومعلم للسلام، ويعتبرون العنف "الأسلوب الشرعي" الوحيد لإقامة العدل كما فهمه الصحابة الأوائل. فأهم الأسس الفكرية عند داعش في هذا السياق:

■ إصرار داعش على أن النبي بشر وتجاهل خصوصية الوحي: هم يركزون في خطابهم الديني على أن النبي ﷺ بشر كغيره من البشر وكان فقط مرسلاً للوحي وبشريته هي الباقية بعد وفاته ومن دواعي ذلك: جعلوا التعلق برسول الله مرتباً بزمان وجوده فأصبح المراد هو استدعاء الزمن بأحداثه لا الأخلاق والقيم، واختزلوا علاقة الناس برسول الله في قراءة الأحاديث والتي يضيقون فهمها ويقدمون التفسير بما يخدم أهدافهم، فبذلك وكأنهم

أرادوا استبدال أنفسهم برسول الله ﷺ باعتبارهم من يحمون الوحي الآن، ومن ثمَّ يصبحون مكانه ﷺ.

■ القراءة الحربية لسيرة رسول الله ﷺ: يُبرز داعش الغزوات النبوية كمرجعية أساسية للتعريف بحياة رسول الله ﷺ ويعتبرها النمط الأصل للدين، متناسياً جوانب السلم والتسامح في الإسلام. ويُعد القتال والصرامة المطلقة في التعامل مع المخالف "العدو" صورة رئيسية للنبي ﷺ، ويضعون أتباع التنظيم في موقع جنود هذه السيرة، وبناء على هذه الجندية هم كالصحابة في نصرته الإسلام، مما يخلق هوية قتالية. وتنفيد هذه القراءة يتمثل في:

أ. تصحيح مفهوم الجهاد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم:

يعتبر مفهوم الجهاد في الإسلام مفهوماً متعدد الأبعاد يتجاوز التصور المحدود الذي تسوقه الجماعات المتطرفة. فالجهاد في الإسلام لا يعد غاية قائمة بذاتها، بل هو وسيلة لتحقيق قيم أعلى تتمثل في رد العدوان، وحماية النفس، وتحقيق التوازن المجتمعي والسلم الإنساني، وبذلك، يظهر ذلك فكون غزوات الرسول جميعها كانت دفاعاً عن مدينته ووطنه، فلم يخرج رسول الله ﷺ في غزوة خارج المدينة، إضافة إلى أن الجهاد في الإسلام يخضع لضوابط قيمية دقيقة ومقاصد سامية تتسق مع أهداف الشريعة الكبرى من الحفاظ على النفس والعقل والدين والعرض والمال، والتي تهدف إلى إقامة العدل ونشر الرحمة، وليس تحقيق الهيمنة أو الانتقام.

وهنا يظهر الوجه الحقيقي للسيرة النبوية من أن النبي ﷺ كان يميل دائماً إلى السلام والحلول السلمية قبل اللجوء إلى القتال، وكان هذا جلياً في مواقف كثيرة. فعلى سبيل المثال، في صلح الحديبية وافق النبي ﷺ على شروط قريش رغم إجحافها، فقط ليجنب المسلمين والمشركين ويلات الحرب، موضحاً أن الهدف من الإسلام هو بناء السلام حتى وإن بدا الموقف غير عادل ظاهرياً. فقد قال تعالى في توجيهه لموقفه هذا: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله" (الأنفال: 61)، وهذا الميل للسلام يظهر بوضوح أن الجهاد ليس غاية مطلقة، بل يأتي حينما تستنفذ السبل السلمية.

ب. خلق النبي ﷺ وغاية الرسالة: الرحمة للعالمين:

يوضح الله سبحانه وتعالى غاية رسالة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء: 107)، فالنبي ﷺ كان رمزاً للرحمة والإحسان حتى في أشد المواقف، وعندما كان يقود الجيوش، كانت غايته في القتال حماية المؤمنين ورد العدوان، وليس الانتقام أو نشر العنف.

بل حتى في معارك الدفاع، وضع النبي ﷺ ضوابط صارمة تحفظ الكرامة الإنسانية، مثل عدم قتل النساء أو الأطفال، وعدم تدمير الممتلكات أو تعذيب الأسرى. وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم توجيهه للجيش قائلاً: "لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة، ولا تغلوا، وأصلحوا وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين" (رواه أبو داود).

ج. الجهاد كحالة تنتهي إلى التوازن والسلام ليس هدفاً في ذاته:

الإسلام يسعى إلى تحقيق التوازن في المجتمعات، والجهاد لا يهدف إلى نشر الفوضى بل هو إجراء استثنائي يهدف إلى دفع الضرر وعودة الاستقرار، فالنبي ﷺ كان يدرك أن القوة العسكرية يجب أن تستخدم فقط في حالات الضرورة، ولهذا، كان يعقد الاتفاقات والصلح حتى مع أعدائه إذا رأى في ذلك خيراً وسلاماً. ومن هنا، فإن الجهاد ليس حرباً دائمة بل حالة ظرفية مشروطة.

د. رحمة النبي ﷺ في الحروب:

يتجلى جانب الرحمة في شخصية النبي الكريم ﷺ حتى في أوقات الحروب، فهو لم يكن يسعى للانتقام أو للهيمنة، بل كان يسعى لتحقيق العدل والسلام. فقد كان النبي ﷺ يميل إلى التخفيف على الأسرى، ويحث على المعاملة الحسنة لهم، ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك موقفه من أسرى غزوة بدر، حيث عاملهم معاملة كريمة وشجع المسلمين على فدائهم، أو إطلاق سراحهم مقابل تعليم المسلمين القراءة والكتابة، في إشارة إلى أن الإسلام دين علم وسلام قبل أن يكون دين قتال.

إن الجهاد في حياة النبي ﷺ لم يكن هدفًا بحد ذاته، بل كان وسيلة لتحقيق السلم ورفع الظلم حينما تستعصي الحلول السلمية. وهذا المفهوم يعكس رحمة الإسلام وحرصه على حياة الإنسان وكرامته، خلافًا للتصورات التي تروجها الجماعات المتطرفة.

مساحات مشتركة بين فكر داعش وفلاسفة اليمين المتطرف الغربي:

إن هذا الجماعات تعبر عن نفس أفكار اليمين المتطرف فكلاهما وجهان لعملة واحدة يستخدمون العقائد والبشر لتحقيق غايتهم النفعية حيث يظهر تلاقي فكر تنظيم داعش مع بعض أفكار الفلاسفة الذين شكلوا منهجيات اليمين المتطرف، كفريدريك نيتشه من خلال نقاط محددة تتعلق بتبرير الصراع وإعلاء شأن العنف كآلية لإعادة تشكيل المجتمع، وهو ما يظهر في بعض القراءات المتطرفة لأعمالهم. ويمكن الإشارة في هذا الخصوص إلى:

■ فريدريك نيتشه، "إرادة القوة والعنف كنظام لإعادة تشكيل العالم":
في فلسفة نيتشه، نجد مفهوم "إرادة القوة" الذي يشير إلى القوة كعنصر محوري في التطور الفردي والمجتمعي. بينما كان نيتشه يتحدث عن القوة كعنصر في تنمية الذات ورفض "أخلاق العبيد" لصالح "أخلاق السادة"، استغلت تيارات يمينية متطرفة تفسيراته حول القوة لتبرير العنف كوسيلة للتفوق وإعادة البناء. وهذا يتقاطع مع فكر داعش، الذي يعتبر العنف وسيلة مشروعة لفرض تصورات "نقية" على المجتمعات، معتقدًا أن القوة هي ما يُعيد بناء "المجتمع الإسلامي" وفق معايير الخاصة، فمفهوم النقاء الذي يتبناه أصحاب فكر السامية لا يختلف كثيرًا عن فكرة التطهير التي تتبناها داعش.

وفي فكر داعش، نجد أن القوة ليست مجرد وسيلة، بل غاية دينية وسياسية على حد سواء؛ إذ يسعى التنظيم لإخضاع الآخرين بالقوة وفرض "الحقيقة المطلقة" كما يراها، ويجعل حجته في ذلك ما ورد عن عثمان بن عفان رضي الله عن: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" (مصنف ابن

أبي شيبه)، وهذا الأثر معناه في إقرار الحق وليس ممارسة العنف كما يعتقد داعش، وهذا يتقاطع مع فهم متطرف لمفهوم إرادة القوة الذي يبرر العنف كوسيلة لاستعادة مجد "الخلافة". ولكن بينما كان نيتشه يقصد بذلك تحرير الإرادة الإنسانية من القيود الخارجية لتحقيق الإمكانيات الفردية، يأخذ داعش هذه الفكرة نحو إلغاء الحرية الفردية وفرض العقيدة بالقوة لقائل أن يقول: هل داعش في تمسكها بهذه الأفكار يتشبهون بأفكار مرجعيتها ليست الكتاب والسنة، وهذا يعد -على حد أيديولوجيتهم- خروجاً عن الدين.

■ فرديناند بروديل، "التقاطع في الفكر واستخدامه لتبرير العنف": إن التنظيمات المتطرفة كداعش تتلاقى فكرياً مع تيارات اليمين المتطرف في تفسيراتهم للتاريخ والقوة والصراع، حيث تُستغل هذه الأفكار لتبرير استخدام العنف. وبينما كان المؤرخ فريناند بروديل يفسر الصراع كعملية تطورية ديناميكية، كانت داعش يستغل الأفكار بشكل متشدد وبأقصى درجات الانحراف لدعم فكرة العنف كوسيلة للتفوق وإعادة البناء.

رابعاً - الشريعة والتاريخ الإسلامي ومحاولة صناعة إسناد للتطرف

يتخذ داعش من الشريعة والتاريخ الإسلامي أطراً مرجعية لتعزيز شرعيته وترسيخ مفهومه عن "الدولة الإسلامية المرعبة"، حيث يُعيد تعريف الشريعة كمنظومة مغلقة غير قابلة للتأويل أو التطور. وهذه الأيديولوجيا المتطرفة تقوم على فرضية "العودة إلى الأصل بحتمية العيش في عصر الشريعة"، وهذا العصر عنده متخيل لا واقع له في مضمون حتى في العصور الأولى للإسلام، فقط محاولة للاقتراب من الصورة دون المضامين، ولأجل هذه العودة يتجاهل التنظيم كل أشكال التطور الفقهي والتاريخي للإسلام، ويتمسك بتفسير حرفي وقاسٍ للكتاب والسنة والنصوص الدينية.

تسطيح النص بالتفسير الحرفي وتأصيل الشريعة العنيفة:

يركز داعش على المرجعية المطلقة للكتاب والسنة، ويعتمد على فهم غير منهجي للشريعة يضع فيه قواعده الصارمة البعيدة عن علم الشريعة المنهجية كأصول الفقه والقواعد الفقهية فلا مجال في الشرعية عنده للاختلاف الفقهي النابع من اجتهاد الفقهاء. وهذا الفهم الحرفي يُمكن التنظيم من احتكار تفسير النصوص وتطويعها، بحيث تصبح الشريعة في أيديولوجيتهم قانوناً صارماً يتم تطبيقه بأعلى درجات القسوة تأسيساً للشريعة لا تعرف الرحمة في تطبيقها. بل في هذه القراءة يُختزل التنظيم فلسفة الدين في أيديولوجيته العنيفة، ويصبح الجهاد واجباً عينياً مؤسساً، وليس مجرد وسيلة لتحقيق العدالة وإقرار السلم.

وإذا أردنا أن نحلل الشريعة الداعشية من منظور فلسفة الدين سنجد داعش ينظر إلى الشريعة على أنها أداة تطهيرية شاملة؛ حيث يستعمل النصوص الدينية من الكتاب والسنة باعتبارها قوانين صارمة يتم بها "تنقية" المجتمع من الفساد. وهنا يُصبح تطبيق الحدود الصارمة والتشدد في العقاب شكلاً "للتطهير الإلهي" الذي يُراد به إعادة ترتيب المجتمع وهيكلته. وفي هذا التصور يُعيد تعريف الشريعة كوسيلة لتثبيت سلطة وسلطان التنظيم من خلال العنف، ويتحول المجتمع تحت هذا الفهم إلى مجتمع مؤدلج يقوم على لا أساس الطاعة المتنورة لله بل على أساس الطاعة العمياء لأيديولوجية التنظيم.

القراءة الانتقامية الاحتكارية للتاريخ الإسلامي كإطار شمولي لورثة التوحش:

يعتمد داعش على إعادة تأطير التاريخ الإسلامي ليكون وسيلة لتحقيق مشروعيته الدينية، ويُروج لفكرة أن التاريخ يمثل فترات من الصراع الذي لا بد أن يعود إليه المسلمون باعتباره أحد آليات صناعة وجدان المنتقم في صدورهم. وهنا، يتم بناء تصور للتاريخ يقوم على أن الإسلام الأصيل كان ديناً ممارساً للعنف والجهاد الدائم، ويستند في ذلك إلى شعار حركي يُعرف بـ "إحياء روح المعارك" عبر فهم قسري للتاريخ يجعل من يتبناه غارقاً في مشاعر الانتقام من خلال قراءة متحيزة لا تعرف إلا خدمة أهداف التنظيم.

ويمكننا من خلال هذا أن نرى أن داعش يسعى إلى إضفاء القداسة على العنف المؤسسي عبر دمج الشريعة والتاريخ مع العقيدة بشكل يجعل من الجهاد والعنف أركاناً لا بد منها في حياة المسلم. وتقدم هذه القراءة إعادة تعريف "المقدس" وتجعله قوة قمعية بيد التنظيم، مما يُجبر الأتباع على الاندماج في منظومة قسرية مغلقة، تُجردهم من الاستقلالية وتحويلهم إلى أدوات في التطهير المقدس.

خامساً - أهم التحولات الأيديولوجية: داعش بعد عقد من نشاطه:

التحولات الفكرية في رؤية داعش وممارساته:

يمكن تحليل التحولات الفكرية لتنظيم داعش من خلال منظور فلسفة التاريخ - باعتباره أهم عناصر الدرس السياقي الديني، وهنا يظهر التنظيم مرونة في قدرته على إعادة صياغة أيديولوجيته وفق السياقات التاريخية والسياسية، مما يظهر قدرة التنظيم على صياغة الأحداث لتظل متماشياً مع رؤيته المهيمنة. كما ساعدت الظروف الخارجية وأثرها في تعديل أيديولوجيا التنظيم، ففي مواجهة الضغوط العسكرية والضربات المتكررة، تكيف داعش مع الظروف الخارجية عبر تطوير استراتيجية الذئاب المنفردة والجهاد الفردي كأدوات جديدة لتنفيذ أيديولوجيته العنيفة. وبهذا، تمكن التنظيم من تحويل النكسة إلى فرصة، حيث لم يعد بحاجة إلى هياكل تقليدية لتنفيذ العمليات، بل اعتمد على الأفراد المستقلين لتحقيق أهدافه. وفيما يلي يمكن توضيح أبرز التحولات:

1. الخلافة الافتراضية: التحول من المكان إلى اللا مكان:

فمنذ بدايته، اعتمد داعش على فكرة "الخلافة" كجوهر أيديولوجي وسياسي، يسعى من خلاله لخلق يوتوبيا إسلامية تعيد إنتاج النموذج الأول للإسلام. لكن، ومع تراجع التنظيم عسكرياً وخسارته لمساحات كبيرة، اضطر إلى التكيف مع الواقع الجديد عبر ما يُعرف بـ "الخلافة الافتراضية".

لقد أدرك داعش في ظل الهزائم المتكررة أن مشروعه المادي لم يعد ممكناً كالسابق، فبادر إلى تبني الخلافة الافتراضية كبديل للتواجد المكاني. فكان هذا التحول

من مكانية الخلافة إلى افتراضية الفكرة يعكس نضجاً تكتيكياً وفهماً عميقاً للتاريخ كوسيط للمرونة؛ إذ تحول التنظيم من كيان يسعى لفرض سيطرته في مناطق جغرافية، إلى كيان يعتمد على الفضاء الإلكتروني، حيث تتجاوز الحدود السياسية والرقابية، ليتمكن من بث رسائله واستقطاب الأتباع حول العالم.

ولأجل هذا عمد التنظيم إلى استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، والقنوات المشفرة، ومنصات الفيديو لخلق ما يمكن اعتباره مجتمعاً افتراضياً قائماً على الولاء لفكرة الخلافة، بغض النظر عن الكيان المادي. وقد استطاع التنظيم بفضل هذه الوسائل أن يعيد تشكيل "الوحدة الجهادية"، مما يعكس فاعليته في توظيف الأدوات الحديثة لخدمة أيديولوجيا ذات جذور قديمة.

ومن منظور فلسفي، يمكن اعتبار هذا التحول انعكاساً لجذلية الحضور والغياب في فلسفة التاريخ؛ فبينما فقد التنظيم حضوره الجغرافي، أعاد ابتكار نفسه عبر الوجود الافتراضي. إن فلسفة الخلافة الافتراضية تشير إلى تجاوز حدود الزمان والمكان، بحيث يصبح الفضاء السيبراني "كياناً بلا حدود" تتلاشى فيه القيود ويحقق الحلم المنشود لكل التنظيمات الإرهابية من إزالة الحدود بين الدول لإقامة الخلافة العالمية، مما يمنح التنظيم شكلاً جديداً من القوة، ويحول غيابه الفيزيائي إلى حضور رمزي أكثر تجذراً وعمقاً.

2. استراتيجية الذئاب المنفردة: الفردية كأداة للامتداد:

تعتمد استراتيجية الذئاب المنفردة على جعل العنف والإرهاب أمراً شخصياً يمكن لأي مؤمن بالفكرة أن ينفذه دون الحاجة لتنسيق مباشر. وتُعد هذه الاستراتيجية تجسيداً لتحول فلسفي عميق في رؤية التنظيم، حيث لم يعد يعتمد على الجيوش والجماعات المسلحة الكبيرة، بل نقل فلسفة الجهاد إلى مستوى فردي مما يعكس قدرته على البقاء ككيان فكري رغم كل الظروف.

ويشهد لذلك أن خلال السنوات الأخيرة، شهد العالم العديد من العمليات الفردية التي ادعى داعش مسؤوليته عنها، وكانت هذه العمليات غالباً تعتمد على أفراد أعجبوا بأيدولوجيا التنظيم عبر الإنترنت، وقاموا بتنفيذها استجابة لنداءات التنظيم عبر الإنترنت. مما يكشف عن أن هذه الاستراتيجية أتاحت للتنظيم البقاء، حتى وإن كان بمستوى منخفض، حيث يستمر في نشر أيدولوجيته عبر هذه العمليات الفردية التي تعيد إنتاج شعور بالخوف والولاء في ذات الوقت.

ومن منظور فلسفة الدين، تعكس استراتيجية الذئاب المنفردة فكرة "استقلالية الشر"، حيث يصبح الفرد قادراً على تنفيذ العنف والإرهاب ونشر الخوف وإشاعة الشرب بين الناس ويشرعن ذلك بجعله وسيلة للتطهير الروحي، والشر المبهري في فلسفة الذئاب المنفردة يكمن في تجاوز الجماعة لتصبح المسؤولية عن العنف والإرهاب شخصية مما يمنح التنظيم مرونة في التأثير ويعزز من قدرة الفرد على أن يكون "وكيلاً مطلقاً" مملوءاً بالنشوة والانتماء للقضية دون الحاجة لتوجيهات مباشرة.

سادساً- مدخل جديد في تحليل بنية الحياة في المجتمع الداعشي

(علم اجتماع التدين في سياق داعش)

ماهية علم اجتماع التدين:

في ظل الالتباس الواضح في مفهوم الخطاب الديني؛ حيث تتعامل الدراسات الخطابية معه على أنه خطاب واحد مع وجود هذا الطيف شديد التباين بين خطابات دينية وليس خطاباً دينياً واحداً فهناك خطاب ديني بل خطابات دينية في أقصى اليمين كخطابات داعش وأخواتها، وخطابات في يمين الوسط كخطابات دينية تخلق بين خطاب الوسط وفي الوقت نفسه متأثرة في بعض أفكارها بالخطاب اليميني، وخطاب الوسط والاعتدال كالخطاب الأزهري والزيتوني، وخطاب يسار الوسط، وخطاب أقصى اليسار كالخطاب العلماني المتشدد حين يتبنى رؤية رافضة بشدة للدور الديني في جميع المجالات.

وفي السياق نفسه يتم الخلط بين استعمالين لمفهوم الدين وهما: الدين بمعنى العلم، والدين بمعنى التدين، إضافة لوجود الفجوة بين التدين والتنمية المجتمعية والعيش

الحضاري، ففي ظل هذه السيولة في الخطاب الديني والفجوة الدينية بين التدين والدور المجتمعي كان من الضروري يدعو المهتمون بالدرس الديني المجتمعي لعمل جديد يدرس كل القضايا والظواهر المتعلقة بالخطابات الدينية وصناعة التدين والدور المجتمعي، لذلك مع تحليل كل هذا من مدخل تديني اجتماعي يراعي المتغيرات في كل محددات المشهد والساحة الدينية بحيث يدرس ترسبات غبار وابل الأفكار المتطرف وأثرها على البنية التحتية المجتمعية.

وما يهتم به علم اجتماع التدين الدراسة البينية بين التديني والمجتمعي لمقولات التطرف والإرهاب، وفيما يلي يمكن تقديم مثالين لأهم المقولات الأساسية لتكوين الحياة الداعشية وتحليلها بمنظور علم اجتماع التدين:

المقولة الأولى: "لا بد أن ينصرني الله إذا كنت طائعاً":

في قلب أيديولوجيا داعش، تبرز مقولة "لا بد أن ينصرني الله إذا كنت طائعاً" كركيزة مركزية تُبنى عليها العقيدة التنظيمية، وهي مقولة تتجاوز كونها مجرد اعتقاد إيماني لتصبح أساساً لتشكيل الهوية الدينية للتنظيم وأتباعه. ومن منظور علم اجتماع التدين، تسهم هذه الفكرة في ترسيخ عقيدة حتمية النصر الإلهي التي تعتمد على ما يمكن تسميته "الثقة المطلقة بالعقيدة"، حيث يُعد الالتزام الصارم بأيديولوجيا التنظيم تعبيراً عن الطاعة الكاملة لله، التي لا يُفترض أن تقابل إلا بالنصر المؤكد.

والتحليل بعلم اجتماع التدين: يؤكد على أن حتمية النصر هي من الأفكار البني التحتية في المجتمع الداعشي بحيث يقوم بدور مجتمعي محوري كوسيلة لتعزيز الولاء والالتزام، ومن خلال هذا التصور، يُغرس في نفوس الأتباع أن النصر الإلهي أمر واقع لا محالة، لكنه مشروط بالطاعة، مما يؤدي إلى ترسيخ قناعة لديهم بقدرة التنظيم المطلقة. وهذه العلاقة بين الطاعة والنصر تخلق لدى الأتباع شعوراً بالطمأنينة الزائفة بأنهم يسيرون نحو "الغاية الإلهية"، بحيث يُصبح التنظيم ملاذهم الأخير لتحقيق هذا النصر، مما يعزز ولاءهم له حتى في أوقات الانتكاسات والهزائم.

ويكشف هذا التحليل عن الجانب النفسي الذي يكرسه هذه المقولة؛ حيث اليقين المتوهم كأداة للسيطرة العاطفية؛ ففكرة حتمية النصر الإلهي تعمل كآلية

للتحكم العاطفي بالأتباع، حيث تُضفي على حياتهم هدفًا مطلقًا لا يقبل التشكيك. وهذا اليقين يُنتج مشاعر الفخر والقوة، بحيث يصبح الانتماء إلى التنظيم مصدرًا للهوية الشخصية، إذ يرتبط الفرد بمعايير صارمة تعطيه شعورًا بالقيمة الذاتية عبر "الطاعة". وبما أن التنظيم يسيطر على مفهوم الطاعة ويحدد معاييرها، يُمكنه التحكم في عواطف الأتباع، ما يُحدث حالة من التوحد النفسي بين الأفراد والأيدولوجيا وهي ظاهرة مهمة يمكن أن نسميها اتحاد الفكرة مع الشخص.

ويأتي الجانب الفلسفي في التحليل من منظور علم اجتماع التدين ليكشف عن استخدام داعش لهذا المقولة لتحقيق فكرة العدل الإلهي من رؤية داعش؛ حيث تقوم هذه المقولة فلسفيًا على مفهوم العدل الإلهي المطلق، الذي ينظر إلى الكون كمسرح لتحقيق العدالة من خلال نصره الطائعين على الأعداء. وهنا يروج التنظيم لفكرة أن الله هو القوة الحاكمة التي تمنح "النصر المحتم" لمن يطيع الأوامر، ويستند إلى هذا التصور لتبرير كل تصرفاته، مما يؤدي إلى إضفاء طابع مقدس على العنف الذي يمارسه التنظيم. ومن هنا، تتحول الطاعة للتنظيم إلى طاعة للإله ذاته، حيث يتولى التنظيم دور الوسيط بين المؤمنين والله، مكرسًا نفسه كمرشد للوصول إلى النصر عبر الطاعة.

أما الجانب الاجتماعي في التحليل من منظور علم اجتماع التدين فيكشف أن فكرة حتمية النصر الإلهي هي مصدر للتماسك المجتمعي الداعشي؛ حيث تسهم هذه المقولة في بناء جماعة مؤمنة بفكرة النصر الجماعي الذي يعزز التماسك المجتمعي بين الأتباع. إذ يرى التنظيم في "النصر الإلهي" ركيزةً لخلق مجتمع جديد، يسعى لتجاوز الأوضاع الراهنة وإعادة تشكيل النظام الاجتماعي بحيث يكون أفراد التنظيم وحدة متجانسة تذوب فيها الفردانية، ويتماها في الأفراد مع أهداف التنظيم.

المقولة الثانية: "من رزقه الله الهداية له الحق في منع المعصية":

تحتل هذه المقولة مكانة جوهرية في فكر داعش، حيث يستند التنظيم إلى مفهوم "الاستحقاق المجتمعي للطائع"، مما يخلق إحساسًا عميقًا لدى أتباع التنظيم بأنهم "النخبة المهتدية"، التي حصلت على هبة الهداية، وبالتالي تكتسب "حق السيطرة" على

المجتمع وفرض معاييرها عليه. وهذه الفكرة تُضفي على أتباع التنظيم إحساسًا بالتفوق الروحي والمجتمعي، وتحولهم إلى قوة رقابية قادرة على "التأديب الديني" للمجتمع.

والتحليل بعلم اجتماع التدين يؤكد على أن فكرة الاستحقاق المجتمعي يستخدمها داعش باعتبارها إطارًا للتأثير الاجتماعي؛ حيث يعمل التنظيم على زرع قناعة لدى الأتباع بأن لديهم دورًا رقابيًّا شرعيًّا على الأفراد الآخرين، إذ يعتبر التنظيم أن "الهداية" حق يمنح لأتباعه ميزة تمثيل "القيم العليا" التي لا بد أن تُفرض على الجميع. وهذا التوجه يعزز فكرة الرقابة المجتمعية، حيث يُتاح لكل فرد من أتباع التنظيم ممارسة "الاحتساب" الذي يحولهم إلى وكلاء للقيم الدينية، وبهذا يتحول المجتمع إلى كيان مُراقب تسيطر عليه "جماعة مختارة" تشعر بأنها صاحبة الحق الإلهي في توجيه الآخرين.

أما الجانب النفسي في منظور علم اجتماع التدين فيكشف عن أن الشعور بالاستحقاق يعتبر التعويض للسيطرة؛ حيث تولد هذه الفكرة شعورًا بالتفوق الذاتي لدى الأتباع، حيث تمنحهم "الهداية" حسًا بتجاوزهم للمستوى الروحي لبقية المجتمع. فتعمل هذه الميزة النفسية على تقوية ارتباطهم بالتنظيم، حيث يُصبح هذا التفوق وسيلة لتحقيق الاعتراف والقوة الشخصية، كما يغرس لدى الأتباع شعورًا بأنهم ليسوا مجرد أتباع، بل هم حراس "الهداية" وممثلوها في المجتمع.

ويأتي الجانب الفلسفي في علم اجتماع التدين ليبين مفهوم "الحق الإلهي في الوصاية" عند داعش؛ حيث يتم تصوير الطاعة للتنظيم كالترام أخلاقي. ويُمكن هذا الحق الأتباع من تجاوز البعد الفردي للإيمان إلى بُعد "وصائي" يشعرون من خلاله بضرورة فرض العقيدة على الآخرين، مما يمنحهم شعورًا بامتلاك الحقيقة المطلقة التي يجب الدفاع عنها. وبهذا، تتحول فكرة الهداية إلى أداة لتبرير التدخل الاجتماعي والسيطرة على أفراد المجتمع، فيصبح التنظيم حاملًا للشرعية المجتمعية، ويضع أفرادها في موقع السلطة الدينية المطلقة.

أما الجانب الاجتماعي في علم اجتماع التدين فيصف الرقابة المجتمعية كآلية للسيطرة، ويعتبر استخدام التنظيم لهذه الفكرة لتعزيز النظام المجتمعي المغلق الذي يديره، إذ يُصبح كل فرد من الأتباع جزءًا من آلية الرقابة المجتمعية، ما يمنح التنظيم

سلطة شاملة على المجتمع. بهذا، يتحول التنظيم إلى شبكة من الحراس العقائديين، الذين ينظرون إلى كل من يخالف الأيديولوجيا كهدف للرقابة والإصلاح، فيكون كل فرد مسؤولاً عن "تطهير" المجتمع وضمان استقامته الدينية.

سابعاً - برامج داعش: بين سلطة الأيديولوجيا وقوة التكيف مع الواقع

تنطلق البرامج الدينية الفكرية لدى تنظيم داعش من تطويع النصوص الدينية بما يخدم مصلحة التنظيم في المدى القصير؛ حيث يرى التنظيم أن التفسير المتغير للنصوص ليس انحرافاً عن المبادئ الثابتة بقدر ما هو إعادة تفسير تقتضيها متغيرات المرحلة. ويتجسد هذا التلون الفكري في استراتيجية يُمكن تسميتها بالبرامج الحركية السياسية، وهي الاستعداد الدائم لتكييف الخطاب الديني للتنظيم وتحويل الأهداف التكتيكية بما يتماشى مع الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة. ومن الأدلة الواضحة على ذلك ما يلي:

■ التحالفات المؤقتة مع الفصائل المتعددة:

يظهر مثال عملي للبرامج الدينية الفكرية لداعش في التحالفات المؤقتة التي أجراها التنظيم مع بعض الجماعات المسلحة أو القبائل المحلية في مناطق النزاع، كما هو الحال في سوريا والعراق. على الرغم من التناقض الأيديولوجي العقائدي الواضح بين داعش وهذه الجماعات، إلا أن التنظيم أبدى استعداداً لتجاوز تلك التناقضات بغية تحقيق أهداف تكتيكية، مما يعكس قدرته على تعليق بعض النصوص وتعطيل التفسيرات الدينية مؤقتاً لتحقيق مصالح ميدانية. فعلى سبيل المثال، تحالف داعش في بدايات نشأته مع بعض الفصائل المحلية في العراق ضد قوات التحالف، معتبراً أن هذا التحالف "ضرورة شرعية" لتحقيق هدف أكبر وهو استقرار مناطق "الخلافة" وفق وصفهم.

■ التغييرات السريعة في هيكلية التنظيم بعد مقتل (أبو بكر البغدادي):

لقد سارع التنظيم إلى إعادة الهيكلة وتكييف القيادة بعد مقتل زعيم التنظيم (أبو بكر البغدادي)، فقد واجه داعش تحديًا وجوديًا كبيرًا، نظرًا لأهمية البغدادي الرمزية في كيان التنظيم. لكن التنظيم تمكن من التكيف بسرعة عبر إعادة ترتيب هيكلته القيادية، حيث تم تنصيب قادة جدد، كما تم إعطاء سلطات واسعة للقادة الميدانيين المحليين، ليتكفوا من اتخاذ قرارات مستقلة، وهو ما يعكس مرونة التنظيم في إدارة قيادته لضمان استمراريته.

تنصيب قيادات جديدة وتوزيع السلطة: فقد أدركت القيادة الجديدة أن التنظيم لن يتمكن من الصمود إن اعتمد على مركزية القيادة فقط؛ لذا تم توزيع الصلاحيات على القادة المحليين في مختلف الولايات مما أعطى التنظيم مرونة إضافية وسهّل التواصل بين مختلف وحداته بعيدًا عن تأثير مركزية القيادة التي أصبحت عرضة للمخاطر.

ويظهر التكيف البراجماتي في استخدام داعش مقتل البغدادي باعتبارها فرصة لإعادة هيكلة التنظيم بشكل يمنحه مرونة أعلى في مواجهة الضغوط الدولية. وهذه التعديلات البراجماتية مكنت التنظيم من الاستمرار رغم خسارته لقائد مؤثر، وسمحت له بالبقاء كشبكة لامركزية تتجنب الاستهداف المباشر للقيادة.

■ الاقتصاد الأسود لداعش: الابتزاز وفرض الضرائب:

لم تتورع داعش في الحصول على المال الحرام - من وجهة نظرها، والذي طالما اتهمت حكومات الدول الإسلامية بأنه دول لا تطبق الشريعة لأنها تحصل على هذه الأموال، ومن أهم الأمثلة على ذلك:

الابتزاز المالي وفرض الضرائب: من أبرز آليات التمويل لدى داعش بعد التحول البراجماتي كان فرض الضرائب والإتاوات على الشركات والسكان المحليين في المناطق التي سيطرت عليها. إذ استهدف التنظيم المؤسسات المحلية والشركات العالمية التي كانت تعمل في تلك المناطق، حيث قام بفرض "ضريبة جهادية" على الأعمال التجارية

كوسيلة لزيادة الإيرادات، مبرراً ذلك بأنها جزء من الزكاة أو الجهاد بالمال. ولا بد من الاعتراف بأن هذا الأسلوب كان ناجحاً إلى حد كبير في دعم بنيته التحتية العسكرية واللوجستية. وأشارت تقارير إلى أن داعش اتبعت هذا الأسلوب لتوليد عوائد مالية من الشركات النفطية والمصانع، مستفيدة من سيطرتها على هذه المناطق.

ابتزاز المدنيين والشركات: فقد أشارت الوثائق إلى أن داعش كانت تفرض رسوماً وحصصاً مالية على المدنيين، وكذلك الشركات الكبرى، خاصة شركات النفط التي اضطرت للعمل تحت إدارته أو تزويده بجزء من الإنتاج مقابل السماح لها بالعمل.

بيع الآثار كمصدر للتمويل باعتبارها "موروثاً كُفرياً": رغم أن داعش قدم في البداية خطاباً متشدداً تجاه الآثار الثقافية، معتبراً أنها تمثل "موروثات كفرية"، إلا أنه قام ببيع الكثير منها في الأسواق السوداء للحصول على التمويل. وعمد التنظيم إلى نهب الآثار التاريخية من المواقع الأثرية في سوريا والعراق، وبيعها عبر شبكات السوق السوداء. ونظراً للطلب العالمي على القطع الأثرية النادرة وفُر هذا الفعل الإجرامي مصدراً مالياً مهماً للتنظيم.

ازدواجية الموقف تجاه الآثار: فقد ادعى التنظيم تدمير بعض المواقع الأثرية بدعوى أنها "شركية" أو "مخالفة للعقيدة"، لكن في الوقت ذاته، كان يتم تهريب العديد من القطع الأثرية وبيعها لدعم موارده المالية. وهذه الازدواجية تكشف عن بُعد برامجي واضح، حيث تجاهل التنظيم شعاراته العقائدية في مقابل تحقيق المكاسب المادية.

ويظهر التكيف البراجماتي بوضوح في بينما كان التنظيم يدمر المعالم الأثرية بشكل استعراضي، قام بتهريب وبيع الآثار المهمة لتحقيق مكاسب مالية ضخمة في محاولة للتكيف مع نقص الموارد المالية، مما يُظهر أن التنظيم لم يتوان عن انتهاك شعاراته "العقائدية" لتحقيق غاياته الاقتصادية.

استخدام البيتكوين كوسيلة تمويلية: التحول لاستخدام العملات الرقمية: مع تزايد العقوبات المفروضة وصعوبة التحويلات البنكية التقليدية، بدأ داعش في استخدام العملات الرقمية مثل البيتكوين لتمويل عملياته. فالعملات الرقمية توفر

درجة من السرية وتجعل تتبع التحويلات أمراً أكثر صعوبة، مما سمح للتنظيم بإدارة أمواله خارج نطاق الرقابة الدولية.

استغلال البيتكوين لتمويل الأنشطة الإرهابية، ووفقاً لمصادر متعددة، اتضح أن داعش قام بتوظيف تقنية "البلوك تشين" والتحويلات بالبيتكوين لشراء الأسلحة والعتاد عبر الإنترنت المظلم (Dark Web)، حيث يتم استخدام شبكات غير قابلة للتتبع بسهولة. وقد أشارت تقارير حديثة إلى أن التنظيم كان يستخدم بعض الحسابات الخاصة بالبيتكوين لنقل أموال غير قانونية وتمويل عملياته خارج نطاق المراقبة الأمنية التقليدية.

■ تغيير موقف داعش من النساء واستغلالهن:

التحول العقائدي في مسألة "جهاد النساء": رغم أن داعش بدأت عندما أعلنت عن نفسها بموقف متشدد يمنع النساء من الخروج من منزلها إلا لحاجة وبالتالي منعها من المشاركة في المعارك، إلا أنها سرعان ما قامت بتغيير هذا النهج، خصوصاً مع تراجعها العسكري واحتياجها لمزيد من المجندين. وهنا بدأ التنظيم في تجنيد النساء ليس فقط باعتبارهن يقمن بدور الدعم للمجاهدين، ولكن أيضاً في "كتيبات جهادية" شاركت في العمليات القتالية والانتحارية.

استغلال النساء كوسيلة للدعاية والتجنيد: فقد استغل التنظيم النساء لتحقيق أهداف دعائية، حيث قام بتجنيدهن وفرض "جهاد النكاح" على كثير منهن في المناطق التي سيطر عليها، مبرراً ذلك بأنه جزء من الدعم الشرعي للمقاتلين. وقد واجه هذا السلوك استنكاراً من العديد من الفقهاء المسلمين الذين أكدوا أن هذا النوع من الاستغلال لا يستند إلى أي نصوص شرعية معتمدة، بل هو شكل وقح لانتهاك أعراض العفيفات الشريفات باغتصابهن.

التوظيف الدعائي واستغلال المحرمات: فقد ظهرت أدلة على أن داعش قامت باستغلال النساء، بمن في ذلك زوجات المقاتلين، لتحقيق مكاسب مادية واستغلالهن كأدوات ضغط واستقطاب للموالين الجدد.

ولا يحتاج هذا إلى بيان بأن هذا الاستغلال غير الأخلاقي للمرأة في سياقات كهذه هو نوع من القوادة وارتكاب لأعظم المحرمات من الاتجار في أعراض الحرائر العفيفات الذي لا صلة له من أي وجه بأخلاق الإسلام وقيمه وقد أجمعت الأمة على تحريم هذا الاتجار مع التأكيد على منافاته التامة لكافة مبادئ وقيم الدين الإسلامي المكرم للمرأة، ومن ثم لاقى التنظيم انتقادات إسلامية عالمية حادة وكبيرة في هذا الشأن.

■ استغلال داعش للأطفال لأهداف عسكرية ودعائية:

التجنيد والاستغلال الدعائي للأطفال: فقد اعتمد داعش بشكل مكثف على تجنيد الأطفال، حيث أطلق عليهم "أشبال الخلافة". وعمل التنظيم على استغلال الأطفال في العمليات العسكرية والدعائية، مدعيًا أن تدريبهم وتجهيزهم كـ "مقاتلين" هو جزء من غرس القيم الدينية منذ الصغر. وقد تم تدريب الأطفال على استخدام الأسلحة، بل وحتى تنفيذ العمليات الانتحارية، مما جعلهم جزءًا من الماكينة الحربية للتنظيم.

الاستغلال الدعائي للأطفال: استخدم داعش الأطفال كأدوات دعائية لاستقطاب المزيد من الأنصار وإظهار قوة التنظيم أمام خصومه. وقد أظهرت بعض التسجيلات التي نشرها التنظيم تدريب الأطفال وتسليحهم، لخلق صورة توهي بأن "الخلافة" تمتد عبر الأجيال، مما يُعزز من دعمه كقوة مستدامة على المدى الطويل.

ويظهر هنا التكيف البراجماتي فقد استغل داعش الأطفال عندما واجه نقصًا في عدد المقاتلين البالغين، مبررًا ذلك بذرائع عقائدية تتعلق بتنشئة الجيل الجديد على "قيم الخلافة". وهكذا تكيف التنظيم مع الظروف المتغيرة من خلال توظيف الأطفال ملء الفجوات البشرية، مما يعكس نهجًا براجماتيًا لتحقيق الاستمرارية.

لا بد من التأكيد على أن هذه الممارسات عكست تحول داعش نحو البراجماتية في إدارة موارده البشرية والمادية، واستعداده للتكيف مع الضغوط المختلفة لضمان استمراريته، حتى لو تطلب ذلك تجاوز شعاراته العقائدية أو تغيير استراتيجياته

بشكل جذري، وأصبحوا في التناقض الذي بينوا الذكر الحكيم في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)".

وبنظرة من منظور فلسفة الدين الإسلامي نجد أن البراجماتية استخدمت من قبل داعش كأداة لإعادة تعريف النص الديني من الكتاب والسنة، ويعكس هذا النهج انزلاقاً نحو نسبية فكرية، حيث يتحول النص الديني من كونه مُطلقاً في تعبيره عن الحق والحقيقة، غير قابل للتعديل والتلوين، إلى مادة متغيرة تخضع للتأويل المتلون حسب الظروف. ويمكن أيضاً اعتبار هذا التحول نحو النسبية محاولة لاحتكار النصوص واستغلالها كأداة للتحكم، مما يسمح للتنظيم بتبرير أي تحول أو تغيير في استراتيجياته طالما أنه يبررها في سياق "التكتيك" الضروري. في هذا الإطار، تُفهم المرونة الفكرية ليس كضعف في العقيدة، وإنما كقوة تحول التنظيم امتلاك سلطة أحادية على التفسير، حيث يمكن له فرض تفسيراته الظرفية باعتبارها السبيل الوحيد للنجاة الدينية.. وهذا كله كذب وافتراء على الله ورسوله ﷺ.

ويمكن أن نشير إلى تحليل علم اجتماع الدين للجانب النفسي لهذه البراجماتية بأنه من قبيل الاستغلال العاطفي للطاعة وتقديم ذلك على أنه من قبيل التكيف مع المتغيرات فيضفي هذا النهج مرونة نفسية على الأتباع، حيث تُصبح "الطاعة العمياء" للتنظيم مقبولة حتى وإن بدت الاستراتيجية متناقضة مع المبادئ الأصلية. فتتعزيز هذه الطاعة لدى الأتباع الذين يرون في هذا التغيير تأكيداً على ذكاء القيادة وقدرتها على تحقيق الأهداف، مما يخلق شعوراً بالانتماء والتفوق، حيث يشعر الأتباع بأنهم جزء من كيان مرن قادر على التكيف مع كل التحديات.

■ التكيف الأيديولوجي في بيئات مختلفة:

يُعد التكيف الأيديولوجي لداعش في البيئات المختلفة أداة محورية في استراتيجياته. فقد عمد التنظيم إلى تكيف خطابه الديني ليصبح ملائماً للظروف الاجتماعية والسياسية لكل بيئة، مما يجعل الأيديولوجيا متوافقة مع السياق المحلي. ويظهر هذا التكيف في المناطق التي أعلن التنظيم سيطرته عليها كـ "ولايات"، حيث أتاح للقادة المحليين حرية الاجتهاد بما يتلاءم مع احتياجات وأولويات تلك البيئة،

مما يعكس قدرة التنظيم على الجمع بين الانضباط الأيديولوجي والمرونة التكتيكية، ومن الأمثلة الواقعية على ذلك:

التكيف مع القيم الاجتماعية والعشائرية:

فقد ظهر هذا التكيف بوضوح في العراق وسوريا، حيث قام داعش بتعديل خطابه الديني وممارساته ليناسب الثقافات المحلية، خصوصاً في المجتمعات العشائرية التي لها تقاليد قوية وأعراف مترسخة؛ على سبيل المثال، سمح التنظيم لبعض القادة المحليين بإجراء تعديلات في أسلوب تطبيق الأحكام الشرعية وفقاً لمعايير العرف المحلي والعشائري، وكذلك اتخذ التنظيم مواقف تتسم بالمرونة في بعض الأحيان تجاه قطاعات معينة من السكان الذين يحتاج إلى دعمهم، فامتنع عن فرض أحكامه الصارمة في بعض الحالات من أجل كسب ولائهم، متجنباً الدخول في صدام مباشر مع العشائر.

وإذا حللنا هذا التكيف فلسفياً يمكن النظر إليه باعتباره استراتيجية تؤكد مفهوم "الأيديولوجيا المتغيرة"، وهي أيديولوجيا تعتمد على قدرتها على التكيف مع السياقات المختلفة دون أن تفقد هويتها المركزية. يُشبه هذا النهج ما يطلق عليه عند الشيعة "بالتقية" ويطلق على "التكييف الوظيفي" في علم الاجتماع، حيث تتحول الأيديولوجيا الدينية إلى أداة مرنة تُعاد صياغتها باستمرار لتبقى في توافق مع البيئة، مما يعكس استعداد التنظيم لدمج الاختلافات الثقافية والسياسية كجزء من كيانه دون التنازل - من وجهة نظره - عن مبادئه العامة، ليصبح التكيف بذلك عنصراً من عناصر الديمومة.

أما التحليل الاجتماعي لهذا التكيف فيكشف عن إرادة داعش أن تخلق هوية دينية متنوعة ومتعددة السياقات؛ حيث يُعد هذا التكيف الأيديولوجي وسيلة لبناء هوية دينية متعددة السياقات، فيتمكن التنظيم من دمج الهويات المحلية ضمن إطار أيديولوجي أكثر شمولاً. وهذه المرونة في التكيف تُعزز من انتماء الأفراد المختلفين إلى التنظيم، حيث يشعرون بأن التنظيم ليس مجرد كيان غريب يُفرض عليهم، بل هو كيان مرن يستوعب ثقافتهم وقاموا في ذلك باستغلال المهتمشين بإغرائهم بالسلطة والنفوذ.

ثامناً - استشراف مستقبل أيديولوجيا التنظيم

تمكن تنظيم داعش من استغلال التكنولوجيا والإعلام الرقمي لتجديد صورته الأيديولوجيا وجذب أتباع جدد، خاصة من فئة الشباب المتأثر بالتقنيات الحديثة. من خلال استخدام التواصل الاجتماعي ومنصات الفيديو؛ حيث يحرص التنظيم على تقديم عناصره كأبطال في "حرب مقدسة"، ويعتمد إلى إضفاء طابع بطولي وجذاب على أتباعه، مما يجعل منهم رموزاً دينية ومثالاً للشجاعة، في محاولة لزيادة جاذبية التنظيم بين الفئات الشابة، وقد استخدم التنظيم حزمة من استراتيجيات الدعاية الرقمية، أهمها:

استراتيجية التلاعب بالمشاعر والغضب الاجتماعي:

تعمل آلة دعاية التنظيم على استغلال الأحداث السياسية العالمية، كالتوترات الإقليمية والاضطرابات الاجتماعية في المجتمعات المسلمة لإعادة صياغة أيديولوجيته بطرق تلائم مشاعر الإحباط والغضب لدى الشباب، وخاصة أولئك الذين يشعرون بالتهميش الاجتماعي أو لديهم انتماءات سياسية متطرفة. فيتم استهداف هذه الفئة برسائل توجي بأن التنظيم يقدم بديلاً عن العجز السياسي والاجتماعي، مما يجذب أفراداً يتطلعون إلى هوية وانتماء واضحين.

إضفاء طابع سردي على الأحداث الدينية والسياسية:

لدى داعش تفوق واضح في استغلال المنصات الرقمية لبناء سرديات جديدة تُصوّر التنظيم كحامِل لمبادئ العدالة الإلهية. ويقوم التنظيم في هذا السياق بتحريف الأحداث السياسية لتصويرها على أنها دليل على مظلومية المسلمين والحاجة لمواجهة "القوى العالمية المتآمرة"، مما يعزز من جذب الأتباع الذين يبحثون عن عدو مشترك ومبرر ديني للمشاركة في "الجهاد".

ومن منظور علم اجتماع التدين، تمثل هذه السرديات آلية لإعادة بناء الهوية الدينية والاجتماعية، معاً حيث يُصبح الانتماء للتنظيم تعبيراً عن رفض الواقع والالتفاف حول بديل يُقدم "الخلاص لمدينة فاضلة ولو كان وجودها افتراضياً في العالم الأزرق. ولا بد من بيان أن هذه الاستراتيجية هي تطبيق عجيب لتحري الكذب الذي حذر منه رسول الله ﷺ في قوله: "إن الرجل ليكذب ثم يتحري الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".

أما التحليل النفسي من هذا المنظور فيبين أن التنظيم يستمر في كذبه ويستغل الضجوات النفسية لدى الشباب الذين يفتقرون إلى الهوية أو الانتماء المجتمعي القوي، مما يدفعهم إلى البحث عن مجتمع بديل. تترك هذه الحملات الإعلامية أثراً نفسياً عميقاً، إذ يُقدم داعش نفسه ككيان يحمي المعتقدات ويوفر شعوراً بالانتماء والقوة للأفراد المشتتين ثقافياً واجتماعياً. وهنا يظهر أن انضمام الشباب لداعش يتجاوز الفهم الأيديولوجي ليصبح عملية نفسية يسعى فيها الفرد للشعور بالقيمة والتأثير.

ومن الجدير بالذكر أن الأوضاع والأحداث الراهنة بفلسطين تمثل فرصة لاتباع هذا التنظيم وخلفائه من الخلايا الكامنة؛ حيث يستغل داعش الإجرام الذي يقوم به الكيان الصهيوني في فلسطين وتبعاته النفسية والسياسية على مستوى العالم العربي، حيث يستغل التنظيم مشاعر الغضب والإحباط لدى الشباب العربي، خصوصاً أولئك الذين يرون أن الأنظمة القائمة غير قادرة على التصدي لما يجري أو تقديم دعم فعال في هذا السياق، فيروج التنظيم لمفاهيم مثل رفض النظام القطري، وإنكار شرعية الحدود الوطنية، داعياً الشباب للتمرد على أنظمتهم بحجة أنها "تواطأت" أو "عاجزة" عن نصرته القضية الفلسطينية ودين الإسلام.

استغلال ثلاثية الوهم (المظلومية، البديل، فكرة المخلص):

سبق أن بينت المقصود بثلاثية صناعة الوهم، والتي من زاوية دليل المظلومية: التي فيها يركز داعش على الترويج لنظرية المظلومية الكبرى، حيث يقدم نفسه كحامل لمظلومية الإسلام والمسلمين ضد ما يعتبره "العدو المشترك" لكل الأمة. ويستغل التنظيم مأساة الشعب الفلسطيني أسوء استغلال ليعزز من السردية التي تقول إن هناك "تواطؤاً دولياً" أو "خدلاً ممنهجاً" تجاه المسلمين، مما يغذي شعوراً عميقاً بالغضب لدى الشباب. وبهذا، يصبح تنظيم داعش كياناً يطمح لملاءمة هذا الفراغ، مدعياً القدرة على استرداد الحقوق وإعادة العدل، فيستخدم الحروب الجارية كحافز عاطفي للولاء له.

ويزيد من بريق هذه الفكرة بزاوية مشروع البديل، وهنا ينادي بالقفز فوق الوطنية إلى "الخلافة": ويرى التنظيم في مشاعر الإحباط فرصة لإضعاف

الإحساس بالانتماء الوطني لدى الشباب المحبطين، يُقدم لهم بديلاً يوصف بكونه "الخلافة الإسلامية المنتظرة"، التي يتجاوز بها الحدود الوطنية التي يعتبرها مؤقتة وجزءاً من التقسيم الاستعماري الذي أبقى الأمة مجزأة وضعيفة. ويروج التنظيم لفكرة أن الوطن القطري يخدم القوى الكبرى، وبالتالي فهو عائق أمام وحدة الأمة وحل أزمتها، ليظهر التنظيم كبديل منقذ ومحرر.

ويكمل زوايا الثلاثية بزاوية فلسفة المخلص، فيقوم بتعزيز الأفكار الانتحارية والتمردية تحت ضغط مشاعر الخذلان والشعور بالعجز، ويبدأ التنظيم بتعزيز فكرة "الجهاد" بصفته الطريق الوحيد للخلاص والانتماء. وينفذ داعش هذه الفكرة من خلال دعوات تشجع الأفراد على التضحية بأنفسهم لأجل "المظلومين" والتخلص من القهر، مُغلِّفًا ذلك بمفهوم ديني وإنساني. ويظهر التنظيم في هذه الدعوات بصفته القادر على تحقيق العدالة المطلقة، مستغلًا الحالة النفسية للعاطلين والمحبطين ليحولهم إلى أفراد مستعدين لتقديم حياتهم.

سيولة الإرهاب:

لا يترك التنظيم فرصة إلا ويستغلها ولذلك يستند هذا خطاب داعش في هذه الآونة إلى فلسفة تعيد تشكيل الوعي السياسي والديني لدى الشباب، بحيث تُعتبر الدول القائمة كائنات مصنعة وعائقاً أمام الحقيقة "الإلهية" التي يحملها التنظيم، وهو بذلك يستمد توجهاته من مزيج من الأيديولوجيات البراجماتية التي تستغل ضعف الشعور بالانتماء وإحساس الهزيمة التاريخية وتأجيج الثأرية الدينية. ويتوافق هذا النهج مع فلسفة الوجودية السياسية؛ فالأفراد المحبطون من عالمهم الحالي، يبحثون عن غاية كبرى تكون هي "الأمل" البديل، فيلعب التنظيم على هذه الحاجة النفسية للانتماء والهوية، ويعرض الجهاد كأداة لتجاوز الفناء الذاتي وكتعبير عن العزيمة والبطولة الفردية.

ومن ثم فالنتيجة المتوقعة بناء على تحليل علم اجتماع التدين والبنى الفكرية سبق عرضها، هي:

تضائل الإحساس بالوطنية وارتفاع فرص تجنيد الشباب؛ لأن استخدام هذه الفجوات النفسية والسياسية يهدف داعش من خلاله إلى إضعاف الروابط الوطنية وتعزيز شعور الشباب بالانتماء إلى "الأمة الكبرى" تحت راية التنظيم، مما يزيد من قدرته على تجنيد المحبطين. لأنني أؤكد أن من أخطر الأوقات التي يشكل داعش فيها خطرًا هي أوقات الأزمات؛ حيث يقدم نفسه كملأذ للخلاص، مستغلًا الأوضاع المأساوية والقضايا العاطفية، فينتقل بالولاء الفردي من الهويات الوطنية إلى هوية "خلافة" وهمية تتجاوز بها الدول وتحول مفهوم الأمة إلى كيان حربي.

ختاماً،

آفاق أيديولوجيا داعش بين الاستمرار والانحسار

قدم هذا الفصل استكشافاً دقيقاً ومفصلاً للبنية الأيديولوجية لتنظيم داعش، موضعاً الجذور التي يستند إليها التنظيم في إعادة تأويل النصوص الدينية بما يخدم أهدافه السياسية والاجتماعية. فهذا التنظيم يتبنى مفهوم الأفكار قبل المرجعية، فهم لا ينتمون بشكل حقيقي إلى أي مرجعية، بل تجمعهم أهداف نفعية، حيث إن هذه الأيديولوجيا، على الرغم من صرامتها الظاهرة، أثبتت مرونة براجماتية في التكيف مع التحديات والبيئات المتغيرة، مما مكن التنظيم من استدامة تأثيره. ويعتمد داعش في استمراريته على الاستغلال الدقيق للأحداث السياسية العالمية، وتوجيه الرسائل التي تلعب على وتر مشاعر الإحباط والمظلومية، مما يخلق سرديات تجذب الأتباع وتبث الشعور بوجود هدف سام يتجاوز الأبعاد الشخصية، وهو ما يمكن استغلاله مجدداً فيما نشهده من أحداث في فلسطين ولبنان والسودان والتوترات الأخرى بالمنطقة.

لذا، نرى أن التنظيم لديه القدرة على استقطاب تابعين جدد إذا ما كانت الأنظمة بما تمتلكه من أنظمة أمنية وقوى ناعمة على وعي بهذا الخطر والتصدي الوقائي له من خلال التصدي الفكري أولاً، وإيجاد دوائر حوارية للاستماع للشباب تحول دون استقطابهم من قبل هذه الجماعات المجرمة.

قائمة المراجع:

1. ملالا يوسفزي، (2020)، مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف: التعليم والدفاع. منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو).
https://www.nato.int/nato_static_fl2014/assets/pdf/202012/pdf/2012-DEEP-CTRC-arabic.PDF
2. لويس شاو، (2019)، "صعود وتراجع داعش: تحليل نشأة الدولة الإسلامية وتوسعها وزوالها". المجلة الدولية للعلوم والمجتمع، جامعة ألاباما.
<https://pdfs.semanticscholar.org/d51d/69e1c8874f06b30931a4ebfab63089df70eb.pdf>
3. سمر المصري، (2018)، "محاكمة داعش على استعباد النساء والفتيات الإيزيديات جنسياً". المجلة الدولية لحقوق الإنسان 22، العدد 8: 1047-66.
<https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080.13642987.2018.1495195>
4. جريدة النبا 2017، دراسة تحليلية "التضليل المحترف والصد عن سبيل الله"، صحيفة الإرهاب، دار الإفتاء المصرية.
<https://anyflip.com/xfyf/euni/basic>
5. رغدة البهي، (2023)، التجربة المصرية في مكافحة الإرهاب السيبراني: رؤية تحليلية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية
<https://acpss.ahram.org.eg/News/21074.aspx>
6. مركز سلام لدراسات التطرف، 2021، الانتحاريات "تاريخ موجز للقهر ووهم التحرر"، مركز سلام لدراسات التطرف.

2 إشكالية الخلافة في داعش بين الواقعية والرمزية

د. شادي عبد الوهاب منصور*

تلعب القيادات دوراً محورياً في حياة التنظيمات الإرهابية، ولذلك، فإن تصنيفاتهم كوسيلة للحد من عمليات التنظيمات الإرهابية والتعجيل بانهيائها كان من ضمن الموضوعات التي حظيت بجانب كبير من الاهتمام من جانب الدراسات المعنية بقضايا الإرهاب. كما ركزت بعض الدراسات الأخرى على التركيز على العلاقة بين تصفية قيادة التنظيم الإرهابي المركزي من جانب، والتنظيمات الإرهابية المرتبطة به، والمنتشرة في مناطق مختلفة حول العالم، من جانب آخر.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع، فإن هذا الفصل سوف يركز على حالة تنظيم داعش الإرهابي. ويسعى الفصل إلى اختبار صحة الفرضية التالية: "إن تصفية قيادات تنظيم داعش في سوريا والعراق قد أثرت سلباً في قدرات التنظيم هناك".

ولاختبار مدى صحة هذه الفرضية، فإن هذا الفصل سوف يركز على الجدل حول تأثير تصفية قيادات التنظيمات الإرهابية على بقاء التنظيم نفسه، ثم محاولة استكشاف تأثير القيادة الكاريزمية لكل من أبي مصعب الزرقاوي وأبي بكر البغدادي على تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين وداعش. وبعد ذلك، سوف يتم توضيح حجم الخسائر التي تكبدها داعش في مصفوفته القيادية خلال السنوات الماضية. وأخيراً، الإشارة إلى أبرز السياسات التي تبناها داعش من أجل استيعاب أو تحجيم تأثير الضربات التي استهدفت قيادته على بقاء التنظيم ذاته.

أولاً: تصفية القيادات.. جدل نظري وعملي غير محسوم

تأخذ عمليات تصفية قيادات التنظيمات الإرهابية أشكالاً متعددة؛ إذ إنها تشمل اعتقال أو قتل قيادات ذات قيمة عالية، مثل قادة الجماعات الإرهابية، وقادة العمليات، والأفراد ذوي المهارات التقنية العالية مثل صانعي القنابل وكذلك القيادات من المستوى الإداري المتوسط. ويُعتقد أن قتل القيادات العليا والأهداف ذات القيمة العالية يقلل من رأس المال البشري المتوفر لدى الجماعة الإرهابية، بما في ذلك القادة المهرة والاستراتيجيون، ويردع المقاتلين والداعمين المحتملين عن الانضمام للتنظيم خوفاً من التعرض للتصفية والقتل¹.

ويثار الجدل حول فاعلية تصفية القيادات الإرهابية، ومدى تأثير ذلك في بقاء التنظيم الإرهابي، وما إذا كانت هذه الضربات تؤدي إلى انهيار التنظيم بشكل كامل، أو على الأقل الحد من قدرته على تنفيذ العمليات الإرهابية، أم أن تنفيذ مثل هذه الضربات تؤدي إلى ضربة معنوية للتنظيم الإرهابي وعناصره، ثم ما يلبث أن يتمكن التنظيم الإرهابي من امتصاص تداعياتها مع تولي قيادة جديدة.

وتبنى الولايات المتحدة الأمريكية هذه الاستراتيجية بشكل رئيسي في مواجهة التنظيمات الإرهابية. ويرجع البعض بدء توسع واشنطن في تبني هذا الأسلوب مع قيامها بتصفية، زعيم تنظيم القاعدة في العراق، أبي مصعب الزرقاوي، في يونيو 2006، فضلاً عن التوسع الأمريكي في توظيف الطائرات المسييرة منذ العام 2007، في استهداف قادة تنظيم القاعدة وفروعه المنتشرة في اليمن وأفغانستان وباكستان². ولكن لا يجب إغفال أن هذا الأسلوب متبع منذ عقود عدة في مواجهة التنظيمات الإرهابية، إذ تشير الدراسات الأمنية المعنية بالإرهاب أنه قد وقع نحو 1,276 عملية لتصفية قيادات جماعات إرهابية خلال الفترة الممتدة من عام 1970 وحتى عام 2016³.

وينقسم الأدب المتعلق بمكافحة الإرهاب في موقفه من قضية تصفية القيادات الإرهابية، وانعكاسها على استمرارية التنظيم؛ الاتجاه الأول: يرى أن تصفية القيادات الإرهابية يعجل بانحيار التنظيم الإرهابي، ويستند هذا الاتجاه إلى الاعتقاد بأن قيادات التنظيمات الإرهابية تتباين فيما بينها من حيث القدرات القيادية⁴، ولذلك لا يمكن تعويضهم بسهولة من خلال إحلال آخرين محلهم، لأن بعضهم يتمتعون بقدرات كاريزمية وإدارية وقيادية عالية. ومن جانب آخر، يمتاز القادة بالخبرة والحكمة، وهو ما يساعد التنظيم على تجنب أي خطوات متسارعة قد تضر بالتنظيم⁵.

وفي ضوء الحجة السابقة، فإن غيابهم سوف يؤثر حتمًا في التنظيم الإرهابي، ويهدد بقاءه، خاصة إذا ما تولى خلافة التنظيم شخصيات لا تتمتع بالقدرات القيادية نفسها للقادة السابقين عليهم؛ إذ إن بعضها قد يفتقد إلى الشعبية والتأثير داخل التنظيم، خاصة إذا ما تم تعيينه على عجل، كما أن القيادات الجديدة قد تكون ضعيفة، أو لا تتمتع بالشعبية الكاريزمية نفسها التي كان القادة السابقون يتمتعون بها⁶. ولعل ما يؤكد صحة هذا الأمر هو تصفية زعيم تنظيم القاعدة الأم في أفغانستان، أسامة بن لادن، في مدينة أبوت آباد الباكستانية في مايو 2011، إذ إن خليفته، أيمن الظواهري، كان يتمتع بشخصية كاريزمية محدودة، كما أنه لم يستطع التنظيم تحت زعامته أن ينفذ أي عمليات إرهابية قوية ضد الولايات المتحدة أو الدول الأوروبية، وذلك على الرغم من تركيز خطابه عليهم، بل تراجعت مكانة التنظيم كثيرًا لصالح أفرعه الإقليمية، مثل تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية، والذي نجح في تنفيذ عملية قتل لثلاثة ضباط

من البحرية الأمريكية في قاعدة فلوريدا الأمريكية في ديسمبر 2019⁷، أو حتى تنظيم داعش، الذي نجح في تسيد المشهد الإرهابي مع ظهوره في العام 2014.

الاتجاه الثاني: على النقيض يرى أن تصفية القيادات الإرهابية قد يترتب عليه زيادة خطورة التنظيم وعملياته الإرهابية، بل ويزيد من قدرته على استيعاب الصدمات⁸. ويرى هذا الاتجاه أن تصفية القيادات قد يؤدي إلى تعزيز شعبية التنظيم الإرهابي في حاضنته المجتمعية، خاصة إذا ما تسببت عمليات التصفية للقيادات إلى إسقاط عدد كبير من المدنيين. ومن الأمثلة على ذلك، توظيف الطائرات المسييرة في عملية الاغتيال، إذ تشير التحقيقات الصحفية عن تسبب هذه العمليات في قتل واسع للمدنيين، وأحياناً بعيداً عن ميادين القتال. ففي 19 يوليو 2016، قصفت قوات العمليات الخاصة الأمريكية ما يُعتقد أنها ثلاث "مناطق تجمع" تابعة لداعش في ضواحي مدينة توخار، وهي قرية صغيرة على ضفاف نهر يقع في شمال سوريا، وهي العمليات التي ترتب عليها مقتل 85 مقاتلاً، وفقاً للبيانات الأولية للجيش الأمريكي، غير أنه في الواقع، قصفت القوات الأمريكية منازل بعيدة عن خط الجبهة؛ حيث لجأ المزارعون وعائلاتهم وغيرهم من السكان المحليين إلى ملاذ آمن ليلي من القصف وإطلاق النار، وهو الأمر الذي ترتب عليه، في حقيقة الأمر، قتل أكثر من 120 قروياً⁹.

وتشير وثائق الجيش الأمريكي السرية عن الحرب في الشرق الأوسط منذ عام 2014 أن هناك حوالي 1300 حادثة استهداف خاطئ للمدنيين، وهي الضربات التي وجهت بالاعتماد على تقارير استخباراتية خاطئة، أو ضربات متعجلة وغير دقيقة، وهو الأمر الذي ترتب عليه مقتل آلاف المدنيين، أغلبهم من الأطفال. ووفقاً لما كشفته صحيفة النيويورك تايمز، فإن أياً من هذه الجرائم المرتبكة بحق المدنيين لم يتم التحقيق فيها، أو اتخاذ أي إجراءات تأديبية بحق من قام بهذه العمليات¹⁰. ولا شك أن مثل هذه العمليات سوف تؤدي إلى زيادة الغضب الشعبي تجاه القوات الأجنبية المتدخلة في الصراع، وهو ما يمكن أن تستغله التنظيمات الإرهابية في تجنيد مزيد من العناصر، خاصة من بين أولئك الذين قتل عائلاتهم في الغارات الأمريكية.

ويقدم أنصار الاتجاه السابق حجة إضافية للتدليل على صدق توقعهم بأن تصفية قيادات التنظيمات الإرهابية لا يترتب عليها انهيارها؛ إذ يرون أنه في بعض الحالات، يتولى أمر هذه التنظيمات شخصيات تتمتع بقدرات قيادية وإدارية تماثل أو تقارب أولئك الذين تمت تصفيتهم. كما أخذ أنصار هذا الاتجاه في الاعتبار عامل آخر، وهو درجة مأسسة التنظيم الإرهابي، إذ إنه، وفقاً لهم، كلما كان التنظيم الإرهابي كبيراً، فإن فرص انهياره تكون محدودة، نظراً لقدرة التنظيم حينها على استبداله بشخص يتمتع بالمهارات القيادية نفسها تقريباً. ويدللون على رأيهم السابق بالقول إنه في التنظيمات التي تتبع نمط التفجيرات الانتحارية، فإنه من الملاحظ أن المرشحين لتنفيذ مثل هذه العمليات لا ينضب، خاصة التنظيمات ذات الصبغة الدينية، أو ذات التوجهات الأيديولوجية القوية¹¹.

وأخيراً، يشير أنصار هذا الرأي إلى ما يسمونه "تأثير الشهادة"، ففي حالة احتفاظ الشخصية القيادية التي تم استهدافها باحترام شديد داخل التنظيم، فإن عملية تصفيتها سوف يترتب عليها تأثيراً عكسياً، فقد تحفز عناصر التنظيم على تنفيذ عمليات عنف للانتقام لمقتلها، وهو ما يزيد من مستويات العنف، ولا يترتب عليه تقليصه¹².

الاتجاه الثالث: وفي مواجهة هذا الجدل السابق، فقد سعت دراسات ثالثة إلى محاولة التأكيد أن العلاقة بين تصفية القيادات واستمرارية التنظيم الإرهابي تختلف من تنظيم إلى آخر، أي أنه إذا ما تم النظر إلى تصفية القيادات باعتباره المتغير المستقل، واستمرارية التنظيم الإرهابي باعتباره المتغير التابع، فإن تصفية القيادات لا يترتب عليها انهيار التنظيم الإرهابي في كل الأحوال، ولكن تختلف من حالة إلى أخرى. ولذلك سعت هذه الدراسات إلى الوقوف على العوامل الوسيطة التي قد تؤثر في العلاقة بين الجانبين، ووضعت إحدى الدراسات هذه العوامل في التالي: الهيكل التنظيمي، وأيديولوجية الجماعة الإرهابية، والدعم الشعبي¹³. وأضافت بعض الدراسات المعنية بالإرهاب بعداً آخر، وهو الدعم الإقليمي، أو الدولي؛ إذ إن هذا العامل يدخل ضمن العوامل التي تؤثر في استمرارية التنظيم الإرهابي، ويمكن تفصيل كل عامل من هذه العوامل على النحو التالي:

1. **الهيكل التنظيمي:** تتسم الجماعات الإرهابية ذات الهيكل البيروقراطي الكبير بالتخصص الوظيفي، إذ لديها تقسيم واضح للمسؤوليات والوظائف الإدارية، وتتبع قواعد وإجراءات واضحة، خاصة فيما يتعلق بالتسلسل القيادي، أو الجهة المنوط بها اختيار قائد التنظيم الجديد في حالة مقتل قائده السابق، وبالتالي فهي أكثر قدرة على الصمود أمام التصفية المفاجئة لقائدها. أما المنظمات الأصغر حجمًا، والأكثر حداثة، فهي لا تمتلك هذا الهيكل البيروقراطي المعقد، وبالتالي فهي أكثر عرضة للتضرر والانهيار في حالة تصفية قيادتها¹⁴.

وعلى الجانب الآخر، يلاحظ أن التنظيمات الإرهابية الدولية، التي تمتلك أفرعًا مختلفة تابعة لها حول العالم، تمتلك ميزة إضافية لا تمتلكها التنظيمات الإرهابية الأخرى، وهي أن هذه الشبكة من التنظيمات الفرعية توفر للتنظيم الأم المتضرر من تصفية قادتها مجموعة أكبر من القيادات الماهرة التي يمكن أن تستمد منها المساعدة والتوجيه، فضلًا عن احتياطي أكبر من الكفاءات والمواهب المتاحة، وذلك مقارنة بالتنظيمات التي لا تربطها مثل هذه الروابط الشبكية مع تنظيمات فرعية أخرى؛ فالجماعات ذات الروابط الشبكية العالية غالبًا ما تكون لها صلات مع مجموعات فرعية تمكنها من اختيار قيادات منها.

ولعل من الأمثلة على ذلك قتل القوات العسكرية الأمريكية أسامة بن لادن في مايو 2012، فقد كان خليفته أيمن الظواهري، وهو زعيم جماعة إرهابية كانت تتمتع بعلاقات وثيقة مع تنظيم القاعدة قبل أن تصبح رسميًا جزءًا من التنظيم. وكان خليفة الظواهري، قبل مقتله، والرجل الثاني في التنظيم، زعيم جماعة أخرى مرتبطة شبكيًا بتنظيم القاعدة، وهو ناصر الوحيشي، زعيم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، غير أن الأخير تمت تصفيته في غارة أمريكية في اليمن في عام 2015. وبالتالي¹⁵، فإن قيادات تنظيم القاعدة الأم لم يكونوا بالضرورة منه، بل من المجموعات الفرعية المرتبطة بالتنظيم.

وعندما تأسس تنظيم داعش في عام 2013، بدأ التنظيم في استقبال مقاتلين أجانب من مجموعة من الفروع والمنظمات الإرهابية الأخرى، مثل تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وحركة طالبان الأفغانية، وحركة طالبان الباكستانية، وجبهة تحرير مورو الإسلامية، كما يلاحظ أن المهارات والمواهب الخاصة لهؤلاء المقاتلين

الأجانب، تتنوع لتضم الخبرة في الهندسة الكيميائية وتكنولوجيا المعلومات والدعاية ولغات محددة¹⁶، وهو ما أمد التنظيم بخبرات واسعة مكنته من السيطرة على مناطق واسعة في سوريا والعراق بعد عام تقريباً.

2. **أيديولوجية التنظيم الإرهابي:** يعد التوجه الأيديولوجي للجماعة عاملاً مهماً في تحديد مدى قدرتها على الصمود في وجه الضربات التي تستهدف قيادتها، إذ إنه باستقراء عدد من الحالات التاريخية، يتضح أن الجماعات ذات التوجهات الدينية أو الانفصالية تكون أكثر مرونة وقدرة على استيعاب الصدمات في مواجهة جهود استهداف قياداتها؛ لأن أيديولوجيتها لا تعتمد على القائد في التعبير عنها، بل غالباً ما تكون متجذرة بعمق داخل الجماعة أو المجتمع المحلي، سواء لاعتبارات دينية، أو لتحقيق أهداف قومية، مثل الرغبة في تأسيس دولة مستقلة. ونتيجة لذلك، غالباً ما تحظى هذه الجماعات بدعم شعبي أكبر؛ مما يزيد من قدرتها على الصمود¹⁷.

وارتباطاً مع ذلك، لاحظت بعض الدراسات أن الموجة الخامسة من الإرهاب، والتي يندرج ضمنها، تنظيم القاعدة وداعش، تتميز بأن الجماعات الإرهابية في هذه الموجة تسعى إلى خلق عالم مثالي يستهدف إعادة زمن ماضٍ كان ينظر إليه على أنه عهد ذهبي للجماعة، كما تميل هذه الجماعات إلى ارتكاب مجازر بحجة الحفاظ على نقاء الجماعة وتطهير المجتمعات من الآخرين الذين يهددون هذه الجماعة المختارة. ولذلك، فإن هذه الجماعات لا تتسامح قطّ مع أي انقسامات داخلية، والتي يتم عادة تصفيتها من خلال المواجهات المسلحة الحادة. كما أنه نظراً لتبني أفراد هذه الجماعات العنف المفرط، والذي قد يصل في بعض الأحيان إلى التطهير العرقي، فإنه من الصعب على عناصرها العودة مرة أخرى إلى حياتهم الطبيعية قبل انضمامهم إلى التنظيم الإرهابي، وهو ما يعني أن هذه الموجة من الإرهاب تسعى إلى إعادة إنتاج نفسها، وكذلك التمدد لأجيال تالية¹⁸.

ومن الأمثلة على ذلك التحدي الذي تفرضه عائلات داعش، أنه بين عامي 2013 و2019، توجه ما يقدر بنحو 53 ألف رجل وامرأة وطفل من ثمانين دولة مختلفة للانضمام إلى داعش ودعم أنشطته. وبعد أربع سنوات من هزيمة التنظيم على الأرض، لا يزال أكثر من 60 ألف شخص تابع للتنظيم رهن الاحتجاز لأجل غير مسمى في شمال شرق

سوريا. ويُعد "مخيم الهول" أكبر المخيمات، التي تضم عناصر داعش، إذ قدر عدد الأفراد القاطنين به، في عام 2023، ما يقرب من 50 ألف فرد، 90% منهم من النساء والأطفال، كما أن 23% من جميع السكان هم دون سن الخامسة من عمرهم، في حين أن 42% من السكان هم من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس وثمانية عشر عامًا. وتثار مخاوف من أن تتحول مثل هذه المخيمات إلى حاضنة مجتمعية للإرهاب تعيد إنتاج فكر تنظيم داعش المتطرف¹⁹، وهو ما يجعل من الصعب القضاء على أيديولوجيته، بل ويخرج جيل جديد من المتطرفين الذين يواصلون عملياته الإرهابية.

3. **الدعم الشعبي:** يعد الدعم المجتمعي أو الشعبي مطلبًا ضروريًا لتوفير الموارد المادية والبشرية اللازمة للجماعة الإرهابية للحفاظ على هيكلها التنظيمي والقيام بأنشطتها. فالدعم الشعبي يوفر الأساس لشرعية الجماعة، وهو ما يمكن أن يزيد من كفاءة التنظيم وقدرته على الصمود. كما أن الدعم الشعبي ضروري لقدرة الجماعة الإرهابية على الحفاظ على قوتها التنظيمية وقدرتها على الاستمرار بعد تعرض قيادتها للتصفية أو الاستهداف²⁰.

وتلجأ التنظيمات الإرهابية عادة إلى محاولة استغلال مشاكل المجتمعات المحلية، ومظالمها، والتماهي معها، وتقديم نفسها على أنها تلعب دورًا رئيسيًا في علاج هذه المشاكل، أو مواجهة هذه المظالم، وذلك في مسعى من هذه التنظيمات إلى إيجاد شرعية تمكنها من إيجاد داعمين لمشروعها المتطرف، سواء بالنفس أو المال. ولذلك نجد أنه خلال الفترة الوجودية التي سيطر فيها تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية على مناطق محدودة في جنوب اليمن، في يناير 2012، ركز التنظيم على تسوية النزاعات والقضايا الصعبة المتعلقة بوجه خاص بالثأر القبلي، بل وأقدم التنظيم أحيانًا على دفع دية القتلى لتسوية الخلافات القبليّة، بالإضافة إلى تقديمه خدمات لم تكن الحكومة تؤمنها للسكان المحليين²¹.

وبالمثل، يلاحظ أن حركة الشباب التي ظهرت في مقاطعة كابو ديلجادو في موزمبيق، قد ظهرت في البداية، في عام 2017، كحركة تمرد ضد معاناة السكان المحليين من التهميش الاقتصادي، وذلك على الرغم من أن مناطقهم تحتوي على أكبر وأهم مشروع للغاز الطبيعي المسال في أفريقيا، والذي تقدر قيمته بحوالي 60 مليار دولار أمريكي.

وسرعان ما حصلت الشباب على مبايعة تنظيم داعش²²، وذلك بهدف الحصول على دعم التنظيم المادي والعسكري.

ولذلك، فإنه في مثل هذه الحالات، لا يمكن الاعتماد على العمليات العسكرية وحدها للقضاء على التنظيم الإرهابي، بل يحتاج الأمر إلى علاج المظالم المجتمعية التي تعاني منها المجتمعات المحلية، والتي أدت في النهاية إلى توفير الدعم للتنظيم الإرهابي. ولعل حالة موزمبيق توضح هذا الأمر بجلاء. فعلى الرغم من أن القوات الموزمبيقية، مدعومة بقوات أفريقية، نجحت في استعادة السيطرة على نحو 90% من الأراضي التي يسيطر عليها داعش بحلول منتصف سبتمبر 2023، فإن التنظيم تمكن من العودة مرة أخرى، وهو ما وضع في تنفيذه عمليات إرهابية في كابو ديلجادو، بالإضافة إلى تمكنه من السيطرة على بلدي موكوجو وكيسانجا، في يناير ومارس 2024 على التوالي²³.

4. **الدعم الإقليمي أو الدولي:** يرى دانييل بايمان في كتابه "روابط مميتة" أن هناك دورًا مهمًا للعامل الأجنبي، الإقليمي أو الدولي، في دعم التنظيمات الإرهابية، إذ أشار إلى أن كل تنظيم إرهابي ظهر في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين كان يتلقى دعمًا من إحدى الدول. وعلى سبيل المثال، فإن الهند كانت تدعم تنظيم نمور تحرير تامليل إيلام في سريلانكا، بينما تدعم دمشق الجيش الأحمر الياباني²⁴. ويلاحظ أنه بالمثل، لا يمكن إغفال حقيقة أن تركيا تقوم بدعم تنظيم هيئة تحرير الشام المرتبطة بالقاعدة في شمال سوريا. وقد وضح ذلك، على سبيل المثال، في أكتوبر 2017، حينما رافقت عناصر من هيئة تحرير الشام الجيش التركي، عند انتشاره في مدينة إدلب في أكتوبر 2017²⁵.

ويلاحظ أن الصراعات الدولية توفر مناهًا مواتيًا لتوظيف التنظيمات الإرهابية، فقد أشار وزير الخارجية الروسي، سيرجي لافروف، إن "نظام كييف يقوم بتدريب مقاتلين من تنظيم هيئة تحرير الشام الإرهابي الدولي، المحظور في روسيا، في سوريا بالتنسيق مع الولايات المتحدة"، وإن أساس الاتفاق بين الجانبين يقوم على أن تقوم كييف بإمداد التنظيم بالطائرات المسيرة المتطورة مقابل أن يقوم مقاتليه بتنفيذ هجمات ضد روسيا²⁶.

وعلى الرغم من أن هذا الأمر قد يبدو للوهلة الأولى مستبعداً، فإن تورط أوكرانيا في دعم الجماعات الإرهابية في مالي ضد الحكومة المالية يكشف عن صدق الاتهامات الروسية، فقد عَقَّب أندريه يوسف، المتحدث باسم وكالة الاستخبارات العسكرية الأوكرانية، على العمل الإرهابي الذي وقع في يوليو 2024، واستهدف 84 عنصراً من مجموعة فاجنر العسكرية، و47 جندياً مالياً قائلاً: إن المتمردين الماليين تلقوا المعلومات الضرورية لتنفيذ الهجوم، مضيفاً أنه لن يكشف التفاصيل²⁷، في إشارة إلى تورط بلاده وآخرين في تنفيذ هذا الهجوم الإرهابي، وهو ما حدا بمالي والنيجر إلى قطع علاقاتهما الدبلوماسية مع كييف²⁸.

ولذلك لا يمكن تجاهل الدعم الإقليمي أو الدولي للجماعة الإرهابية عند محاولة توقع مدى استمراريتها بعد تعرض قياداتها للاستهداف، إذ إن هذا العامل قد يؤدي إلى مساعدة الجماعة على تخطي عقبة استهداف قادتها، بل وإمداد التنظيم الإرهابي بمعلومات حول كيفية تفادي الاستهداف من جانب القوى المتربصة بالتنظيم.

ثانياً: كاريزمية القيادة ونشاط "داعش" .. الزرقاوي والبغدادي نموذجاً

تلعب القيادات المتطرفة دوراً محورياً في حياة التنظيمات الإرهابية، ويصدق هذا القول بدرجة كبيرة على أبي مصعب الزرقاوي، وأبي بكر البغدادي؛ إذ إن الأول هو الذي أسس تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، والذي يُعرف كذلك باسم أحمد فاضل نزال الخلايلة، والذي قتل على يد القوات الأمريكية في يونيو 2006. وكان الزرقاوي مسؤولاً عن أبشع الأعمال الوحشية، مثل قطع رأس الرهينة الأمريكي نيكولاس بيرغ، وتدير الهجوم على مقر الأمم المتحدة في بغداد، وتدير تفجير ثلاثة فنادق في الأردن، بالإضافة إلى دوره في إذكاء الحرب الأهلية بين السنة والشيعة في العراق²⁹.

أما على المستوى التنظيمي، فقد أفلت الزرقاوي من الاعتقال، وبنى منظمة إرهابية اتسمت بالفاعلية في مواجهة جهود الولايات المتحدة المستمرة للقضاء عليه وتفكيك منظمته، كما عمل الزرقاوي أيضاً منسقاً لعمليات التنظيم الإرهابي، والتي كان يقوم بتنفيذها الأمراء المحليون للتنظيم في مناطق العراق المختلفة³⁰.

ونظرًا لمحورية دور الزرقاوي، ساد اعتقاد بأن القضاء عليه يمكن أن يؤدي إلى إضعاف تنظيم القاعدة، خاصة وأن الاستخبارات الأمريكية والعراقية اخترقت تنظيم القاعدة في العراق لجمع معلومات عن مكان وجود الزرقاوي، وهي المعلومات التي أسهمت في النهاية في القضاء عليه. ومن المرجح أن تكون واشنطن قد نجحت في الحصول على هذه المعلومات من خلال القبائل العراقية، والتي تعاونت مع الولايات المتحدة للتخلص من التنظيم الذي تبنى أجندة متطرفة أدت إلى إذكاء الحرب الأهلية في العراق³¹، وذلك بالمخالفة لأجندتها، والتي كانت تركز على طرد الاحتلال الأمريكي للعراق.

وعلى الرغم من ذلك، فإن تنظيم القاعدة لم ينهر تمامًا، وهو ما يرجع إلى الطبيعة اللامركزية للتنظيم في ذلك الوقت، إذ إنه كان مؤسسًا على أساس لامركزي، حيث يتمتع القادة المحليون بحرية كاملة في التخطيط لعملياتهم بدون الرجوع إلى قيادة التنظيم. ومع التسليم بأهمية القيادة الكاريزمية لتنظيم القاعدة، فإن أحد العوامل التي أسهمت في إكساب التنظيم قوة هو أنه اصطف مع قوى المقاومة العراقية في مواجهة الاحتلال الأمريكي للعراق في البداية، غير أنه سرعان ما تبنى أجندة مغايرة، وهي إثارة الحرب الطائفية بين السنة والشيعة، وهو ما أدى إلى تراجع الدعم الشعبي للتنظيم في المناطق السنية، أي أنه افتقد إلى حاضنته الشعبية بالدرجة الأساسية، وهو ما أدى إلى إضعاف التنظيم، وإن كان بشكل تدريجي.

وقد تأكد ذلك الأمر مع تأسيس الصحوات العراقية في عام 2007 للقضاء على القاعدة، وقد بلغ عددهم حوالي 100 ألف مقاتل، وأشرف الجيش الأمريكي بقيادة الجنرال، ديفيد باتريوس، على الصحوات قبل أن يسلم مسئوليتها للحكومة العراقية عام 2008، والتي وافقت على منح 20٪ منهم وظائف بالشرطة والجيش، على أن تدفع للبقية مرتبات شهرية مقابل حماية مناطقهم ضد القاعدة³²، أي أن تبني بغداد، بضغوط من واشنطن، لسياسات هدفت إلى استيعاب العرب السنة، سياسيًا وأمنيًا هو ما أسهم في تراجع سطوة تنظيم داعش بالتوازي مع افتقاد التنظيم لحاضنته الشعبية. وبالتالي، فإن السبب الرئيسي وراء تراجع تنظيم القاعدة يعود ليس فقط إلى تصفية زعيمه، ولكن لتراجع الدعم الشعبي لعمليات التنظيم المتطرفة، وهو ما تجلّى في انتفاضة العشائر العراقية ضده.

وبالمثل، فإن عودة تنظيم داعش من جديد قد بدأ ليس فقط بسبب تولي قيادة جديدة للتنظيم ممثلًا في أبي بكر البغدادي، ولكن بسبب اتجاه الحكومة العراقية برئاسة رئيس الوزراء نوري المالكي إلى تبني سياسات طائفية ضد العرب السنة، وهو ما وضح في محاولته لإقصاء كل السياسيين من السنة المناوئين لهم بتهم واهية، مثل دعم الإرهاب، أو الانتماء للبعث.

ففي شهر نفسه انسحاب القوات الأمريكية، في ديسمبر 2011، قام المالكي باعتقال عناصر الأمن الخاصة بطارق الهاشمي، نائب الرئيس العراقي، متهمًا إياهم بالتخطيط لاغتياله، وهي الخطوة التي هدف منها المالكي لاتهام الهاشمي نفسه بمحاولة الاغتيال تلك، ولذلك هرب الهاشمي من العراق، وذلك قبل صدور حكم غيابي بالإعدام ضده. كما تم توجيه اتهامات مماثلة لوزير المالية، رافع العيساوي. وبالمثل، تم اعتقال أحمد العلواني، النائب السني البارز من الرمادي، وقتل شقيقه علي، في 28 ديسمبر 2013.³³

ولم تقف سياسات المالكي عند هذا الحد، بل قام حلفاؤه السياسيون بتوظيف قوانين مكافحة الإرهاب، لاعتقال السياسيين السنة. ولذلك، فإنه بحلول 2012 كانت المظاهرات من جانب العرب السنة أمرًا متكررًا، وهي المظاهرات التي لاقت عنفًا من جانب الحكومة المهيمن عليها من الشيعة، كما تم اعتقال آلاف من السنة دون أن تصدر ضدهم أي أحكام³⁴، وهو ما دفع عشائر العراق إلى المطالبة بانسحاب قوات الأمن العراقية من محافظة الأنبار، وسرعان ما تبع ذلك قتال عنيف، وقام الجيش بسحب قواته من كافة المدن هناك.³⁵

وسبق هذه الإجراءات سعي المالكي لتهميش الصحوات والنكوص على كل الوعود التي قطعتها الحكومة العراقية لهم، خاصة دمجهم أمنياً وسياسياً في الحكومة العراقية، إذ شن المالكي هجوماً عليهم متهمًا إياهم بأنه تم اختراقهم من جانب تنظيم القاعدة وحزب البعث، بالإضافة إلى اعتقال عناصر من هذه القوات بتهمة التورط في نشاطات إرهابية³⁶، بل وبدت الحكومة العراقية سعيدة باستهداف قادة الصحوات على يد تنظيم داعش.

وكانت سياسات المالكي تنبع من عدم ثقته بالعرب السنة في العراق. فقد اعتبرهم الداعمين الرئيسيين لنظام صدام حسين، كما أنهم عارضوا النظام السياسي الذي هيمن عليه الشيعة في مرحلة ما بعد صدام حسين، وفقاً لمعتقداته. ولذلك، فإنه

بالنسبة للمالكي، كان السنّة غير راغبين في قبول النظام السياسي الجديد في مرحلة ما بعد صدام، وكان يجب إخضاعهم بالقوة بدلاً من دمجهم؛ نظراً لأنه كان ينظر إليهم دوماً باعتباره تهديداً محتملاً له³⁷. ونظر المالكي إلى الانسحاب الأمريكي من العراق في ديسمبر 2011، باعتباره فرصة ذهبية للتخلص من العرب السنة، وإقصائهم من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعراق.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سياسات المالكي جاءت عقب انتخابات 2010، والتي كاد أن يخسر فيها المالكي الحكم بعدما حل ائتلافه، ائتلاف دولة القانون، ثانياً بواقع 90 مقعداً، بعد ائتلاف العراقية، والذي ضم قوى سنية وشيعية، وحصد 91 مقعداً، إذ شرع المالكي عقب توليه رئاسة الحكومة إلى تهميش ائتلاف العراقية، وكل القوى السنية، أي أن المالكي تبنى هذه السياسات السابقة انطلاقاً من اعتبارات طائفية وسلطوية، وهي السياسات التي تسببت، في المقابل، في زيادة الاحتقان الطائفي لدرجة غير مسبوقة، ومهد الطريق أمام صعود داعش من جديد³⁸.

وعلى الجانب الآخر، فقد عمل تنظيم داعش على الاستفادة من أخطاء تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، والتعلم منها، فبعدما كان التنظيم في نسخته الأولى مهيمناً عليه من جانب المقاتلين الأجانب من خارج العراق، بدأ تنظيم داعش تحت قيادة إبراهيم عواد السامرائي، والذي لقب نفسه بأبي بكر البغدادي، بإعادة تنظيم داعش، وعيّن قيادات جديدة يحمل أغلبها الجنسية العراقية، كما بدأ، في يوليو 2012، بشن هجمات منظمة على السجون العراقية، في خطوة تهدف إلى إخراج عناصر التنظيم من السجون، ثم بدأ في مرحلة تالية، وتحديدًا بدءاً من يوليو 2013، بشن هجمات ضد قوات الأمن العراقية، حتى تمكن تدريجياً من بسط سيطرته على أغلب مدن محافظة الأنبار³⁹.

كما لا ينبغي إغفال الدور الكاريزمي لزعيم داعش، أبي بكر البغدادي، والذي أعلن إقامة ما أسماه "الخلافة الإسلامية"، من مسجد النوري بالموصل، وتنصيب نفسه خليفة للمسلمين، في عام 2014⁴⁰؛ إذ أن التنظيم وقتها سيطر على مناطق واسعة من سوريا والعراق، ليقم أول دولة إرهابية بهذه المساحة في منطقة تقع في قلب الشرق الأوسط، وهو ما لم يتمكن أي تنظيم إرهابي آخر من القيام به.

ومن جهة ثالثة، استطاع البغدادي، بعد إعلان إقامته الخلافة أن يحشد المتطرفين حول العالم ويحثهم على الانضمام له، خاصة بعد أن صورت دعايته أن التنظيم يخوض معركة نهاية الزمان بين جيوش المسلمين وخصومهم، في مدينة دابق السورية، والتي سيطر عليها في أغسطس 2014. ويستند داعش في ذلك إلى الحديث النبوي الشريف: "لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق"، ولذلك يولي البلدة أهمية تاريخية ودينية فهي حسب التنظيم ستجري فيها معركة كبرى في نهاية الزمان بين جيوش المسلمين وخصومهم. ومع ذلك، فإن خسارة التنظيم لهذه المدينة، فضلاً عن خسارته لأغلب الأراضي التي سيطر عليها مثل انتكاسة كبيرة للتنظيم الإرهابي ودعايته⁴¹.

ولذلك، يلاحظ أن المقالات التي نشرت في أعقاب مقتل أبي بكر البغدادي في عام 2019، قد انقسمت على نفسها، فيما يتعلق ببيان تأثير مقتله على التنظيم. ففي حين ذهبت بعض الدراسات إلى القول إن تصفيته ستضر بتنظيم داعش، ولكن دون أن يترتب عليه تدميره بشكل كامل، فإن البعض الآخر يرى أن موته لن يكون له أي تأثير؛ أي أن التنظيم سوف يواصل عملياته بالمستوى نفسه، دون أن يتعرض لأي انتكاسة تنظيمية، في حين رأت دراسات ثالثة أن التهديد الذي يشكله التنظيم الإرهابي سوف يزداد⁴².

ولا يجب إغفال أن أحد عوامل فاعلية داعش لا ترتبط فحسب بالشخصية الكاريزمية لزعيم التنظيم أبي بكر البغدادي، ولكنها ترتبط كذلك بهيكل التنظيم الذي يمتلكه داعش، إذ إن كبار قيادات تنظيم داعش كانوا من المنتمين سابقاً إلى حزب البعث، وكانوا إما من كبار قيادات الجيش العراقي، أو الأجهزة الأمنية العراقية⁴³، وهو ما يفسر لماذا تمكن تنظيم داعش من التفوق على تنظيم القاعدة، خاصة في جانب الدعاية وكذلك نجاحه في استقطاب متعاطفين من مناطق مختلفة حول العالم، وفي فترة زمنية محدودة.

وأخيراً، لا يمكن التهوين من دور العامل الخارجي. ففي حين أن تنظيم هيئة تحرير الشام المرتبطة بالقاعدة في شمال سوريا تبنى أجندة محلية تركز على سوريا، وتجنب توجيه عمليات إرهابية ضد الغرب، بل وسعى للترويج في الإعلام الغربي بأن أجندته محلية، وهو ما وضح في إعلان الجولاني، في عام 2016، انفصال الجبهة عن القاعدة بشكل كلي، وغير اسم الجبهة لتصبح جبهة فتح الشام، قبل أن تغير اسمها

مرة أخرى إلى هيئة تحرير الشام في 2017، بعد اندماجها مع بعض الفصائل المسلحة، فضلاً عن تأكيد عبد الرحيم عطون، رئيس المجلس الأعلى للإفتاء التابع لهيئة تحرير الشام، بأن الهيئة حركة سورية ثورية محلية، لا تتبع لتنظيمات جهادية خارجية، ولا تشكل خطراً على الدول الغربية، وخاصةً الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى الدخول في علاقات برجماتية مع تركيا، وهو ما وضح في التعاون بين الجانبين، خاصة بعد سيطرة الهيئة على معبر باب الهوى مع تركيا، والذي يعد المعبر الاستراتيجي الأهم لإدخال البضائع والمساعدات لإدلب⁴⁴.

ومن جانب آخر، فإن هناك الكثير من التحليلات التي ترى أن هيئة تحرير الشام، تعاونت بشكل عام مع التحالف الدولي لمكافحة داعش، وكذلك مع تركيا في محاربة التنظيم، خاصة بعدما داهمت قوات خاصة أمريكية منزلاً في محافظة إدلب السورية، في 3 فبراير 2022؛ مما أسفر عن مقتل عبد الله قرداش، زعيم المجموعة الأساسية لتنظيم داعش في بلاد الشام، خاصة وأن المحافظة تقع ضمن نطاق سيطرة هيئة تحرير الشام⁴⁵.

وبالتالي، فإن متغير القيادة في التنظيم الإرهابي، وتحديدًا الحسابات الخاطئة لأبي بكر البغدادي، هي التي أسهمت في استعداد أكبر قدر من الدول ضده، خاصة الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة. صحيح أن شن داعش هجمات ضد الغرب قد أسهم في تسيد التنظيم للمشهد الإرهابي، خاصة على حساب تنظيم القاعدة، وجلب لداعش العديد من المتعاطفين مع أجندته المتطرفة، لكنه في الوقت نفسه، قد خلق له خصوصاً من جانب عدد كبير من الدول، والتي أضحت مصلحتها تتمثل في القضاء على التنظيم في معاقله الرئيسية في سوريا والعراق، لوقف عملياته الإرهابية ضدها.

ومن العرض السابق، يتضح أن صحة تنظيم داعش لا ترتبط فقط بدور قائده أبي بكر البغدادي، والذي لعب دوراً محورياً لا يمكن إغفاله في هذا الأمر، خاصة فيما يتعلق بتأكيد سيطرة العناصر العراقية على قراراته في مواجهة العناصر الأجنبية، ووضع أجندة محلية له، غير أن البغدادي قد أسهم كذلك في سرعة انهيار التنظيم، وذلك بعد أن بدأ يتبنى أجندة دولية، تركز على تنفيذ عمليات إرهابية ضد الدول الغربية، وهو الأمر الذي دفع الولايات المتحدة لقيادة تحالف دولي للقضاء على التنظيم.

ومن جهة أخرى، لا يمكن إغفال السياسات الطائفية التي تبناها نوري المالكي، والتي مهدت الأرضية لنشاط التنظيم من جديد. وبالتالي فقد نجح التنظيم في الاستفادة من المناخ الطائفي الذي أرسته الحكومة العراقية، من أجل إقامة حاضنة مجتمعية تقوم على مواجهة المظالم التي فرضتها الحكومة الشيعية في بغداد على كل العرب السنة تقريباً. وأخيراً، فإن امتلاك التنظيم لقيادة مؤثرة لا يجب أن تغفل حقيقة أخرى، وهي أن التنظيم كان يتمتع ببيروقراطية قوية، على نحو ما وضح من تمكنه من إدارة مساحات واسعة من السكان، وهو عبء ما كان لداعش أن يقوم به لولا امتلاكه لهيكل مؤسسي يتمتع بمقومات إدارة دولة.

ثالثاً: خسائر "داعش" في مصفوفته القيادية وفرص البقاء

يلاحظ أن تنظيم داعش الأم في سوريا والعراق، قد تعرض لضربات متلاحقة من الولايات المتحدة استهدفت قياداته حتى أصبحت القيادات التي يمكن اختيار منها خليفة للتنظيم محدودة⁴⁶. فقد أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، في مايو 2023، أن جهاز الاستخبارات الوطنية التركي قتل زعيم تنظيم داعش، أبا الحسين القرشي، في عملية بالقرب من جنديرس في شمال حلب بسوريا. وكان أبو حسين القرشي قد حل محل أبي الحسن الهاشمي القرشي في أواخر نوفمبر 2022، وذلك بعد مقتل الأخير، كما كان أبو حسين هو ثالث قيادي من تنظيم داعش يُقتل منذ فبراير 2022، عندما قُتل أبو إبراهيم الهاشمي القرشي، المعروف أيضاً باسم "حجي عبد الله"، بعد عامين ونصف تقريباً من مقتله خلفاً لأبي بكر البغدادي، الذي قتلته القوات الأمريكية في أكتوبر 2019⁴⁷.

وإجمالاً، يمكن القول إنه خلال الفترة الممتدة منذ العام 2013، وهي السنة التي شهدت تأسيس داعش، وحتى العام 2023، قتل خمس قيادات لتنظيم داعش، وهم: المؤسس أبو بكر البغدادي، وأبو إبراهيم الهاشمي القرشي، وأبو الحسن الهاشمي القرشي، وأبو الحسين الحسيني القرشي، والقائد الحالي المفترض أبو حفص الهاشمي القرشي، الذي تم تسميته في أغسطس 2023⁴⁸.

وبالإضافة إلى ذلك، قامت الولايات المتحدة في عملية عسكرية بالتعاون مع قوات عراقية بتصفية أربعة من كبار قيادات داعش في غارات شنتها في 29 أغسطس 2024، على أربع مواقع مختلفة، وهؤلاء القادة هم أحمد حميد حسين عبد الجليل العيشاوي، المسئول عن جميع العمليات في العراق، وأبو همام المسئول عن الإشراف على جميع العمليات في غرب العراق، وأبو علي التونسي المسئول عن الإشراف على التطوير التقني، وشاكر عبود أحمد العيساوي المسئول عن الإشراف على العمليات العسكرية في غرب العراق. وأكدت القيادة المركزية الأمريكية (سنتكوم) في بيان لها أن هذه العملية استهدفت قادة داعش وعملت على تعطيل وإضعاف قدرة داعش على التخطيط والتنظيم وتنفيذ هجمات إرهابية، سواء داخل العراق أو خارجه⁴⁹.

ويلاحظ أن هذه الضربة للتنظيم ليست الوحيدة خلال العام 2024، بل نفذت القيادة المركزية الأمريكية بالتعاون مع قوات الأمن العراقية وقوات سوريا الديمقراطية نحو 196 عملية لمهاجمة أماكن تمرکز داعش، في سوريا والعراق، أسفرت عن مقتل 44 عنصراً من داعش واعتقال 166 عنصراً من التنظيم في النصف الأول من عام 2024. ويبدو أن الجهود الأمريكية تستهدف بالأساس العناصر القيادية، ذات المرتبة المتوسطة في التنظيم، على غرار العيساوي المسئول عن تنفيذ هجمات في غرب العراق، أو تلك العناصر التي تتمتع بقدرات فنية عالية، مثل التونسي، وذلك في محاولة لإضعاف التنظيم وتفكيكه.

ومن جهة أخرى، فإن الجهود الأمريكية للقضاء على تنظيم داعش لا تستند فقط إلى تصفية القيادات، ولكنها ركزت كذلك على بعد آخر، وهو تجفيف منابع تمويل التنظيم. ففي تقرير صادر عن وزارة الخزانة الأمريكية في عام 2024، أشار التقرير إلى أهمية تجفيف منابع المالية للتنظيم، إذ أكد أنه على الرغم من تصفية العديد من قادة داعش، فإن التنظيم لا يزال يحافظ على تماسكه التنظيمي في سوريا والعراق، كما أن التنظيم لا يزال يتمتع بموارد مالية قدرها التقرير ما بين 10 و20 مليون دولار أمريكي، معظمها في شكل نقود، وغيرها من الأصول السائلة⁵⁰.

وعلى الرغم من هذه الضربات الموجهة للتنظيم، فإن هناك مؤشرات على تعافي التنظيم جزئياً من الضربات التي وجهت إليه خلال العام 2024، إذ إنه خلال الفترة

من يناير وحتى يونيو 2024، تبني تنظيم داعش 153 هجومًا في العراق وسوريا⁵¹. وإذا ما حافظ التنظيم على هذه الوتيرة من العمليات الإرهابية، فإنه سوف يتمكن من مضاعفة العدد الإجمالي للهجمات التي قام بها في عام 2023، والتي قدرت بنحو 121 هجومًا في البلدين. وتؤشر هذه الزيادة في الهجمات إلى محاولة تنظيم داعش إعادة استجماع قوته بعد عدة سنوات من تراجع قدراته العملية. كما يمكن تبرير الزيادة في الهجمات على أساس تراجع التركيز الأمريكي على تهديدات التنظيم لصالح الميليشيات الشيعية المسلحة المرتبطة بإيران، خاصة بعدما أقدمت على مهاجمة القواعد الأمريكية في العراق وسوريا عشرات مرات خلال العامين الماضيين⁵².

ولكن على الجانب الآخر، فإنه لا ينبغي المبالغة في قراءة هذه الزيادة؛ إذ لا تزال العمليات الإرهابية للتنظيم محدودة مقارنة بما كان عليه الوضع في السابق، إذ تكشف بيانات أخرى عن تراجع عدد العمليات التي قام بها التنظيم بشكل مستمر خلال الفترة من 2019 / 2020، مقارنة بالفترة 2023 / 2024، إذ تراجعت العمليات التي قام بها التنظيم من حوالي 2,152 هجومًا في الفترة الأولى إلى حوالي 347 هجومًا فقط خلال الفترة الثانية⁵³، وهو ما يعني أن التنظيم حتى بعد الزيادة في عدد العمليات التي قام بها لا تزال تمثل حوالي 16٪ من إجمالي الهجمات التي قام بها في 2019 / 2020.

وبالمثل، فإن عدد عمليات التنظيم الإرهابية خارج سوريا والعراق قد انخفض انخفاضًا محدودًا من حوالي 1,149 هجومًا إرهابيًا إلى حوالي 774 هجومًا إرهابيًا خلال الفترة من 2019 / 2020، وحتى 2023 / 2024⁵⁴؛ أي بانخفاض قدر بحوالي 33٪ من إجمالي العمليات، وهو ما يعكس أن الضغوط التي تعرضت لها أفرع التنظيم كانت محدودة بما تعرض له التنظيم الأم. ويمكن تفسير ذلك على أساس تركيز التنظيم الأم على توجيه عمليات إرهابية ضد دول غربية، في حين أن أفرع التنظيم في المناطق المختلفة كانت لها أجندة محلية ضيقة، كما كانت تعمل في بيئات تتسم بضعف الأجهزة الأمنية، أو بوجود صراعات أهلية. وينطبق ذلك بشكل خاص على فروع التنظيم التي تعمل في أفريقيا.

وبالإضافة لما سبق، نجح التنظيم في استغلال الدعاية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك لتشجيع المتعاطفين مع التنظيم، أو حتى عناصره لتنفيذ عمليات إرهابية في دول لا

يتمتع فيها بوجود تنظيمي؛ أي تبني نمط الذئاب المنفردة⁵⁵، على غرار هجوم 15 يوليو 2024، حينما أطلق ثلاثة مواطنون عمانيون وإخوة ينتمون لتنظيم داعش النار على مسجد الإمام علي الشيعي في منطقة الوادي الكبير بمسقط، في أول هجوم جهادي ناجح في تاريخ عُمان الحديث، والذي أدى إلى قتل ستة أشخاص وإصابة ما يصل إلى خمسين آخرين⁵⁶.

رابعاً: مساعي التنظيم لتجاوز مسألة مقتل زعمائه

مع التسليم بتراجع عمليات التنظيم الإرهابي، فإنه لا يزال قادراً على تنفيذ عمليات إرهابية تؤثر على أن التنظيم لم ينته بشكل كامل. ويمكن القول إن التنظيم نجح في تجاوز مسألة مقتل قياداته عبر تبني العديد من الأساليب، والتي تتمثل في التالي:

1. **العودة إلى اللامركزية:** يلاحظ إن عودة تنظيم داعش إلى تبني الأسلوب اللامركزي كان من ضمن العوامل التي ساعدت التنظيم في استعادة قدراته العملية. ففي أعقاب عام 2014، سعى تنظيم داعش إلى التحوّل إلى دويلة في المنطقة، ومن ثمّ عمد إلى بناء هياكل مؤسساتية تشبه الدولة، غير أنه مع خسارة التنظيم كل الأراضي التي سيطر عليها في سوريا والعراق نتيجة تأسيس الولايات المتحدة لتحالف دولي ضم 87 دولة لمحاربة تنظيم داعش، ونفذت عملية عرفت باسم "قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب"⁵⁷، وهو ما أفقد التنظيم سيطرته على الأراضي في العراق وسوريا بحلول ديسمبر 2017، ومارس 2019 على التوالي، اتجه التنظيم مرة أخرى إلى تبني نمط العمليات اللامركزية⁵⁸. ويلاحظ أن تطبيق مبدأ اللامركزية في العمليات الميدانية يعطي للقيادات العسكرية حرية كبيرة في تنفيذ عمليات إرهابية تراها مناسبة طبقاً للظروف المحلية المحيطة بها، بل إن اللامركزية توسعت كثيراً لتضمن إطلاق يد القادة الميدانيين لتأمين قسط كبير من التمويلات المالية وتعزيز عمليات التجنيد في المجتمعات التي يعيشون فيها⁵⁹.

ويلاحظ أن مثل هذا الاتجاه ليس جديداً، إذ إن أحد التحولات التي مرت بتنظيم القاعدة هو أنه نظراً لتعرضه لضربات أمريكية متتالية في أفغانستان وباكستان، فقد ضعف التنظيم الأم، أو المركزي هناك لصالح أفرع التنظيم المرتبطة في مناطق مختلفة،

بحيث أصبح تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وحركة الشباب في الصومال من أقوى الفروع المرتبطة بالتنظيم في الوقت الذي تراجعت فيه قوة التنظيم الأم خلال الفترة الممتدة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وحتى مقتل زعيم التنظيم أسامة بن لادن بعدها بنحو عقد من الزمان في 2010. وبالمثل، فإن الثقل التنظيمي لداعش انتقل من سوريا والعراق إلى فروعه المختلفة، من قبيل ولاية غرب أفريقيا، وولاية وسط أفريقيا، وولاية خراسان في أفغانستان؛ حيث أصبحت تلك الفروع تمثل القوة الضاربة للتنظيم، خاصة بعد انهيار خلافته المزعومة في العراق وسوريا⁶⁰.

ولعل ما يؤكد المعنى السابق تأكيد تقرير صادر عن الأمم المتحدة، في فبراير 2022، عن فريق مراقبة العقوبات التابع لمجلس الأمن الدولي عن قلقه من تنامي قوة داعش في مختلف مقاطعات وسط أفريقيا وعودة ظهوره في أفغانستان بعد رحيل القوات الأمريكية، وذلك على الرغم من تصفية زعيم التنظيم، أبي إبراهيم الهاشمي القرشي، في الشهر نفسه على يد القوات الخاصة الأمريكية⁶¹.

2. استثمار الأفرع الإقليمية: تتمثل إحدى المؤسسات البيروقراطية لتنظيم داعش، والتي أسهمت في بقاءه هو "الإدارة العامة للولايات"، إذ إن هذا الجهاز التنظيمي هو الذي يوفر الدعم العملي والتمويل لأنشطة داعش حول العام. ويدخل ضمن اختصاصاتها تبادل المقاتلين والخبرة العسكرية بين أفرع التنظيم في الدول المختلفة، بالإضافة إلى تدبير المصادر المالية ونقلها من التنظيم الأم في سوريا والعراق إلى أفرع التنظيم في الدول المختلفة؛ إذ إنه خلال ذروة قوة التنظيم، كان يُعتقد أن التمويل كان يتدفق من التنظيم الأم إلى الأفرع الإقليمية ذات الأهمية الاستراتيجية متفاوتة، لكن تذهب بعض التحليلات إلى أن أفرع التنظيم هي التي غالبًا ما توفر الآن الدعم النقدي إلى التنظيم الأم وكذلك إلى بعضها البعض⁶². وبالتالي يتجه التنظيم الأم للاعتماد على أفرعه لمواجهة ما يتعرض له من ضغوط في معقله الرئيسي في سوريا والعراق.

3. التكتّم على القائد الجديد: يلاحظ أنه يثار الجدل حول القائد الجديد لأفرع تنظيم داعش حول العالم. وارتبط ذلك الجدل بإعلان الولايات المتحدة، في

مايو 2024، أنها قامت بتصفية عبد القادر المؤمن، زعيم ولاية داعش في الصومال، والذي أكد ثلاثة مسئولين أمريكيين، أنه يشغل كذلك منصب القائد الجديد لأفرع تنظيم داعش المختلفة، وهي المعلومات التي تثير استغراباً كبيراً، بالنظر إلى محدودية حجم تنظيم داعش في الصومال، إذ لا يتجاوز عدد عناصره مائتي عنصر فقط⁶³، كما أن عدد عملياته محدود كذلك، بالنظر إلى أن حركة الشباب الموالية لتنظيم القاعدة، هي التنظيم الإرهابي الأكثر قوة ونشاطاً في الصومال. وبالتالي، فإنه من المستبعد أن يكون المؤمن هو من تولى زعامة التنظيم، وقد يكون ذلك الأمر محاولة من جانب التنظيم للتمويه على قائده الحقيقي، حتى لا يتعرض للتصفية أو الاغتيال على يد القوات الأمريكية، أو نظيرتها المحلية في سوريا والعراق.

ختاماً:

تلعب قيادات التنظيم الإرهابي دوراً محورياً في حياته، غير أن تأثيرها قد لا يكون حاسماً في حالة التنظيمات الكبيرة ذات الهيكل التنظيمي المعقد، خاصة إذا ما امتلك التنظيم الإرهابي شبكة من التنظيمات المرتبطة به، والمنتشرة في عدد كبير من الدول حول العالم، إذ إن التنظيم في هذه الحالة يمتلك قدرًا كبيراً من المرونة تمكنه من امتصاص الضربات التي تستهدف قياداته، وذلك عبر توفير قيادات من الأفرع التنظيمية يمكن توظيفها لكي تشغل منصب زعامة التنظيم الإرهابي.

وعلى الجانب الآخر، فإن دور قيادة التنظيم الإرهابي على أهميته لا يعد العامل الحاسم في التعجيل بانحيار التنظيم، في حالة تمت تصفيته من جانب الأجهزة الأمنية، إذ إن هناك العديد من العوامل التي قد تجعل التنظيم يحافظ على تماسكه التنظيمي، حتى في حالة فقدان قياداته الرئيسية، مثل وجود دعم خارجي للتنظيم، بالإضافة إلى قوة الأيديولوجية التي يتبناها التنظيم الإرهابي، وأخيراً مدى وجود حاضنة مجتمعية للأخير، والتي تتمثل في الغالب الأعم من الحالات في وجود مظالم يعاني منها المجتمع الذي نشأ فيه التنظيم الإرهابي، وظهر التنظيم لكي يقدم نفسه باعتباره المدافع عن حقوق هذا المجتمع في مواجهة هذه المظالم.

وبالرجوع إلى حالة تنظيم داعش، نجد أنه على الرغم من أن التنظيم خسر حوالي خمس قيادات في مدى زمني لا يتجاوز عقدًا من الزمان، فإن التنظيم لم ينهر، بل واستمر في تنفيذ عملياته الإرهابية، حتى وإن تراجعت وتيرتها بشكل كبير مقارنة بفترات بروز التنظيم في عامي 2014، و2015، حينما سيطر التنظيم على مناطق واسعة في سوريا والعراق وقام بحكمها. ويرتبط ذلك بامتلاك التنظيم لتنظيمات فرعية مرتبطة به في العديد من الدول حول العالم، فضلًا عن اتجاه التنظيم الأم إلى تبني نمط اللامركزية في إدارة عملياته في سوريا والعراق. ومع ذلك، فإن أحد أبرز العوامل التي تسهم في استمرارية داعش هو سياسات الإقصاء والتهميش التي تبنتها بعض الحكومات العراقية ضد العرب السنة، ولذلك، فإن مواجهة هذه السياسات الطائفية، والتي استغلها التنظيم الإرهابي لإيجاد حاضنة مجتمعية له، هو العامل الرئيسي والأكثر فاعلية في القضاء على داعش، وليس تصفية قياداته. ولذلك، فإنه يمكن القول في الختام إن تصفية قيادات تنظيم داعش في سوريا والعراق قد أثّرًا سلبيًا في قدرات التنظيم هناك، غير أنه لم يؤد - حتى الآن - إلى القضاء نهائيًا على خطر التنظيم، إذ إن ذلك الأمر يتطلب سياسات أوسع تستهدف القضاء على البيئة الحاضنة للتنظيم الإرهابي.

قائمة المراجع:

1. Graig R. Klein, Counter-Terrorism Targeted Killing of Hassan Nasrallah. Is Hezbollah Weaker?, International Center for Counterterrorism, October 1, 2024, accessible at: <https://www.icct.nl/publication/counter-terrorism-targeted-killing-hassan-nasrallah-hezbollah-weaker>
2. د. هاني نسيرة، استراتيجية "قطع الرؤوس": التأثير والفعالية.. العقال والظواهي نموذجًا، استراتيجيز ثينك تانك، 16 أغسطس 2022، <https://strategiecs.com/ar/analyses>
3. Jenna Jordan, Leadership Decapitation; strategic targeting of terrorist organizations, (Stanford, California; Stanford university press, 2019), p. 6.
4. Daniel Milton & Bryan Price, Too central to fail? Terror networks and leadership decapitation, International Interactions, Vol. 46, Issue 3, 2020, pp. 312 – 314.
5. Ibid., p. 314.
6. آيات عبد العزيز، حروب الدروز: لماذا لا تنهار التنظيمات الإرهابية بعد اغتيال قياداتها؟، اتجاهات الأحداث، سبتمبر 2014، العدد 2، ص 40.
7. Daniel L. Byman, Al-Qaida after al-Zawahri, Brookings, August 3, 2022, accessible at: <https://www.brookings.edu/articles/al-qaida-after-al-zawahri/>
8. Daniel Milton & Bryan Price, op.cit., p. 312.
9. Azmat Khan, Hidden Pentagon Records Reveal Patterns of Failure in Deadly Airstrikes, The New York Times, December 18, 2021, accessible at: <https://www.nytimes.com/interactive/2021/12/18/us/airstrikes-pentagon-records-civilian-deaths.html>
10. Ibid.
11. Thomas Byron Hunter, Targeted Killing: Self-Defense, Preemption, and the War on Terrorism, Journal of Strategic Security, Vol. 2, no. 2: May 2009, p. 26.
12. Ibid., p. 31.
13. Jenna Jordan, op.cit., p. 7.
14. Ibid., pp. 7 – 8.
15. Daniel Milton and Bryan Price, op.cit., p. 315.
16. Ibid., p. 315.
17. Jenna Jordan, op.cit., p. 8.
18. Jeffrey Kaplan, Terrorist Groups and the New Tribalism; Terrorism's Fifth Wave, (Oxon; Routledge, 1st edition; 2010), pp. 48 – 49.
19. ديفورا مارغولين، مشكلة "مخيم الهول": مستقبل العائلات المرتبطة بتنظيم "الدولة الإسلامية"، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، 18 يوليو 2023، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/mshklt-mkhym-alhwl-mstqbl-alaylat-almrtbtt-btnzym-aldwlt-alaslamyt>
20. Jenna Jordan, op.cit., p. 8.
21. ندوى الدوسري، عدونا المشترك: العلاقة المُلتبسة بين القاعدة والقبائل اليمنية، مركز مالكوم كير-كارنيغي للشرق الأوسط، 8 فبراير 2018، <https://our-common-enemy-ambiguous-ties-between-al-qaeda-and-/01/carnegieendowment.org/research/2018-yemens-tribes?lang=ar&center=middle-east>
22. فرانك غاردنر، تنظيم الدولة الإسلامية في إفريقيا: لماذا يصعب إلحاق الهزيمة به في موزمبيق؟، بي بي سي عربي، <https://www.bbc.com/arabic/world-56614194>
23. منى قشطة، مخاطر متنامية: دلالات استعادة "ولاية داعش موزمبيق" نشاطها، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 22 مايو 2024، <https://ecss.com.eg/45849>
24. Daniel Byman, Deadly Connections; States that Sponsor Terrorism, (Cambridge; Cambridge university press, 2005), p. I.

25. Engin Yüksel, Strategies of Turkish proxy warfare in northern Syria Back with a vengeance, CRU Report (Netherlands Institute of International Relations 'Clingendael'), November 2019, (p. 13), accessible at: <https://www.clingendael.org/sites/default/files/2019-11/strategies-turkish-proxy-warfare-in-northern-syria.pdf>
26. Ukraine trains terrorists in Syria in coordination with US — Lavrov, TASS (Russian News Agency), October 4, 2024, accessible at: <https://tass.com/politics/1851975>
27. بسبب خسائر الجيش و"فاغنر" .. مالي تقطع علاقاتها مع أوكرانيا، سكاي نيوز عربية، 5 أغسطس 2024، <https://www.skynewsarabia.com/world/1733486-علاقاتها-أوكرانيا-مالي-تقطع-علاقاتها-أوكرانيا-5048619>
28. النيجر تقطع علاقاتها مع أوكرانيا بسبب تعليقات عن قتال «فاغنر» في مالي، الشرق الأوسط، 8 أغسطس 2024، <https://aawsat.com/2024/08/08/النيجر-تقطع-علاقاتها-مع-أوكرانيا-بسبب-تعليقات-عن-قتال-فاغنر-في-مالي-أفريقيا/>
29. Daniel L. Byman, What Zarqawi's Death Means for the Insurgency, Brookings, June 8, 2006, accessible at: <https://www.brookings.edu/articles/what-zarqawis-death-means-for-the-insurgency/>
30. Jeffrey White, The Death of Zarqawi: Organizational and Operational Implications for the Insurgency, The Washington Institute for Near East policy, Policy no. 1113, Jun 8, 2006, accessible at: <https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/death-zarqawi-organizational-and-operational-implications-insurgency>
31. Brian Fishman, After Zarqawi: The Dilemmas and Future of Al Qaeda in Iraq, The Washington Quarterly, Vol. 29, no. 4, Autumn 2006, p. 19.
32. أحمد عطا، العشائر والمالكي .. علاقة معقدة، سكاي نيوز عربية، 2 يناير 2014، <https://www.skynewsarabia.com/middle-east/517628-علاقة-معقدة-العشائر-والمالكي>
33. هجوم المالكي على الأنبار تخطى كل الخطوط الحمراء، بروكينجز، 7 يناير 2014، <https://www.brookings.edu/ar/articles/هجوم-المالكي-على-الأنبار-تخطى-كل-الخطوط-الحمراء-بروكينجز-7-يناير-2014/>
34. Munqith Dagher (et al.), op.cit., pp. 64 – 65.
35. هجوم المالكي على الأنبار تخطى كل الخطوط الحمراء، مرجع سابق
36. المالكي يؤكد اختراق القاعدة والبعث للصحوات، الجزيرة، 4 أبريل 2009، <https://www.ajnet.me/news/2009/2009/4/4/المالكي-يؤكد-اختراق-القاعدة-والبعث>
37. Munqith Dagher (et al.), ISIS in Iraq: The Social and Psychological Foundations of Terror, (Oxford; Oxford University Press, 2023), p. 64.
38. Gareth Stansfield, Explaining the Aims, Rise, and Impact of the Islamic State in Iraq and al-Sham, Middle East Journal, Vol. 70, NO. 1, Winter 2016, pp. 146 – 147.
39. Ibid., p. 147.
40. وليد بدران، أبو بكر البغدادي ومسيرته من لعب كرة القدم إلى "الخلافة"، بي بي سي عربي، 27 أكتوبر 2019، <https://www.bbc.com/arabic/middleeast-50199813#:~:text=وكان%20أول%20ظهور%20للبيدادي%20في%20مسجد%20النوري%20في%20الموصل.>
41. ماهي دابق.. أرض داعش الموعودة، العربية، 7 أكتوبر 2016، <https://www.alarabiya.net/arab-and-world/syria/2016/10/07/10/ماهي-دابق-ارض-داعش-الموعودة-#:~:text=استندت%20لدعاية%20داعش%20الفكرية%20على%20وتتبع%20دابق%20إداريا%20ناحية%20أخترين.>
42. Tricia L. Bacon and Elizabeth Grimm, Terror in Transition; Leadership and Succession in Terrorist Organizations, (New York; Columbia University Press, 2022) p. 13.
43. Hassan Hassan and Michael Weiss, Islamic State, the offspring of Saddam, Chatham House, https://www.chathamhouse.org/sites/default/files/field/field_publication_docs/WT0115WiBIrag.pdf
44. نجوان سليمان، الجهاديون الجدد ونموذج طالبان، صدى، 20 ديسمبر 2021، <https://carnegieendowment.org/sada/202112/the-new-jihadists-and-the-taliban-model?lang=ar>
45. A Death in Idlib: The Killing of the Top ISIS Leader and Its Impact, International Crisis Group, 04 February 2022, accessible at: <https://www.crisisgroup.org/middle-east-north-africa/east-mediterranean-mena/syria/death-idlib-killing-top-isis-leader-and-its-impact>

46. Haroro Ingram and Craig Whiteside, ISIS's Leadership Crisis, A Vacancy at the Top Threatens the Group's Global Operations, Foreign Affairs, February 23, 2022, accessible at; <https://www.foreignaffairs.com/articles/world/2022-02-23/isis-leadership-crisis>
47. IntelBrief: Another ISIS Leader is Eliminated as Islamic State Struggles to Maintain Core, The Soufan Center, May 2, 2023, accessible at: <https://thesoufancenter.org/intelbrief-2023-may-2/#:~:text=This%20was%20the%20third%20Islamic,special%20forces%20in%20October%202019>
48. Austin Doctor & Gina Ligon, The Death of an Islamic State Global Leader in Africa? Sentinel, Vo. 17, Issue 7, July/August 2024, p. 27.
49. Luis Martinez, 4 ISIS leaders killed in raid that left 7 US service members injured, ABC News, September 14, 2024, accessible at: <https://abcnews.go.com/International/4-isis-leaders-killed-raid-left-7-us/story?id=113680017>
50. Fact Sheet: Countering ISIS Financing, Home Treasury, February 27, 2024, accessible at: <https://home.treasury.gov/system/files/136/Fact-Sheet-Countering-ISIS-Financing-2-27-24.pdf>
51. Defeat ISIS Mission in Iraq and Syria for January – June 2024, US Central Command, July 16, 2024, accessible at: <https://www.centcom.mil/MEDIA/PRESS-RELEASES/Press-Release-View/Article/3840981/defeat-isis-mission-in-iraq-and-syria-for-january-june-2024/#:~:text=TAMPA%2C%20Fla.,several%20years%20of%20decreased%20capability.>
52. Eve Sampson, Pentagon Warns ISIS Attacks Could Double This Year, The New York Times, Jul 17, 2024, accessible at; <https://www.nytimes.com/2024/07/17/world/middleeast/isis-attacks-iraq-syria.html#:~:text=Attacks%20claimed%20by%20the%20Islamic,and%20death%20across%20the%20region.>
53. هارون ي. زيلين وإيلانا وينتر، عام واحد على خريطة أنشطة تنظيم الدولة الإسلامية على الصعيد العالمي، معهد واشنطن لدراسة الشرق الأدنى، 20 مارس 2024، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/am-wahd-ly-khrytt-anshtt-tnzym-alawlwt-alaslamy-ly-alsyd-alalmy>
54. مرجع سابق
55. Antonia Ward, Do Terrorist Groups Really Die? A Warning, Rand, April 9, 2018, accessible at: <https://www.rand.org/pubs/commentary/2018/04/do-terrorist-groups-really-die-a-warning.html>
56. هارون ي. زيلين وإلزابيث دينت، الرد على هجوم الدولة الإسلامية في عُمان، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 25 يوليو 2024، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/alrd-ly-hjwm-alawlwt-alaslamy-ly-fy-uman>
57. عمر ضبيان، تهديد تنظيم "داعش" المستمر في العراق بعد انسحاب التحالف الدولي، منتدى فكرة، 4 أبريل 2024، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/thdyd-tnzym-dash-almstmr-fy-alraq-bd-anshab-alhalf-alwdly>
58. هل هُزم تنظيم داعش؟، الدبلوماسية الفرنسية، نوفمبر 2019، <https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/dossier-pays/afrique-du-nord-et-moyen-orient/hl-hzm-tnzym-dacsh/>
59. أدهم كرم، مستقبل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية بعد مقتل آخر خلفاء، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 28 فبراير 2022، <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/mstqbl-tnzym-alawlwt-alaslamy-ly-fy-alraq-wwsryt-bd-mqtl-akhr-khlafh>
60. علي بكر، تحولات أولويات الاستهداف عند التنظيمات الإرهابية، تريندز للبحوث والاستشارات 22 مارس 2023، <https://trendsresearch.org/ar/insight/عند-التن-تحولات-أولويات-الاستهداف/>
61. Haroro Ingram and Craig Whiteside, op.cit.
62. Austin Doctor & Gina Ligon, op.cit., p. 27.
63. لا يستطيع تأكيد مصرعه.. الجيش الأمريكي يستهدف الزعيم العالمي لتنظيم "داعش" في الصومال (صورة)، روسيا اليوم، 15 يونيو 2024، <https://arabic.rt.com/world/1574435>

3 داعش في أرض الخلافة المكانية: إعادة بناء التنظيم وإشعال حرب الاستنزاف

أحمد سلطان*

أواخر أغسطس 2023، نفذت قوات التحالف الدولي لدحر داعش "قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب"، بالتعاون مع قوات جهاز مكافحة الإرهاب والمخابرات الوطنية العراقية، إغارة على أحد مخبئ تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" بصحراء الأنبار، وأعلنت القيادة المركزية الأمريكية CENTCOM وقيادة العمليات المشتركة العراقية، كل على حدة، تنفيذ الهجوم المشترك الذي جاء بعد نحو عام على آخر هجوم مشترك شنه التحالف، الذي يكاد يُنهي مهمته في العراق مع القوات العراقية.

وكشف الهجوم الذي سمته قيادة العمليات المشتركة "وثبة الأسود" أن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يُعيد بناء قدراته ويجدد نسيجه التنظيمي في صمت، فتراجع هجمات التنظيم في العراق بشكل ملحوظ لم يكن سوى تكتيك ضمن عمليات إعادة بناء وترميم شبكاته القيادية والتنظيمية التي تضررت بفعل جهود مكافحة الإرهاب المستمرة في العراق وسوريا.

ورغم أن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" مر بالعديد من التحورات والتحويلات والتغيرات التي فرضتها الظروف الميدانية بعد هزيمته وانهيار خلافته المكانية بسقوط آخر معاقله "قرية الباغوز فوقاني" التابعة إدارياً لمحافظة دير الزور السورية، في مارس 2019، إلا أنه لم ينتهِ بعد ولا يزال يُشكل تهديداً أمنياً لا يمكن تجاهل خطورته في العراق والشام.

واستفاد تنظيم الدولة الإسلامية من تراجع التركيز عليه وسط الانشغال والصراع الاستراتيجي المشتعل في المنطقة العربية بين الولايات المتحدة وريبتها إسرائيل وبين فصائل المقاومة الفلسطينية ومن خلفهم محور المقاومة الإيراني، منذ الـ7 من أكتوبر 2023، وسعى التنظيم لأن يستغل الظروف التي خلقتها الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة ولبنان وتصادد التوتر في المنطقة ليعيد ترويح مشروعه مرة أخرى.

ولم يفقد التنظيم فرصة الحرب الإسرائيلية ليؤكد على سرديته القائمة على العداء الكوني وضرورة الجهاد القتالي من أجل إعادة الخلافة المكانية التي يسوقها باعتبارها ضمان الأمان والحماية والنصر للمسلمين المضطهدين، وفق دعايته، غير أنه حافظ على نهجه الاستراتيجي القائم على قتال العدو القريب الذي يعني من منظوره الأنظمة العربية الحاكمة في الدول المختلفة، بجانب الفواعل من غير الدول الذين شاركوا في إسقاط دولته المعلنة من جانب واحد كقوات سوريا الديمقراطية "قسد" التي تسيطر على مناطق بشمال وشرق سوريا، فضلاً عن تأكيده على سرديته الرئيسة التي بنى عليها أيديولوجيته الجهادية المعولة وهي القتال ضد الشيعة أو الروافض كما يُطلق عليهم.

وتسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على وضع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في معاقله التقليدية أو ما عُرف بأرض الخلافة المكانية في سوريا والعراق،

وكيف يدير التنظيم شبكاته وعملياته وما سر بقائه رغم الضربات القوية التي تلقاها طوال سنوات الحرب على الإرهاب، فضلاً عن استشراف مستقبله في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية التي تؤثر على المنطقة العربية.

أولاً- تحولات داعش في مرحلة ما بعد الخلافة المكانية

تنطلق الإجابة على سؤال كيف يبدو داعش في العراق وسوريا في الفترة الحالية من إدراك التغيرات التي مرت بالتنظيم في مرحلة ما بعد الخلافة المكانية؛ إذ حدث نوع من التغير الاستراتيجي في أولوياته وعلى هذا الأساس أجرى تعديلات في خطته لتواكب التغيرات.

ويمكن القول إن التنظيم استعد لتلك التغيرات الاستراتيجية قبل سنوات من سقوط خلافته المكانية، وهو ما نستنبطه من جملة من المعطيات منها التغيرات العسكرية والتنظيمية التي أجراها تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" على بنيته الهرمكية ومن بينها إلغاء الدواوين الخدمية والشرعية والتعليمية وتحويل كل منتسبي التنظيم إلى مقاتلين ضمن مفارز قتالية ضمن السرايا المختلفة، وهذا يعني أنه تخلص من عبء إدارة شئون دولته المعلنة من طرف واحد وركز على العمل القتالي فحسب.

وبدأت هذه العملية بجل الهيئات الشرعية السبع وهي: (المكتب المركزي لمتابعة الدواوين الشرعية، ومكتب البحوث والدراسات، وديوان الدعوة والمساجد، وديوان التعليم، والمكتب الشرعي لديوان الجند، والمكتب الشرعي لإدارة المعسكرات، وديوان القضاء والمظالم) ودمجها في كيان هامشي صغير حمل اسم "المجلس العلمي" الذي حل لاحقاً وحشد الشرعيين على جبهات القتال المشتعلة في سوريا والعراق بدعوى أن المرحلة التي يعيشها التنظيم هي "جهاد دفع"، أملتھا الأوضاع الميدانية والعسكرية، ومن ثم فوجب على كل كوادر التنظيم القتال حتى النهاية، وعلى نفس المنوال جرى حل الدواوين الأخرى مثل ديوان الزراعة والركاز والخدمات وغيرهم¹.

وفي الحقيقة فإن هذه العملية ليست مفاجئة لمن يتتبع مسيرة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" ففضلاً عن أنه قام بنفس الأمر سابقاً حين قوضت دولته الأولى المسماة بـ "دولة العراق الإسلامية" على أيدي قوات الصحة العشائرية والقوات الأمريكية عام 2008، قام المتحدث الرسمي باسم التنظيم ورئيس لجنته المفوضة الثالث أبو محمد العدناني بالتلميح إلى هذا التحول قبل حدوثه كنوع من تهيئة مقاتلي "داعش" له، ففي آخر كلمة صوتية له، في مايو 2016، والمعنونة بـ "ويجي من حي عن بيته" قال: "أم تحسبن أمريكا أن الهزيمة فقدان مدينة أو خسارة أرض؟! وهل انهزمنا عندما خسرنا المدن في العراق وبتنا في الصحراء بلا مدينة ولا أرض؟! وهل سنهزم وتتنصرين إذا أخذت الموصل أو سرت أو الرقة أو جميع المدن وعندنا كما كنا أول حال؟ كلا؛ إن الهزيمة فقدان الإرادة والرغبة في القتال"².

وبالرجوع إلى توقيت نشر الكلمة نجد أن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" كان مسيطراً على الموصل وتلعفر والقائم وغيرها من المناطق في العراق وصولاً إلى البوكمال وغيرها من مدن ومناطق التي سيطر عليها في دير الزور والرقة في سوريا، غير أنه أدرك أن استمرار سيطرته على أرض الخلافة المكانية يكاد يكون مستحيلاً في ظل وجود التحالف الدولي الذي قاد الحملة الجوية ونسق الحملة البرية ضد التنظيم مع خصومه الآخرين بما في ذلك القوات العراقية التي انضوت تحت لوائها قوات الحشد الشعبي والمستشارين الأمنيين والعسكريين الإيرانيين وفي مقدمتهم قائد فيلق القدس (السابق) قاسم سليماني، وقوات سوريا الديمقراطية "قسد" ذات الغالبية الكردية والأقلية العشائرية العربية، ومن ثم عمل التنظيم على الاستعداد للمرحلة التالية.

وتضمنت عملية الإعداد للمرحلة التالية نقل مقاتلين ومفارز إلى البادية الشامية والعراقية وتجهيز المخابئ والموارد اللازمة لإعاشة هؤلاء المقاتلين وكذلك تهريب كوادرات فاعلة إلى دول الجوار السوري والعراقي مثل تركيا ومن خلفها دول أوروبا الشرقية³، وهذه الدول التي أدير منها شبكات الإعلام والعمل اللوجستي في مرحلة ما بعد الخلافة المكانية، وكذلك شملت عملية الإعداد إخفاء ملايين الدولارات لاستخدامها في تمويل أعمال تنظيم الدولة الإسلامية في المرحلة التالية⁴.

وأتى التحول الاستراتيجي الكامل عقب معركة الباغوز في 2019، فبعد نحو شهر على نهايتها خرج خليفة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" أبو بكر البغدادي في إصدار مرئي حمل عنوان "في ضيافة أمير المؤمنين" كانت رسالته الرئيسية فيه هي أن مرحلة الخلافة المكانية ولت ودخل التنظيم مرحلة جديدة هي مرحلة "الاستنزاف" التي تهدف لاستنزاف أعداء التنظيم في جميع المقدرات العسكرية والاقتصادية واللوجستية، وهذا يعني انتقال التنظيم من مسك الأرض أو التمكين كما يسميه إلى حرب الاستنزاف الطويلة وهو نفس ما قام به في العراق بعد انهيار تجربة الدولة الأولى المسماة بـ "دولة العراق الإسلامية" إلى أن وجد ثغرات طائفية ومظالم محلية وقصور في المنظومة الأمنية استغله للعودة مرة أخرى بالتوازي مع ما فتحته له الجبهة السورية من آفاق للتمدد والانطلاق نحو إقامة خلافته⁵.

وتشرح رسالة توضيحية أرسلتها قيادة "داعش" العليا إلى أتباعها طبيعة الأهداف التي يتم التركيز عليها في مرحلة الحرب الاستنزافية وهي مقسمة إلى 4 فئات: أولها الأهداف العسكرية التي تشمل القوات العسكرية والشرطية وأجهزة الاستخبارات بجانب قوات الحشد الشعبي والعشائري، في العراق، وكذلك المدنيين المتعاونين مع أجهزة إنفاذ القانون وهذا يفسر تركيز التنظيم على قتل المدنيين بدعوى معاونة أعدائه. وثاني الفئات هي الأهداف الاقتصادية التي تضم مراكز القوة الاقتصادية بما فيها من بنوك ومصانع ومصافي للنفط والأسواق الاقتصادية والموانئ والمطارات ومحطات الكهرباء والمياه وغيرها، وهذا يبين لجوء التنظيم في العراق إلى تفجير أبراج الكهرباء أو ما سُمي بـ "حرب أبراج الكهرباء"⁶، وتضم قائمة الأهداف الاقتصادية أيضاً ملف التجربة الاقتصادية الرامي لجلب أموال لخزانة التنظيم، كما سيتضح لاحقاً. أما ثالث الفئات فهي الأهداف الإعلامية ولا يقصد بها مجرد استهداف الوكالات والقنوات الإعلامية المختلفة، بل تتخطى قائمة الأهداف الإعلامية الصحفيين والإعلاميين لتضم خطباء المساجد وأساتذة الجامعات وكل وجهاء المجتمع الذين يناهضون داعش، وكذلك تشمل القائمة الأهداف التي تحدث صدى إعلامي مثل استهداف المسيحيين أو المزارات الأثرية وغيرها بهدف تسليط الاهتمام الإعلامي على التنظيم. وأخيراً تشمل الفئة الرابعة قائمة الأهداف المشتركة

التي تحقق أكثر من غرض للتنظيم ومنها قطع الطرق الرئيسية واستهداف الموانئ الحيوية وكذلك استهداف السياح والأجانب كما حدث في ديسمبر 2023 حين اغتال داعش سائحين سعودي وكويتي في العراق في صحراء الأنبار الكبرى ومع أن الأجهزة الأمنية العراقية حاولت تصوير مقتلهما على أنه انفجار لعبوة ناسفة من مخلفات داعش، غير أن التنظيم أكد عبر صحيفته الأسبوعية "النبا" أنه رصدهما ثم فجر عبوة ناسفة فيهما⁷، والغاية النهائية لعمليات الاستنزاف وضرب الأهداف المختلفة هو كسر إرادة القتال لدى أعداء داعش وهزيمتهم نفسياً تمهيداً لمرحلة الحسم العسكري التي تسبق عودة الخلافة المكانية مرة أخرى كما يُخطط داعش⁸.

ويُشير هذا التحول إلى أن الذاكرة التنظيمية لدى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" تحتفظ بالخبرة السابقة بتفصيلها لاستخدامها في حالة الانكسار والتراجع ثم تنطلق منها، حال توافرت الظروف المناسبة، إلى الانتعاش والتمدد وبناء وتأسيس خلافته المكانية التي تبقى منتهى آماله ومشروعه الذي يواصل التبشيره حتى بعد انهياره.

وفي السياق ذاته، نلاحظ، من مراجعة وثائق حديثة من أرشيف التنظيم، أن هناك تغيرات جوهرية أجريت على بنية وهيراركية تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" لتناسب استراتيجية الحرب الاستنزافية والمرحلة الجديدة التي يعيشها، فكما أسلفنا حلت هيئات إدارية وشرعية وحول كوادرها لمقاتلين في الجبهات، كما أجريت تغيرات على الهيئات القيادية نفسها فمثلاً ألغي ما سُمي بديوان الخليفة واستعيض عنه بأفراد محددين يقومون بمهمة تأمين ومساعدة وإيصال الرسائل لخليفة داعش، فما بقي مجلس الشورى باعتباره هيئة رقابية وقيادية من سلطاتها اختيار الخليفة حال قُتل أو أُسر؛ لأن التنظيم يراهم "أهل الحل والعقد"، وهي تسمية اصطلاحية يستخدمها منظرو السياسة الشرعية في الفقه الإسلامي للإشارة لمن يُنَاط بهم اختيار الحاكم المسلم ومراجعة مدى صلاحيته لقيادة المسلمين، وتوحدت اللجنتين المفوضتين ودمجتا في لجنة واحدة تمثل قيادة تنفيذية عليا له، وفي السابق كانت هناك لجنتين واحدة في العراق وأخرى في سوريا، رغم أن الحديث المتداول عنهما أنهما كانتا لجنة واحدة وهو أمر غير دقيق ساهمت الدعاية الداعشية في ترويجه⁹.

ومن الجدير بالذكر أن تلك الهيئات القيادية تتولى مهمة إدارة شؤون التنظيم في العراق وسوريا، وتوجد هناك هيئة أخرى لم تحظَ بالدراسة الكافية، وهي الإدارة العامة للولايات التي خلفت ما سُمي بإدارة الولايات البعيدة في التنظيم، وهذه الإدارة كانت تتولى فيما سبق الإشراف والتنسيق والتواصل مع أفرع داعش خارج العراق وسوريا ثم تحولت لمسمى الإدارة العامة للولايات في مرحلة ما بعد انهيار الخلافة المكانية¹⁰.

وتُشرف الإدارة العامة للولايات على شبكة المكاتب الخارجية التي تمثل القيادة الإقليمية لداعش في نطاقاتها الجغرافية وهذه المكاتب عبارة عن مجموعة من المكاتب الإدارية التي أنشأت في نطاقات جغرافية معينة لتتولى تنسيق شؤون أفرع "داعش" في تلك النطاقات¹¹، وهي مكتب العراق الذي يتولى الإشراف على ولاية العراق ويُعتقد أن أميره عبد الله مكي الرفيعي "أبو خديجة" وكان سابقاً يدير شؤون خلايا التنظيم في إيران لكن المهمة نقلت إلى فرع ولاية خراسان التابع لمكتب الصديق، ومكتب الأرض المباركة (الشام) الذي يُشرف على ولاية الشام وأيضاً على ما تبقى من مكتب الفاروق الذي أشرف سابقاً على خلايا داعش في تركيا وبلاد القوقاز الروسي وأوروبا الشرقية غير أنه حُل في عام 2022 بعد القبض على والي تركيا قاسم غولر ومجموعة كبيرة من القيادات وأوكلت مهامه إلى مكتب الأرض المباركة¹²، وأشار تقرير صادر عن فريق الدعم التحليلي بمجلس الأمن الدولي، في فبراير 2024، إلى أن مكاتب العراق والأرض المباركة دمجا في مكتب واحد تحت إشراف أبو خديجة العراقي لكن لا يمكن الجزم بصحة ذلك¹³.

وتتضمن شبكة المكاتب الداعشية أيضاً مكتب الفرقان الذي يُشرف على فرعي التنظيم في غرب أفريقيا ومنطقة الساحل والصحراء التي كانت تابعة لمكتب الأنفال قبل حله في 2022 ودمجه في مكتب الفرقان تحت قيادة أبو مصعب البرناوي والي غرب أفريقيا، ومكتب الصومال الذي يشرف عليه عبد القادر مؤمن، ومكتب الصديق الذي يشرف على أفرع داعش في وسط آسيا بما في ذلك أفغانستان وإيران والهند وباكستان، وهذه المكاتب الأربعة هي الفاعلة منذ ذلك الحين، وهناك مكتبان آخران دخلا في طور عدم الفاعلية بسبب الضربات الأمنية وجهود مكافحة الإرهاب، وهما مكتب ذي النورين الذي تولى سابقاً الإشراف على ولاية ليبيا ومحاولته أن ينشئ فرعاً في ليبيا والذي جرى

تقويضه والقضاء عليه بفعل جهود الدولة المصرية، ومكتب أم القرى الذي أشرف على نشاط التنظيم في الجزيرة العربية قبل توقفه بسبب تشظي فرع داعش في اليمن¹⁴.

وبنظرة متفحصة للأدوار التي تؤديها الإدارة العامة للولايات في الوقت الراهن نجد أن هناك نوعاً من التداخل في المهمة التي تؤديها الإدارة العامة للولايات ومثيلتها التي تؤديها اللجنة المفوضة، وهذا الأمر مرجعه إلى توسع دور الإدارة العامة للولايات في مرحلة ما بعد الخلافة المكانية وإشرافها على المكاتب الخارجية.

وبسبب نقص المعلومات الموثقة من داخل تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" نظراً للسرية المطلقة التي ينتهجها بجانب عدم إفصاح الجهات الاستخباراتية والأمنية عن معلومات كافية بشأنه فلا يمكن الجزم بسبب التداخل العملياني بين مهام الإدارة العامة للولايات واللجنة المفوضة، وقد يُعزى هذا التداخل إلى سبب من ثلاثة، أولهم أن تكون الإدارة خط قيادي بديل يلجأ إليه التنظيم في حال تعذر على أعضاء اللجنة المفوضة القيام بواجبتهم وثانيهم أن تكون الإدارة مكلفة بإدارة بعض الشؤون الاقتصادية والتنظيمية، وثالثهم أن تكون الإدارة العامة للولايات هي القيادة التنفيذية العليا الحالية لداعش ككل بمعنى أنه غير تسمية "اللجنة المفوضة" إلى الإدارة العامة للولايات.

وتكشف مراسلات الإدارة العامة للولايات إلى مكاتب وولايات تنظيم الدولة الإسلامية الخارجية، أنها تشرف على الملف المالي والاقتصادي وتتلقى تقارير شهرية من أفرع داعش المختلفة بأنشطتها وهذه التقارير تُرفع في النهاية لخليفة تنظيم الدولة الإسلامية. وتركز الإدارة بشكل كبير على ما يُسمى بملف التجربة الاقتصادية والذي يُقصد به جمع الأموال للتنظيم عن طريق الابتزاز وعمليات الخطف والفدية التي تعد أحد روافد تمويل "داعش" بعد انحسار سيطرته على الأرض في العراق وسوريا¹⁵.

ومن المحتمل أن الأدوار المتشعبة التي تلعبها الإدارة العامة للولايات تسببت في رواج تصور مفاده أن الإدارة تتحكم في تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" وخليفته نفسه، وهذا اعتقاد غير دقيق بالقدر الكافي فمع أن الإدارة تبقى كياناً محورياً في إدارة شبكات داعش حول العالم إلا أنها معدودة ضمن الهيئات التنفيذية في التنظيم أي أنها خاضعة لسلطة الخليفة

ولا تتحكم في اختياره أو تنصيبه بعكس ما أشيع عنها خاصة في فترة تولي أبو سارة العراقي / عبد الرؤوف المهاجر إماراتها، إذ نسبت إليه بعض وسائل الإعلام مجموعة من الأدوار التنظيمية تجعله المتحكم في كل خيوط إدارة داعش وهو ما لم يكن دقيقاً بما يكفي بدليل أن مقتله لم يُخلف الفراغ القيادي المتوقع أن يخلف مقتل الرجل الأول والمتحكم في التنظيم بل قام "داعش" باستبداله وإجراء تغييرات أخرى للتغطية على فشله الأمني والاستخباري وعجزه عن حماية كبار قادته الذين قتلوا في وقت قريب قبيل وبعيد مقتل "العراقي" نفسه¹⁶.

ويبدو أن وتيرة النزيف القيادي الذي مني به التنظيم تراجعت بعض الشيء منذ وصول أبو حفص الهاشمي لإمارة التنظيم في أغسطس 2023¹⁷، وتبين المعلومات المتوافرة عن وضع التنظيم الداخلي أن الخليفة الحالي صاحب خبرة عسكرية وأمنية قديمة وأجرى سلسلة من التغييرات القيادية ونقل بعض القيادات الداعشية إلى البداية بدلاً من محافظة إدلب لتلاشي استهداف القادة بعد مقتل خلفاء التنظيم وكبار قادته، وخسر "داعش" خمسة من خلفائه منذ نشأته حتى عام 2024، قتل اثنان منهما في فترة لا تتجاوز بضعة أشهر وهم أبو الحسن الهاشمي (قتل في أكتوبر 2022)، وأبو الحسين الحسيني القرشي (قتل في أبريل 2023 على الأرجح وتكتم التنظيم على مقتله حتى نهاية يوليو 2024)، أما الآخران فهما أبو بكر البغدادي الذي قتل في أكتوبر 2019، وأبو إبراهيم القرشي الذي قتل في فبراير 2022، وأبو حفص الهاشمي القرشي (2024). وكذلك ألقى القبض على المتحدث باسم التنظيم أبو عمر المهاجر، في أبريل 2023، بواسطة مسلحين من هيئة تحرير الشام وهذه العمليات تمت، على الأرجح، بالتعاون مع التحالف الدولي عن طريق خلية العملاء التي اتهم القيادي السابق بهيئة تحرير الشام أبو مارية القحطاني بإدارتها¹⁸.

ووفقاً لما سبق فإن التحولات الأبرز التي شهدتها داعش في مرحلة ما بعد الخلافة المكانية كانت التحول لنهج أو استراتيجية الحرب الاستنزافية التي تشمل سلسلة من الخطط والأهداف الرامية لاستنزاف خصومه في سوريا والعراق والتهينة لعودته مرة أخرى في فترة مستقبلية، وواكب هذا التحول الاستراتيجي تغييرات في بنيته الهراركية والتنظيمية لكي يتكيف مع المرحلة التالية وبقي التنظيم يدار بهذه الطريقة منذ ذلك الحين.

ثانيًا - طبيعة الوجود الداعشي في سوريا والعراق

وليس ببعيد عن تلك التحولات، حافظ تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" على وجوده في بعض المناطق في سوريا والعراق أو كما يسميها (أرض الخلافة التقليدية)، وهي غالبًا مناطق تتمتع بتضاريس جغرافية وعرة تسمح لمقاتلي التنظيم بالتخفي والتواري عن أعين طائرات الاستطلاع والمراقبة الجوية، وتلاشي المواجهة المباشرة مع القوات الأمنية والعسكرية إلا وفق ظروف تمنح مقاتلي التنظيم أفضلية، ويسمح هذا التواجد لخلايا التنظيم بشن هجمات مباغنة ونصب كمائن للجيشين السوري والعراقي لاستنزاف أعداء التنظيم، وهو جزء من أهداف الحرب الاستنزافية كما أسلفنا.

وتنتشر خلايا تنظيم الدولة الإسلامية في المناطق الجبلية الوعرة مثل سلسلة جبال حميرين الممتدة من ديالى إلى كركوك في العراق، وفي بادية الأنبار وبخاصة المنطقة القريبة من الحدود السورية ومنطقة وادي الشاي ويقوده في تلك المنطقة أبو مسلم العراقي أحمد حامد العيثاوي، نائب والي العراق، الذي يقود مجموعة من المفاوز يبلغ عدد مقاتليها نحو 200 مقاتل، وفق تقديرات فريق الدعم التحليلي بمجلس الأمن الدولي، وتقوم تلك المفاوز بشن هجمات على نقاط الجيش العراقي والحشد العشائري في نطاق عملياتها وخلال الأشهر الماضية قامت بنصب سيطرات "كمائن" على الطرق لإظهار سيطرته وهذا التكتيك جزء من تكتيكات الحرب الاستنزافية، بينما يقل تواجده في الغالبية العظمى من المناطق الحضرية باستثناء الوجود في منطقة الطارمية بحزام العاصمة العراقية بغداد ووجود محدود قرب مدينة الموصل العراقية معقله الرئيسي السابق في العراق، ويتمتع التنظيم بوجود لافت في محافظة كركوك وربما يرجع هذا الوجود إلى استغلاله الثغرات الأمنية التي يسببها التنافس بين الحكومة المركزية في بغداد والتي تتبعها قوات الجيش والشرطة الاتحادية والاستخبارات وجهاز مكافحة الإرهاب وحكومة إقليم كردستان التي تتبعها قوات البيشمركة الكردية¹⁹.

إلى ذلك، تكشف إحصائيات العمليات التي تنشرها صحيفة "النبا" الأسبوعية التابعة لديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش" ضمن تبويب حصاد الأجناد، تراجع هجماته في العراق بصورة لافتة حتى أن متوسط الهجمات الأسبوعية

في العراق لم يعد يتجاوز هجومًا واحدًا كل أسبوع، وهذا يرجع لأسباب منها الحملات الأمنية المتواصلة التي تتعاون فيها القوات العراقية مع التحالف الدولي، ومنها تجنب مفازر التنظيم شن هجمات بصورة اختيارية لأنها تركز على إعادة بناء التنظيم وعمليات تجنيد وتدريب المقاتلين الجدد وسد الثغرات الحاصلة جراء الضربات التي تلقاها "داعش"، وهذا يعني أنه يستعد ويتحين الفرصة لشن هجمات كبيرة وأنه لم ينتهِ بعد، ويدل على ذلك عودة العمليات العسكرية المشتركة على الأرض بين القوات الأمريكية والقوات العراقية، كما أسلفنا، والتي تعني تصاعد خطر داعش الذي يعمل في صمت اختياري تجهيزًا للمعركة الكبرى ضد خصومه²⁰.

ومن اللافت أن عمليات التجنيد لا تتضمن فقط المقاتلين المحليين أو من يسميهم التنظيم بـ "الأنصار" بل تشمل مقاتلين أجانب من خارج العراق، وهو ما أقرببه التنظيم رسميًا عبر صحيفته الرسمية "النبا" (عدد 404) حين نشر، في أغسطس 2023 قصة "أبو أحمد اللبناني" الذي سافر من لبنان إلى العراق في مرحلة متزامنة مع تراجع وهزيمة الخلافة المكانية وانضم للتنظيم هناك وجرى اختياره كمسئول شرعي ثم مسئول عسكري بمعسكرات تدريب كوادرداعش بصحراء الأنبار²¹.

ويتبع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في العراق تكتيكات منخفضة التكلفة ولا تتطلب تعقيدات عملياتية في هجماته، وغالبًا ما تكون هذه الهجمات من قبيل تفجير العبوات الناسفة أو استهداف كاميرات المراقبة الحرارية، بينما تقل الهجمات الأكثر تعقيدًا والتي تتطلب تنسيقًا بين أكثر من خلية أو مجموعة دون أن تختفي وغالبًا ما تستهدف هذه الهجمات التي تتم بأسلوبي الإغارة والكمين وهي التكتيكات الأساسية لحرب الغوار أو حرب العصابات وتستهدف القادة أو الوحدات الفاعلة في أجهزة إنفاذ القانون العراقية ومن أمثلة تلك الهجمات استهداف قائد فوج يحمل رتبة عقيد بالجيش العراقي ضمن إحدى قواطع مسؤوليته في محافظة صلاح الدين، وسط العراق، في مايو 2024²².

ومن العراق إلى سوريا يتركز ثقل التنظيم في منطقة البادية السورية التي تضم المئات من المقاتلين وجرى نقل كثير من القادة لها منذ أواخر العام الماضي بسبب الحملة المكثفة التي قام بها التحالف الدولي ضد كوادر التنظيم في إدلب وريفها، وتمتد

منطقة البادية بين ثلاثة محافظات هي دير الزور وحمص والسويداء، ويعتبر التنظيم إن البادية قاعدة ارتكاز تتيح له شن هجمات في نطاق جغرافي واسع وتركز هذه الهجمات على قوات الجيش السوري النظامي ومليشيا الدفاع الوطني المتشكلة لدعمه كما تستهدف بعض هذه الهجمات أفراد العشائر العربية المتعاونين مع الجيش السوري²³.

واستطاع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" على مدار السنوات القليلة الماضية أن يؤسس قاعدة عملياتية في الجنوب السوري في مناطق درعا والسويداء، وهذه الخلايا تقوم بتنفيذ هجمات ضد قوات الجيش السوري وضد مسلحي الفصائل السورية السابقين الذين دخلوا في اتفاقات مع نظام الرئيس بشار الأسد، لكنه لا يتبنى تلك الهجمات غالباً لاعتبارات تتعلق بعدم الكشف عن شبكاته ومحاولة الوقيعة بين خصومه. وتسبب عدم الإعلان عن تلك الهجمات عن خلافات بين العسكريين والإعلاميين في ولاية الشام، وطلب أمير مفصل الإعلام المسئول عن العمل الإعلامي في ولاية الشام تدخل والي الشام من أجل حل الخلافات، بيد أن الأمر حسم لصالح مجموعة العسكريين؛ ولذا لا يتبنى "داعش" هجمات الجنوب السوري إلا في حالات استثنائية جداً، وربما يعكس هذا الخلاف عينة للخلافات الكبرى التي تحدث داخل التنظيم من آن لآخر لاعتبارات عديدة وغالباً تحسم هذه الخلافات لصالح العسكريين والأمنيين وهذا يعكس ثقلهم النسبي داخل التنظيم²⁴.

ومن المهم في هذا الإطار أن نشير إلى أن التنظيم لا يتبنى كل الهجمات التي تنفذها مفارزها المنتشرة في العراق وسوريا، وهو ما أشرنا إلى جانب منه عند الحديث عن الخلاف بين العسكريين والإعلاميين في جنوب سوريا، لكن هناك جانب أخرى منها الآلية المتبعة في توثيق وإعلان الهجمات التي تتولاها لجان الرصد والمتابعة وترفعها إلى ديوان الإعلام المركزي الذي يضم لجنة أمنية إعلامية تقرر نشر أو عدم نشر أنباء تبني الهجمات لاعتبارات عملياتية وأمنية وغيرها، ولذا نفذ التنظيم العديد من الهجمات في إدلب وغيرها دون أن يتبناها، وبالتالي فإن إحصائيات العمليات "حصاد الأجناد" لا تعكس العدد الكلي أو الفعلي للهجمات على الأرض وعليه فإن تقدير قوة التنظيم الحقيقة من عدد الهجمات التي يتبناها سيكون مجانباً للصواب إلى حد ما²⁵.

وإلى جانب مناطق البادية والجنوب، يحتفظ التنظيم بوجود عشرات من خلاياه في مناطق شمال وشرق سوريا بما في ذلك المدن الرئيسية مثل القامشلي والميادين والرقّة وغيرها، وتقوم هذه الخلايا بشن هجمات من آن لآخر ضد قوات سوريا الديمقراطية، والملاحظ أن حدة ونوعية الهجمات زادت في الفترة الأخيرة وهو ما يلمح لتطور قدرات التنظيم، كما أن هناك شاهداً آخر على تطور قدرات التنظيم واستغلاله الثغرات الموجودة لدى قوات سوريا الديمقراطية وهي تهريبه لمقاتلين وقادة من قادته من سجون "قسد"، وحدثت آخر عملية هروب مسجلة أواخر أغسطس 2024 من سجن المطاحن بالرقّة حيث هرب 5 من سجناء داعش الأجانب²⁶.

ويلاحظ أن تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يتبع الأساليب منخفضة التكلفة في غالبية هجماته في سوريا على غرار ما يفعل في العراق بيد أنه لا يتحاشى شن هجمات ضد قوات سوريا الديمقراطية وضد قوات الجيش السوري النظامي في قواطع العمليات المختلفة، وعاد التنظيم خلال العام الجاري لاستخدام السيارات المفخخة والانتحاريين في الهجمات للمرة الأولى منذ حوالي ثلاث سنوات، وهذا له عدد من الدلالات منها تعافي القدرات العملياتية له وامتلاكه معامل تفخيخ وتشريك سرية قادرة على تصنيع العبوات الناسفة وتفخيخ السيارات، وتجنيد أفراد جدد لتعويض خسائره البشرية وهو ما سمح له بالعودة لاستخدام الانتحاريين في هجماته²⁷.

وتختلف التقديرات الدولية لعدد مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في العراق وسوريا وإن كانت تلك التقديرات تُجمع على أن لديه آلاف المقاتلين المنتشرين بين البلدين، غير أن اختلاف التقديرات يدفعنا للتساؤل عن مدى دقتها وعن المنهجية المتبعة في هذه التقديرات، وفي الحقيقة لا يمكن الجزم بصحة أي من التقديرات المنتشرة فبعضها يبالغ في تقدير أعداد مقاتلي التنظيم لاعتبارات سياسية وبعضها يقلل منها لذات الغرض، ومن اللافت أن نفس الخطأ وقع فيه فريق الدعم التحليلي التابع لمجلس الأمن الدولي مع أنه يعتمد على معلومات تقدمها له الدول الأعضاء بمنظمة الأمم المتحدة.

ويمكن اكتشاف اختلاف التقديرات بشكل واضح بين التقارير الأربعة لفريق الدعم التحليلي والصادرة على مدار عامي 2023 و2024، ففي فبراير 2023 قدر الفريق عدد مقاتلي "داعش" ما بين 7-10 آلاف مقاتل في العراق وسوريا، وفي يوليو من نفس العام قدر الفريق عدد مقاتلي التنظيم ما بين 5-7 آلاف مقاتل ويفترض على هذا التقدير أن يكون التنظيم خسر 2000 مقاتل في 4 أشهر بواقع 500-700 مقاتل كل شهر وهذا لا يتطابق مع البيانات التي تعلنها القوات العراقية ولا الجيش النظامي السوري أو قوات سوريا الديمقراطية "قسد". وفي فبراير 2024 قدر الفريق عدد المقاتلين بـ 3-5 آلاف مقاتل بانخفاض يتراوح ما بين 50٪ - 57٪ عن العام السابق، بينما قدر التقرير الصادر في يوليو 2024 عدد المقاتلين بـ 1500-3000 مقاتل في العراق وسوريا بانخفاض يتراوح بين 40٪ - 50٪ عن آخر تقدير، وهذا أيضًا لا يتطابق مع الواقع الميداني ولا الخسائر الفعلية التي يتلقاها داعش.

وقد يرجع سبب تقليل التقديرات من عدد مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" إلى أسباب سياسية منها قرب انسحاب التحالف الدولي "قوة المهام المشتركة - عملية العزم الصلب" من العراق بناءً على اتفاق مع الحكومة العراقية وهذا يقتضي أن يتم تسويق القضاء على التنظيم أو على الأقل إضعافه لأقصى حد ممكن حتى يُروج أن مهمة التحالف نجحت، ولم يعد "داعش" يشكل تهديدًا للأمن الإقليمي والدولي وهذا يتناقض مع الوقائع على الأرض وعملية إعادة البناء التي يقوم بها التنظيم في الفترة الأخيرة²⁸.

ولا يندرج تحت تلك التقييمات أعداد المحتجزين في السجون والمخيمات المتفرقة داخل سوريا والعراق وأشهرها مخيم الهول الذي يضم عشرات الآلاف من أسرى مقاتلي التنظيم، فعلى سبيل المثال تضم مرافق الاحتجاز المختلفة في شمال وشرق سوريا والتي تديرها سوريا الديمقراطية عن طريق ذراعها للأمن الداخلي "قوات الأسايش" نحو 9 آلاف سجين من أعضاء التنظيم، فيما يضم مخيم الهول ما يزيد على 43 ألف من نساء وأطفال داعش، أما مخيم الروج الأصغر والأقل عددًا فيضم نحو 2600 محتجز من عوائل مقاتلي التنظيم، أي أن هناك نحو 55 ألف من مقاتلي التنظيم وأسره لم يتم إنهاء أزمة

وجودهم في هذه المرافق، وبالطبع لا ينبغي غض النظر عن أن هذه المرافق تستخدم لتفريخ جيل جديد من المقاتلين كما يحافظ التنظيم على وجود ونشاط لخلاياه²⁹.

ويدير تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" شئون أتباعه في المخيمات عن طريق إدارة شئون المخيمات وهي إدارة تابعة لولاية الشام، ومع أن سلطة الإشراف على العمل التنظيمي والتعليمي والأيديولوجي تباشرها هذه الإدارة إلا أن سلطة العمل الأمني داخل مخيم الهول جرى نقلها لولاية العراق، وهذا أيضاً نوع من التداخل العملياتي بين الولايتين، فوضعت كتيبة أنصار العفيفات التي تتولى مهام الاغتيالات وغيرها من الأعمال الأمنية إلى ولاية العراق تحت قيادة أبو خديجة العراقي عبد الله مكي الرفيعي، وربما جاء هذا النقل لاعتبارات تتعلق بالخبرة التنظيمية في العمل الأمني أو لاعتبارات تتعلق بوجود آلاف العراقيين في المخيم أو لكليهما معا³⁰.

وتقوم إدارة شئون المخيمات بتنسيق إنشاء مدارس غير رسمية لتلقين الأيديولوجية الجهادية للجيل الجديد من المقاتلين الذين يأمل تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" أن يكونوا نواة ولبنة صلبة تُبنى عليها النسخ التالية من خلافتها المكانية وتُدرس في تلك المدارس نفس المناهج التي درست سابقاً في معاهد التنظيم التعليمية كما تعقد حلقات تعليمية للنساء تدرس فيها كتب الهيئات الشرعية للتنظيم التي حلت كما بينا في موضع سابق، كما تتولى إدارة شئون المخيمات تنسيق عملية إيصال وتوزيع الدعم المادي الذي يُقدم للمتواجدين والمتواجدات في المخيم³¹.

وتسمح حالات الفساد وقصور قوات الأمن الداخلي الكردية في مخيم الهول على وجه التحديد لعضوات تنظيم داعش بالهرب في كثير من الأحيان، كما تسمح أيضاً بتهريب مواد ممنوعة إلى داخل المخيم، في حين تعجز قوات الأمن المسؤولة عن منع استهداف المنشقات عن التنظيم أو إحراق خيمهم كما يحدث من آن لآخر.

وتأسيساً على ما سبق، يمكن إدراك أن انتشار خلايا تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في مناطق بالعراق والشام واستمرار معضلة المخيمات ومرافق الاحتجاز يجعل تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة أمراً بعيد المنال، ويفاقم من التهديدات الأمنية التي يشكلها التنظيم الذي يعيد الظهور تارة بعد أخرى حتى مع تلقيه ضربات قاصمة.

ثالثاً - استغلال الثغرات من أجل البقاء

يتضح من حجم الوجود الداعشي في مناطق العراق وسوريا وتكثيف عمليات التجنيد مرة أخرى وعودته لاستقبال وإيواء المقاتلين الأجانب أن التنظيم نجح في البقاء رغم انهيار خلافته المكانية ومقتل كبار قاداته بما في ذلك خمسة من خلفائه وأمير الإدارة العامة للولايات وولاة الشام والعراق، وهذا يثير تساؤلات حول الأسباب التي تقف خلف بقاء واستمرار التنظيم³³.

وفي الحقيقة فإن بقاء تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" يرجع لجملة من الأسباب المعقدة منها أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، وفي الحقيقة فإن جذور الطائفية المترسخة في المجتمعين السوري والعراقي تمنح التنظيم فرصة مثالية للبقاء فهو يعمل على غرس نفسه في البيئة الطائفية ويتغذى على الكراهية والاستقطاب لينتج العنف والدماء، ويستفيد التنظيم من استمرار الأزمة السورية ووجود مشكلات جوهرية في بنية الحكم في العراق وغيوب نظام المحاصصة الطائفية، فضلاً عن سيطرة المليشيات الشيعية على الحواضر السنية الكبرى وسعيها لفرض أيديولوجيتها على السنة وتهجيرها أهالي العديد من المناطق السنية وعدم السماح لهم بالعودة إلى منازلهم بل والاستيلاء على أملاكهم، وكل هذا يزيد الحنق السني ويعزز مشاعر الرغبة في الثأر ويفتح الباب مرة أخرى أمام إعادة إنتاج تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في نسخته التي أوصلته إلى الخلافة المكانية³⁴.

كما يساهم ضعف الضبط الأمني وعدم كفاءة الأجهزة الأمنية والاستخبارية والقوات العسكرية في بقاء التنظيم وتمتعه بالقوة والنفوذ، وهذا الأمر يتباين بين سوريا والعراق ففي الدولة الأخيرة تطور جهاز مكافحة الإرهاب بصورة لافتة وأصبح يضاهي أعلى الوحدات المدربة المعنية بمكافحة الإرهاب في العالم وساهم الدعم الأمريكي والتعاون مع التحالف الدولي في مجال التدريب والعمليات في هذا الأمر، ولكن نجاحات الجهاز لا تخفي المشاكل الأخرى التي تواجه الأجهزة الأمنية والعسكرية العراقية، ومنها قصور أجهزة الاستخبارات والمعلومات وعدم التنسيق فيما بينها بشكل كاف.

ففي العراق توجد أكثر من سبعة وكالات استخباراتية منها جهاز المخابرات الوطنية، والمديرية العامة للأمن والاستخبارات التابعة لوزارة الدفاع، ومديرية الاستخبارات العسكرية، وجهاز الأمن الوطني، واستخبارات جهاز مكافحة الإرهاب، ووكالة الاستخبارات والتحقيقات التابعة لوزارة الداخلية العراقية، وخلية الصقور الاستخباراتية التابعة أيضاً لوزارة الداخلية، وغيرها من الإدارات التابعة للشرطة الاتحادية وحرس الحدود وغيرها³⁵، ومع أن هذه الأجهزة يفترض أن تُنسق العمل فيما بينها، فإن طبيعة التنافس بين الوكالات الاستخباراتية يجعلها تعمل كجزر منفصلة وهو ما يتنافى مع وحدة الهدف النهائي لهذه الأجهزة، وبجانب يتسم الأداء العام لهذه الوكالات بالقصور بل وانعدام الكفاءة والتركيز على الدعاية في مقابل العمل الاحترافي الحقيقي. وللدلالة على هذا الأمر نستعرض واقعيتين تعكسان انعدام الاحترافية أولهما إعلان رئيس الوزراء العراقي (سابقاً) والذي سبق أن شغل منصب مدير المخابرات الوطنية، في أكتوبر 2021، إلقاء القبض على نائب خليفة تنظيم الدولة الإسلامية وأمير ديوان الركاز سابقاً حجي حميد، سامي جاسم الجبوري، في عملية مخابراتية معقدة خارج الحدود³⁶، وهي العملية التي لم تتم بالأساس فالحقيقة أن "الجبوري" هرب من سوريا إلى تركيا مع انهيار الخلافة المكانية، وهناك أُلقت الاستخبارات التركية القبض عليه وظل في عهدها حيث جرى التحقيق معه من قبل الأتراك ومن قبل التحالف الدولي ثم سُلم بعد فترة إلى الجانب العراقي أي أنه لم تكن هناك عملية عابرة للحدود شملت تعقب واستدراج والقبض على "الجبوري" كما قال رئيس الوزراء العراقي آنذاك³⁷.

الواقعة الثانية هي إعلان جهاز المخابرات الوطنية، في أكتوبر 2024، استعادة فتاة إيزيدية خطفها تنظيم داعش ونُقلت إلى قطاع غزة، وهو ما تبين لاحقاً أنه لم يتم أصلاً فمكتب الإعلام الحكومي التابع للحكومة المقالة في قطاع غزة كشف في بيان صادر عنه أن هذه المرأة انتقلت من سوريا حيث تزوجت من غزاوي قاتل في صفوف الفصائل السورية المسلحة وقتل هناك، إلى تركيا بمحض إرادتها ثم دخلت إلى قطاع غزة وعاشت مع والدتها زوجها المقتول ثم تزوجت بعد سنوات شقيقه الذي قتل هو الآخر في الحرب الحالية، ولذا توجهت المرأة إلى الحكومة المقالة وطلبت إجلائها من القطاع وبالفعل تواصلت الحكومة المقالة مع الحكومة الأردنية التي نسقت مع حكومة الاحتلال الإسرائيلي لإخراجها وهو ما تم بالفعل لتنتقل من غزة إلى العراق³⁸.

وتوضح هذه الوقائع أن الرغبة في الاستعراض الدعائي جعلت جهاز المخابرات الوطنية الذي يعتبر درة تاج المنظومة الاستخبارية العراقية يتبنى عمليات وهمية لم يقم بها من الأساس، وهذا يعكس جوهر الأزمة التي تؤثر في عمليات مكافحة الإرهاب.

وإلى جانب العوامل السابقة، تتأثر دوائر الاستخبارات العراقية بعملية التنافس السياسي وشهدت هذه الأجهزة، وفي القلب منها جهاز المخابرات الوطنية، إقالات وتغيرات قيادية لدوافع سياسية بحتة تتعلق بالميول والانتماء الطائفي والولاءات السياسية وهذا يضر بقدرات الاستخبارات³⁹.

ويضاف للقصور الاستخباري عامل ضعف الضبط الأمني وعدم قدرة القوات الأمنية والعسكرية على بسط السيطرة الكاملة على كامل التراب الوطني العراقي، وهذا الأمر ينسحب على الحالة السورية الأعقد فتراجع الضبط الأمني مرتبط بالفوضى التي خلفتها الحرب الأهلية والانقسام الطائفي، وتعدد الفواعل من غير الدول بجانب التدخل الإقليمي والدولي، وهو ما ساهم في إضعاف الجيش وقوات الأمن السورية وبالتالي سمح لداعش بإيجاد مساحات للعمل في جنوب البلاد ومنطقة البادية. وكذلك ساعد ضعف قوات سوريا الديمقراطية "قسد" ونقص الموارد اللازمة لعمليات مكافحة الإرهاب بجانب الانقسامات والصراعات مع العشائر العربية على منح التنظيم مساحة للعمل والعودة على أرضية تلك الخلافات⁴⁰.

ولا ينبغي إغفال أيضاً الدور الإيراني الرامي لضرب وجود "قسد" عبر تغذية العشائر العربية ودعمها بالسلاح والمعلومات، وهذا جزء من الصراع الجيوستراتيجي بين الولايات المتحدة وإيران، وتظل الديناميات الاجتماعية والعسكرية على الأرض حاکمة لإطار هذا الصراع، وهو ما يفسر محاولة قوات سوريا الديمقراطية تخفيف حدة التوترات مع العشائر العربية مؤخراً بإطلاق سراح سجناء لديها، لكن المفارقة أن العشائر من المفرج عنهم ينتمون لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، وهذا الإجراء من شأنه منح التنظيم فرصة ملممة شتات نفسه أيضاً، وبالتالي فسيكون ذات تأثير عكسي على "قسد"⁴¹.

وفي الجهة المقابلة، لا ينبغي إغفال العوامل الذاتية المتعلقة بداعش وهي عوامل هامة ساهمت في بقاءه رغم حملات مكافحة الإرهاب المتواصلة، ومنها تأسيسه بنية

عملياتية ولوجستية قوية في المناطق المقفرة الوعرة في بوادي الشام والعراق ووجود خبرة سابقة للتنظيم في العمل بهذه الطريقة استمدها من تجربة سلفه القديم تنظيم دولة العراق الإسلامية، وكذلك استغلاله لفشل الدولة في العراق وسوريا في تسويق مشروعه كمشروع بديل وأيضاً استغلاله للتوترات الإقليمية ومنها الحرب في غزة لتسويق نفسه باعتباره حامي حمى الإسلام والمسلمين، وأنه يدافع عن المستضعفين في العراق وسوريا، ويسعى للوصول إلى حدود دولة الاحتلال ليخوض معركة الدفاع عن المسلمين في فلسطين، وهذه لفئة استراتيجية من التنظيم تبين اهتمامه بالعدو البعيد بعد الفراغ من العدو القريب، وفق ما تقوله الأدبيات الجهادية التي يتبناها.

ومن ضمن العوامل التي تساعد في بقاء تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" وجود موارد مالية كبيرة تتيح له هامش كبير للعمل والحركة في ساحات متعددة، وطور التنظيم شبكاته المالية مستخدماً أساليب تقليدية وغير تقليدية، إذ يجمع التمويلات عبر مجموعة من العمليات منها الخطف والفدية والابتزاز، وفرض الضرائب على السكان المحليين مقابل الأمن والحماية وعدم الاستهداف وتلك الضراب تسمى في سوريا بـ"الكلفة السلطانية"، وكذلك الإتجار في النفط وتهريبه، علاوة على استخدام العملات المشفرة وتلقي التبرعات من مناصري الجهاد الموعلم في مختلف القارات، وينقل التنظيم هذه التبرعات بالعملات المشفرة عن طريق وسطاء إلى العراق وسوريا⁴²، كما يفرض التنظيم على أفرعه الخارجية في آسيا وأفريقيا تحويل 25٪ من إجمالي إيراداتها الشهرية إلى التنظيم المركزي عن طريق وكلاء الإدارة العامة للولايات وهو ما نصت عليه وثائق التجربة الاقتصادية التي أشرنا إليها⁴³.

ويلجأ التنظيم إلى العملات المشفرة وإلى الانترنت المظلم Deep web من أجل التعقيم على شبكاته ويختار العملات الأكثر تأمياً وتشفيراً مثل المونيرو Monero وغيرها، ويقوم بتحويل العملات الرقمية إلى أموال نقدية وينقلها عن طريق شبكات الحوالة غير الرسمية لمقاتليه وإلى كوادره في السجون والمخيمات.

واللافت أن النشاط الاقتصادي لتنظيم الدولة الإسلامية يتوسع بشكل مطرد ويدخل إلى مجالات جديدة مما يصعب عملية تعقبه ومنعه، وبسبب هذه الأنشطة الاقتصادية المعقدة يمتلك التنظيم احتياطي حالي يُقدره فريق الخبراء في الأمم المتحدة بنحو 25-50 مليون دولار وهو بذلك يعد أحد أغنى التنظيمات الإرهابية على مستوى العالم بعدما كان أغناها إبان مرحلة الخلافة المكانية⁴⁴.

رابعاً- مستقبل "داعش" في ظل التحولات الإقليمية

نجح تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في الحفاظ على وجوده في سوريا والعراق، رغم استمرار عملية مكافحة الإرهاب التي كبدته خسائر كبيرة ومؤثرة، واستطاع التنظيم أن يرمم جزءاً مما فقدته خلال السنوات الماضية، وهذا يعني أنه يمضي في اتجاه استمرار الحرب الاستنزافية بالتوازي مع إعادة بناء ذاته حتى يعود في المستقبل.

وبناءً على المشهد الراهن، يمكن القول إن التنظيم استغل غالبية الفرص السانحة من أجل تعزيز وضعه والإعداد لعودة مرة أخرى يتوقع أن تكون خلال سنوات، ولذا فإن استشراف مستقبل التنظيم يجب أن ينطلق من إدراك وضعه الحالي في سياقه الطبيعي ومراعاة السياقين الإقليمي والدولي الذين يشكلان دوائر تتقاطع مع واقع التنظيم وتؤثر عليه.

وبالنظر إلى السياق الإقليمي، نجد أن حرب غزة أعادت ترويح جزء من سرديات التنظيمات الجهادية المعولة ومنها فكرة الفسططة وانقسام العالم إلى معسكرين معسكر إيمان ومعسكر كفر، كما منحت الاستراتيجيات الجهادية جزءاً من الزخم سواء المتعلقة بقتال العدو البعيد أو تلك المتعلقة بقتال العدو القريب وهو المفهوم الذي يستخدمه الجهاديون لتبرير قتال الحكومات والجيش العربية، فالتنظيم خلال الكلمة الوحيدة التي أصدرها متحدته خلال عام من عملية طوفان الأقصى أكد على فكرة القتال مفتوح الجبهات ضد الحكومات العربية وضد اليهود والمسيحيين، واعتبر أن المحرقة التي شهدتها قطاع غزة دليل على صحة نهج التنظيم الذي يقاتل ضد الجميع بحجة أنهم أعداء الإسلام.

ولن يكون عسيراً على المجندين الجهاديين والمنظرين الجهاديين أن يقنعوا مناصريهم والمتعاطفين معهم أو حتى المتعاطفين مع حقوق الشعب الفلسطيني بأنه لابد من قتال العدو القريب (الحكومات العربية) حتى يصلوا إلى العدو البعيد (إسرائيل والولايات المتحدة)، وهو ما روجه جهاديو داعش منذ نشأته المبكرة، بحجة أن دول الطوق تحمي دولة الاحتلال وتشارك في حصار الفلسطينيين، وهو أمر غير واقعي بالطبع، بيد أن "داعش" ونظرائه الجهاديين أثبتوا مراراً أنهم يستطيعون أن يستغلوا هذه العواطف لحشد الشباب المسلم تجاه فكرتهم.

وعلى هذا الأساس فالسياق الإقليمي يمنح داعش دفعة معنوية تسمح له بترويج سردياته ودعايته كما أنه تمنح فرص أخرى فالصراع الحاصل بين إيران ووكلائها من جهة وبين الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائهما من جهة أخرى قد يتيح للتنظيم فرصة لأن يقوى في العراق وسوريا عبر استغلال الفرص والفراغات التي قد يخلقها هذا الصراع الجيوستراتيجي، ففي العراق على سبيل المثال سينهي التحالف الدولي مهمته بحلول سبتمبر/ أيلول 2025، وهذا يعني أن جزءاً من الضغط على سيزال من على عاتق التنظيم كما ستبرز له فرص إضافية نتيجة انسداد الأفق السياسي واستمرار التناحرات الطائفية وهو ما يعني أنه قد يجد فرصة للانتعاش في العراق خلال المدى المتوسط.

وفي سوريا كذلك ستساهم الضربات الأمريكية والإسرائيلية ضد وكلاء إيران في فتح ثغرات للتنظيم ومنحه مساحة أكبر للعمل والحركة ويتوقع أن يستغل التنظيم هذا الأمر أيضاً خصوصاً في ظل الأوضاع الصعبة التي تعيشها سوريا، وهذا يمنح التنظيم فرصة للعودة.

ومن السياق الإقليمي للسياق الدولي نلاحظ أن هناك تراجع في الاهتمام العالمي بقضايا مكافحة الإرهاب فمثلاً يتبنى الديمقراطيون في الولايات المتحدة عقيدة جديدة للأمن القومي تركز على التنافس مع الصين وروسيا وتراجع فيها أهمية عمليات مكافحة الإرهاب، وهذا يعني إعادة تخصيص الموارد الاستخباراتية والعسكرية تجاه خصوم أمريكا وأعدائها الألداء، وعلى هذا الأساس فسيكون التوجه الأمريكي نحو

آسيا وأوروبا الشرقية على حساب الاهتمام بقضايا المنطقة العربية أو الشرق الأوسط وهذا أيضاً سيمنح داعش الوقت والفرص لإعادة ترتيب أوراقه والعودة للمشهد مرة أخرى. ولعل الانسحاب الأمريكي المتوقع يذكر بالانسحاب الأمريكي عام 2011، والذي اعتبره الجهاديون بداية للقتال حتى أن المتحدث الأسبق للتنظيم أبو محمد العدناني علق هذا الانسحاب في كلمة له بعنوان "الآن الآن جاء القتال" صدرت عام 2011، مردفاً أن الولايات المتحدة ستعود للمنطقة لتواجه التنظيم الذي سيتمدد بعد انسحابها.

ووفقاً للمعطيات الحالية فإن عودة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" إلى المشهد بنفس الصورة التي كان عليها إبان حقبة الخلافة المكانية قد تستغرق عقداً من الزمن، غير أن الثغرات التي تتيحها الظروف التي تمر بها المنطقة قد تقلل تلك المدة وتجعل عودته أسرع وأشرس.

ويتوقع أن يواصل التنظيم في غضون هذه السنوات العمل بنفس النمط والنهج وسيسعى أيضاً التنظيم لاستغلال أفرعه الخارجية كأذرع للمطاوله والمشاغلة لإبعاد التركيز عن مركز ثقله في العراق وسوريا إلى أفريقيا وآسيا، كما سيوظف تلك الأذرع كقواعد عملياتية لشن الهجمات الخارجية في الدول المعادية له مثلما حدث في ضواحي العاصمة الروسية موسكو، في مارس 2024، وكما حصل في بلغراد عاصمة صربيا حيث هاجم مناصر للتنظيم مقر القنصلية الإسرائيلية استجابة لدعوة المتحدث باسم داعش لاستهداف اليهود والمسيحيين حول العالم نصرة لأهالي غزة. وكلا الهجومين لم يوجها من التنظيم في سوريا والعراق، وهذا يعني أنه يبدي مزيد من المرونة في التعامل مع الأفرع الخارجية ويريد أن تكون شبكاته متأزرة ومتعاونة في تحقيق غياته. وبمعنى آخر، إن قيادة داعش في العراق وسوريا تريد جعله متفاعلاً ومتكاملاً لخدمة أغراضها، ومن بينها بث الفزع والرعب في صفوف خصومه وهزيمتهم نفسياً قبل هزيمتهم عسكرياً، وهو يحاكي بذلك أسلوب الصدمة والرعب التقليدي الذي سبق واستخدمته الولايات المتحدة في حملاتها على أفغانستان والعراق.

ختامًا..

سيبقى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" تهديدًا متوسطًا إلى مرتفع الحدة للأمن والاستقرار في العراق وسوريا، وسيواصل التنظيم اتباع نهج براجماتي من أجل إيجاد فرص سانحة للعودة للمشهد وإعلان الخلافة المكانية مرة أخرى، وستخدم الظروف الإقليمية والدولية بجانب الأوضاع المحلية المضطربة جهود التنظيم في هذا الصدد، ومن المتوقع أن يبقى التنظيم موجودًا وفاعلاً ما بقيت الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي أدت إلى وجوده، ولذا فإن حلم التخلص من "داعش" سيبقى مجرد أمنية حتى حين.

قائمة المراجع:

1. قرار جعي عبد الله قرداش بإنشاء المجلس العلمي، أُرشيف اللجنة المفوضة لإدارة الولايات التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية، 2018، نسخة لدى الباحث.
2. أبو محمد العدناني، ويحيى من جى عن بينة، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، ديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية، مايو 2016.
3. Asaad Almohammad, Charlie Winter, From Battlefield to Cyberspace: Demystifying the Islamic State's Propaganda Machine, Combating Terrorism Center at West point (CTC), 5- 6- 2019, P 29.
4. العثور على مخبأ سري لداعش بداخله مليون دولار في شمال سوريا، دويتشه فيله، -22- 2023، تاريخ الدخول -6- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/32j35f7z>.
5. البغدادي في فيديو جديد لتنظيم "الدولة الإسلامية" للمرة الأولى منذ 2014، فرانس 24، -29- 2019، تاريخ الدخول -6- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/2p8m8ya2>.
6. محنة العراق.. "حرب أبراج الكهرباء" تنتقل إلى العاصمة، سكاى نيوز عربية، 14 يوليو 2021، تاريخ الدخول -6- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/m85j455t>.
7. خلية الإعلام الأمني: مقتل سائحين خليجيين بانفجار عبوة قديمة من مخلفات داعش، كوردستان تي في، -26- 2023، تاريخ الدخول -6- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/mr2ph646>.
8. وثيقة أهداف الحرب الاستنزافية، أُرشيف الدولة الإسلامية، 2019، نسخة لدى الباحث.
9. سلسلة مراسلات بين الإدارة العامة للولايات وولايات الشام وغرب أفريقيا واليمن، أُرشيف الدولة الإسلامية، وثائق غير منشورة (لدى الباحث).
10. المرجع السابق نفسه، وإصدار صرح الخلافة، ديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية، إصدار مرئي، يوليو 2016.
11. سلسلة مراسلات بين الإدارة العامة للولايات وولايات الشام وغرب أفريقيا واليمن، مصدر سبق ذكره.
12. أحمد سلطان، مسئول عن شبكة تمويل داعش.. الكشف عن تفاصيل التحقيق مع قاسم غولر والي "تركيا"، أخبار الآن، -2- 2022، تاريخ الدخول -7- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://akhb.ar/47Z4D>.
13. التقرير الثالث والثلاثين لفريق الدعم التحليلي المعني بداعش والقاعدة، مجلس الأمن الدولي، فبراير 2024، ص ص 13، و14.
14. المصدر السابق نفسه، وسلسلة مراسلات بين الإدارة العامة للولايات وولايات الشام وغرب أفريقيا واليمن، مصدر سبق ذكره.
15. رسالة أمير الإدارة العامة للولايات عبد الرؤوف المهاجر إلى ولاية اليمن بشأن التجربة الاقتصادية، أُرشيف الدولة الإسلامية، ديسمبر 2020، نسخة لدى الباحث.
16. أحمد كامل البحيري، إرهاب بلا رؤوس: من يدير تنظيم داعش؟، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، -18- 2023، تاريخ الدخول -7- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://acpss.ahram.org.eg/News/20953.aspx>.
17. تنظيم الدولة يؤكد مقتل زعيمه ويعلم اسم قائده الجديد، الجزيرة، نت، -3- 2023، تاريخ الدخول -7- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/kshs9294>.
18. إدلب: أبو ماريا القحطاني في الإقامة الجبرية.. بتهمة العمالة للتحالف الدولي؟، صحيفة المدن، -18- 2023، تاريخ الدخول -7- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/39wdt4x4>.
19. التقرير الثالث والثلاثين لفريق الدعم التحليلي المعني بداعش والقاعدة، مصدر سبق ذكره.
20. "وثبة الأسود" تطيح قيادات داعشية بارزة.. تفاصيل عملية الأنبار، موقع الحرة، -13- 2024، تاريخ الدخول -7- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/5rcsamxs>.
21. قصة أبو أحمد اللباني، صحيفة النبا الأسبوعية، ديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية، أغسطس 2023.
22. عملية تحمل بصمات داعش.. مقتل ضابط و4 عسكريين عراقيين، موقع العربية، نت، -14- 2024، تاريخ الدخول -7- 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/5n842umb>.
23. التقرير الثالث والثلاثين لفريق الدعم التحليلي المعني بداعش والقاعدة، مصدر سبق ذكره.
24. رسائل إعلامي ولاية الشام إلى والي الشام بشأن تبني الهجمات في الجنوب السوري، ديوان الإعلام المركزي لتنظيم الدولة الإسلامية، نوفمبر 2020، نسخة لدى الباحث.

25. المصدر السابق نفسه.
26. تشديد أمّني في الرقة بعد فرار «دواعش» أجنب من سجونها، صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، 7 - 2024 9، تاريخ الدخول - 8 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/4n37rjbu>.
27. "داعش" يتبنى عملية تفجير سيارة مفخخة بنقطة أمنية لقسد بدير الزور، وكالة نورث بريس، 11 - 2024 5، تاريخ الدخول - 8 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/yt97zez9>.
28. العراق: اتفاق بين بغداد وواشنطن على خطة لسحب قوات التحالف من العراق بحلول نهاية 2026، فرانس 24، 24 - 6 - 2024 9، تاريخ الدخول - 8 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/4weu54tm>.
29. Devorah Margolin, Camille Jablonski, Five Years After the Caliphate, Too Much Remains the Same in Northeast Syria, The Washington Institute for Near East Policy, 19 Mar 2024, available at: <https://tinyurl.com/35pyjs8b>.
30. أحمد سلطان، بين دار الجولاني ومخيم الهول.. كيف ضحى أمراء داعش بأنصارهم؟، أخبار الآن، 17 - 2023 5، تاريخ الدخول - 8 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://akhb.ar/g8CN5>.
31. رسالة أم حمزة المهاجرة إلى أمير مفصل الشئون بإدارة شئون المخيمات، أرشيف تنظيم الدولة الإسلامية، 5 - 2022 2، نسخة لدى الباحث.
32. جوان سون، مخيم الهول.. شبكات تهريب وحوالات من الخارج للداعشيات، العربية. نت، 17 - 2020 9، تاريخ الدخول - 109 - 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/2pft7r4>.
33. واشنطن تؤكد مقتل زعيم تنظيم داعش في سوريا، دويتشه فيله، 12 - 2022 7، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/4t2bkh5j>.
34. فادية سمير، جرف النصر العراقية: كيف تحوّلت من واحة زراعية إلى قاعدة عسكرية إيرانية؟، الحل. نت، 19 - 2023 9، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/5n7wa3vh>.
35. رياض هاني بهار، الاستخبارات العراقية وفشلها بالتصدي للتحديات الأمنية، موقع الاتحاد الوطني الكردستاني، 27 - 10 2014، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/tbnh65f3>.
36. العراق يعلن القبض على جاسم الجبوري نائب الزعيم السابق لتنظيم "الدولة الإسلامية" أبو بكر البغدادي، فرانس 24، 11 - 10 2021، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/3yzjbm7t>.
37. اعتقال سامي جاسم الجبوري: الاستخبارات التركية "ساعدت" العراق في القبض على نائب أبو بكر البغدادي - تقرير، بي بي سي عربي، 13 - 10 2024، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/4vwnch9j>.
38. المخابرات العراقية تحرر فتاة إيزيدية في إحدى الدول الإقليمية وتعيدها إلى العراق، روسيا اليوم، 2 - 10 2024، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/yc9db4ws>.
39. موجة إقالات بمخابرات العراق.. صدى صراع "الإطار" و"التيار"، سكاي نيوز عربية، 1 - 12 2022، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/yf3vp2cs>.
40. صراع "قسد" والعشائر في دير الزور: الدوافع ومواقف الأطراف الفاعلة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 24 سبتمبر، 2023، ص 2: 6.
41. "قسد" تفرج عن سوريين مرتبطين بـ "داعش"، اندبندت عربية، 2 - 2024 9، تاريخ الدخول - 9 - 10 2024، متاح على الرابط التالي: <https://tinyurl.com/3xcm7ttw>.
42. التقرير الرابع والثلاثين لفريق الدعم التحليلي المعني بداعش والقاعدة، مجلس الأمن الدولي، يوليو 2024، ص 23: 24.
43. رسالة أمير الإدارة العامة للولايات عبد الرؤوف المهاجر إلى ولاية اليمن بشأن التجربة الاقتصادية، مصدر سبق ذكره.
44. التقرير الرابع والثلاثين لفريق الدعم التحليلي المعني بداعش والقاعدة، مصدر سبق ذكره.

4 الصحة الداعشية في أفغانستان وعودة طالبان للحكم: مواجهة أم توافق؟

منى قشطة*

رغم الهزيمة العسكرية التي مُني بها تنظيم داعش في معاقله التقليدية بالموصل العراقية عام 2017، والباغوز السورية عام 2019، على يد قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، فإنَّ التنظيم لم ينتهِ، حتَّى وإن فقد سيطرته المكانية على الجغرافيتين السوريَّة والعراقيَّة؛ إذ تحوَّل من "استراتيجية التمكين" التي اعتمدها سابقاً، إلى استراتيجية جديدة تُعرف بـ "استراتيجية فترات عدم التمكين"، التي تتيح له التكيف مع المتغيرات الميدانية والسياسية عبر توزيع قوَّاته واستغلال الفراغات الأمنية لشن هجمات خاطفة ومؤثرة، بما يضمن له ديمومة نشاطه وبناء قدراته المادية والبشرية مجدداً. وبالتالي، بدأت أفرع داعش تنشط خلال الأعوام الأخيرة بأشكال متعددة في نطاقات جغرافية ممتدة، سواء في منطقة الشرق الأوسط أو في القارة الأفريقية بكافة اتجاهاتها الاستراتيجية، وكذلك في القارتين الآسيوية والأوروبية.

ومن بين العديد من أفرع داعش النشطة، يبرز فرع "داعش - خراسان" كأحد أهم أفرع التنظيم الذي اكتسب شهرة كبيرة خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، وبات أقوى فرع لداعش يهدد دول وسط وجنوب آسيا والعديد من الدول الأوروبية، بل إن التقديرات الأمريكية تشير إلى امتلاكه قدرات قتالية متقدمة قد تمكنه من مهاجمة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها خلال أشهر معدودة. ولا تقتصر الأهمية التي حظي بها "داعش - خراسان" على صعيد التغطيات الإعلامية والتحليلات والدراسات المعنية بدراسات الإرهاب فحسب، بل إن هذا الزخم له ما يؤيده على أرض الواقع من مؤشرات دالة على تنامي خطر التنظيم، وفي مقدمتها ارتفاع الحصيلة العددية لهجماته، وقدرته على شن هجمات نوعية ذات تأثيرات عالية كمًا وكيفًا، وهو ما استدعى رفع حالة الاستنفار واليقظة الأمنية في الكثير من دول العالم، ولا سيما الدول الأوروبية؛ حيث بات خطر "داعش - خراسان" أحد المؤشرات الكبرى لمنظومتها الأمنية وأجهزتها الاستخباراتية بعدما كان ينحصر بشكل كبير داخل الجغرافيا الأفغانية ومُحيطها.

وفي ضوء ما سبق، يهتم هذا الفصل بدراسة وتحليل أسباب صعود التهديدات المرتبطة بتنامي أخطار نشاط تنظيم "داعش - خراسان" مؤخرًا، مع التركيز على الفترة التي يعيشها التنظيم حاليًا منذ صعود حركة طالبان للحكم في أفغانستان منتصف أغسطس عام 2021؛ ذلك لأن ارتفاع نشاط الفرع الخراساني لداعش تزامن وارتبط بشكل كبير بالانسحاب الأمريكي من أفغانستان وسيطرة الحركة على الجغرافيا الأفغانية. وعليه، ينقسم الفصل لثلاثة أجزاء رئيسية؛ يتناول الأول: تاريخ تطور تنظيم "داعش - خراسان" والمؤشرات الدالة على تصاعد مخاطرة خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، ويركز الثاني: على مُحفزات تنامي نشاط التنظيم، فيما يدرس الثالث: أبرز الملامح والسمات العامة لنشاط التنظيم.

أولاً: تاريخ تطور التنظيم ومؤشرات صحوته الجديدة

شهدت دورة حياة فرع "داعش - خراسان" تطورات ملحوظة وفترات صعود وهبوط، ارتبطت بطبيعة المرحلة التي يمر بها تنظيم داعش على المستوى الكلي، وكذا التحولات السياسية والأمنية في أفغانستان؛ حيث تأسس التنظيم عام 2015، كأحد

الأفرع الإقليمية التابعة لتنظيم داعش¹، تحت زعامة "حافظ خان سعيد"². وفي بداياته، ضمّ في صفوفه مزيجاً من العناصر المنشقة عن حركتي طالبان الباكستانية والأفغانية³، بالإضافة إلى مقاتلين من تنظيم القاعدة وبعض العناصر الأجنبية القادمة من طاجيكستان وأوزبكستان والشيشان والهند وبنجلاديش والصين وغيرها. وقُدّر عدد هؤلاء عند تأسيس التنظيم بنحو 4000 عنصر، غير أن هذا العدد انحسر تدريجياً، على مدار الأعوام التالية حتى وصل إلى 2000 عنصر؛ فخلال الفترة من (2015 حتى 2019) شهد نشاط "داعش - خراسان" تراجعاً ملحوظاً؛ إذ تكبد خسائر مادية وبشرية كبيرة، نتيجة عمليات مكافحة الإرهاب التي نفذتها القوات الأفغانية والأمريكية والباكستانية، فضلاً عن الضربات التي شنتها حركة طالبان ضد معاقل التنظيم⁴؛ والتي أدت إلى طرد الأخير من معاقله الرئيسية المتمركزة آنذاك في الأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية من أفغانستان، وكبّدته خسائر كبيرة في مصفوفته القيادية والبشرية؛ حيث قتل الأمير المؤسس له "حافظ سعيد خان" في مقاطعة نانجارهار عقب استهدافه في غارة جوية أمريكية عام 2016، وبعد وفاته تولى ثلاثة أمراء آخرون ولقوا جميعهم المصير نفسه على يد الولايات المتحدة الأمريكية في ضربات هادفة، وهو ما أثر سلباً في النشاط العملياتي للتنظيم⁵.

لكن رغم الانتكاسات التي تعرّض لها "داعش - خراسان" خلال الفترة سالفه الذكر، فإنّ نشاطه لم يتوقف كلياً؛ بل شرع في ترميم صفوفه، وتعزيز قدراته، وتمكن من التغلب على التحديات التي يواجهها، واستطاع بناء شبكة من عناصره في المناطق الحضرية تضم مقاتلين من كابول العاصمة، وعدد من العناصر المنشقة عن شبكة حقاني التابعة لطالبان، وتمكن هؤلاء بفضل خبراتهم الواسعة، من تنفيذ هجمات دامية، استهدفت مجتمعات الشيعة والسيخ والهندوس والمؤسسات التابعة للحكومة الأفغانية والقواعد العسكرية الأمريكية⁶. وبعد إعلان الولايات المتحدة الأمريكية شروعها في الانسحاب من أفغانستان وتوقيعها اتفاق السلام مع حركة طالبان عام 2020 ووصول الأخيرة إلى الحكم في العام التالي، عاد نشاط "داعش - خراسان" إلى منحنياته المرتفعة مُجدداً بوتيرة تصاعدية ملاحظة، وبات التنظيم يُشكل تهديداً مُتزايداً يتجاوز حدود الدولة الأفغانية⁷، وتضاعفت صفوفه البشرية؛ حيث تُشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن التنظيم يضم في الوقت الراهن ما بين 4000

إلى 6000 مقاتل بأفراد أسرهم⁸، من أفغانستان وباكستان وآسيا الوسطى وإيران وروسيا وتركيا وأذربيجان وبعض المقاتلين العرب الذي انتقلوا من سوريا⁹. فيما تشير بعض التقديرات الأخرى، إلى أن التنظيم يمتلك حالياً نحو 9000 عنصر في أفغانستان، ويتمركز قاداته في منطقة بلوشستان الباكستانية¹⁰.

وثمة مؤشرات عديدة على تنامي المخاطر المرتبطة بنشاط تنظيم "داعش - خراسان" منذ عودة حركة طالبان إلى الحكم، يُمكن استعراض أبرزها في النقاط التالية:

1. اتساع جغرافية نشاط التنظيم:

كان عناصر "داعش - خراسان" يتمركزون في السابق في ولايات نينجاهار وكونار ونورستان قرب الحدود الباكستانية، وكانت هجماتهم تتركز في شرق أفغانستان. لكن بعد مجيء حركة طالبان إلى الحكم مرة ثانية ومغادرة القوات الأمريكية في أغسطس عام 2021، اتّسعت التمرکزات الجغرافية لنشاط التنظيم خارج مناطق عملياته التاريخية، وتعززت قدرته على مضاعفة عدد هجماته، ووجد مساحة للتحرك بحرية أكبر داخل وخارج أفغانستان. وينعكس هذا التطور في عدة أوجه، أبرزها ما يلي:

أ. تمدد نطاق نشاط "داعش - خراسان" ليشمل جميع الولايات الأفغانية (34 ولاية) تقريباً؛ حيث انتقل التنظيم تدريجياً من تنفيذ بضع هجمات صغيرة النطاق تستهدف دوريات طالبان ونقاط التفيتيش في المناطق الريفية الشرقية، إلى شن هجمات في المناطق الحضرية بما في ذلك العاصمة كابول، وولاية هرات في الغرب والمناطق الجنوبية في قندهار (مسقط رأس حركة طالبان)، وكذا في شمال أفغانستان (قندوز وبلخ وتجار وبدخشان) ضد أبراج الكهرباء والمساجد والصوفيين والأقليات الدينية والعرقية وعناصر وقادة حركة طالبان¹¹.

ب. قيام تنظيم داعش بدمج ولاية باكستان (ISSP) مع ولاية خراسان (ISKP) في يوليو 2021، ومنذ ذلك الحين اتّسع نطاق نشاط الفرع الخراساني للتنظيم وارتفعت هجماته في ولاية بلوشستان وإقليم خيبر بختونخوا شمال غرب باكستان، ضد علماء الدين وزعماء القبائل والمساجد والمدارس وفرق التطعيم ضد شلل الأطفال وقوات

الأمن الباكستانية والتجمعات السياسية والأقليات الدينية والعرقية¹². ومن أبرز هذه الهجمات على سبيل المثال، قيام التنظيم في يوليو 2023 بتنفيذ هجوم انتحاري استهدف تجمع سياسي في منطقة باجور القبلية؛ مما أدى إلى مقتل أكثر من 40 شخصًا، وإصابة ما يزيد على 100 آخرين¹³. كما نفذ التنظيم هجومًا استهدف مسجد "كوتشا ريسالدار" الشيعي في مدينة بيشاور شمال غرب باكستان في مارس عام 2022؛ مما أسفر عن مقتل أكثر من 57 شخصًا وإصابة 200 آخرين¹⁴.

وتشير بعض التقارير إلى أن "داعش - خراسان" يتمتع بعلاقات تعاون وتحالفات استراتيجية مع جماعة "عسكر جهنكوي" (وهي حركة باكستانية مناهضة للشيعية في باكستان ومعروفة بتورطها في الكثير من عمليات القتل الطائفية، ولديها صلات وثيقة بتنظيم داعش)، وبعض الجماعات الانفصالية البلوشية الباكستانية النشطة في المنطقة، وبعض فصائل حركة طالبان باكستان، وهو ما يستغله التنظيم في تنفيذ الهجمات وتجنيد عناصر جديدة؛ ذلك لأن هذا النوع من التحالفات بين الجماعات المسلحة يُعقد من مهام أجهزة الأمن الباكستانية في تعقب ودحر نشاطها¹⁵. كما تفيد بعض التكهات بأن هناك احتمالًا كبيرًا أن تكون الهجمات الإرهابية الكبرى التي يشنها "داعش - خراسان" قد تم التخطيط لها في بلوشستان الباكستانية؛ حيث يتمركز بها مجلس قيادة التنظيم، وأصبحت مسرحًا رئيسيًا لتوفير المأوى والتدريب لعناصره، وقاعدة أساسية لاستقبال العناصر القادمة من أوروبا والذين يتم تجنيدهم عبر الإنترنت؛ إذ يتلقى هؤلاء بعد استكمال عملية تجنيدهم أوامر من التنظيم بالسفر إلى أفغانستان عبر تركيا وإيران، ومنها إلى إقليم بلوشستان الباكستاني لاستكمال عمليات تأهيلهم وتدريبهم¹⁶.

ج. نجاح التنظيم في شن هجمات مؤثرة تستهدف دول الجوار الأفغاني بما في ذلك دول آسيا الوسطى وباكستان وإيران، فعلى سبيل المثال، أصدرت وكالة أعماق للأبناء التابعة لداعش في مايو 2022 بيانًا زعمت فيه إطلاق "فرع خراسان" عشرة صواريخ من إقليم بلخ في أفغانستان على موقع عسكري في أوزبكستان. ورغم نفي السلطات الأوزبكية وطالبان لوقوع هذا الهجوم، فإن هجمات التنظيم المتكررة في مدينة مزار شريف شمال أفغانستان تُظهر تمتعه بوجود قوي في هذه المنطقة القريبة من الحدود

الأوزبكية، وتعزز من قدرات التنظيم على شن هجماته داخل حدود أوزباكستان¹⁷. وخلال الشهر نفسه، زعم التنظيم أيضاً قيامه بإطلاق صواريخ من ولاية تخار الأفغانية على مقر لجيش طاجيكستان بالقرب من الحدود الأفغانية الطاجيكية.

ورغم أن الهجمات التي شنها "داعش - خراسان" على كل من طاجيكستان وأوزباكستان لم تخلف سوى القليل من الخسائر المادية، فإنها تعكس دالتين مهمتين؛ الأولى: اتساع جغرافية هجمات التنظيم خارج الحدود الأفغانية. والثانية: مساعي التنظيم للاستفادة من التوترات العرقية¹⁸ والاستياء المتزايد بين الطاجيك والتركمان والأوزبك ضد حكم طالبان، في العثور على مجندين جدد بين مجموعات الأقليات العرقية القاطنة في شمال أفغانستان، بما يضمن له مساحة حركة لشن هجماته تجاه دول آسيا الوسطى المرتبطة بحدود ممتدة مع الأراضي الأفغانية¹⁹.

2. تصاعد تهديد التنظيم للدول الأوروبية:

تصاعدت خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة المؤشرات الدالة على تخطيط "داعش - خراسان" لاستهداف الدول الأوروبية؛ مما دفع الأخيرة إلى تعزيز إجراءاتها الوقائية للحيلولة دون وقوع هجمات إرهابية على أراضيها، من قبيل رفع حالة الاستنفار والتأهب الأمني إلى أعلى مستوياتها، وتكثيف تبادل المعلومات الاستخباراتية، وتعزيز الإجراءات الأمنية في الفعاليات الكبرى كالمباريات الرياضية، والحفلات الموسيقية²⁰. ويمكن استعراض أبرز هذه المؤشرات في النقاط التالية:

أ. وقُوع هجمات دامية وحوادث طعن في عدد من الدول الأوروبية من قبل عناصر وخلايا نائمة وذئاب منفردة متأثرة بتنظيم داعش²¹، أبرزها على سبيل المثال وليس الحصر، قيام التنظيم في 22 مارس 2024 بشن هجوم استهدف قاعة "كروكوس" للحفلات في ضاحية كراسنوغورسك شمال غرب العاصمة موسكو؛ مما أسفر عن مقتل ما يزيد على 140 شخصاً وإصابة نحو 180 آخرين²². وقيام اثنين من أعضاء التنظيم في يناير 2024 بتنفيذ هجوم مسلح على كنيسة سانتا ماريا في تركيا، خلال قداس ديني، راح ضحيته مواطن تركي²³. كما قام عناصر التنظيم في أغسطس 2024 بتنفيذ حادث طعن على متن حافلة في مدينة زيغن الواقعة غرب ألمانيا مما أدى إلى إصابة 6 أشخاص²⁴.

ب. تهديد "داعش - خراسان" بشكل واضح وعلمي - أكثر من مرة - من خلال منصاته الإعلامية المختلفة ومُلققاته الجهادية الدعائية باستهداف الأحداث الرياضية الكبرى كمباريات دوري أبطال أوروبا لكرة القدم 2024، وكأس العالم للكريكت في الولايات المتحدة الأمريكية، والألعاب الأولمبية في فرنسا، من خلال نشره لرسائل بلغات مختلفة مصحوبة بصور لمقاتليه يدعوهم فيها إلى استهداف الملاعب التي ستُجرى عليها تلك المباريات²⁵. ويأتي اهتمام التنظيم بهذا النوع من الأحداث انطلاقاً من كونها تضمن له إيقاع أكبر عدد من الخسائر في ضوء الإقبال الجماهيري الكبير الذي تحظى به الأحداث الرياضية بشكل عام، كما أن الأحداث الرياضية الكبرى تحظى بتغطية إعلامية عالمية؛ مما يمثل فرصة سانحة للتنظيم لتحقيق مكاسب دعائية²⁶.

ج. تكرار عمليات المُطاردة والاعتقال - بشكل شبه يومي - لعشرات العناصر والخلايا التابعة لداعش، والتي كانت تُخطط لشن هجمات في العديد من الدول الأوروبية كألمانيا وروسيا وبريطانيا وفرنسا وتركيا وسويسرا والنمسا وهولندا²⁷. ورغم أن الأجهزة الأمنية الأوروبية تمكنت من إحباط الكثير من الهجمات الإرهابية التي كان يخطط هؤلاء العناصر إلى تنفيذها²⁸، فإن ارتفاع عمليات الاعتقال لخلايا وعناصر "داعش - خراسان" في الكثير من دول العالم يؤشر على تنامي المخاطر المرتبطة بالتنظيم، وأن الأخير في حالة تأهب وينتظر فقط الفرصة والتوقيت المناسب لشن هجماته²⁹.

د. رصد عمليات تسلل لبعض العناصر التابعة لـ "داعش - خراسان" ضمن موجات اللاجئين الأوكرانيين التي تدفقت إلى أوروبا منذ اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية؛ إذ استغل التنظيم السماح للأجانب بالحصول على جوازات سفر أوكرانية، ونظام الإعفاء من التأشيرات بين الاتحاد الأوروبي وأوكرانيا، في تسهيل عملية الزج ببعض عناصره لشن هجمات على الأراضي الأوروبية³⁰. وثمة شواهد كثيرة على ذلك من بينها؛ رصد مسئولو الأمن الألمان زيادة في عدد الأفراد من آسيا الوسطى، وخاصة طاجيكستان، الذين يتنكرون في هيئة لاجئين أوكرانيين، ويستخدمون وثائق مزورة وروايات وهمية للتهرب من عمليات التفتيش. كما كشفت عملية لقوات الأمن في ألمانيا في يوليو 2023 عن خلية جهادية مُشتبه بها دخلت أوروبا من أوكرانيا تضم 7 أفراد من آسيا الوسطى على صلة بتنظيم داعش كانوا يخططون لشن هجمات إرهابية.

وفي السياق ذاته، اعتقلت الشرطة الألمانية في ديسمبر 2023 مواطناً طاجيكياً يبلغ من العمر 30 عاماً للاشتباه في قيامه بالتخطيط لهجوم إرهابي على كاتدرائية كولونيا، وتشير المصادر إلى أنه كان على صلة بتنظيم داعش خراسان، ووصل إلى أوروبا من أوكرانيا³¹.

3. تصاعد التحذيرات من خطورة التنظيم:

منذ عودة حركة طالبان للحكم في أفغانستان في أغسطس 2021، تصاعدت تحذيرات -التقديرات الاستخباراتية والعديد من مسؤولي الأمن من تنامي نشاط "داعش - خراسان" داخل وخارج الجغرافيا الأفغانية، وقدرته على التكيف مع الضربات التي تلقاها، وتبعات ذلك الخطورة على الأمن الإقليمي والدولي. فعلى سبيل المثال، أشار تقييم صادر عن وزارة الدفاع الأمريكية (البننتاجون) عام 2023 إلى أن "داعش خراسان" يستخدم أفغانستان مرة أخرى كقاعدة رئيسية للتخطيط وتنسيق الهجمات في شتى أنحاء العالم. كما أفاد تقرير صادر عن الأمم المتحدة في يوليو عام 2024، بأن "داعش - خراسان" يمثل أكبر تهديد إرهابي خارجي لقارة أوروبا³². وفي السياق ذاته، حذر فلاديمير فورونكوف، رئيس مكتب مكافحة الإرهاب للأمم المتحدة في أغسطس عام 2024 من خطر قيام "داعش - خراسان" بتنفيذ هجمات خارج أفغانستان، مشيراً إلى نجاح التنظيم في تحسين قدراته المالية واللوجستية خلال الفترة الماضية، واستعانت بالجياليات الأفغانية والآسيوية للحصول على الدعم، وكذا تكثيف جهوده الدعائية لاستقطاب عناصر جديدة³³.

4. كثافة المنتج الإعلامي للتنظيم:

بعد سيطرة حركة طالبان على الحكم في أغسطس 2021، صعد "داعش - خراسان" حملته الدعائية -بشكل لافت- لتوسيع جاذبيته، ولتجنيد عناصر جديدة لحثهم على شن هجمات داخل وخارج أفغانستان؛ فقد بدأ التنظيم في نشر محتواه الإعلامي المقروء والمسموع والمرئي بلغات عديدة لضمان الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور المستهدف³⁴، شملت: الباشتو، والإنجليزية، والفارسية، والروسية، والطاجيكية، والتركية، والأردية، والأوزبكية، والدارية، والهندية، والقرغيزية، والمالايالامية، والعربية، وأحياناً الإيجورية³⁵.

ويمتلك "داعش - خراسان" حاليًا ترسانة إعلامية ضخمة يبت من خلالها متونه الجهادية؛ أبرزها: مؤسسة العزايم للإنتاج الإعلامي (al-Azaim Foundation)، التي تضم منافذ دعائية متعددة، مثل مجلة صوت خراسان باللغة الإنجليزية، ومجلة خراسان غاغ بلغة الباشتو، والعزايم الطاجيكية، والعزايم الأوزبكية، ورايو خوروسون أوفوزي باللغة الأوزبكية، والملاط ميديا، وخالد ميديا، وحقيقة نيوز، والمرسلات ميديا، وجميعها منافذ تعمل على إطلاق منتجات إعلامية لخدمة أهداف التنظيم، تتنوع ما بين الكتب والصوتيات والترجمات والإصدارات وغيرها³⁶.

ويتبين من دراسة حجم وملامح التطور الذي شهدته الاستراتيجية الإعلامية والدعائية لتنظيم "داعش - خراسان" خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، أن التنظيم يتبع منهجية إعلامية تتغير وتتطور بما يتسق مع الطبيعة المرحلية التي يمر بها التنظيم، وبما يتماشى مع خدمة تحركاته العسكرية، ويتواءم مع التطورات السياسية الحاصلة في المشهد الأفغاني. ولتوضيح ذلك بشكل أكثر تفصيلاً يمكن تقسيم تطور السرديات الدعائية والحملات الإعلامية لتنظيم "داعش - خراسان" إلى ثلاث مراحل، تعكس تطوره العملياتي، وأهدافه التنظيمية، وذلك على النحو التالي:

المرحلة الأولى: تمثل الفترة من ظهور التنظيم على الجغرافيا الأفغانية، حتى انحدار نشاطه العملياتي بفعل الضربات الأمنية التي تلقاها (2015 - 2019)، فخلال هذه المرحلة ركزت الجهود الدعائية للتنظيم بشكل كبير على السرديات المناهضة للحكومة الأفغانية والولايات المتحدة الأمريكية وحركة طالبان. وكان البعد الجغرافي يغلب على طبيعة المنتجات الدعائية للتنظيم خلال هذه المرحلة؛ إذ أنشأ محطة إذاعية تسمى "صوت الخلافة"، لتقديم برامج إذاعية يومية باللغات الدارية والإنجليزية والباشتو، واستخدم المساحات الجغرافية التي كان يسيطر عليها في نجرهار شرق أفغانستان، كمسرح رئيسي لتصوير شكل الحياة في ظل خلافته المزعومة، لاستخدامها في تقديم إغراءات جهادية لضم مجندين جدد لصفوفه.

المرحلة الثانية: تمثل الفترة التي حاول فيها التنظيم التأقلم مع النكسات الميدانية التي أفقدته معاقله الرئيسية في أفغانستان وكلفته خسائر مادية وبشرية كبيرة؛ فخلال هذه المرحلة فقدت الجهود الدعائية لـ "داعش - خراسان" مرجعياتها الجغرافية وركزت أكثر على سرديات التجنيد، وعمدت إلى استخدام لغة الخوف والترهيب في تفخيم حجم الأنشطة العسكرية للتنظيم، والدمار الكبير الذي تخلفه هجماته لإثبات قدرته على البقاء. كما وظفت المنصات الإعلامية للتنظيم شروع حركة طالبان في توقيع اتفاق السلام مع الولايات المتحدة الأمريكية عام 2020 في تشويه سمعة الحركة واتهامها بتخليها عما يصفه بـ "الجهاد الحقيقي"³⁷.

المرحلة الثالثة: تمثل الفترة التي يعيشها التنظيم منذ صعود حركة طالبان للحكم مرة ثانية في أغسطس عام 2021، وهي تتسم بكونها الأكثر عنفاً وكثافة واتساعاً مقارنة بالمراحل السابقة. وتتمحور التطورات التي شهدتها الاستراتيجية الإعلامية للتنظيم خلال هذه المرحلة حول بعدين رئيسيين؛ الأول: يتجسد في اتساع نطاق الجمهور المُستهدف من النشاط الدعائي للتنظيم ليشمل دول وسط وجنوب آسيا والعديد من الدول الأوروبية. والثاني: يتعلق بكثافة المنتجات الإعلامية المناهضة لحركة طالبان سواء على صعيد انتقاد المرجعات الفكرية والأيديولوجية للحركة، أو على صعيد نقد ممارساتها في الحكم ومحاولاتها للانفتاح على محيطها الإقليمي والدولي. وتعكس هذه التطورات في مضمونها حالة الصحة الإعلامية والعملياتية التي يعيشها "داعش - خراسان" منذ عودة حركة طالبان للحكم، كما تظهر قدرة التنظيم على تكييف خطابه الإعلامي، أو جهاده الدعائي (وفقاً لسردياته) بسرعة مع الوضع الأمني المتغير في آسيا الوسطى وفي أفغانستان على وجه الخصوص³⁸.

وثمة أمثلة عديدة على نشاط "داعش - خراسان" في مرحلة ما بعد عودة طالبان للحكم؛ منها نشر الجهاز الإعلامي للتنظيم خلال فبراير عام 2022 كتابات مُطولة باللغة الأوزبكية تستهدف تشويه سمعة طالبان واتهامها بالعبودية للصين وروسيا والولايات المتحدة وباكستان وتركيا، وكذا قيام التنظيم بإصدار كتب إلكترونية باللغة الطاجيكية وبيانات صوتية وصور توضيحية وترجمات لبيانات التنظيم الأم ونشرة "النبا" الإخبارية، وقد ركزت معظم هذه الإصدارات على مناشدة الطاجيكيين وانتقاد

حكومة دوشانبي للعثور على مجندين بين السكان الطاجيك، استنادًا إلى نجاح التنظيم في جذب ودمج الجهاديين الطاجيك في العراق وسوريا مع تأسيس الخلافة عام 2014 وفي أفغانستان منذ ظهور الفرع عام 2015.

علاوة على ذلك، أصدرت النسخة الطاجيكية من "راديو خراسان" بشكل شبه يومي حوالي 150 ملفًا صوتيًا في الفترة من سبتمبر 2021 حتى 26 إبريل 2022، مُعظمها عبارة عن خطابات موجزة عن الجهاد والعقيدة، في حين ركّز الجزء الآخر من هذه الإصدارات على تكفير طالبان والدعوة إلى شن هجمات ضدها. ناهيك عن نشر "داعش - خراسان" مجلة في إبريل 2021 تتحدث باسم التنظيم باللغة الأوردية، وركّزت إصداراتها على تعزيز أيديولوجيا التنظيم في باكستان والتحريض على قتل قوات الشرطة والجيش الباكستانية. ومن الجدير بالذكر أن الدعاية التي تنتجها القنوات الأوزبكية والطاجيكية التابعة للتنظيم لم تقتصر على أفغانستان وآسيا الوسطى فقط، بل امتد نطاقها خارج خراسان؛ إذ تُشير العديد من مقاطع الفيديو والملفات الصوتية أيضًا إلى سوريا وتدعو للانتقام لمقاتلي التنظيم الذين قُتلوا على يد هيئة تحرير الشام وتركيا وإيران وروسيا³⁹.

ثانيًا: مُحفزات صحوة "داعش - خراسان" الجديدة

1. الانسحاب الأمريكي من أفغانستان:

منذ شروع حركة طالبان في الجلوس إلى طاولة المفاوضات مع الولايات المتحدة الأمريكية لتوقيع اتفاق السلام، الذي أفضى إلى انسحاب الأخيرة من أفغانستان، بدأ "داعش - خراسان" يتأهب للعودة إلى واجهة الأحداث الميدانية كفاعل مؤثر في المشهد الأفغاني. ويبدو أن التنظيم وضع خطة منظمة لتعزيز استنفاده من الانسحاب الأمريكي قدر الإمكان، وهو ما عبّر عنه قائد لـ "داعش - خراسان" يستخدم كنية "أبو منير" في مقابلة تلفزيونية مع مراسلة قناة CNN الأمريكية قبل أيام قليلة من سيطرة حركة طالبان على السلطة، قائلًا إن "التنظيم كان يخطط لإتمام عملية الانسحاب الأمريكي من أفغانستان للتوسع واستئناف هجماته". وبعيدًا عن مضمون اللقاء الذي

دار معظمة حول نقد طالبان واتهامها بالكفر والتخلي عن تطبيق الشريعة، يُمكن القول إن تفاصيل هذا الحوار تعكس درجة الأريحية الكبيرة التي تمتع بها "داعش - خراسان" في فترة الانسحاب الأمريكي؛ إذ تمكن القيادي الداعشي من إبلاغ فريق إعداد القناة بإجراء المقابلة في فندق بالعاصمة كابول، وحرص على طلب تصوير وصوله إليها، لإظهار قدرته على عبور كافة نقاط التفتيش والوصول إلى العاصمة مباشرة⁴⁰. وبشكل عام، استفاد "داعش - خراسان" من الانسحاب الأمريكي من أفغانستان من أكثر من زاوية:

فمن ناحية أولى، خلف هذا الانسحاب فراغاً سياسياً وأمنياً كبيراً في أفغانستان؛ مما أتاح لـ "داعش - خراسان" فرصة نوعية لإعادة توسيع معسكراته التدريبية ليس فقط في معاقله التقليدية بشرق أفغانستان، بل على طول الحدود الشمالية للبلاد مع الصين وطاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان، وكذا بذل التنظيم مُحاولات حثيثة لاستغلال المشهد الأمني والسياسي المضطرب الذي صاحب عملية إجلاء القوات الأمريكية في إثبات وجوده بقوة؛ فشرع في شن هجمات نوعية ذات أهداف عالية القيمة، استطاع من خلالها تحقيق مكاسب دعائية كبيرة، واستعادة الزخم مُجدداً حول نشاطه. ناهيك عن قدرة التنظيم على الوصول إلى الأسلحة التي تركتها القوات الغربية خلفها عند انسحابها من أفغانستان؛ فقد أكدت بعض التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة أن تلك الأسلحة يجري تحويلها إلى ولاية "داعش - خراسان" من قبل جماعات منتسبة إلى حركة طالبان وتنظيم القاعدة، مثل حركة طالبان باكستان، وحركة تركستان الشرقية الإسلامية (المعروفة باسم الحزب الإسلامي لتركستان)⁴¹.

كما استفاد "داعش - خراسان" من انهيار قوات الجيش الأفغاني الذين دربتهم الولايات المتحدة الأمريكية أمام تقدم حركة طالبان، حيث انضمت فصائل من هذه القوات إلى التنظيم، إما رغبة في الانتماء من عمليات طالبان الانتقامية ضدهم، وإما للحصول على الإغراءات المالية التي عرضها عليهم داعش مستغلاً وضعهم الاقتصادي السيء بعد أن تركتهم الولايات المتحدة الأمريكية لمصيرهم مطاردين من طالبان⁴². وبشكل عام، استفاد التنظيم من الخبرات القتالية لدى هؤلاء في تعزيز قدرته على شن هجمات نوعية مؤثرة، داخل وخارج أفغانستان، كما استطاع استغلال مشاعر الغضب والإحباط التي ترسخت في ذهنية الكثير من عناصر قوات

الأمن الأفغانية السابقين، الذين تمكنوا من الخروج من أفغانستان وذهبوا للولايات المتحدة الأمريكية، في تجنيد بعضهم لشن هجمات على نمط "الذئاب المنفردة" داخل الأراضي الأمريكية. فعلى سبيل المثال، أعلنت وزارة العدل الأمريكية في أكتوبر 2024 إلقاء القبض على رجل أفغاني عمل في السابق كحارس أمن في أفغانستان لصالح وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وكان يخطط لشن هجوم يستهدف حشوداً كبيرة خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية، بعد تأثره بأفكار وأيديولوجية داعش عبر الإنترنت⁴³.

ومن ناحية ثانية، أتاح الانسحاب الأمريكي الفوضوي وغير المنظم من أفغانستان، فرصة لـ "داعش - خراسان" لمزاحمة حركة طالبان في الاستفادة من الأهمية الرمزية لهذا الانسحاب، فلم تكد الولايات المتحدة الأمريكية تستكمل عمليات إجلاء قواتها من أفغانستان، حتى قام انتحاريان من التنظيم بشن هجوم مزدوج في 26 أغسطس 2021 استهدف مطار كابول الدول؛ مما أسفر عن سقوط نحو 13 جندياً أمريكياً، وإصابة عشرات المدنيين⁴⁴. وقد أدى هذا الهجوم إلى زيادة الاهتمام الدولي بـ "داعش - خراسان"، وساعد الأخير على تكوين زخم دعائي كبير حول نشاطه وقوته؛ حيث تصدر محركات البحث العالمية، وبات أكثر أفرع داعش النشطة شهرة سواء داخل الأوساط الجهادية، أو على صعيد قائمة أولويات الأخبار والتحليلات ومانشيتات الصحف والمجلات العالمية، وهو ما وظفه التنظيم في جهوده الدعائية الرامية إلى تجنيد عناصر جديدة، وفي مزاحمة طالبان كفاعل مؤثر في الساحة الأفغانية في مرحلة ما بعد الانسحاب الأمريكي⁴⁵.

ومن ناحية ثالثة وأخيرة، أدى غياب عمليات مكافحة الإرهاب التي كانت تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ضد معاقل التنظيم خلال فترة وجودها العسكري الفعلي على الأرض، واعتمادها على الضربات عبر الأفق، وتدهور قدراتها بشكل كبير على جمع المعلومات الاستخباراتية على الأرض في ظل حكم طالبان، إلى خلق بيئة عمل أكثر تساهلاً أعطت مساحة استراتيجية لـ "داعش - خراسان" لإعادة تنظيم صفوفه وزيادة وتيرة هجماته، ومشاركة توجّهاته العسكرية والإعلامية والأيدولوجية مع فرع التنظيم المركزي⁴⁶.

2. عودة حركة طالبان للحكم في أفغانستان:

ارتبط تصاعد نشاط تنظيم "داعش - خراسان" مجدداً بعودة حركة طالبان للحكم الثاني في أفغانستان منتصف أغسطس 2021؛ حيث أدت عمليات اقتحام السجون التي قامت بها الحركة خلال سيطرتها على الجغرافيا الأفغانية، إلى هروب مئات السجناء وسمحت لهم بالانضمام مجدداً إلى صفوف داعش⁴⁷؛ فوفقاً لتقديرات مختلفة فرّ حوالي 3000 سجين من عناصر وقادة التنظيم في أثناء وبعد انهيار الحكومة الأفغانية السابقة، من بينهم؛ سلف المهاجر، وأسلم فاروقي، وأبو يزيد القاهر خراساني أحد منظري التنظيم، وإعجاز أحمد أنهجار مؤسس فرع التنظيم في جامو وكشمير، بجانب فرار مقاتلي التنظيم من حملة الجنسيات الأجنبية - فقد احتجزت القوات الأفغانية السابقة أكثر من 400 عنصر من "داعش - خراسان" ينحدرون من 14 دولة، وتمكّن هؤلاء من الفرار قبل يوم واحد من استيلاء طالبان على السلطة، وعلى الأغلب لم يكن أمامهم طريق آخر سوى العودة للقتال في صفوف التنظيم؛ نظراً لصعوبة عودتهم لبلدانهم الأصلية. كما أدى انشغال حركة طالبان بترتيب صفوفها وملفاتها الداخلية لتثبيت أركانها في الحكم، إلى إتاحة الفرصة لداعش لتسريع وتيرة هجماته⁴⁸.

ويتطلب الفهم العميق لكيفية تسبب صعود طالبان للحكم في صحوة "داعش - خراسان"، الإشارة إلى شكل وطبيعة العلاقات التاريخية التي جمعت بين التنظيمين. حيث لم تكن بداية العلاقة العدائية بين تنظيم داعش وطالبان، مع إعلان الأول قيام دولته المزعومة في العراق وسوريا وفرعها الخراساني في أفغانستان، بل إنّ الحركة حاولت في البداية احتواء صعود التنظيم لينضم تحت لوائها، بما يضمن تصدرها للمشهد الجهادي على الجغرافيا الأفغانية. إذ طلبت من "أبو بكر البغدادي"، الزعيم السابق لتنظيم داعش، إعلان البيعة لزعيمها على غرار باقي التنظيمات الأخرى الموجودة في أفغانستان، غير أن التنظيم رفض تلبية الدعوة؛ مما دفعها إلى استعدادها وشن حرب ضده⁴⁹. وفي هذا الإطار يقول الملا عبد الحي مطمئن المتحدث السابق باسم الملا محمد عمر الزعيم المؤسس لطالبان في مذكراته⁵⁰:

إن "حركة طالبان اعتبرت خروج داعش خراسان في الحدود الشرقية لأفغانستان، أمراً بالغ الحساسية، فلم تبادر إلى أي فعل خشية أن يكبر شأنهم. لكن الحركة شعرت تدريجياً بالحاجة إلى التفاوض مع قيادات التنظيم في فرعه المركزي القائم في العراق، وشرح حساسية الموقف الحالي لهم. فأرسل الملا أختر منصور، الزعيم الثاني لحركة طالبان، رسالة ملؤها الاحترام والتعاطف إلى أبو بكر البغدادي أمير داعش. وأشار في رسالته إلى الوضع الراهن في أفغانستان، والتضحيات المشتركة التي بذلها المجاهدون العرب والأفغان معاً، ومؤامرات العدو على هذا البلد. وأخبر البغدادي أننا في حرب مع الغزاة منذ ثلاثة عشر عاماً. وأن الظروف صعبة للغاية، والعدو ينتظر الانقسامات الداخلية. وذكر له أن الإمارة الإسلامية قائمة فعلاً في البلاد ولا حاجة لإعلان فرع للتنظيم هنا. لكن العدناني المتحدث باسم التنظيم رد بشكل سلبي واستخدم لغة مسيئة للغاية بحق الملا محمد عمر (قبل إعلان وفاته). بعد ذلك قررت قيادة طالبان بعد مشورة العلماء أن ما يحصل خدعة ومؤامرة مدبرة لإفشال مقاومة طالبان المستمرة منذ ثلاثة عشر عاماً. لذا بدأت الحركة نشاطها العسكري ضد داعش".

ويأخذ العداء بين حركة طالبان وتنظيم داعش بعدين؛ البعد الأول: أيديولوجي، فإن الأخير يتهم الحركة بأنها تخلت عن مبادئ الجهاد العالمي، ويطلق عليها مسميات عديدة من قبيل: (الحكومة الكافرة - إمارة الشرك - إمارة السفارات - الحكومة المرتدة - حكومة المؤسسات الكافرة - المليشيا الكافرة)، وكلها ألقاب تعبر عن عداء داعش لطالبان، وحرصه على تشويه سمعتها في الأوساط الجهادية⁵¹. وفي المقابل تصف حركة طالبان منتسبي "داعش - خراسان" بـ (الخوارج أعداء الإسلام)، ويؤكد علماءها على وجوب وضرورة قتلهم⁵².

والبعد الثاني: حركي، ويتعلق باعتبارات التنافس الاستراتيجي بين التنظيمين للسيطرة على المساحات الجغرافية وتوزيع دائرة نفوذها على الساحة الجهادية. لكن يمكن القول إن العداء بين حركة طالبان وتنظيم داعش لم يكن مدفوعاً بمفارقات أيديولوجية بين التنظيمين بقدر ما كان مدفوعاً باعتبارات التنافس الميداني بينهما للسيطرة على المشهد الجهادي في أفغانستان. غير أن هذا لا يلغي وجود فوارق وتباينات عديدة بينهما؛ من بينها انتماء عناصر وقادة طالبان إلى المجتمع الأفغاني، وانتماء

غالبيتهم إلى قبائل البشتون، فهم أبناء المجتمع وليس في صفوفهم مهاجرون من غير الأفغان، على عكس داعش التي تركز تركيبته البشرية على العناصر المهاجرة، وتقوم فكرتهم على الهجرة إلى المواطن الجهادية، ولذا فهو يضم في صفوفه عرقيات وجنسيات متنوعة تتخطى حدود أفغانستان⁵³.

كما أن حركة طالبان تنسجم مع المرجعية القبلية الأفغانية وتلعب التقاليد القبلية دوراً كبيراً في توجهاتها وممارساتها العملية، بينما يصطدم داعش مع المرجعيات القبلية في بعض نطاقات تمركزاته الجغرافية. ويضاف إلى تلك التباينات أن حركة طالبان تطرح نفسها كحركة إسلامية وطنية يغلب عليها الطابع المحلي؛ إذ تتوقف حدود عملها عند أفغانستان ولا تتبنى خطاباً أممياً، بخلاف الخطاب الجهادي المعلوم لداعش الذي يسعى إلى إقامة الشريعة في العالم وتحريره من الكفر وفقاً لمرجعياته الأيديولوجية. لكن التشابه بين طالبان وداعش يُمكن رصده على الصعيد الحركي؛ مما يتمثل في سعيهم لتطبيق الشريعة الإسلامية عبر الجهاد المسلح واستخدام بعض التكتيكات من قبيل الهجمات الانتحارية في تحركاتهم الميدانية لتحقيق مكاسب عسكرية⁵⁴.

وفي ضوء ما سبق، ينظر "داعش - خراسان" إلى حركة طالبان باعتبارها منافساً استراتيجياً له في مشهد مسلح مشبع، وباعتبارها خصماً أيديولوجياً، وعليه يعمل التنظيم على تشويه وإفشال جهود الحركة لتشكيل إمارة قائمة على الحدود الوطنية، والتي تتعارض بشكل مباشر مع رؤيته لتدشين الخلافة العالمية، كما يسعى لزعزعة حكم طالبان وشن حرب ضدها وضربها بطرق عديدة، يمكن تسليط الضوء على أبرزها فيما يلي:

■ يعمل "داعش - خراسان" بشكل مستمر على إحراج حكومة طالبان وإثبات عجزها عن الوفاء بتعهداتها بعدم تصدير التهديدات الإرهابية خارج أفغانستان، ومن ثمّ عرقلة تحركاتها الرامية إلى كسب الثقة والشرعية الدولية،

من خلال تنفيذ هجمات نوعية ذات طابع عالمي داخل وخارج أفغانستان؛ مما يُسهم بشكل أو بآخر في زيادة الشكوك وتقليص الثقة في قدرة طالبان على احتواء التهديدات الإرهابية.

■ في ضوء نهجه القائم على النيل من مصالح أي دولة تتعامل أو تتعاون مع حركة طالبان بأي شكل أو مستوى يسعى "داعش - خراسان" إلى زعزعة التفاهمات وعرقلة أي إجراءات لبناء الثقة بين الحركة ودول محيطها الإقليمي والدولي لا سيّما فيما يخص مكافحة الإرهاب؛ فإن التنظيم يقوم بشن هجمات تستهدف مصالح الدول الإقليمية والمجاورة التي احتفظت بوجودها الدبلوماسي في أفغانستان واتصالاتها مع طالبان منذ وصولها للحكم، ويحرص على القيام بهذا الأمر في أعقاب كل خطوة تقديمية من هذه الدول تجاه التعاون مع طالبان. على سبيل المثال، قام التنظيم باستهداف روسيا بعد ورود أنباء على نيتها رفع اسم الحركة من قائمتها السوداء للإرهاب، وكذا قام بضرب إيران في أعقاب التفاهمات التي جرت بينها وبين طالبان في ملف مكافحة الإرهاب. ويستهدف التنظيم كذلك رعايا هذه الدول ودبلوماسيها في أفغانستان، ومن ذلك على سبيل المثال، الهجوم على السفارة الروسية في كابول في سبتمبر 2022، والهجوم على السفارة الباكستانية وفندق يرتاده مواطنون صينيون في ديسمبر من العام ذاته⁵⁵.

■ يسعى "داعش - خراسان" من فترة لأخرى إلى إثبات فشل جهود محاربته من قبل حركة طالبان، فعلى سبيل المثال، رغم ما تلقاه التنظيم من ضربات أفقدته الكثير من عناصره والعشرات من قادته على يد قوات الحركة خلال الأعوام الثلاثة الماضية، فإن تلك الجهود لم تُؤتِ أكلها في القضاء على تهديد التنظيم، بل قام بتطويع استراتيجيته وتغيير تكتيكاته العسكرية لتواكب المُستجدات الميدانية، بحيث تقوم على الحفاظ قدر الإمكان على موارده المحدودة عبر خفض وتيرة هجماته مقابل تنفيذ هجمات نوعية عالية التأثير وتحمل الكثير من الرسائل لطالبان، بجانب توسيع جهود تجنيد عناصر جديدة خارج أفغانستان. وهو ما مكنه من الاحتفاظ بعدد من الخلايا النشطة في

المناطق الحدودية داخل إيران وباكستان، وشن هجمات عالية القيمة على غرار هجوم كروكوس في موسكو، وتفجيرات كرمان في إيران، ناهيك عن استمرار هجماته بالداخل الأفغاني في الولايات الكبرى مثل كابول وبلخ وهيرات وبنجرهار ولم تسلم منها حتى قندهار (المعقل الرئيسي لطالبان)⁵⁶.

■ يحاول "داعش - خراسان" التسلسل إلى صفوف طالبان من الداخل في محاولة لإثارة النزاعات بين فصائلها المختلفة، واستقطاب عناصر الحركة الغاضبين من بعض ممارساتها لا سيما تلك المتعلقة بالتفاوض مع الولايات المتحدة الأمريكية وتوقيع اتفاق لسلام معها؛ حيث تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى وجود أدلة ملموسة على تسلسل عناصر داعش إلى وزارتي الداخلية والدفاع التابعتين لطالبان، وكذلك إلى المديرية العامة للاستخبارات⁵⁷.

■ يعتمد "داعش - خراسان" إلى شن هجمات كبرى للترويج لمصادقاته الجهادية المزعومة مُقابل التشكيك في عقيدة طالبان التي يصفها بالمرتدة ويتهمها باعتناق ما يُسميه "قيم الدول الكافرة"، كما يسعى عبر جهوده الدعائية إلى استغلال تأثيرات تلك الهجمات في استقطاب العناصر الجهادية النشطة في أفغانستان وحشدها لصفوفه، لا سيَّما أن تعاطي طالبان بعد وصولها للسلطة مع المُجتمع الدولي بنهج براجماتي، جعلها موضع انتقاد شديد في بعض الأوساط الجهادية، ودفع التنظيم إلى اتهامها بالتخلي عن تطبيق الشريعة الإسلامية، وخيانة الجهاد العالمي نتيجة سعيها لإقامة علاقات دبلوماسية مع دول غير مسلمة كالولايات المتحدة وروسيا والصين ودول آسيا الوسطى⁵⁸.

فعلى سبيل المثال أصدر فرع داعش خراسان بعد يومين من هجوم كروكوس في روسيا كتيباً مكوناً من 30 صفحة بلغة الباشتو (إحدى أكثر اللغات انتشاراً في أفغانستان) بعنوان "بعد هجوم موسكو: حزن وخوف المليشيات" - في إشارة إلى طالبان - ركز على السخرية من إعلان الحركة تعاطفها مع روسيا وإدانتها للهجوم، وشن انتقاداً لاذعاً ضد مساعيها الدءوبة لإقامة علاقات مع الولايات المتحدة والصين وروسيا وباكستان وإيران وغيرها. كما نشرت إحدى وسائل الإعلام

التابعة للتنظيم، مقالاً حمل عنوان "تحذير إلى الداعمين الاقتصاديين والفكرين مليشيات طالبان"، يهدد جميع الشركات والمؤسسات والإدارات والأشخاص الذين يدعمون الحركة، سواء اقتصادياً أو فكرياً. ويحذر مستخدمي موقع يوتيوب والصحفيين الذين يدعمون طالبان ويثنون مقاطع فيديو مصورة لصالحها. فإنه ينص على أنه "يتعين على الشركات التي تساعد وتتعاون مع طالبان في الأمور الاقتصادية أو غيرها أن تدرك أنها إذا ساعدت مليشيات الحركة في أي مجال.. فلدينا معلومات كافية عنهم، وبالتالي فهم جميعاً أهداف لهجماتنا"⁵⁹.

■ يحرص "داعش - خراسان" على شن هجمات نوعية ضد الحركة ذات أهداف عالية القيمة⁶⁰، من قبيل استهداف مقار الوزارات والمؤسسات الحكومية، وتجمعات الحركة، وعلمائها البارزين، وكبار قادتها⁶¹. فعلى سبيل المثال أسفرت هجمات التنظيم عن مقتل عدد من قادة طالبان؛ منهم داود مزمل حاكم ولاية بلخ⁶²، ونصار أحمد أحمد أحمد نائبا حاكم ولاية بدخشان⁶³، وحمد الله مخلص أحد القادة العسكريين بالحركة⁶⁴، ورجل الدين مولوي مجيب الرحمن أنصاري وشقيقه، والشيخ رحيم الله حقاني. كما يعمل التنظيم على استهداف الأقليات الدينية والعرقية في أفغانستان⁶⁵، بهدف تقليص شرعية طالبان الداخلية، وتحطيم ادعاءها بأن استيلاءها على السلطة أعاد الأمن والاستقرار في البلاد⁶⁶، باعتبارها تتموقع في مركز السلطة ومنوطة بضمان أمن الأفغان كافة. وبالفعل تؤدي هذه الهجمات إلى توجيه أطراف عديدة اتهامات لطالبان بالإخفاق في حماية الأقليات، لا سيما أن الحركة هي الأخرى لديها تاريخ طويل في استهدافهم منذ نشأتها في التسعينيات حتى الآن⁶⁷.

■ يعمل "داعش - خراسان" على توسيع حملاته الميدانية والدعائية ضد المنظمات الإنسانية الموجودة في أفغانستان والأفراد العاملين بها، ويدافع عن ذلك أمام الأفغان بمبررات أيديولوجية من قبيل التأكيد على أن المنظمات الدولية الإنسانية هي جزء من حرب أوسع نطاقاً على الإسلام، وأن هدفها الرئيسي هو إفساد المسلمين الحقيقيين، وأنها توزع أدوية ضارة على المجتمعات المسلمة، وأنها تتجسس لصالح وكالات الاستخبارات الأجنبية. وفي الوقت

ذاته، يواصل التنظيم تصوير حركة طالبان باعتبارها متعاونًا ضعيفًا وفاسدًا مع القوى الأجنبية الكافرة، وتعتمد على الأجانب لتوفير الخدمات الأساسية للأفغان، وغير قادرة على توفير الحماية لهم، ومن ثم يتم تعزيز المصادقية الجهادية لـ "داعش - خراسان"، مقابل التشكيك في عقيدة طالبان⁶⁸.

■ يحاول "داعش - خراسان" شن حرب اقتصادية ضد حركة طالبان لإلحاق الضرر بحكومتها ومفاجمة حدة التحديات التي تواجهها، وذلك من خلال استهداف البنية الأساسية؛ مثل: ناقلات النفط وخطوط نقل الكهرباء وصهاريج الوقود والبنوك وغيرها⁶⁹. كما يقوم التنظيم باستهداف السياح الأجانب، بهدف عرقلة جهود طالبان لإحياء هذا الملف⁷⁰.

3. السياقات الإقليمية والدولية المضطربة:

تُثبت هجمات "داعش - خراسان" المتصاعدة داخل وخارج الجغرافيا الأفغانية - بما لا يدع مجالاً للشك - قدرة التنظيم على القراءة الجيدة "للجغرافيا السياسية"، واستغلال السياقات الأمنية والسياسية وتنامي الصراعات الجيوسياسية بين المحاور الإقليمية والدولية في تعزيز نشاطه وإثبات حضوره. بعبارة أخرى، يُدرك داعش جيداً انشغال روسيا بالحرب الأوكرانية والولايات المتحدة والقوى الدولية المختلفة بحرب غزة، والتنافس الدولي على النفوذ في منطقة الساحل الأفريقي، وعودة حركة طالبان للحكم في أفغانستان، وغيرها من التطورات الأحداث الإقليمية والدولية شديدة الديناميكية، ويجد في هذا الانشغال مساحة حركة لالتقاط أنفاسه والتخطيط لشن هجماته الإرهابية وتطوير إمكانياته وتعزيز تعداده البشري بضم عناصر جديدة⁷¹، لا سيما أن تلك التطورات تؤثر سلباً في الجهود الإقليمية والدولية لمحاربة الإرهاب من عدة زوايا:

أولاً: تؤدي حالة التنافس الجيوسياسي إلى تقليص مساحة التعاون المعلوماتي والاستخباراتي بين الدول لصالح الصراعات الناشئة، وتُضفي حالة من الضبابية وانعدام الثقة تؤثر سلباً في حسابات المواجهة الاستباقية للتهديدات الإرهابية؛ مما قد يؤدي أحياناً إلى التقليل من خطورة النشاط الإرهابي، وبالتالي تراجع الجهود الأمنية لحدده، مقابل الانخراط في تكتيكات نظريات المؤامرة بشأنه. ويمكن الاستدلال على هذا الطرح بأمثلة

عديدة، أبرزها؛ هجوم "داعش - خراسان" على قاعة كروكوس في روسيا. فعلى الرغم من تحذير السفارة الأمريكية في موسكو قبل أسبوعين من وقوع الهجوم لمواطنيها من أن متطرفين لديهم خطط وشيكة لاستهداف تجمعات كبيرة في موسكو، بما في ذلك الحفلات الموسيقية⁷²، بجانب توارد تقارير تُفيد بأن الولايات المتحدة تبادلت المعلومات الاستخباراتية المتوفرة لديها حول خطة داعش خراسان لشن هجمات في موسكو، وحددت قاعة كروكوس كهدف مُحتمل⁷³، وكذا وجود تقارير تفيد بأن إيران أبلغت روسيا سابقًا بوقوع عملية إرهابية على أراضيها قبل شهر من هجوم كروكوس، استنادًا إلى معلومات حصلت عليها طهران خلال استجواب المعتقلين على خلفية تفجيرات داعش في كرمان مطلع عام 2024⁷⁴ - فإن تلك التحذيرات يبدو أنها قُوبلت بالإنكار من السلطات الروسية التي وصفتها بأنها محاولة لزعزعة الأمن وتشويه سمعة روسيا، بدلًا من أخذها في الاعتبار من قبل الأجهزة الأمنية، وهو ما أدى في النهاية إلى وجود ثغرات أمنية استغلها داعش وقام بشن الهجوم⁷⁵.

وثانيها: تُتيح حالة التجاذبات والتنافس الاستراتيجي على الهيمنة والنفوذ والصراع المُتصاعد بين القوى الفاعلة في النظام الدولي مساحة حركة للتنظيمات الإرهابية لبناء قدراتها وتنظيم صفوفها، كما تعطيها مرونة تكتيكية وحركية في نشاطها العملي، نتيجة تحول اهتمام تلك القوى عن جهود مكافحة ومتابعة النشاط الإرهابي، وتخفيف الدعم المخصص لجهود مكافحة الإرهاب مقابل التركيز على التنافس الجيوسياسي في المجالات المختلفة⁷⁶.

وثالثها: توفر أحداث الصراع المشتعلة في العديد من البؤر الجغرافية مادة خام توظفها التنظيمات الإرهابية بطريقة أو بأخرى في متون إصداراتها الجهادية لاستقطاب عناصر جديدة وتحفيز خلاياها النائمة على استثمار حالة الانفلات الأمني في ممارسة نشاطها، فعلى سبيل المثال، عمد تنظيم داعش إلى الاستفادة من اندلاع الحرب في غزة وأطلق حملة دعائية تحت مسمى "واقتلوهم حيث ثقتهموهم"، دعا فيها أنصاره في شتى أنحاء العالم إلى حشد جهودهم لشن هجمات إرهابية كنوع من أنواع الدعم للقضية الفلسطينية. ورغم أن هذه الحملات تبدو دعائية في جوهرها فإن لها تأثيرات ملموسة على أرض الواقع، وترجمها أفرع التنظيم ميدانيًا بشن المزيد من الهجمات الدامية، لا سيما الفرع الخراساني⁷⁷.

ورابعها: تخلق بيئات الحروب والصراعات بيئة مثالية للتنظيمات الإرهابية لتعزيز صفوفها وممارسة نشاطها، حيثُ أثبتت الشواهد التاريخية أن الاضطرابات والصراعات السياسية بشكل عام تخلق سياقات مُحفزة لتنامي ظاهرة الإرهاب، وهو ما تجسده الحقائق الميدانية المرصودة، فوفقاً للنسخة الحادية عشرة من مؤشر الإرهاب العالمي لعام 2024، كان الصراع هو المُحرك الرئيسي للإرهاب منذ عام 2007، فمن بين 145 ألفاً و376 حالة وفاة مُرتبطة بالإرهاب بين عامي 2007 و2023 وقع 98٪ منها في بلدان مُتورطة في نزاع. وخلال عام 2023 حدثت 98٪ من إجمالي الوفيات الناجمة عن الإرهاب في البلدان التي تُعاني من مستوى مُعين من الصراع، بانخفاض طفيف عن 99٪ عام 2022. ووفقاً للمؤشر تُميل الهجمات الإرهابية إلى أن تكون أكثر فتكاً في المناطق الجغرافية التي تشهد صراعات أكثر من غيرها، بمتوسط ما يقرب من 3 أشخاص لكل هجوم في بلدان النزاع خلال 2023، مُقارنةً بـ 0,04 شخص لكل هجوم خارج مناطق النزاع⁷⁸.

4. أهمية أفغانستان بالنسبة للتنظيمات الإرهابية:

يمكن إرجاع حرص تنظيم داعش على إعادة إحياء نشاط الفرع الخراساني لداعش في أفغانستان بعد مرحلة الخفوت العملياتي، إلى الأهمية المحورية التي تتمتع بها الأخيرة في نظر التنظيم وغيره من التنظيمات الإرهابية الأخرى، وذلك لعدة أسباب رئيسية؛ أولها: تخلق تأثيرات الجغرافيا السياسية، والتكوين العرقي المعقد لأفغانستان، وتاريخ الصراعات الممتدة التي شهدتها البلاد لعقود بيئة خصبة للتنظيمات الإرهابية للتمدد، والتنافس فيما بينها للسيطرة على الساحة الجهادية، واستقطاب عناصر جديدة⁷⁹. وثانيها: تحمل الدولة الأفغانية مكانة ذات دلالة رمزية كبيرة في فكر هذه التنظيمات، بما تحمله التجربة الأفغانية من أحداث الجهاد ضد الاحتلال السوفيتي، وصعود إمارة طالبان الأولى، وصولاً إلى مقاومة الاحتلال الأمريكي، حيث باتت مسألة وجود موطئ قدم، أو المشاركة في الجهاد بأفغانستان عرقاً سائداً في الأوساط الجهادية لقبول ادعاء أي تنظيم إرهابي بسيادته وقوته العسكرية والتنظيمية. وعليه، اتجه تنظيم داعش إلى فرض وجوده في أفغانستان، بغرض رفع معنويات مقاتليه، واستقطاب عناصر جديدة⁸⁰.

وثالثها: تُسهم الطبيعة التضاريسية الوعرة لأفغانستان في تحويلها إلى بيئة حاضنة للعنف والتنظيمات المتشددة، سواء التي تتبنى استراتيجية محلية كحركة طالبان التي يقتصر نشاطها على الجغرافيا الأفغانية، أو التنظيمات الأخرى التي تتبنى أجندة عالمية تهدف من خلالها إلى السيطرة على ساحة الجهاد المعولم دون التقيد بحدود أفغانستان، كتنظيم القاعدة و"داعش - خراسان"؛ حيث توفر المناطق الجبلية شاهقة الارتفاع ملاذات آمنة لتلك التنظيمات للاختباء وتدشين معسكراتها، وتعطيهم ميزات تكتيكية تساعد على المناورة أمام ضربات مكافحة الإرهاب، ومن ثمّ تستطيع إعادة إحياء نشاطها بعد تعرضها لانتكاسات ميدانية⁸¹.

ثالثاً: ملامح وسمات نشاط "داعش - خراسان"

يستعرض هذا الجزء بنظرة (الطائر المحلق) مجموعة من السمات الرئيسية التي يُميّز بها نشاط فرع "داعش - خراسان"؛ مما يسهم في فهم فلسفة تحركات التنظيم، وديناميكيات عمله، واستشراف مستقبل نشاطه. وذلك استناداً على أمرين؛ الأول: الإحصائيات والأرقام الواردة في التقارير حول هجمات الفرع الخراساني لداعش. والثاني: القراءة التفصيلية لحثيات وتفصيل الهجمات الكبرى التي نفذها التنظيم منذ عودة حركة طالبان إلى الحكم في أفغانستان. وفيما يلي أبرز هذه السمات:

1. تنفيذ هجمات نوعية مُثيرة للجدل:

ترتبط هذه السمة بقدرة تنظيم داعش على القراءة الجيدة للجغرافيا السياسية، وتوظيف أحداثها وسياقاتها بما يخدم أهدافه التنظيمية؛ حيث يُعتمد التنظيم إلى إعداد مخططات زمنية لتنفيذ هجماته في سياقات معينة تُعزز من المكاسب التي يحصدها من وراء كل هجوم. وقد تبين من متابعة نشاط "داعش - خراسان" أن هجماته لا تخلو من المضامين السياسية، وتتشابه في إثارتها ردود فعل جدلية واسعة النطاق، ويُمكن في هذا الإطار نمذجة ردود الأفعال المتباينة على هجومات التنظيم على قاعة كروكوس

في روسيا في مارس 2024، والتفجيرات التي نفذها في كرمان بإيران في يناير 2024، وكذلك هجماته الممتدة ضد حركة طالبان، على النحو التالي:

أولاً: بالنسبة لهجوم التنظيم على قاعة "كروكوس" للحفلات في ضاحية كراسنوغورسك شمال غرب العاصمة موسكو، نجد أن توقيت تنفيذ الهجوم جاء في سياقات زمنية مُرتبطة بالتصعيدات الأخيرة بين روسيا وأوكرانيا والقوى الغربية على خلفية الحرب الأوكرانية المُستعلة منذ مطلع عام 2022، وهو ما تسبب في موجة من السجلات والانتهاكات بينهما بشأن الجهة التي نُفذت الهجوم⁸². ورغم أن تنظيم داعش أعلن بعد ساعات قليلة من الهجوم مسؤوليته عن تنفيذه، ووثقه بمقطع فيديو بثته وكالة أعماق التابعة له، فضلاً عن أن حيثيات تنفيذ الهجوم التي جاءت داعشية بامتياز؛ فإن الهجوم انتقل إلى معركة إلقاء لوم مُتبادل بين روسيا وأوكرانيا والولايات المتحدة مع اتهامات روسية بضلوع كيف في تنفيذه⁸³.

ثانياً: بخصوص التفجيرات التي شنها التنظيم في مدينة كرمان الإيرانية، نجد أنها جاءت في سياقات زمنية مُرتبطة بالصراع بين إسرائيل وإيران على خلفية الحرب في غزة، وهو ما تسبب في خلق حالة جدل دولي واسعة النطاق حول الجهة التي نفذتها. ورغم أن مؤسسة الفرقان (الذراع الإعلامي لداعش) أصدرت بياناً زعمت فيه مسؤولية التنظيم عن تنفيذ التفجيرات - فإن هذا الإعلان لم يكن كافياً لوقف سيل التكهّنات والسجلات والانتهاكات التي تبادلتها الأطراف المختلفة بشأنها، حيث أصر المسؤولين الإيرانيون على إلقاء اللوم على إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، ووصل الأمر إلى حد إشارة البعض بأصابع الاتهام إلى النظام الإيراني نفسه⁸⁴.

ثالثاً: فيما يتعلق بهجمات التنظيم ضد حركة طالبان، نجد أنه رغم ما تشكّله هذه الهجمات من تأثيرات وتهديدات ملموسة للحركة، فإن الأخيرة كثيراً ما تحرص على تصنيفها ضمن نظريات المؤامرة، وتتهم الولايات المتحدة الأمريكية بالوقوف وراءها. على سبيل المثال: بعد أن أصدرت القيادة المركزية الأمريكية تقريراً في مارس 2022، يُشير إلى أن تنظيم "داعش - خراسان" قد نما في ظل حكم طالبان، ردّت الحركة بأن هذه التقارير لا تتجاوز كونها "دعاية استخباراتية"، وأن داعش كانت مجرد مشروع استخباراتي للاحتلال الأمريكي، وانتهى تماماً، وليس له وجود مادي في أفغانستان⁸⁵.

ويتبين من العرض السابق، أن التصريحات الرسمية والنقاشات والتحليلات التي تُؤطر هجمات "داعش - خراسان" بنظريات المؤامرة، اتخذت حيزاً أكبر بكثير من الالتفات إلى ما تتضمنه تلك الهجمات من دلالات ومؤشرات على تنامي خطر التنظيم، وهو ما يدفعنا إلى القول إن التنظيم يعتمد تنفيذ هجمات كبرى في سياقات زمنية مُثيرة للجدل، لتحقيق مجموعة من الأهداف؛ الأول: ثني أنظار الدول عن تمدد نشاطه، وتشتيت جهود محاربه؛ ذلك لأن الانخراط في سرديات نظريات المؤامرة، يخلق حالة من الضبابية الجيوسياسية حول حقيقة تنامي قدرات التنظيم على تنظيم الهجمات في مناطق مختلفة، ويربك حسابات الأجهزة الأمنية في تعقب خطره، فضلاً عن أن تبادل الاتهامات بين الدول يُقلص من مساحات التعاون فيما بينها في ملف مكافحة الإرهاب. والثاني: كسب زخم إعلامي كبير يوظفه التنظيم بشكل أو بآخر في جهوده الدعاية الرامية إلى تجنيد عناصر جديدة. والثالث: مُقاومة حدّة الصراعات الجيوسياسية بين الدول، وتوسيع هوة الخلافات فيما بينها. ولتحقيق هذا الهدف يلجأ التنظيم في بعض الأحيان إلى اتباع استراتيجية تُسميها أدبياته بـ (استراتيجية الصمت الاستراتيجي)، والتي يقوم فيها بإخفاء مسؤوليته عن تنفيذ بعض الهجمات، بهدف بثّ الفرقة وتعزيز مساحة الشكوك بين الدول⁸⁶.

2. استهداف تجنيد حاملي الجنسية الطاجيكية:

لُوحظ اقتران مُنفذ عدد كبير من هجمات "داعش - خراسان" بـ "العرق الطاجيكي؛ فقد اضطلع العديد من الطاجيك الذين نجح التنظيم في استقطابهم لصفوفه في تنفيذ عشرات الهجمات ضد حركة طالبان في أفغانستان، وكذا أعلنت بعض الدول الأوروبية خلال العامين الماضيين عن إلقاء القبض على عشرات العناصر الداعشية التي حاولت تنفيذ هجمات إرهابية على أراضيها، وكان من بينهم عناصر طاجيك⁸⁷. ورغم أن ظاهرة الإقبال المُلفت من الطاجيك للعمل في صفوف داعش يُمكن إيعازها إلى أسباب وتفسيرات عديدة، فإن أبرزها هو فاعلية جهود التنظيم الدعاية الرامية إلى استقطاب عناصر جديدة؛ فمن بين دول آسيا الوسطى تبرز طاجيكستان في مُقدّمة الدول التي يعتبرها داعش أرضاً خصبةً للتجنيد، وقد أطلق التنظيم خلال عامي 2023 و2024 حملة دعائية كبيرة عبر منصاته الإعلامية المُختلفة استهدفت استقطاب

عناصر متشددة من طاجيكستان، وركز على ترجمة الكثير من متونه الجهادية إلى اللغة الطاجيكية، وكذا أنشأ قنوات على تطبيقات "تليجرام" و"تيك توك" وغيرهما من منصات التواصل الاجتماعي لبث دعاية تستهدف الطاجيك⁸⁸. وفي السياق ذاته، أفادت بعض المعلومات الاستخباراتية التي تمت مشاركتها في تقرير حديث للأمم المتحدة بشأن نشاط داعش بأن فرعه الخراساني نجح في تجنيد مقاتلين ذوي خبرة من جماعة "أنصار الله" وهي جماعة متطرفة مخضمة في طاجيكستان، بالإضافة إلى آخرين في وسط آسيا⁸⁹.

3. الاهتمام بتحقيق مكاسب دعائية كبيرة:

يعمد "داعش - خراسان" إلى تنفيذ عمليات نوعية ذات أهداف عالية التأثير، يسهم تسليط الضوء الإعلامي عليها في زيادة رأس ماله وشهرته في الأوساط الجهادية، وتجعله حاضراً بقوة في الساحات الإعلامية، وتُساعده كذلك في جهوده الدعائية الرامية إلى تجنيد عناصر جديدة. وقد لوحظ حرص التنظيم على الخروج بأكبر قدر من المكاسب الدعائية بعد كل هجوم ينجح في تنفيذه، لا سيما هجماته الكبرى⁹⁰، فعلى سبيل المثال، قام "داعش - خراسان" بعد شن هجومه على قاعة كروكوس بروسيا، بجذب انتباه وسائل الإعلام الدولية، من خلال إعلانه أكثر من مرة عبر منصاته الدعائية عن تبنيه للهجوم، وبثه لقطع فيديو يوثق ذلك، واحتفاء عناصره عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة باللغات المختلفة، وبث كلمة صوتية للمتحدث باسم التنظيم "أبي حذيفة الأنصاري" تضمنت الإشادة بنجاح فرع خراسان في تنفيذ الهجوم، فضلاً عن أفراد مساحة كبيرة من متن العدد (436) من صحيفة النبأ الأسبوعية للحديث عن تفاصيل الهجوم وأهدافه⁹¹.

وكذا استمرار بعض منصات التواصل التابعة لداعش خراسان في نشر ملصقات دعائية مكتوبة بعدة لغات (الباشتو والفارسية والأوزبكية والروسية) تتوعد بشن هجمات جديدة ضد الروس بما في ذلك بوتين انتقاماً من التعذيب الذي ألحقته قوات الأمن الروسية بمنفذي الهجوم الأربعة، وكلها جهود تُضاف إلى مخزون داعش الاستراتيجي من الانتصارات التي يستفيد منها في عمليات التجنيد والاستعراض الجهادي، وفي مُفاكمة التأثيرات النفسية وحالة الهلع والخوف الناجمة عن هجماته. كما يستفيد داعش من حالة الزخم الإعلامي المُتشكلة حول هجماته الكبرى في التغطية

على بعض النكسات الميدانية التي تعرض لها خلال الأعوام الأخيرة، والتي أفقدته الكثير من موارده المالية والقيادية على مستوى أفرعه المختلفة لا سيّما بالعراق وسوريا⁹².

4. اتباع استراتيجية ذات بعد إقليمي ودولي:

يسعى "داعش - خراسان" إلى إثبات حضوره وترسيخ نفوذه القوي في ساحة الجهاد المعلوم، كتنظيم جهادي يتّبع استراتيجية "الأقلمة والتدويل" في نهجه الدعائي، والعملياتي والتجنّيدي، ويستهدف من نشاطه رقعة جغرافية مُتسعة تمتد عبر وسط وشرق آسيا وليس مُجرد فرع محلي من أفرع داعش النشطة في أفغانستان⁹³. فمنذ أن استعاد التنظيم نشاطه المُكثف على الجغرافيا الأفغانية ضد عناصر ومعاقل حركة طالبان، بدأت بوصلة عملياته تتجه نحو أهداف ذات طابع أجنبي من قبيل مقار السفارات وروايا الدول الأجنبية في أفغانستان، ثم اتجه بعد ذلك إلى تعديل استراتيجيته وتوسيع دائرة نشاطه إلى خارج الأراضي الأفغانية لتشمل دول المحيط الإقليمي كباكستان وإيران ودول آسيا الوسطى وروسيا وتركيا، والعديد من الدول الأوروبية كألمانيا وفرنسا والسويد، واتسع النطاق الجغرافي لنشاط التنظيم كذلك ليشمل الولايات المتحدة الأمريكية⁹⁴.

وتنعكس استراتيجية "الأقلمة والتدويل" التي يتّبعها التنظيم كذلك على المكون البشري لهيكله؛ إذ لا يقتصر على المقاتلين المحليين المنتمين لعرقية البشتون في أفغانستان وباكستان، بل هناك اتجاه تصاعدي في عدد الطاجيك والأوزبك والأجانب المُشاركين في صفوف التنظيم. ومن اللافت حرص "داعش - خراسان" على أن تكون هويات وعرقيات وجنسيات منفذي هجماته تحمل رسائل عديدة، وكان يستهدف إبراز ذلك بشكل واضح في التفاصيل التي يعلنها بعد كل هجوم، فمثلاً منفذو الهجمات المنتمون للعرقيات غير البشتونية في أفغانستان، وخصوصاً من الطاجيك والأوزبك تعكس قدرة التنظيم على التمدد في المناطق الشمالية؛ إذ توجد معاقل المقاومة التاريخية ضد طالبان⁹⁵، واختيار منفذي الهجمات من أقلية الإيجور، يتضمن رسائل تحذيرية ضمنية للصين، تُفيد أن التنظيم نجح بالفعل في استقطاب عدد من عناصر هذه الأقلية التي لطالما كانت مصدر خوف لبكين من انتقال تأثيراتها إلى منطقة

شينجيانغ الصينية المتاخمة للحدود مع أفغانستان. وبشكل عام، أسهمت ازدواجية هيكل التنظيم الجامع بين العناصر المحلية والأجنبية من الناحية الاستراتيجية في قدرته على البقاء والتكيف بسرعة⁹⁶.

5. تعزيز التنافسية الجهادية:

ثمة أبعاد تنافسية يُمكن قراءتها في حسابات وأهداف داعش خراسان من وراء تنفيذ غالبية هجماته النوعية الكبرى ذات الأهداف عالية القيمة والتأثير؛ إذ يتنافس التنظيم مع باقي أفرع داعش لتأمين المزيد من الدعم والموارد، وكذا مع باقي الجماعات الإرهابية الأخرى النشطة في جنوب ووسط آسيا، لا سيما حركة طالبان وأفرع تنظيم القاعدة، لإظهار قدرته أمام مُنافسيه على تنفيذ هجمات أكثر جرأة وعنفاً، ولتأكيد هيمنته ونفوذه في مشهد جهادي مُزدحم⁹⁷.

6. تنفيذ هجمات ذات طابع ثأري:

رغم أن استهداف حركة طالبان جاء على قمة أهداف "داعش - خراسان"، فإن التنظيم وضع أهدافاً أخرى تتسق مع أهداف الفرع المركزي لداعش، ومنها الثأر من القوى والفواعل الدولية التي حاربتَه وتسببت في هزيمته العسكرية بمعاقله التقليدية بالعراق وسوريا. فعلى سبيل المثال، يقوم التنظيم باستهداف الولايات المتحدة الأمريكية للثأر من حملتها ضد التنظيم، وقيادتها للتحالف الدولي لمكافحته. وكذا يستهدف روسيا للانتقام من ضلوعها في الحرب عليه في سوريا وأفريقيا، ودورها في تضيق الخناق على نشاطه في القوقاز وآسيا الوسطى، وعلاقاتها الوثيقة مع خصومه الرئيسيين كالحكومتين السورية والإيرانية وحركة طالبان. ويُغذي تلك الدوافع الانتقامية العداة التاريخي لمقاتلي التنظيم المنحدرين من دول آسيا الوسطى مع روسيا على خلفية الحرب السوفيتية في أفغانستان ثمانينيات القرن الماضي. وبالمثل، كانت ألمانيا هدفاً لتنظيم "داعش خراسان"، بسبب تحالفها العسكري مع الولايات المتحدة ومشاركتها في مهام مكافحة الإرهاب الدولية في سوريا والعراق وأفغانستان⁹⁸.

وختامًا:

شهد نشاط تنظيم "داعش - خراسان" منذ عودة حركة طالبان للحكم بأفغانستان في أغسطس عام 2021، تطورًا ملحوظًا عكسته جُملة من المؤشرات؛ من بينها اتساع جغرافية نشاط التنظيم خارج نطاق الدولة الأفغانية لتشمل نطاقات جغرافية جديدة وسط وجنوب آسيا وفي العديد من الدول الأوروبية، بجانب تصاعد التحذيرات من خطورة التنظيم على الأمن الإقليمي والدولي، فضلًا عن تطور المنتج الإعلامي لـ "داعش - خراسان" بشكل لافت، سواء على صعيد الكثافة العددية، أو على صعيد تمده بلغات عديدة، وتوسيع نطاقات الجمهور المُستهدف. ويُمكن القول إن هذا التطور جاء مدفوعًا بعدد من العوامل؛ لعل أبرزها: الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، وسيطرة حركة طالبان على الحكم في البلاد، إلى جانب التأثيرات السلبية للانشغال الدولي في الصراعات الجيوسياسية والحروب المتصاعدة، على جهود مكافحة الإرهاب؛ مما أتاح للتنظيم فرصة لترميم صفوفه واستعادة نشاطاته مُجددًا. غير أن صحوۃ "داعش - خراسان" في هذه المرحلة تبدو أكثر عنفًا واتساعًا عن المراحل السابقة، في ضوء قيام التنظيم بتطوير أدواته وتطويع استراتيجيته بشكل مُستمر للتكيف مع التطورات الميدانية بمرونة على النحو الذي يسهم في ديمومة نشاطه في نطاقات جغرافية بديلة إذا ما تعرض لضربات في مناطق أخرى.

ورغم أن مؤشرات تصاعد تهديد "داعش - خراسان" دفعت حركة طالبان إلى شن حرب عسكرية ضد معاقل وأوكار التنظيم داخل أفغانستان، وكذا استجابت دول وسط وجنوب آسيا والدول الأوروبية، برفع حالة التأهب الأمني وإحباط الكثير من هجمات التنظيم، وتفكيك العديد من خلاياه، واعتقال العشرات من عناصره، فإن هذا لا يعني قدرة هؤلاء الفواعل على تطويق خطر "داعش - خراسان" بشكل كامل، في ظل وجود بعض التحديات والثغرات التي قد ينجح التنظيم على إثرها في إحداث خروقات أمنية وتنفيذ هجمات دامية خلال الفترات المُقبلة، من بينها:

- اعتماد تحركات "داعش - خراسان" في الفترة الأخيرة على استراتيجية جديدة تركز بشكل كبير على أنماط عمليات "الذئاب المنفردة" للاستفادة؛ مما يوفره

هذا التكتيك من صعوبة في تعقب العمليات الإرهابية والمُخططين لها أو التنبؤ بها قبل وقوعها.

■ شيوع استخدام "داعش - خراسان" لأسلوب "المُناورة التكتيكية" لتضليل الأجهزة الأمنية بشأن التوقيات المُتوقعة لشن هجماته. بمعنى آخر يعتمد التنظيم إلى خداع الأجهزة الأمنية والاستخباراتية بالترويج عبر أدواته الدعائية لموعد (مزيف) لهجماته المزمعة، على أن يقوم على تنفيذها لاحقًا في توقيات مُغيرة بعد انخفاض حالة التأهب الأمني.

■ تركيز "داعش - خراسان" على تحفيز عناصره، لا سيما في الدول الأوروبية، على اتباع التكتيكات السهلة كحوادث الدهس والطعن وغيرها. وهذا النوع من التكتيكات يوفر للتنظيم ميزات عديدة؛ من بينها إمكانية التسلّل من بين القيود الأمنية، كونها يصعب التنبؤ بها قبل وقوعها، وضمان إحداث خسائر معنوية واقتصادية، فهذا النوع من الهجمات حتى وإن أحدث خسائر بشرية محدودة، فإن تداعياتها المعنوية تكون كبيرة، ناهيك عن أن تنفيذها لا يحتاج إلى تدريب احترافي، ولذا فهي تسهل على التنظيم مهمة إعداد مُنفذها.

قائمة المراجع:

1. Krzysztof Strachota, "Islamic State-Khorasan: global jihad's new front", Centre for Eastern Studies (OSW), March 29, 2024, Accessed August 6, 2024, <https://2h.ae/AqXq>.
2. كان "حافظ خان سعيد" أحد قادة حركة طالبان الباكستانية السابقين، حيثُ عمل كمسؤول عن العمليات التي تنفذها الحركة في منطقة أوراكزي الواقعة ضمن المناطق القبلية الخاضعة للإدارة الفيدرالية في باكستان. وقد أتاح انضمامه وغيره من قادة طالبان باكستان الآخرين، فرصة لـ "داعش - خراسان"، لتجنيد عناصر جديدة، وتثبيت أقدامه في المناطق الحدودية بين باكستان وأفغانستان.
3. Borhan Osman, "The Islamic State in 'Khorasan': How it began and where it stands now in Nangarhar", Afghanistan Analysts Network, Jul 27, 2016, Accessed August 6, 2024, <https://2h.ae/YRBg>.
4. محمد يوسف، "لماذا تستهدف هجمات داعش آسيا الوسطى؟"، وكالة أنباء الأناضول، 29 مارس 2024، تاريخ الدخول: <https://2h.ae/Dzqg>، مارس 2024.
5. Catrina Dosee and Jared Thompson, "Examining Extremism: Islamic State Khorasan Province (ISKP)", Center for Strategic & International Studies, September 8, 2021, Accessed August 6, 2024, <https://2h.ae/ntoy>.
6. Abdul Sayed, "ISIS-K is ready to fight the Taliban. Here's how the group became a major threat in Afghanistan", the Washington post, August 29, 2021, Accessed August 6, 2024, <https://2h.ae/NTfG>.
7. Laurel Miller and others, "final report: Senior Study Group on Counterterrorism in Afghanistan and Pakistan", United States Institute of Peace, May 2024, Accessed August 8, 2024, <https://2h.ae/kCET>.
8. "التقرير السابع عشر للأمن العام عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) للسلام والأمن الدوليين وعن نطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعماً للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد"، مجلس الأمن، 31 يوليو 2023، تاريخ الدخول: <https://2h.ae/DJil>، أغسطس 2024.
9. Fatema Hosseini, "How ISIS-K killed Americans, beat the Taliban, and massacred 140 people in Moscow", USA today, 2 April 2024, accessed August 8, 2024, <https://2h.ae/UXXV>.
10. ISIS in Afghanistan Has Capacity to Attack across Region, Reports AUF", Afghanistan international, Jun 5, 2024, accessed August 8, 2024, <https://2h.ae/MsxS>.
11. Eliza Mackintosh and others, "'No one feels safe': The Taliban promised to provide security to Afghans. New data shows threat from ISIS is growing", cnn, May 19, 2023, accessed August 9, 2024, <https://2h.ae/QJDg>.
12. Alexander Palmer and Mackenzie Holtz, "The Islamic State Threat in Pakistan: Trends and Scenarios", Center for Strategic & International Studies, August 3, 2023, accessed August 9, 2024, <https://2h.ae/JQRU>.
13. كارولين ديفيز وأدم دوربين، "مقتل 44 شخصاً على الأقل في هجوم انتحاري" استهدف مؤتمراً لحزب إسلامي في باكستان"، بي بي سي، 30 يوليو 2023، تاريخ الدخول: <https://2h.ae/tHCK>، 12 أغسطس 2024.
14. "داعش يتبنى الهجوم الدامي على مسجد للشيعية في باكستان"، الحرة، 4 مارس 2022، تاريخ الدخول: <https://2h.ae/oXWM>، أغسطس 2024.
15. زاهد حسين، "العنف المسلح يلقي بظلاله على الانتخابات الباكستانية"، انديبنندنت عربية، 17 ديسمبر 2023، تاريخ الدخول: 15 أغسطس 2024، <https://2h.ae/BegJ>.
16. Georgi Asatrian, "The Taliban can contribute to the fight against IS-K", modern diplomacy, April 18, 2024, accessed August 17, 2024, <https://2h.ae/dLzM>.
17. Ayaz Gul, "Islamic State Khorasan Claims Rocket Attack on Uzbekistan", voice of America, April 18, 2022, accessed August 9, 2024, <https://2h.ae/OcMI>.
18. "داعش خراسان.. استراتيجيته وهجماته ومستقبله"، وكالة أنباء شفقنا، 8 مايو، 2024، تاريخ الدخول: 12 أغسطس 2024، <https://2h.ae/OlZG>.
19. Sudha Ramachandran, "ISKP Attacks in Uzbekistan and Tajikistan", The Central Asia-Caucasus Institute, August 31, 2022, accessed August 9, 2024, <https://2h.ae/MWWz>.
20. "Moscow attack: Italy joins France in raising security level", Deutsche Welle, March 25, 2024, accessed August 9, 2024, <https://2h.ae/NQMr>.

21. Lynne O'Donnell, "Europe is walking the terror tightrope", the new European, May 22, 2024, accessed August 7, 2024, <https://2h.ae/ZJGt>.
22. "داعش يتبنى هجوم موسكو المسلح"، سكاي نيوز عربية، 23 مارس 2024، تاريخ الدخول: 15 أغسطس 2024، <https://2h.ae/MCvH>.
23. محمد بوشيعي، "دوافع استهداف تنظيم داعش لدور العبادة في تركيا" مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 12 فبراير 2024، تاريخ الدخول: 11 أغسطس 2024، <https://2h.ae/hoOU>.
24. "إصابة ستة أشخاص في عملية طعن على متن حافلة غربي ألمانيا"، دويتشه فيلة، 31 أغسطس 2024، تاريخ الدخول: 15 سبتمبر 2024، <https://2h.ae/Nsfl>.
25. "Islamic State Threat to the West and New Campaign Targeting Sporting Events", the soufan center, April 26, 2024, accessed August 13, 2024, <https://2h.ae/ycPR>.
26. Petter Nesser and Wassim Nasr, "The Threat Matrix Facing the Paris Olympics", Combating Terrorism Center, June 2024, accessed August 16, 2024, <https://2h.ae/tyJD>.
27. Dan Lamothe and Joby Warrick, "Afghanistan has become a terrorism staging ground again, leak reveals", The Washington Post, April 22, 2023, accessed August 13, 2024, <https://2h.ae/poXM>.
28. أحبطت أجهزة الشرطة والأمن الأوروبية خلال عامي 2023 و2024 العديد من الهجمات التي كان "داعش - خراسان" يخطط لتنفيذها، منها إحباط محاولة استهداف أسواق عيد الميلاد والكاتدرائيات في ألمانيا في ديسمبر 2023، وحفل موسيقي في بلجيكا في مارس 2024، والبرلمان السويدي في مارس 2024، وكنائس وضباط شرطة في ألمانيا في إبريل 2024، والجاليات اليهودية ومسؤولي الأمن في بريطانيا في مايو 2024.
29. Janatan Sayeh, "ISKP's transnational reemergence", long war journal, June 10, 2024, accessed August 13, 2024, <https://2h.ae/eium>.
30. "Islamists used Ukraine as transit on way to EU — German authorities", Russian news agency, accessed August 13, 2024, <https://2h.ae/jlKj>.
31. "The Terrorist Threat in Germany and Its Link with the post-Soviet Space", special Eurasia, January 9, 2024, accessed August 13, 2024, <https://2h.ae/thmp>.
32. "التقرير التاسع عشر للأمن العام عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) للسلام والأمن الدوليين وعن نطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعماً للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد"، مجلس الأمن، 31 يوليو 2024، تاريخ الدخول: 12 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/Zg3fG6Qw>.
33. Margaret Besheer, "UN sees rising threat of IS-Khorasan attacks outside Afghanistan", voice of America, August 8, 2024, accessed August 26, 2024, <https://linksshortcut.com/bMtfX>.
34. "داعش - خراسان يعيد أجواء ما قبل أحداث 11 سبتمبر.. إرهاب بدفعة تكنولوجية"، العين الإخبارية، 1 أغسطس 2024، تاريخ الدخول: 22 أغسطس 2024، <https://2u.pw/uxzdMu3W>.
35. Fatema Hosseini, "How ISIS-K killed Americans, beat the Taliban, and massacred 140 people in Moscow", USA today, April 2, 2024, accessed August 13, 2024, <https://2u.pw/R7Z1lq2N>.
36. Riccardo Valle, "Islamic State Khurasan Province threatens Uzbekistan, Central Asia, and neighbouring countries", special Eurasia, May 5, 2022, accessed August 26, 2024, <https://2u.pw/vJW9wt57>.
37. Amira Jadoon and others, "The Enduring Duel: Islamic State Khorasan's Survival under Afghanistan's New Rulers", Combating Terrorism Center, August 2023, accessed August 23, 2024, <https://2u.pw/9IvRM6rV>.
38. Uran Botobekov, "New ISIS-Khorasan Propaganda Tactics Target United States", Homeland Security Today, April 3, 2023, accessed August 26, 2024, <https://2u.pw/B5k8NEoV>.
39. منى قشطة، "تناهي التهديد... تداعيات تمدد "داعش-خراسان" في وسط وجنوب آسيا"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 8 يونيو 2022، تاريخ الدخول: 15 أغسطس 2024، <https://2u.pw/S9HBh97P>.
40. "مراسلة CNN كلابريسا وارد تجري مقابلة مُرعبة مع زعيم في داعش خراسان"، سي إن إن عربي، 29 أغسطس 2021، تاريخ الدخول: 22 سبتمبر 2024، <https://linksshortcut.com/UgKTQ>.

41. "التقرير السابع عشر للأمن العام عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) للسلام والأمن الدوليين وعن نطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعمًا للدول الأعضاء في مكافحة التهديد"، مجلس الأمن، 31 يوليو 2023، تاريخ الدخول، 27 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/MkInC>.
42. "طالبان طرقت أبوابهم.. مخبرون وعسكريون أفغان ينضمون لداعش"، موقع العربية نت، 2 نوفمبر 2021، تاريخ الدخول: 17 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/TpVWs>.
43. Eric Tucker, "FBI arrests Afghan man who officials say planned Election Day attack in the US", AP news, October 9, 2024, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/QYtXF>.
44. منى قشطه، "بعد تفجيري مطار كابول.. هل تفرض ولاية "داعش-خراسان" نفسها على المعادلة الأفغانية؟"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 26 أغسطس 2021، تاريخ الدخول: 13 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/vnjIm>.
45. Charlie Turner, "The Hidden War between ISIS and the Taliban", Wall Street Journal, 27 august 2021, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/hvwqI>.
46. Eric Schmitt, "What We Know about ISIS-K, the Group That Claimed Responsibility for the Moscow Attack", New York Times, March 22, 2024, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/UfZy>.
47. Nadeem Ahmed Moonakal, "Can the Taliban contain Islamic State in Afghanistan?", lowy institute, Sep 1, 2023, accessed August 3, 2024, <https://linksshortcut.com/sxaOn>.
48. Ankit Panda, "Why the Taliban Wants ISIS Out of Afghanistan", the diplomat, June 18, 2015, accessed August 3, 2024, <https://cutt.us/uBFHi>.
49. Atal Ahmadzai, "Islamic State-Khorasan's Transition into a Transregional Threat", the diplomat, November 11, 2022, accessed August 3, 2024, <https://linksshortcut.com/ATSAH>.
50. عبدالحى مطمئن، "الملاحم عمر وطالبان وأفغانستان"، ترجمة: أحمد مولانا وأنس خضر، (سوريا: مركز الخطابي للدراسات، 2022)، صص 313-318.
51. Aaron Y. Zelin, "The Islamic State Attacks the Islamic Republic", Washington institute, Oct 31, 2022, accessed August 6 2024, <https://linksshortcut.com/oaJVI>.
52. مختار وفائي، "داعش وطالبان" يخوضان حربا عبر الإنترنت، اندبندنت عربية، 27 نوفمبر 2023، تاريخ الدخول: 9 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/riIsj>.
53. محمد خير موسى، "طالبان.. الخلفية الشرعية، والفرق مع القاعدة وداعش، وإمكان التطور"، موقع الجزيرة نت، 17 أغسطس 2021، تاريخ الدخول: 15 سبتمبر 2024، <https://linksshortcut.com/uPuLA>.
54. "داعش والقاعدة وطالبان.. نقاط تشابه وأوجه خلاف"، موقع الحرة، 1 سبتمبر 2021، تاريخ الدخول: 14 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/QBbpW>.
55. منى قشطه، "هجوم لوتجان... هل يتجه داعش خراسان لاستهداف المصالح الصينية؟"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 21 ديسمبر 2022، تاريخ الدخول: 16 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/JfKdL>.
56. منى قشطه، "توظيف السياقات.. دلالات هجومي داعش في كرمان الإيرانية"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 9 يناير 2024، تاريخ الدخول: 6 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/NCPhU>.
57. Jeff Seldin, "Tenuous Taliban control gives life to al-Qaida, Islamic State", voice of America, July 10, 2024, accessed August 6 2024, <https://linksshortcut.com/fBrLU>.
58. Asfandyar Mir, "What Does IS-K's Resurgence Mean for Afghanistan and Beyond?", The United States Institute of Peace, September 21, 2021, accessed August 2, 2024, <https://linksshortcut.com/EnZpS>.
59. "Issue 31 Of ISKP's Pashtu-Language Magazine 'Khurasan Ghag': Shi'ites Are Jews' First Line Of Defense; They Aid Crusaders' Invasion Of Sunni States To Later Take Control", The Middle East Media Research Institute, June 6, 2024, accessed August 2, 2024, <https://linksshortcut.com/lpWpd>.
60. "Terrorist Groups in Afghanistan", congressional research service, April 2, 2024, accessed August 2, 2024, <https://linksshortcut.com/mYIJp>.
61. عبد الله المدني، "عودة دواعش أفغانستان إلى الواجهة"، موقع العربية نت، 11 أبريل 2023، تاريخ الدخول: 11 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/FzEUa>.

62. "Increase in claimed ISKP attacks in Afghanistan", afghan witness, Nov 10, 2023, accessed August 2, 2024, <https://linksshortcut.com/xPFCJ>.
63. "قتله وفخخ جنازته.. انفجار داخل مسجد في أفغانستان"، موقع العربية نت، 8 يونيو 2023، تاريخ الدخول: 11 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/yLEDx>.
64. "ISKP resurface with Badakhshan attack killing Taliban acting governor", afghan witness, accessed August 12, 2024, <https://linksshortcut.com/MAVqO>.
65. "Afghanistan: ISIS Group Targets Religious Minorities", Human Rights Watch, September 6, 2022, accessed August 27, 2024, <https://cutt.us/azXEL>.
66. منى قشطة، "أهداف ثمينة.. دلالات استهداف داعش خراسان لحاكم ولاية بلخ الطالباني"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 21 مارس 2023، تاريخ الدخول: 11 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/eQZLz>.
67. Claire Parker, "How strong is the Islamic State in Taliban-ruled Afghanistan?", Washington post, August 18, 2022, accessed August 22, 2024, <https://cutt.us/ZycSc>.
68. Andrew Mines, "Refuting the Lying Tongues": Unpacking the Islamic State Khorasan Province's Campaign against Humanitarians in Afghanistan", The Program on Extremism at George Washington University, February 2023, accessed August 3, 2024, <https://cutt.us/Iwvsa>.
69. "ISKP: Group re-emerges after two-month gap in activity",
70. "تنظيم "داعش" يتبنى هجوما استهدف سياحا في وسط أفغانستان"، اندبندنت عربية، 20 مايو 2024، تاريخ الدخول: 10 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/biYem>.
71. Tricia Bacon, "The Islamic State in Khorasan Province: Exploiting a Counterterrorism Gap", Center for Strategic & International Studies, April 11, 2024, accessed August 26, 2024, <https://2u.pw/gDs2NJPf>.
72. "البيت الأبيض: واشنطن حذرت موسكو من هجوم محتمل ضد "تجمعات كبيرة"، روسيا اليوم، 23 مارس 2024، تاريخ الدخول: 13 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/yPGRL>.
73. "مصدران لـCNN: استخبارات أمريكا حذرت روسيا في وقت سابق من اعتزام "داعش" مهاجمتها"، سي إن إن، 23 مارس 2024، تاريخ الدخول: 13 أغسطس 2024، <https://2u.pw/FfyzWWjK>.
74. Parisa Hafezi, "Exclusive: Iran alerted Russia to security threat before Moscow attack", Reuters, April 1, 2024, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/EubBB>.
75. Max Boot, "Putin fixates on imaginary foes while terrorists attack Moscow", Washington post, March 23, 2024, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/mNshC>.
76. Atal Ahmadzai, "After Moscow Attack, Great Powers Should Rethink Geopolitical Competition", foreign policy in focus, April 2, 2024, accessed August 28, 2024, <https://2u.pw/8vsg61Bk>.
77. Ilana Winter, "Islamic State's Response to October 7", Washington institute, Feb 9, 2024, accessed August 28, 2024, <https://2u.pw/5OzdVXXX>.
78. منى قشطة، "قراءة في مؤشر الإرهاب العالمي 2024 (3).. اتجاهات النشاط الإرهابي والتوزيع المناطقي للعمليات"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 10 مارس 2024، تاريخ الدخول: 18 سبتمبر 2024، <https://2u.pw/AkI5smLm>.
79. Barbara Starr and Ryan Brownem "US officials warn ISIS' Afghanistan branch poses a major threat", cnn, February 19, 2019, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/wPfZd>.
80. عمرو منصور، "استراتيجية "داعش" في أفغانستان.. بين الزعامة السياسية والدعم العسكري"، مجلة السياسة الدولية، 24 نوفمبر 2015، تاريخ الدخول: 17 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/CPmSS>.
81. دلال محمود (محرر)، جيوبوليتكس الإرهاب الشبكات والمسارات، (القاهرة: المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 2023)، ص 92 - 133.
82. أحمد نظيف، "بين داعش والغرب: هجوم موسكو الإرهابي.. دلالات التوقيت والتنفيذ والمصلحة"، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 25 مارس 2024، تاريخ الدخول: 12 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/PeLRb>.
83. فهد الشقيران، "عن هجوم موسكو... ما هي حفلة "داعش" التالية؟"، موقع العربية نت، 28 مارس 2024، تاريخ الدخول: 16 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/mZHfo>.

84. "While Iran Blames Israel and US for Bombing, Iranians Look to Regime", Iran international, Jan 4, 2024, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/nSthO>.
85. أبو صارم، "الداعشي الذي أُعتقل في أمريكا كان حارساً لوكالة المخابرات المركزية في أفغانستان"، المرصد، تاريخ الدخول: 13 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/txACW>.
86. Aaron Y. Zelin, IPED. .
87. Roshan Noorzai and Mohammad Ahmadi, "While Small in Number, Tajik Fighters an Asset for Islamic State-Khorasan", voiceofAmerica, January 31, 2024, accessed August 26, 2024, <https://linksshortcut.com/kWeLz>.
88. Mohammad Yunus Yawar and others, "How ISIS-K leader forged one of Islamic State's most fearsome groups", Reuters, March 26, 2024, accessed August 28, 2024, <https://linksshortcut.com/ODXcb>.
89. "التقرير الثامن عشر للأمن العام عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) للسلام والأمن الدوليين وعن نطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد"، مجلس الأمن، 31 يناير 2024، تاريخ الدخول: 16 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/UPndU>.
90. منى قشطه، "توسيع الساحات.. كيف يمكن فهم حسابات داعش في هجوم كروكوس؟"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 7 أبريل 2024، تاريخ الدخول: 16 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/HilyO>.
91. "تزامناً مع مرور عقد على إعلان الخلافة.. جنودها يضربون في قلب روسيا بهجوم كبير حصده مئات القتلى والجرحى ونشر الرعب في العواصم الصليبية"، صحيفة النبا، العدد 436، ص 1 - 8.
92. Ashley Jackson, "What is ISIS-K, the terror group allegedly responsible for the Moscow concert hall attack?", politico, March 26, 2024, accessed August 21, 2024, <https://linksshortcut.com/veZMY>.
93. Atal Ahmadzai, "Islamic State-Khorasan's Transition into a Transregional Threat", the diplomat, November 11, 2022, accessed August 21, 2024, <https://linksshortcut.com/ATSAH>.
94. Amira Jadoon and Andrew Mines, "What is ISIS-K? Two terrorism experts on the group behind the deadly Kabul airport attack and its rivalry with the Taliban", the conversation, August 27, 2021, accessed August 21, 2024, <https://linksshortcut.com/QjLSs>.
95. "ISKP claim responsibility for attack outside Kandahar bank", afghan witness, Mar 28, 2024, accessed August 21, 2024, <https://linksshortcut.com/mpWqa>.
96. بندر الدوشي، "تدفق آلاف المقاتلين لأفغانستان.. وكابوس حرب أهلية يطل برأسه مجدداً"، موقع العربية نت، 9 أكتوبر 2021، تاريخ الدخول: 21 أغسطس 2024، <https://linksshortcut.com/OIUlf>.
97. Mary Glantz, and others, "Moscow Concert Hall Attack Will Have Far-Reaching Impact", The United States Institute of Peace, March 27, 2024, accessed August 29, 2024, <https://linksshortcut.com/kJRYj>.
98. Nodirbek Soliev, "The April 2020 Islamic State Terror Plot against U.S. and NATO Military Bases in Germany: The Tajik Connection", Combating Terrorism Center, January 2021, accessed August 21, 2024, <https://linksshortcut.com/OCpfg>.

5 داعش في غرب أفريقيا: المسارات والمستقبل

تقى النجار*

هدف تنظيم "داعش" منذ نشأته إلى توسيع نطاق عمله الجغرافي سعيًا لتدشين خلافته المزعومة، تحت شعار "باقية وتتمدد"، وقد كانت القارة الأفريقية حاضرة بقوة في فكره الاستراتيجي؛ إذ عمل على تأسيس عدد من الولايات التابعة له هناك، ومع الضغط العسكري الذي مورس عليه من قبل القوات الأمنية في معاقله التقليدية الممثلة في العراق وسوريا، بدأ ينظر إلى الساحة الأفريقية باعتبارها ساحة بديلة لنشاطه، مستغلًا ما تشهده من محفزات تساعده على التمدد والانتشار.

وقد عمل التنظيم على اتخاذ مناطق ارتكاز في غرب أفريقيا تحديداً، آملاً في التأكيد على استمرارية مشروعه؛ إذ ساعدته حالة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني التي تشهدها المنطقة في إيجاد مساحات واسعة لإعادة تموضعه. ومن ثمّ يسعى هذا الفصل إلى تناول مراحل النشأة التي مرت بها الولايات التابعة لتنظيم "داعش" في منطقة غرب أفريقيا، كذا دوافع التمدد وسياق وتداعيات نشاط التنظيم، ناهيك عن المسارات المستقبلية لاستراتيجيات عمله في منطقة غرب أفريقيا.

أولاً- النشأة والتحوّلات

يعود وجود تنظيم "داعش" في منطقة الساحل الأفريقي إلى عام 2015؛ حيث عملت القيادة المركزية للتنظيم على التمدد الجغرافي الإقليمي مع إنشاء عدد من الولايات في القارة الأفريقية على وجه العموم وفي منطقة الساحل على وجه الخصوص، فأصبح يضم ولايتين؛ إحداهما تعرف باسم ولاية "غرب أفريقيا" نشطت في حوض بحيرة تشاد والتي تشمل تشاد (التي يغطي الحوض الجزء الأكبر منها) وجزءاً كبيراً من النيجر ونيجيريا والكاميرون. وثانيها تعرف باسم ولاية "الساحل"، وتنشط في جنوب شرق مالي وغرب النيجر وشمال شرق بوركينا فاسو (المنطقة المعروفة باسم لبيتاكو غورما).

1. ولاية "غرب أفريقيا":

برزت ولاية "غرب أفريقيا" كفصيل منشق من جماعة "بوكو حرام" والتي كانت تُعرف رسمياً باسم جماعة "أهل السنة للدعوة والجهاد". إذ تم قبول تعهد "أبوبكر شيكاو" (زعيم بوكو حرام) بالولاء لتنظيم "داعش" في مارس 2015، وبدأت عملياتها تحت اسم ولاية "غرب أفريقيا".

في أغسطس 2016، استبدلت القيادة المركزية للتنظيم "شيكاو" بـ "أبي مصعب البرناوي" كزعيم لولاية "غرب أفريقيا" بسبب استياء داخلي من قيادة الأول على خلفية استراتيجيته المتمثلة في استهداف المساجد وقتل المسلمين والقادة الفرعيين، ناهيك عن اعتماده تكتيكات لم توافق عليها القيادة المركزية¹.

وفي أعقاب عزله دخل "شيكاو" في صراع بفصيل تحت قيادته أطلق عليه اسم "بوكو حرام" مع ولاية "غرب أفريقيا" وأفضى هذا الصراع عن مقتل الأول بعد محاصرته من قبل الأخيرة في عام 2021، ويمكن القول إن مقتل "شيكاو" جاء تنويجاً لنشاط ولاية "غرب أفريقيا" والتي هدفت إلى القضاء على منافس وتهديد محتمل بما يعزز نفوذها وسيطرتها في المنطقة².

استمر الصراع بين ولاية "غرب أفريقيا" و"بوكو حرام" بقيادة "باكورا دورو" بعد مقتل "شيكاو"، على خلفية محاولات الأولى بالتوسع في أراضي خاضعة لسيطرة الثانية. وفي هذا السياق، أفاد أعضاء سابقون في كلا الفصيلين، أن كل منهما فقد عددًا أكبر من المقاتلين في المناوشات مع بعضهم البعض منذ عام 2021 مقارنة بالمواجهات مع القوات الأمنية الحكومية³.

وعلى الرغم من التحديات التي واجهها "البرناوي" في القيادة، إذ أفادت تقارير وسائل الإعلام، أنه تم عزله في مارس 2019 وتوليه "عبد الله بن عمر البرناوي" (المعروف أيضًا باسم بإ إدريس) خلفًا له، فإنه استطاع الاحتفاظ بنفوذه؛ حيث أعيد تعيينه مرة أخرى عام 2021 زعيمًا لولاية "غرب أفريقيا"⁴.

وعلى عكس "شيكاو"، سعى "البرناوي" لتعزيز وجوده في المجتمعات المحلية من خلال تجنب الهجوم على المدنيين، حيث تزامنت قيادته مع انخفاض الهجمات وإعطاء الأولوية لتعزيز السيطرة على مناطق التي تنشط فيها الولاية. وفي ديسمبر 2018، استولت ولاية "غرب أفريقيا" على مركز للقوات المتعددة الجنسيات على الجانب النيجيري من بحيرة تشاد؛ حيث وصلت إلى درجة كبيرة من القوة، وعملت على زيادة وكثافة إنتاجها الدعائي أكثر من أي ولاية خارجية أخرى لتنظيم "داعش"⁵.

بحلول يونيو 2019، أصبحت ولاية "غرب أفريقيا" أقوى ولاية خارجية لتنظيم "داعش". وطبقًا لتقرير أممي صادر في يناير 2024 يتراوح عدد مقاتليها بين 4000 إلى 7000؛ حيث ينحدر معظم أعضائها من شمال شرق نيجيريا والمناطق المجاورة⁶. وتركزت هجماتها على الأهداف الأمنية والعسكرية الإقليمية المرتبطة بجميع بلدان قوة المهام المشتركة المتعددة الجنسيات الخمس (نيجيريا والنيجر وتشاد والكاميرون وبنين)، كذلك الأهداف الغربية والمسيحية.

2. ولاية الساحل:

ظهرت ولاية "الساحل" مع إعلان "عدنان أبي الوليد الصحراوي" (القيادي في تنظيم المرابطين التابع لتنظيم القاعدة) بيعته "لأبي بكر البغدادي" (زعيم تنظيم داعش أنداك) في منتصف عام 2015⁷. في البداية، لم تنفذ المجموعة هجمات، أو على الأقل لم تعلن مسؤوليتها عنها، حتى سبتمبر 2016، مع تنفيذها سلسلة من الهجمات على مواقع القوات العسكرية والأمنية في بوركينا فاسو والنيجر⁸.

ومنذ عام 2019، نجحت ولاية "الساحل" في ترسيخ نفسها في ديناميكيات المنطقة؛ حيث عملت على التوسع في استهداف قوات الأمن وارتكاب فظائع ضد المدنيين وكل من يُنظر إليهم بالتنظيم باعتبارهم زنادقة⁹. مؤخرًا حدث تحول في هذا النهج، حيث غيرت من أسلوبها في التعامل مع السكان، وبدأت في تطبيع العلاقات مع المجتمعات المحلية، وتقديم نفسها كمُدافع عنهم وحامي لممتلكاتهم¹⁰. وتركزت عملياتها على استهداف قوات الأمن في البلدان التي ينشط فيها، كذلك استهداف القوات الفرنسية، والأمريكية، والألمانية في المنطقة.

وقد مرت ولاية "الساحل" بعدة مراحل حيث عرفت في البداية باسم ولاية "الصحراء الكبرى"، إلى أن أعلنت القيادة المركزية للتنظيم دمج كل من ولاية "غرب أفريقيا" وولاية "الصحراء الكبرى" في 2019 بحيث باتت العمليات المنفذة منهما تدرج في دعاية التنظيم تحت شعار أنشطة ولاية "غرب أفريقيا" إذ كان الثاني من الناحية الفنية التابع لولاية "غرب أفريقيا"¹¹، واستمر هذا الطرح حتى مارس 2022، مع إعلان القيادة المركزية تغيير اسم ولاية "الصحراء الكبرى" إلى ولاية "الساحل" وتحويلها إلى ولاية منفصلة¹².

وعلى الرغم من مقتل "الصحراوي" إلى جانب العديد من القيادات من ذوي الرتب المتوسطة، على يد القوات الفرنسية في عام 2021. فإن ولاية "الساحل" واصلت إعادة هيكلتها، ودمجت عناصر أجنبية ومحلية من خلفيات عرقية مختلفة، وطبقًا لتقرير أممي صادر في يوليو 2024 يتراوح عدد مقاتلي ولاية "الساحل" بين 2000 إلى 3000 عنصر¹³، حيث ينتمي أعضاؤها إلى الجماعات العرقية المختلفة كالفولانية والطوارق والدوسهاك الأمازيغية والسونغاي¹⁴. وقد شهد نشاطها انتعاشًا مع بدء الانسحاب الفرنسي من مالي في عام 2022، إذ استغلت الفراغ الأمني وعملت على توسيع عملياتها¹⁵.

3. مكتب الفرقان:

يُنظر إلى مكتب "الفرقان" التابع لتنظيم "داعش" باعتباره مشرفاً على نشاط عمل ولايات التنظيم في منطقة غرب أفريقيا، ففي أعقاب خسارة التنظيم خلافته المزعومة، أقام "مكاتب إدارية" للولايات التابعة له بغرض الحفاظ على استمراريته والتكيف مع مرحلة الضغط، وهي مؤسسات إدارية لا تعمل فقط كجسرين القيادة المركزية لتنظيم "داعش" ومختلف ولاياته، ولكنها أيضاً مسئولة بشكل مباشر عن إدارة الشؤون رفيعة المستوى داخل الولايات، وهذا يشمل إصدار مبادئ توجيهية حول كيفية تنظيم الولايات، والإشراف على انتخاب الشخصيات القيادية، والعمل كقاضٍ في سياق المشاكل داخل الولايات¹⁶.

وتعد أحد العناصر المركزية في العلاقة بين "المكاتب الإدارية" والولايات، وهو إلزام الأخيرة بإرسال تقارير شهرية عن الوضع العسكري المستمر في منطقتها، وفي المقابل، تلقي المشورة بشأن الاستراتيجيات والتكتيكات المستقبلية¹⁷، وفي عهد "أبي إبراهيم الهاشمي القرشي" (الزعيم السابق لتنظيم داعش) تم تقوية دور "المكاتب الإدارية" (ويطلق عليها في بعض الأدبيات الإدارة العامة للولايات أو الإدارات البعيدة)، إذ احتلت موقعاً مركزياً في تنفيذ العمليات الإرهابية الخارجية للولايات¹⁸.

ويأتي من ضمن هذه المكاتب مكتب "الفرقان" والذي يديره في الوقت الحالي "أبو بكر بن محمد على المينوكي" وعمل المكتب على إنشاء خلايا وشبكات تيسير تابعة لولاية "غرب أفريقيا" من أجل تسهيل تنسيق حركة الأسلحة والمقاتلين في منطقة الساحل. وقد كان نشاطه مقتصرًا في البداية على تولي شؤون حوض بحيرة تشاد والساحل، لكن في الآونة الأخيرة تم توسيع نشاطه ليشمل ولايات التنظيم في شمال أفريقيا بجانب ولايته في غرب أفريقيا والساحل¹⁹.

ثانيًا- دوافع تمدد تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا

هناك جُملة من الدوافع تقف خلف تمدد "داعش" في غرب أفريقيا، ويمكن تناولها على النحو التالي:

1. البحث عن ساحات بديلة:

سعى تنظيم "داعش" إلى البحث عن ساحات بديلة لنشاطه في أعقاب هزيمته الجغرافية في العراق وسوريا، لذلك كان الانتقال الاستراتيجي إلى أفريقيا، واتضح ذلك مع التسجيل المصور "للبغدادي" الذي نشرته مؤسسة "الفرقان" (الجناح الإعلامي التابعة للتنظيم)، في 29 إبريل 2019، وجاء تحت عنوان "في ضيافة أمير المؤمنين"، حيث استعرض "البغدادي"، ملفات بعض التنظيمات الإرهابية التابعة للتنظيم والتي ظهرت في عدد من الدول الأفريقية، وهو ما أكد على حرصه على التمدد العملياتي داخل القارة الأفريقية.

ومع وصول "أبي إبراهيم الهاشمي القرشي" لقيادة "داعش" بعد مقتل "البغدادي"، أعاد التنظيم هيكلة نهجه الإقليمي بحيث أصبحت أفريقيا ساحة استراتيجية لنشاطه، وأصبح أكثر نشاطًا في منطقة غرب أفريقيا، مستهدفًا التمدد في المعازل التقليدية لتنظيم "القاعدة" إذ تغيرت استراتيجية "التعايش المشترك" بينهما، وتحولت إلى استراتيجية "الصراع". وفي هذا السياق، نشرت مؤسسة "الفرقان" في مايو 2020 مقطعًا صوتيًا تحت عنوان "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار"، ليؤكد على سعي التنظيم إلى فتح جبهة قتال جديدة مع تنظيم "القاعدة" في غرب أفريقيا ممثلة في جماعة "نصرة الإسلام والمسلمين"²⁰.

واستمر هذا التوجه مع مختلف قادة التنظيم؛ إذ ركز الخطاب الإعلامي والدعائي على محورية القارة الأفريقية في الفكر الاستراتيجي للتنظيم، وسلطت العديد من افتتاحيات صحيفة النبا التابعة للتنظيم الضوء على أهمية أفريقيا في الحفاظ على مشروع الخلافة، منها افتتاحية صحيفة النبا في عددها 343 والتي صدرت خلال عام 2022، وجاءت تحت عنوان "أفريقيا أرض جهاد وهجرة" إذ أوضحت أن "المشاهد التي نراها اليوم في أرض أفريقيا هي نفسها التي رأيناها من

قبل في العراق وسوريا"، واستمرت في الدعوة إلى الهجرة إلى أفريقيا، "لأنها اليوم أرض الهجرة والجهاد". وبالتالي يشير هذا التناول إلى أن أفريقيا حلت محل العراق وسوريا كمكان حيث تم تأسيس التمكين أو السيطرة الإقليمية للتنظيم.

وبصفة عامة، يجد تنظيم "داعش" بيئة حاضنة لنشاطه في القارة الأفريقية؛ حيث تؤدي هشاشة الأنظمة الحاكمة وشيوع الانقلابات والاضطرابات السياسية إلى إضعاف قبضة الدولة؛ مما يتيح مساحات واسعة وثغرات أمنية تستطيع التنظيمات الإرهابية استغلالها لتعزيز نفوذها²¹. ومن ثمّ تساعد المعطيات المتوفرة في منطقة غرب أفريقيا تنظيم "داعش" على شن هجمات واسعة ومتطورة، بجانب السيطرة على الأراضي وإقامة مناطق نفوذ خاصة به²².

2. تعزيز الموارد:

يمكن تفسير رغبة تنظيم "داعش" في التمدد في القارة الأفريقية على خلفية سعيه لتعزيز موارده الطبيعية والبشرية؛ فبالنسبة للموارد الطبيعية، نجد أن هناك عددًا من دول غرب أفريقيا تمتلك احتياطات ضخمة من موارد الطاقة والمعادن؛ فعلى سبيل المثال وليس الحصر، تحتل نيجيريا المرتبة الخامسة عشر كأكبر منتج للنفط في العالم²³. كذلك يبلغ احتياطي النيجر من الغاز الطبيعي نحو 24,175 مليون متر مكعب، ونحو 993 مليون برميل من النفط²⁴، فيما يُقدر احتياطي تشاد بنحو 1,5 مليار برميل من النفط²⁵.

كذلك تعد بوركينافاسو ومالي من بين أكبر خمسة منتجين للذهب في القارة الأفريقية²⁶، وتمتلك مالي ما يقدر بنحو 800 طن متري من احتياطات الذهب، كما تمتلك بوركينافاسو نحو 154,2 طن متري، بينما تمتلك النيجر ما يقدر بـ 65 طنًا متريًا، وذلك ووفقًا لتقديرات مبادرة الشفافية في مجال الصناعات الاستخراجية (EITI).

وبجانب التمويل عن طريق السيطرة على الموارد الطبيعية يفرض التنظيم "الجباية" على الماشية، والزرع، والنقود، في غرب أفريقيا إذ بلغ مقدار ما تمت جبايته خلال شهري فقط في عام 2021 من منطقة بحيرة تشاد 51,865,000 (نيرا) أي ما يساوي 156,985 (دولارا) تقريبًا، وذلك طبقًا لما ورد في العدد 288 من صحيفة النبا الصادرة في 27 مايو 2021.

وبالتالي تمثل هذه الموارد الضخمة محدداً رئيسياً في تفسير رغبته في التمدد من أجل تعزيز نفوذه وضمان موارد لتمويل نشاطه، لا سيما بعد أن تراجعت التقديرات بشأن الأموال التي يعتقد أنها متاحة له؛ حيث أشار تقرير أممي صدر في يوليو 2021 إلى تراجع الاحتياطات المالية للتنظيم من تقديرات قاربت الملايين من الدولارات إلى ما يقدر أنه يتراوح ما بين 25 و50 مليون دولار²⁸.

أما بالنسبة للموارد البشرية؛ فتعد القارة الأفريقية تربة خصبة بالنسبة للتنظيم فيما يتعلق بعملية التجنيد، على خلفية كونها بيئة حاضنة لمحفزات التطرف، ويأتي على رأس تلك المحفزات زيادة معدلات الفقر والبطالة وتدني مستويات التعليم؛ حيث استفادت تلك التنظيمات من الافتقار إلى الفرص الاقتصادية في المنطقة، من أجل تقديم نفسها كبديل، وقد نجحت ولاية "غرب أفريقيا" بشكل خاص في استغلال هذه المظالم²⁹، وهو ما جعل التنظيم يستقطب الآلاف داخل القارة؛ حيث تمكن من خلالهم من تحقيق انتشار جغرافي واسع³⁰، هذا فضلاً عن قيامه باستقطاب عناصر من خصمه؛ إذ وجد عدد من حالات الانشقاق شهدتها جماعة "نصرة الإسلام والمسلمين" لصالح "ولاية الساحل"، من أبرزها انفصال مجموعة من مقاتلي الفولاني عن جبهة تحرير ماسينا (إحدى المجموعات المكونة لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين) وانضمت إلى ولاية "الساحل" في عام 2018³¹. كذلك غادر فصيل آخر تابع للجبهة ذاتها، في يناير 2020 وانضم أيضاً إلى ولاية "الساحل"³².

3. منافسة عدوه التقليدي:

إن تمدد تنظيم "داعش" في أفريقيا يأتي في ضوء سعيه إلى تعزيز هيمنته الجهادية في المنطقة بما ينعكس بشكل ما على منافسه التقليدي وهو تنظيم "القاعدة" وذلك على الرغم من حالة التعايش المشترك والتمدد بلا صراع التي جمعت بينهما في منطقة غرب أفريقيا لفترة طويلة، على عكس التناحر السائد بينهما في مساحات جغرافية مختلفة في كل من العراق، وسوريا، واليمن. لكن بمطلع عام 2020، شهدت منطقة الساحل عدة اشتباكات بين الطرفين، وهي الاشتباكات التي تحولت إلى حرب شاملة.

في البداية يمكن تفسير العلاقة الاستثنائية بين تنظيمي "القاعدة" و"داعش" في منطقة غرب أفريقيا في ضوء ثلاثة عوامل؛ يتعلق أولهما بروابطهما المتشابكة، إذ يشترك كل من جماعة "نصرة الإسلام والمسلمين" و"ولاية الساحل" في أصول مشتركة ترجع إلى تنظيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي"، إذ تشكلت الثانية في عام 2015 كما سلف الذكر بقيادة "الصحراوي" وذلك بعد انفصاله عن جماعة "المرابطون" التابعة لتنظيم "القاعدة"³³ وينصرف ثانيهما: إلى الترابط العرقي والقبلي الذي جمع بين عناصرهما، حيث يتكون التنظيمان في منطقة الساحل من شبكات ديمغرافية عرقية وقبلية شديدة التعقيد، والذي غالبًا ما يتجاوز الانتماءات الأيديولوجية المحلية والإقليمية والعالمية، مما انصرف إلى نجاحهما في تحييد الخلافات بينهما لفترات طويلة.³⁴

ويتصل ثالثها: بالأهداف المشتركة التي جمعت بينهما، حيث مثل التنسيق بينهما في عدد من العمليات الإرهابية رقمًا مهمًا في تجنبهما الدخول في صراعات على خلفية وجود أهداف مشتركة تجمعهما. وقد أكد فريق خبراء الأمم المتحدة المعني بمالي في فبراير 2020 أن التنظيمين قد تعاونوا في عمليات مشتركة في بعض مناطق غورما وفي منطقتي غاو وميناكا، كالهجمات على الجيوش الوطنية والقوات الدولية وعلى جماعة الطوارق وحركة إنقاذ أزواد.³⁵

ومنذ مطلع عام 2020، شهدت هذه العلاقة الاستثنائية جُملة من التحولات ترتب عليها معارك بين الطرفين، وذلك على خلفية تشابه مشروعاتهما التوسعية، إذ سعى تنظيم "داعش" إلى التمدد في معاقل تنظيم "القاعدة" التقليدية في منطقة الساحل، وقد اعتبر الأخير أن مشروع الأول المتعلق بإيجاد مناطق نفوذ جديدة له في أفريقيا، ما هو إلا تهديدًا مباشرًا لنفوذه التاريخي في تلك المنطقة، وتقويض لمشاريعه المستقبلية الهادفة للتمدد في مساحات واسعة في القارة الأفريقية، ومن ثمَّ كان هذا الطرح هو حجر أساس الصراع بينهما.³⁶

ثالثاً- سياق نشاط تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا

يأتي تمدد تنظيم "داعش" في الساحل الأفريقي في سياق شديد التشابك والتعقيد، إذ يحتوي على جملة من العوامل والمعطيات، يمكن استعراضها على النحو التالي:

1. معضلة الساحل:

تعد منطقة غرب أفريقيا بيئة حاضنة لنشاط التنظيمات الإرهابية، إذ تضم الدول الأكثر هشاشة في العالم، وتسودها أشكال مختلفة ومستويات متفاوتة من عدم الاستقرار نتيجة للأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية المركبة؛ فعلى الصعيد السياسي، تتميز الدول الواقعة في ذلك النطاق الجغرافي بتصاعد حدة الاضطرابات المرتبطة بالصراعات السياسية، هذا فضلاً عن التحدي المرتبط بمسألة بناء الدولة في أفريقيا ومنطقة الساحل، وكيفية تحويل المجتمعات متعددة الأعراق والإثنيات واللغات والثقافات والأديان إلى "أمة واحدة"³⁷.

وعلى الصعيد الأمني لا يمكن إغفال هشاشة الحدود والثغرات الأمنية المرتبطة بها نتيجة لتواضع القدرات في المجال الأمني والعسكري والاستخباراتي، ناهيك عن تمدد شبكات الجريمة المنظمة وتفشي جرائم الاتجار بالبشر والسلاح وتجارة المخدرات.

كذلك يلعب العنف العرقي دوراً في تأجيج التوترات وتقويض الأمن في المنطقة³⁸، كما تواجه المنطقة تحديات إنسانية هائلة وغير مسبقة، نتيجة ارتفاع معدلات الفقر³⁹، ومن ثَمَّ تساعد هذه المعطيات على إتاحة الفرص التي يمكن أن تنشط فيها التنظيمات الإرهابية. ويمكن القول إن الأسباب الجذرية للإرهاب في غرب أفريقيا تتشابك بشكل عميق مع المظالم التاريخية، والفوارق الاجتماعية والاقتصادية، والديناميكيات السياسية؛ مما يشكل بيئة شديدة التعقيد تحتوي على العديد من العوامل التي تتيح وتساعد على تعزيز نشاط تلك التنظيمات⁴⁰.

2. التغير المناخي:

تواجه القارة الأفريقية تحديًا كبيرًا يتمثل في تداعيات التغير المناخي التي تلقي بظلالها على الظاهرة الإرهابية، بفعل ما يترتب على الأولى من تغيراتٍ على الموارد الطبيعية؛ إذ ينجم عنها عددٌ من الظواهر، مثل: التصحر، وارتفاع مستوى البحار، وجفاف المياه؛ الأمر الذي يزيد من عدم الاستقرار السياسي الذي يغذي بدوره الإرهاب. حيث تؤدي التغيرات المناخية إلى انخفاض معدلات إنتاج الغذاء، وزيادة أسعار المواد الغذائية؛ مما يزيد من احتياجات الأفراد الاقتصادية. ناهيك عن زيادة المظالم الاجتماعية، لا سيما في الدول الهشة التي تتفاقم فيها آثار التغيرات المناخية.

ونتيجةً لزيادة حدة الفقر -جُراء فقدان من يعتمدون على الموارد الطبيعية لوظائفهم- يتزايد البحث عن مصادر غير شرعية للدخل⁴¹. ومن ثم، تشكل التغيرات المناخية تهديدًا لاستقرار الدول والمجتمعات، نتيجة التنافس على الموارد، وما تسفر عنه من غياب الاستقرار وتأجج الصراع؛ مما يوفر مساحةً تنشط فيها التنظيمات الإرهابية.

وتعاني غرب أفريقيا من التداعيات السلبية للتغيرات المناخية؛ حيث شح الأمطار والجفاف والفيضانات، والاحتباس الحراري، وارتفاع درجة حرارة الأرض؛ مما انصرف إلى زيادة معدلات الفقر والبطالة، خاصة وإن اقتصاديات دول هذه منطقة تعتمد بدرجة كبيرة على قطاعات تتأثر بالتغيرات البيئية مثل الزراعة والصيد والسياحة، وبالتالي أسهم هذا الوضع في انتشار العنف والإرهاب والصراعات المسلحة، على خلفية التنافس على الموارد⁴².

وبالتالي توفر تلك المعطيات سياقات حاضنة لنشاط تنظيم "داعش" سواء على صعيد التوسع الجغرافي، أو على صعيد التجنيد، إذ يهدف التنظيم إلى تأسيس عقد اجتماعي جديد مع المجتمعات المحلية من خلال تقديم نفسه كبديل للدولة مستغلًا تصاعد الأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية المركبة؛ حيث نجح في استغلال التغيرات المناخية من أجل تعزيز نفوذه، فلم يسهم في تفاقم الأوضاع

الإنسانية فحسب، بما في ذلك استهداف العاملين في المجال الإنساني، بل استغل أيضًا الظروف غير الآمنة لتجنيد السكان والسيطرة عليهم في غرب أفريقيا⁴³.

3. الانقلابات العسكرية:

منذ عام 2020 عادت ظاهرة الانقلابات في الظهور بقوة في القارة الأفريقية، حيث كان التدهور الاقتصادي والاجتماعي والفشل السياسي، عوامل مشتركة في كل الدول التي حدث فيها انقلابات نتيجة الفساد والمحسوبية وغياب العدالة وانعدام الشفافية⁴⁴.

وقد أدت سلسلة الانقلابات في مختلف أنحاء غرب أفريقيا في السنوات الأخيرة إلى إعادة تشكيل المشهد السياسي بشكل كبير في هذه المنطقة المهمة، حيث شهدت مالي انقلابين في عامي 2020 و2021، بينما شهدت تشاد انقلابًا عام 2022، في حين وقعت محاولتان في بوركينا فاسو عام 2022، ووقع انقلاب في النيجر عام 2023⁴⁵.

وقد أحدثت هذه الموجة من الانقلابات ما يسمى بـ "عدوى الانقلابات في المنطقة" وألقت بظلالها على تفاقم الوضع الأمني المضطرب؛ إذ زادت حلقات العنف المرتبطة بالتنظيمات الإرهابية وتضاعفت أعداد القتلى ثلاث مرات⁴⁶. كذلك كثفت تلك التنظيمات من نشاطها في شمال ووسط مالي، وعززت من نفوذها في مساحات كبيرة من المناطق الريفية في بوركينا فاسو⁴⁷.

وعلى الرغم من أن الفشل في التصدي لنشاط التنظيمات الإرهابية وخاصة في دول مثل مالي وبوركينا فاسو والنيجر، كان مبررًا لحدوث انقلابات في هذه الدول، فإن ثمة علاقة ارتباطية يمكن أن تجمع بين الانقلابات وتساعد النشاط الإرهابي في أفريقيا، وذلك على خلفية تحويل موارد الدول التي تعرضت لانقلابات إلى التركيز على دعم السياق الداخلي المضطرب بما يصرف الانتباه - لو نسبيًا - عن جهود مكافحة الإرهاب، وبالتالي خلق فراغ أمني يمكن أن تنشط وتستثمر فيه التنظيمات الإرهابية، بهدف توسيع سيطرتها⁴⁸.

4. خروج القوات الدولية:

لعبت سلسلة الانقلابات التي شهدتها غرب أفريقيا خلال السنوات الأخيرة دورًا مهمًا في إعادة تشكيل المشهد الإقليمي في الإقليم، على خلفية صعود نخبة حاكمة جديدة تتبنى خطابًا مناهضًا للوجود الغربي في المنطقة، وهو ما أسهم في توتر العلاقات بين المجالس الانتقالية الحاكمة في مالي وبوركينا فاسو والنيجر والدول الغربية⁴⁹.

إذ انسحبت القوات الفرنسية من مالي وبوركينا فاسو والنيجر خلال عامي 2022 و2023، بناءً على مطالب من المجالس العسكرية⁵⁰، وأنهت النيجر شراكاتها الأمنية والدفاعية مع الاتحاد الأوروبي في ديسمبر 2023⁵¹، كذلك أعلنت الولايات المتحدة انسحاب قواتها من النيجر في سبتمبر 2024 بناءً على رغبة المجلس العسكري⁵².

وفي سياق مماثل، أنهت بعثة الأمم المتحدة المتكاملة المتعددة الأبعاد لتحقيق الاستقرار في مالي "مينوسما" عملها رسميًا في ديسمبر 2023، على إثر طلب المجلس العسكري⁵³، ورغم أن قوة حفظ السلام الأممية لا تلعب دورًا في عمليات مكافحة الإرهاب، لكن تركزت أدوارها على دعم وحماية المدنيين؛ مما ينصرف إلى تفاقم المأساة الإنسانية. وقد أدى تراجع الدعم الدولي لمكافحة الإرهاب وتقليص الوجود العسكري، إلى خلق فراغ أمني استفادت منه التنظيمات الإرهابية؛ حيث ساعدها على التمدد الجغرافي والعملي⁵⁴.

رابعاً- تداعيات تمدد "داعش" في غرب أفريقيا

بناءً على ما تقدم هناك جُملة من التداعيات المرتبطة بتمدد تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا، والتي يمكن استعراضها على النحو التالي:

1. توسيع جغرافيا الإرهاب في القارة الأفريقية:

إذ تحتفظ ولاية "غرب أفريقيا" بمستوى عالٍ من العمليات في نيجيريا ومنطقة بحيرة تشاد؛ إذ تحافظ على أعلى مستوى من العمليات باستمرار بين كل ولايات "داعش" الخارجية. كذلك ضاعفت ولاية "الساحل" من حجم الأراضي الخاضعة لها؛ حيث وسعت سيطرتها في مالي وامتدت إلى مساحات جغرافية في النيجر وشمال شرق بوركينا فاسو⁵⁵.

كما كافأت القيادة المركزية مكتب "الفرقان" على فاعليته ونجاحه بإعطائه مسؤولية تتجاوز ساحة حوض بحيرة تشاد الأصلية، فأصبح يجمع أنشطة "داعش" غرب وشمال أفريقيا معاً، وذلك في أعقاب إغلاق مكتب المديرية العامة للولايات التابعة للدولة الإسلامية في ليبيا وهو مكتب "الأنفال" الذي كان مسؤولاً عن ليبيا وأجزاء من شمال أفريقيا. ويأتي هذا الطرح على خلفية النجاح العملياتي لمكتب "الفرقان" في تعزيز أنشطة التنظيم في غرب أفريقيا. وسيكون من المثير للاهتمام أن نرى ما إذا كان مكتب "الفرقان" سيقوم بإحياء لخلايا "داعش" النائمة في شمال أفريقيا⁵⁶.

ومن ثمَّ يحمل هذا المشهد تداعيات خطيرة، والتي يأتي في مقدمتها نجاح تنظيم "داعش" في تدشين حلقات ربط بين مناطق نفوذه وولاياته الموجودة في القارة؛ مما يفتح المجال أمام توسع مظاهر الدعم البشري واللوجستي بينهما⁵⁷. ناهيك عن أن ارتباط منطقة الساحل بالتفاعلات السياسية والمعادلات القائمة في شمال أفريقيا خاصة في ليبيا، وضلوع تلك التنظيمات كفاعل رئيسي في الصراع الليبي ينبئ بأن الإرهاب سيكون مؤثراً في مستقبل القارة كلها.

2. تدفق المقاتلين الأجانب:

شجع بروز منطقة غرب أفريقيا كساحة محورية لعمليات تنظيم "داعش" على التدفق المتزايد للمقاتلين الأجانب القادمين من شمال وشرق أفريقيا، وكذلك أوروبا. ووفقًا لتقارير الأمم المتحدة، فإن معظم هؤلاء الأجانب الذين يقاتلون في منطقة الساحل إنما ينحدرون من أماكن أخرى في أفريقيا، بينهم عرب وآخرون نشأوا في أوروبا. وتدل سلسلة الاعتقالات المترابطة في أسبانيا والمغرب والمربطة بتنظيم "داعش" في عام 2024 إلى وجود شبكة لوجستية تمتد عبر أفريقيا وجنوب أوروبا⁵⁸.

وتكمن خطورة هؤلاء في أربعة عوامل رئيسية؛ يتعلق أولها: بتعزيز قدرة التنظيمات الإرهابية على الصمود أمام الضغط العسكري. وينصرف ثانيها: إلى تطوير استراتيجيات القتال داخل تلك التنظيمات على المستويين العملي والتكتيكي، وذلك في ضوء الخبرات التي اكتسبها هؤلاء من مناطق الصراع المختلفة. ويتصل ثالثها: إلى تحول هؤلاء إلى حلقات وصل بين التنظيمات الإرهابية الداخلية والخارجية.⁵⁹ ويدور رابعها: حول قيامهم بالتوسع في ممارسة أنماط مختلفة من العنف ضد المدنيين لا سيما العنف الجنسي⁶⁰.

وقد أتاحت سلسلة الانقلابات التي شهدتها عدد من الدول الواقعة في غرب أفريقيا الطريق أمام تعزيز نشاط "داعش" في المنطقة، على خلفية تصاعد التوترات السياسية والأمنية؛ الأمر الذي يوفر بؤرة جذب للمقاتلين الإرهابيين الأجانب ويعزز قدرة التنظيم على التهديد الخارجي التي قد تمتد إلى شمال أفريقيا وعبر البحر إلى أوروبا⁶¹.

3. التوسع في العنف ضد المدنيين:

منذ إيجاد تنظيم "داعش" موطن قدم في غرب أفريقيا، عمل على شن هجمات واسعة ضد القوات الأمنية والجماعات المسلحة المحلية والسكان المدنيين؛ إذ استهدف مجتمعات الطوارق والدوسهاك في منطقة ميناكا خلال عام 2018⁶². وانتشرت هذه الهجمات، التي بلغت ذروتها في عام 2019 ولكنها استمرت على نطاق أصغر منذ ذلك الحين، حيث تركزت في بوركينافاسو التي شهدت

توسّعًا في استهداف الكنائس⁶³. وعلى مدار عام 2021، نفذ التنظيم عمليات قتل واسعة النطاق لمجتمعات جيرما والطوارق في منطقتي تيلاييري وتاهوا النيجيريتين، بسبب مقاومتهم لممارساته وتكتيكاته العدوانية من خلال تشكيل مليشيات الدفاع عن النفس الموالية للحكومة⁶⁴.

وارتباطًا بما تقدم، احتلت دول بوركينا فاسو ومالي والنيجر الترتيب الثاني والرابع والعاشر على التوالي ضمن أكثر عشر دول على مستوى العالم تأثرًا بالإرهاب، وفقًا لمؤشر الإرهاب العالمي لعام 2024. وقد شهدت كل من بوركينا فاسو والنيجر ونيجيريا والكاميرون زيادة في عدد القتلى بنسبة 33٪ على الأقل خلال العام الماضي. وحتى مع انخفاض الوفيات في مالي وتشاد، كان إجمالي الوفيات في منطقة الساحل أعلى بنسبة 38٪ عما كان عليه عام 2022.

وطبقًا لما جاء في المؤشر للعام ذاته، تظل منطقة الساحل هي مركز الإرهاب؛ حيث شهدت 48٪ من إجمالي وفيات الإرهاب على مستوى العالم خلال 2023، مقارنةً بـ 42٪ عام 2022 و 1٪ فقط خلال 2007⁶⁵.

4. تصاعد أزمات النزوح:

تشهد دول الساحل الأفريقي تناميًا ملحوظًا في معدلات الهجرة والنزوح على إثر تصاعد الصراعات المسلحة، والعنف الإثني، والنزاعات المحلية على الأراضي والموارد، وتداعيات التغيرات المناخية من الفيضانات والجفاف والتصحر. ويعزز نشاط التنظيمات الإرهابية تفاقم هذه الظاهرة؛ حيث عملت تلك التنظيمات على استهداف المدنيين، ونهب الممتلكات، وفرض الحصار على القرى، وحرق المنازل، وتدمير سُبل العيش لمجتمعات بأكملها، وقد تسبب هذا الوضع في زيادة موجات النزوح⁶⁶.

إذ وصل عدد النازحين خلال شهر فبراير عام 2024 إلى نحو 3,025,322 فردًا في منطقة ليبتاكو-جورما بما في ذلك 2,636,880 نازحًا داخليًا (87٪ من السكان النازحين) و 388,442 لاجئًا (13٪ من السكان النازحين). وكان 69٪ من السكان النازحين (2,100,469 فردًا) موجودين في بوركينا فاسو، بينما كان 14٪ يقيمون في مالي (419,534 فردًا)، و 10٪

في النيجر (287,223 فردًا) و4٪ في موريتانيا (114,653 فردًا)⁶⁷. هذا إلى جانب ارتفاع عدد النازحين ليصل إلى 2,9 مليون نازح داخلي في الفترة بين مايو ويوليو لعام 2024، في منطقة حوض بحيرة تشاد، مع تدفق مئات الآلاف من اللاجئين إلى البلدان المجاورة⁶⁸.

وبصفة عامة، يواجه النازحون في منطقة غرب أفريقيا تحديات عدة؛ من بينها انعدام الأمن وانتشار العنف، والتحديات الإنسانية الواضحة للنزوح، وانعدام الأمن الغذائي، وعدم القدرة على استيعاب النازحين في المجتمعات المضيفة في ظل ضعف البنية التحتية، بالإضافة إلى التحديات اللوجستية التي تواجه عمل المنظمات المعنية بتقديم المساعدات للنازحين⁶⁹.

خامسًا - مستقبل تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا

في ضوء ما تقدم، يمكن استعراض مستقبل تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا على النحو التالي:

1. تعزيز الثقل التنظيمي لـ "داعش" في غرب أفريقيا:

من المرجح أن يسعى تنظيم "داعش" إلى التمدد الجغرافي والعملياتي في منطقة غرب أفريقيا، على خلفية هدفه الاستراتيجي المتمثل في نقل ثقله التنظيمي إلى أفريقيا، وقد عزز من هذا الطرح ما لفتت إليه تقارير أممية حديثة؛ حيث أشار تقرير أممي صدر في يناير 2024 إلى احتمالية قيام تنظيم "داعش" بنقل قيادته ومركز ثقله من معاقله الرئيسية في العراق أو سوريا إلى أفريقيا⁷⁰.

وفي ضوء هذا التوجه، يمكن القول إن التحركات الاستراتيجية الحالية لولاياته في غرب أفريقيا، تلي تطلعاته المستقبلية، إذ تسعى ولاية "غرب أفريقيا" إلى التمدد آلاف الأميال عبر الأراضي النيجيرية على طول الطريق عبر النقاط الملتهبة في النيجر ومالي وصولاً إلى الحدود الليبية؛ حيث تسيطر التنظيمات التابعة لـ "داعش"⁷¹.

كما حاولت "ولاية الساحل" هي أيضًا التوسع إقليميًا عبر اكتساب موطئ قدم في وسط مالي، والتمدد العملياتي في بوركينافاسو، لكنها واجهت قيودًا جغرافية

بفعل نفوذ جماعة "نصرة الإسلام والمسلمين"، التي أحبطت خططها لتوسعيه. ونظرًا لهذه التحديات، من المرجح أن تعمل "ولاية الساحل" على توسيع وجودها في مالي والنيجر، مع التركيز على تعزيز قواعدها في المناطق التي أقامت فيها بالفعل درجة من السيطرة والنفوذ. كذا من المتوقع أن تعمل أيضًا على إيجاد مساحات نشاط لها في بنين⁷². وبالتالي، يعمل تنظيم "داعش" على التمدد الجغرافي في غرب أفريقيا مع الربط بين مختلف ولاياته في أفريقيا سعيًا لاستعادة حلم الخلافة المزعومة.

2. استراتيجية كسب القلوب والعقول:

من المتوقع أن تستمر الولايات التابعة لتنظيم "داعش" في غرب أفريقيا في اتباع استراتيجية كسب القلوب والعقول لتطبيع العلاقات مع المجتمعات المحلية التي تأثرت سابقًا بأفعالها العنيفة؛ حيث قدمت "ولاية الساحل" نفسها كبديل أكثر تشددًا من جماعة "نصرة الإسلام والمسلمين"، معتمدة على العنف والترهيب بجانب التوسع في استهداف المدنيين⁷³. لكن مؤخرًا غيّرت من نهجها في التعامل مع السكان، وبدأت في تحسين العلاقات معهم لضمان إيجاد حاضنة محلية لنشاطها؛ حيث سعت إلى تقديم نفسها كمُدافع عنهم وحامي لممتلكاتهم⁷⁴.

واتبعت "ولاية غرب أفريقيا" النهج ذاته، فمنذ انفصالها رسميًا عن بوكو حرام في عام 2016، قدّمت نفسها على أنها حكومة بديلة وجماعة تهتم بالمدنيين، على عكس فصيل "بوكو حرام" المنافس لها الذي توسع في استخدام العنف تجاه المدنيين، إذ تهدف هذه الاستراتيجية إلى إعاقة العلاقة المدنية العسكرية بين قوات الأمن الحكومية والمجتمعات المتضررة في المنطقة، على خلفية قيامها بتوفير الأمن والخدمات في المجتمعات التي تسيطر عليها؛ مما يسمح لها بدعم نفسها داخل نظام بيئي تنافسي للحكم المتنازع عليه⁷⁵. وقد استفادت ولاية "غرب أفريقيا" من نقاط ضعف هؤلاء السكان المحليين الذين نزحوا وحُرموا من وسائل عيشهم نتيجة سنوات من الصراع مع "بوكو حرام"⁷⁶.

وارتباطًا بهذا الطرح، تكشف الاتجاهات التي تم تحليلها باستخدام بيانات مواقع وأحداث الصراعات المسلحة ACLED عن انخفاض بنسبة 50% تقريبًا في

العنف الذي تمارسه ولاية "غرب أفريقيا" ويستهدف المدنيين في عام 2021 مقارنة بعام 2020، بينما لا تزال تنفذ هجمات انتقامية على المجتمعات التي يُنظر إليها على أنها تتعاون مع قوات الأمن⁷⁷.

3. تخفيف حدة الصراع مع "القاعدة":

شهدت منطقة غرب أفريقيا مع مطلع عام 2020 حرب بالوكالة بين "داعش" وتنظيم "القاعدة" والتي تجلت في الاشتباكات بين ولاية "الساحل" وجماعة "نصرة الإسلام والمسلمين" في ضوء الصراع على الموارد والنفوذ، هذا إلى جانب تصاعد حدة التنافس بين ولاية "غرب أفريقيا" وجماعة "بوكو حرام"، في حوض بحيرة تشاد على خلفية رغبة الأولى في التمدد العمليقي في المناطق الجغرافية الخاضعة للثانية، وبالتالي تصاعدت احتمالات استنزاف تلك التنظيمات في ضوء صراعاتها الداخلية⁷⁸.

إن الصراع بين التنظيمات الإرهابية المشتركة في ذات الأيديولوجية يؤثر في تحقيق أهدافها؛ فالتنظيمات الموحدة تستطيع تحقيق أهدافها أكثر من التنظيمات المتصارعة المنقسمة؛ لأن الأولى تكون أكثر قدرة على تسخير الموارد ضد الخصوم، على عكس الثانية التي تهدر مواردها في قتال المنافسين. ومن ناحية أخرى، تشجع الصراعات بين التنظيمات على تزايد حدة الانشقاقات ويقسم الولاءات داخلها؛ الأمر الذي ينتقص من شرعيتها⁷⁹.

لكن مع مطلع عام 2023، أدرك كل من ولاية "الساحل" وجماعة "نصرة الإسلام والمسلمين" تداعيات الصراع بينهما على مشروعاتهما التوسعية، ومن ثمّ تراجعت حدة الصراع بينهما؛ مما سمح بتكريس مواردتهما بشكل كامل لقتال القوات الأمنية المحلية التي تضاءلت قدراتها في خضم الفوضى السياسية التي تشهدها المنطقة⁸⁰. ومن ثمّ من المحتمل أن يتم تعزيز هذا الانفراج في المستقبل عبر التقسيم الضمني للأراضي التي ينشط فيها، ويتيح هذا التحييد المؤقت لصراعهما، تحويل تركيزهما على التوسع في استهداف القوات الأمنية مع العمل على التغلغل في المجتمعات المحلية، هذا فضلاً عن تعزيز قدراتهما على شن هجمات في دول الجوار الجغرافي.

ختامًا..

حللت هذه الدراسة تطور نشاط "داعش" في غرب أفريقيا من خلال خمسة أقسام رئيسية؛ إذ استعرض القسم الأول نشأة وتحولات "داعش" في غرب أفريقيا؛ إذ تناول المراحل والأطوار التي مر بها التنظيم منذ سعيه إلى تأسيس وجود له في المنطقة، وحلل القسم الثاني دوافع تمدد تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا، والتي تنوعت بين الرغبة في البحث عن ساحات بديلة وتعزيز مصادر التمويل فضلًا عن منافسة عدوه التقليدي المتمثل في تنظيم "القاعدة".

كما اهتمت الدراسة في القسم الثالث بتوضيح سياق نشاط "داعش" في غرب أفريقيا؛ حيث الأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية المركبة، فضلًا عن الانقلابات العسكرية وخروج القوات الدولية، ناهيك عن التداعيات التي ترتبت على التغييرات المناخية، وقد ألقت هذه العوامل مجتمعة بظلالها على تصاعد الظاهرة الإرهابية في المنطقة.

وتناولت الدراسة في القسم الرابع تداعيات نشاط "داعش" في غرب أفريقيا والتي تمثلت في توسيع جغرافيا الإرهاب في المنطقة، وتدفق المقاتلين الأجانب، فضلًا عن التوسع في استهداف المدنيين، وزيادة معدلات النزوح والهجرة. وفي القسم الخامس والأخير، ناقشت الدراسة مستقبل تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا؛ إذ لفتت إلى توجه التنظيم المستقبلي نحو تعزيز ثقله التنظيمي في المنطقة، فضلًا عن استمراره في اتباع استراتيجية كسب القلوب والعقول، بجانب العمل على تخفيف حدة صراعه مع خصمه التقليدي المتمثل في تنظيم "القاعدة".

وفي ضوء ما تقدم توصلت الدراسة إلى جملة من المستخلصات، والتي يمكن تناولها على النحو التالي:

1. نجحت الولايات التابعة لتنظيم "داعش" في غرب أفريقيا في ترسيخ وجودها وتعزيز نفوذها؛ إذ برزت ولاية "غرب أفريقيا" كفضيل منشق من جماعة "بوكو حرام" في مارس 2015، وبحلول يونيو 2019، أصبحت أقوى ولاية خارجية للتنظيم. كذلك ظهرت ولاية "الساحل" في منتصف عام 2015، ونجحت في ترسيخ نفسها في ديناميكيات المنطقة منذ عام 2019، حتى تم إعلانها ولاية منفصلة ذات نفوذ إقليمي في عام 2022.

2. تراجع تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا عن توظيف تكتيكات العنف الجماعي، من أجل تطبيع العلاقات مع المجتمعات المحلية التي تأثرت سابقاً بأفعاله العنيفة على خلفية الهجمات الواسعة التي نفذها ضد السكان المدنيين. ومن المرجح أن يعزز من استراتيجيته القائمة على كسب القلوب والعقول من أجل تقديم نفسه كحكومة بديلة وجماعة تهتم بالمدنيين.
3. نجح مكتب "الفرقان" في تعزيز أنشطة التنظيم في غرب أفريقيا؛ حيث كوفي من قبل القيادة المركزية لتنظيم "داعش" بإعطائه مسؤولية تتجاوز ساحة حوض بحيرة تشاد، فأصبح يجمع أنشطة "داعش" غرب وشمال أفريقيا معاً، ومن المحتمل أن يعمل مكتب "الفرقان" على إحياء خلايا "داعش" في شمال أفريقيا.
4. أدركت كل من ولاية "الساحل" وجماعة "نصرة الإسلام والمسلمين" تداعيات الصراع بينهما على مشروعاتهما التوسعية، ومن ثمّ تراجعت حدة الصراع بينهما؛ مما سمح لهما بتكريس مواردتهما للقتال ضد القوات الأمنية المحلية التي تضاءلت قدراتها الأمنية في نتيجة الاضطرابات السياسية التي شهدتها المنطقة.
5. يجد تنظيم "داعش" بيئة حاضنة لنشاطه في القارة الأفريقية؛ حيث تؤدي هشاشة الأنظمة الحاكمة وشيوع الانقلابات والاضطرابات السياسية إلى إضعاف قبضة الدولة؛ مما يتيح مساحات واسعة وثغرات أمنية تستطيع التنظيمات الإرهابية استغلالها لتعزيز نفوذها. ومن ثمّ تساعد المعطيات المتوفرة في المنطقة تنظيم "داعش" على شن هجمات واسعة ومتطورة، بجانب السيطرة على الأراضي وإقامة مناطق نفوذ خاصة به.
6. تعاني منطقة غرب أفريقيا من التداعيات السلبية للتغيرات المناخية؛ الأمر الذي انصرف إلى زيادة معدلات الفقر والبطالة، خاصة أن اقتصاديات دول هذه منطقة الساحل تعتمد بدرجة كبيرة على قطاعات تتأثر بالتغيرات البيئية. وبالتالي توفر تلك المعطيات سياقات حاضنة لنشاط التنظيم سواء على صعيد التوسع الجغرافي، أو على صعيد التجنيد من خلال تقديم نفسه كبديل للدولة.

7. شجع بروز منطقة غرب أفريقيا كساحة محورية لعمليات "داعش" على التدفق المتزايد للمقاتلين الأجانب القادمين من شمال وشرق أفريقيا، وكذلك أوروبا. وقد أتاحت سلسلة الانقلابات التي شهدتها عدد من الدول الواقعة في غرب أفريقيا تعزيز نشاط "داعش" في المنطقة؛ الأمر الذي يوفر بؤرة جذب للمقاتلين الإرهابيين الأجانب ويعزز قدرة التنظيم على التهديد الخارجي الذي يمتد إلى شمال أفريقيا وعبر البحر إلى أوروبا.
8. تشهد دول غرب أفريقيا تناميًا ملحوظًا في معدلات الهجرة والنزوح نتيجة تصاعد الصراعات المسلحة، والعنف الإثني، والنزاعات المحلية على الأرضي والموارد، وآثار التغيرات المناخية من الفيضانات والجفاف والتصحر. ويعزز نشاط التنظيمات الإرهابية في جميع بلدان الساحل الأفريقي، تفاقم هذه الظاهرة.
9. يمثل تمدد تنظيم "داعش" عاملاً محفزاً لاتساع جغرافيا الظاهرة الإرهابية في أفريقيا، لا سيما في ظل الوضع الأمني المضطرب الذي تعاني منه منطقة الساحل، حيث الانقسامات العرقية، والتباينات الدينية، وتردي الأوضاع المعيشية، ناهيك عن ارتباط منطقة الساحل بالتفاعلات السياسية والمعادلات القائمة في شمال أفريقيا؛ مما ينبئ بأن الإرهاب سيكون مؤثراً في مستقبل القارة كلها.
10. جب أن تأتي الجهود الأمنية بالتوازي مع سياسات أخرى من أجل تقويض نفوذ التنظيمات الإرهابية في غرب أفريقيا؛ حيث تعد التنمية هي حجر الأساس في تجفيف منابع التجنيد على خلفية زيادة فرص العمل وتقليص معدلات البطالة، كذلك ثمة ضرورة مُلحة متمثلة في نشر الخطاب الديني المعتدل مع العمل على تعزيز الأمن الفكري للمجتمعات في منطقة غرب أفريقيا.

قائمة المراجع:

1. "Islamic State West Africa Province," Australian National Security ,7 March 2023 <https://www.nationalsecurity.gov.au/what-australia-is-doing/terrorist-organisations/listed-terrorist-organisations/islamic-state-west-africa-province>
2. حمدي عبد الرحمن حسن، "فراغات أمنية: توسع القاعدة وداعش في أفريقيا"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 21 يونيو 2021. <https://acpss.ahram.org.eg/News/17174.aspx>
3. "JAS vs. ISWAP: The War of the Boko Haram Splinters," Crisis Group, 28 March 2024 <https://www.crisisgroup.org/africa/west-africa/nigeria/b196-jas-vs-iswap-war-boko-haram-splinters>
4. "Islamic State West Africa Province," Opt.cit.
5. Ibid
6. "Thirty-third report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2610 (2021) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities," United Nations Security Council, 24 January 2024, p9
7. تشكلت جماعة "المرابطون" من اندماج جزء كبير من "حركة التوحيد والجهاد غرب أفريقيا" (التي انشقت عن تنظيم "القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي" في عام 2011)، مع جماعة أخرى تابعة للقاعدة في المنطقة، وهي جماعة "الملثمون" (التي انشقت عن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في عام 2012 بقيادة "مختار بلمختار") ليشكلا معًا جماعة "المرابطون" في أغسطس 2013.
8. Katherine Zimmerman, "Salafi-jihadi ecosystem in the Sahel", American Enterprise Institute, 22 April 2020 <https://www.aei.org/wp-content/uploads/2020/04/Salafi-Jihadi-Ecosystem-in-the-Sahel.pdf>
9. Cole Bunzel, "The Islamic State's Pivot to Africa," The Hoover Institution, 6 June 2023 <https://www.hoover.org/research/islamic-states-pivot-africa>
10. حمدي عبد الرحمن، "باقية وتتمدد: عودة صعود داعش وتغير ديناميكيات الساحل الأفريقي"، مركز المستقبل للدراسات والبحوث المتقدمة، 13 ديسمبر 2023 <https://rb.gy/8ruy4g>
11. محمد بسيوني عبد الحليم، خريطة التنظيمات الإرهابية، في أحمد أمل (محرر)، الإرهاب في الساحل الأفريقي: عشر سنوات من المواجهات المستعصية، القاهرة: المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، ص 31-80
12. "Actor Profile: The Islamic State Sahel Province, ACLED, 13 January 2023 <https://acleddata.com/2023/01/13/actor-profile-the-islamic-state-sahel-province/>
13. "Thirty-fourth report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2734 (2024) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities," United Nations Security Council, 22 July 2024, p7.
14. "Actor Profile: The Islamic State Sahel Province," Opt.cit
15. Ibid
16. Tore Refslund Hamming, "The General Directorate of Provinces: Managing the Islamic State's Global Network," Combating Terrorism Center, July 2023 <https://ctc.westpoint.edu/the-general-directorate-of-provinces-managing-the-islamic-states-global-network/>
17. Ibid
18. "Twelfth report of the Secretary-General on the threat posed by ISIL (Da'esh) to international peace and security and the range of United Nations efforts in support of Member States in countering the threat," Opt.cit.
19. "Thirty-fourth report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2734 (2024) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities," United Nations Security Council, 22 July 2024, p8.
20. تقى النجار، "أبو حمزة القرشي وملامح خطوات داعش القادمة"، المرصد المصري، 30 مايو 2020 <https://marsad.ecss.com.eg/31517>
21. أمنة فايد، "الغرب الأفريقي: توسع الهجمات الإرهابية في ظل تأثير الشبكات العالمية"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 11 سبتمبر 2024 <https://acpss.ahram.org.eg/News/21263.aspx>

22. Jacob Zenn, "ISIS in Africa: The Caliphate's Next Frontier, The New Lines Institute, 26 May 2020 <https://newlinesinstitute.org/nonstate-actors/terrorism-and-counterterrorism/isis-in-africa-the-caliphates-next-frontier/>
23. "Leading oil-producing countries worldwide in 2023", Statista, June 2024 <https://www.statista.com/statistics/237115/oil-production-in-the-top-fifteen-countries-in-barrels-per-day/>
24. About Niger, available at official website: African Petroleum Producers Organization <https://aposecretariat.org/membership/niger/>
25. "Chad Oil and Gas Market Size & Share Analysis - Growth Trends & Forecasts (2024 - 2029)" <https://www.mordorintelligence.com/industry-reports/chad-oil-and-gas-market#:~:text=As%20of%202021%2C%20Chad%20held,substantial%20growth%20in%20the%20sector.>
26. "Global mine production," World Gold Council, 7 June 2023, <https://www.gold.org/goldhub/data/gold-production-by-country>
27. "What are the key threats facing gold mining operations in the Sahel region?" Intelligence Fusion, 12 July 2021 <https://intellfusion.medium.com/what-are-the-key-threats-facing-gold-mining-b3aa3869effe#:~:text=The%20significant%20gold%20reserves%20found,an%20estimated%2065%20metric%20tons.>
28. "Twenty-eighth report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2368 (2017) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities," United Nations Security Council, 21 July 2021, p17
29. Tricia Bacon, Jason Warner, The Threat in Africa—The New Epicenter of Global Jihadi Terror, Combating Terrorism Center, September 2021 <https://ctc.westpoint.edu/twenty-years-after-9-11-the-threat-in-africa-the-new-epicenter-of-global-jihadi-terror/>
30. "الاتجاهات الرئيسية للهجمات الداعشية في القارة الأفريقية"، مركز تريندز للبحوث والاستشارات، 18 أغسطس 2024
31. محمد بسيوني عبد الحليم، خريطة التنظيمات الإرهابية، مرجع سابق.
32. Henl Nsaibia, Caleb Weiss, "The End of the Sahelian Anomaly: How the Global Conflict between the Islamic State and al-Qa'ida Finally Came to West Africa," Opt.cit.
33. تقى النجار، العلاقة بين "القاعدة" و"داعش" في منطقة الساحل، متابعات أفريقية، العدد 10، فبراير 2021، ص-4134
34. Henl Nsaibia, Caleb Weiss, "The End of the Sahelian Anomaly: How the Global Conflict between the Islamic State and al-Qa'ida Finally Came to West Africa," Opt.cit.
35. "Letter dated 28 February 2020 from the Panel of Experts established pursuant to resolution 2374 (2017) on Mali addressed to the President of the Security Council," United Nations Security Council, 28 February 2020, p18.
36. "تنافس مستمر: أسباب تصاعد المواجهات بين القاعدة وداعش في أفريقيا"، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 10 ديسمبر 2020، <https://t.ly/cKFNL>
37. عربي بومدين، "أزمة الدولة في منطقة الساحل الأفريقي: دراسة في الأسباب وتحديات البناء"، قراءات أفريقية، 10 يوليو 2023 <https://rb.gy/k8ebvh>
38. Tricia Bacon, Jason Warner, "The threat in Africa—The New Epicenter of Global Jihadi Terror," Opt.cit.
39. أحمد عسكر، "كيف تستغل روسيا أزمات الغرب في الساحل؟"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 19 أغسطس 2021 <https://acpsa.ahram.org.eg/News/20980.aspx>
40. حمدي عبد الرحمن حسن، "تصعيد الهجوم الجهادي: هل أصبح الساحل الأفريقي بؤرة جديدة للإرهاب العالمي؟"، مركز الإمارات للسياسات، 29 أبريل 2024 <https://epc.ae/ar/details/featured/taseid-alhujum-aljihadi-hal-asbah-alsahil-alafrیقی-burat-jadida-lil-irhab-alalami>
41. تقى النجار، "التغيرات المناخية والإرهاب: هل من علاقة؟"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 1 نوفمبر 2021 <https://ecss.com.eg/17284/>
42. بغداد باي نعيم، التغير المناخي وأثاره على الأمن البيئي في منطقة الساحل الأفريقي، مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، 1 يونيو 2023 <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/221839227934#>

43. Méryl Demuynck, "Mass Displacement and Violent Extremism in the Sahel: A Vicious Circle?", International Centre for Counter-Terrorism, August 2022 <https://www.icct.nl/sites/default/files/2022-12/meryl-policy-brief-final-version.pdf>
44. حمدي عبد الرحمن حسن، "حالة عدم اليقين: عودة الانقلابات العسكرية ومستقبل مختلف في عام "2024، آفاق مستقبلية، العدد 4، يناير 2024. [https://idsc.gov.eg/upload/DocumentLibrary/AttachmentA/9130/ReportAttachment%20\(2\).pdf](https://idsc.gov.eg/upload/DocumentLibrary/AttachmentA/9130/ReportAttachment%20(2).pdf)
45. صهيبي محمود، محمد طيفوري، "انقلابات الساحل: الأسباب الداخلية وتأثيرات التنافس الدولي"، تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سبتمبر 2023، ص 41-4
- <https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/sahel-uprisings-domestic-and-international-context.pdf>
46. Joseph Siegle and Jeffrey Smith, "Accommodating Africa's Juntas Amplifies Insecurity," Africa Centre for Strategic Studies, 31 May 2024 <https://africacenter.org/spotlight/accommodating-africa-juntas-amplifies-insecurity/>
47. نسرين صباحي، "تداعيات الانقلابات العسكرية على الأمن الإقليمي في الساحل الأفريقي"، شئون عسكرية، العدد الرابع، أكتوبر 2023، ص 39
48. أحمد عسكر، "إشكالية العلاقة بين الإرهاب والانقلابات العسكرية في منطقة الساحل"، المشهد العالمي، العدد 8، مارس 2024، ص 83.
- <https://acpss.ahram.org.eg/Esdarat/Mashhad/9/files/downloads/Mashad-8-Final.pdf>
49. أحمد عسكر، "تداعيات انسحاب بوركينا فاسو والنيجر من مجموعة دول الساحل"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 11 نوفمبر 2023 <https://acpss.ahram.org.eg/News/21068.aspx>
50. Annie Risemberg, "French Forces Complete Departure From Mali," voanews, 15 August 2022 <https://www.voanews.com/a/french-forces-complete-departure-from-mali-/6702201.html>
- "French army officially ends operations in Burkina Faso," France24, 20 February 2023 <https://www.france24.com/en/africa/20230220-french-army-officially-ends-operations-in-burkina-faso>
51. "Niger Ends Security, Defense Partnerships with EU," voanews, 4 December 2023, <https://www.voanews.com/a/niger-ends-security-defense-partnerships-with-eu-/7384534.html>
- "Burkina Faso and Niger to quit G5 Sahel anti-jihadist force following Mali move," France24, 2 December 2023 <https://www.france24.com/en/africa/20231202-burkina-faso-and-niger-to-quit-g5-sahel-anti-jihadist-force-following-mali-move>
52. "الجيش الأمريكي يكمل انسحابه من النيجر بعد حوالي سنة من انسحاب الجيش الفرنسي"، فرانس 24، 17 سبتمبر 2024 <https://rb.gy/0etw66>
53. "انتهاء مهمة الأمم المتحدة في مالي رسميًا بعد وجود دام عشر سنوات"، فرانس 24، 11 ديسمبر 2023 <https://t.ly/Ss8ts>
54. حمدي عبد الرحمن، "باقية وتتمدد: عودة صعود داعش وتغير ديناميكيات الساحل الأفريقي"، مرجع سبق ذكره.
55. تشارلز ليستر، "داعش" بعد 10 سنوات.. إرهاب الذكاء الاصطناعي، المجلة، 29 يونيو 2026 <https://t.ly/MZRAJ>
56. Edmund Fitton-Brown, "Commentary: The Global Jihadi Terror Threat in September 2024," Combating Terrorism Center, September 2024 <https://ctc.westpoint.edu/commentary-the-global-jihadi-terror-threat-in-september-2024/>
57. تقي النجار، داعش والتمدد في أفريقيا، متابعات أفريقية، العدد 19، أكتوبر 2021، ص 17-25
58. تشارلز ليستر، "داعش" بعد 10 سنوات.. إرهاب الذكاء الاصطناعي، مرجع سابق.
59. Austin Doctor, "The Looming Influx of foreign fighters in Sub-Saharan Africa," War on the rocks, 18 August 2020 <https://warontherocks.com/2020/08/the-looming-influx-of-foreign-fighters-in-sub-saharan-africa/>
60. Austin C Doctor, "Foreign Fighters and Conflict-Related Sexual Violence," International Studies Quarterly, Volume 65, Issue 1 December 2020, Pages 69–81 <https://academic.oup.com/isq/article/65/1/69/6047296>
61. Edmund Fitton-Brown, "Commentary: The Global Jihadi Terror Threat in September 2024," Opt.cit.
62. Héní Nsaibia, "From the Mali-Niger borderlands to rural Gao – Tactical and geographical shifts of violence," ACLED, 6 June 2018 <https://acleddata.com/2018/06/06/from-the-mali-niger-borderlands-to-rural-gao-tactical-and-geographical-shifts-of-violence/>

63. Héní Nsaibia, "A Vicious Cycle: The Reactionary Nature of Militant Attacks in Burkina Faso and Mali," ACLED, 31 May 2019 <https://acleddata.com/2019/05/31/a-vicious-cycle-the-reactionary-nature-of-militant-attacks-in-burkina-faso-and-mali/>
64. Héní Nsaibia, "Sahel 2021: Communal Wars, Broken Ceasefires, and Shifting Frontlines," ACLED, 17 June 2021 <https://acleddata.com/2021/06/17/sahel-2021-communal-wars-broken-ceasefires-and-shifting-frontlines/>
65. "Global Terrorism Index 2024," Institute for Economics and Peace, 6 March 2024, p11 <https://reliefweb.int/report/world/global-terrorism-index-2024>
66. نسرین صباحي، "أزمة متفاقمة: تحديات ظاهرة النزوح في الساحل الأفريقي"، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 22 سبتمبر 2020 <https://ecss.com.eg/11030>
67. "Liptako Gourma Crisis Monthly Dashboard," DTM, March 2024 <https://dtm.iom.int/report-product-series/liptako-gourma-crisis-monthly-dashboard>
68. "Lake Chad Basin: Humanitarian Snapshot (as of 30 July 2024)" <https://reliefweb.int/report/nigeria/lake-chad-basin-humanitarian-snapshot-30-july-2024>
69. نسرین صباحي، "أزمة متفاقمة: تحديات ظاهرة النزوح في الساحل الأفريقي"، مرجع سبق ذكره.
70. "Thirty-third report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2610 (2021) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities," United Nation, January 2024, p3-6 <https://documents.un.org/doc/undoc/gen/n23/431/79/pdf/n2343179.pdf>
71. حمدي عبد الرحمن، "فراغات أمنية: توسع القاعدة وداعش في أفريقيا"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، 21 يونيو 2021 [#https://acpss.ahram.org.eg/News/17174.aspx](https://acpss.ahram.org.eg/News/17174.aspx)
72. Héní Nsaibia, "Newly restructured, the Islamic State in the Sahel aims for regional expansion," ACLED, 30 September 2024 <https://acleddata.com/2024/09/30/newly-restructured-the-islamic-state-in-the-sahel-aims-for-regional-expansion/>
73. نهال أحمد السيد، "أفريقيا في تقرير مؤشر الإرهاب العالمي (2023)"، مركز المسبار للدراسات والبحوث، 31 يوليو 2023 <https://rb.gy/ct3omn>
74. حمدي عبد الرحمن، "باقية وتتمدد: عودة صعود داعش وتغير ديناميكيات الساحل الأفريقي"، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 13 ديسمبر 2023 <https://rb.gy/cx3pfe>
75. Edward Stoddard, "Competitive Control? 'Hearts and Minds' and the Population Control Strategy of the Islamic State West Africa Province," African Security, 29 Mar 2023 <https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/19392206.2023.2192158#abstract>
76. Malik Samue, "The end of ISWAP's 'hearts and minds' strategy?," ISS Africa, 6 September 2024 <https://issafrica.org/iss-today/the-end-of-iswap-s-hearts-and-minds-strategy>
77. Olajumoke (Jumo) Ayande, Chika Charles Aniekwe, A Decade After Chibok: Assessing Nigeria's Regional Response to Boko Haram," ACLED, 16 April 2024 <https://acleddata.com/2024/04/16/a-decade-after-chibok-assessing-nigerias-regional-response-to-boko-haram/>
78. Malik Samuel, "Boko Haram factional violence worries Islamic State," ISS Africa, 25 April 2024 <https://issafrica.org/iss-today/boko-haram-factional-violence-worries-islamic-state>
79. Mohammed Hafez, "The Crisis Within Jihadism: The Islamic State's Puritanism vs. al-Qa'ida's Populism," Combating Terrorism Center, September 2020 <https://ctc.westpoint.edu/the-crisis-within-jihadism-the-islamic-states-puritanism-vs-al-qaidas-populism/>
80. -تشارلز ليستر، "داعش بعد 10 سنوات... إرهاب الذكاء الاصطناعي"، مرجع سابق.

6 تحركات داعش في وسط أفريقيا: ما الهدف؟

عمر البشير الترابي*

تمكّن داعش خلال الفترة (2015-2019) من تشكيل أربعة فروع في أفريقيا؛ هم (تنظيم الدولة في الصحراء الكبرى، ولاية غرب أفريقيا في نيجيريا، وتنظيم الدولة في الصومال، وولاية وسط أفريقيا في جمهورية الكونغو الديمقراطية وموزمبيق، ثم انفصلت موزمبيق لتصبح ولاية خامسة. نشأت هذه الأفرع على عاملين؛ الأول: محلي مرتبط بسياق التطرف في أوغندا ثم الكونغو وكينيا وتنزانيا، والثاني: مرتبط بالهجرات الداعشية بعد سقوط التنظيم في الشام. وتعرض المادة لآفاق التحدي وسبل مواجهاته.

أولاً: داعش ومسألة السيطرة على الأرض

تُشكّل القارة الأفريقية مسرحاً جاذباً للفرص، ولم تعد تعاني من غياب الاهتمام، بل من شراسته، وطبيعة التنافس الدولي غير المقيّد بقواعد واضحة، في القوة والنفوذ، فتتداخل في القارة الأفريقية: (مصالح دول هشة؛ لا يمنعها ضعف إرادتها السياسية من السعي للتوسع نحو جيرانها) بالإضافة إلى تعدد الفواعل من غير الدول، الذين يتسابقون لأداء أدوار مباشرة أو بالوكالة، وينجحون في التأثير في مسيرة بناء الدولة، بسبب تآكل مفهومها، وعدالتها، وانتشار الجهل بقيمتها، في وقتٍ تقتنص الحركات المسلحة المتمردة فرصة تطرّف الخطاب، متأرجحةً بين وصفها كحركات متطرفة وبين اعتبارها متمردة.

قد يصحّ الزعم أن القاعدة ظهرت عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، متأثرةً بالحركات الثورية والسياسية، حيث استلهمت من الخطاب الإرهابي للإخوان المسلمين أسلوبها في زعزعة استقرار الدول، ومنهجها في تكفير قادتها. ولم تضع ذاتها، على أنها الوجه العولمي للتطرّف فقط، ولكنها أيضاً أداة تمردية، تعادي البناء العالمي الجديد، فلقيت تعاطفاً مكتوماً، من بعض الدول الجريحة، وتعاطفاً عليئاً من الدول المارقة.

لاحقاً، ظهرت موجة داعش التطرفيّة بتطرف أكبر، متمردةً على منهج القاعدة نفسه، مفرطةً في التوحش، في مسعى بين؛ لإضفاء طابعٍ سياسي على التطرف، وإتاحة تمثيل سياسي للمهمشين من المتطرفين والمتمردين لتعزيز التفاعل المتبادل، وتأسيس سلطان على الأرض.

في حين اتخذت القاعدة مساراً ينافس على مشروعية الدولة ذاتها، متأثرةً بمبادئ إخوانية تهدف لنزع احتكار الحاكم والدولة للعنف من خلال تكفيرها وتجاوز مسار الإصلاح الديني؛ مما يجعل مفاهيم الجهاد والإصلاح والفتوى والشريعة ساحة تنافس تستغلها الجماعة لتقدم نفسها كممثل للنضال تحت شعارات "القضايا الدينية" ومعارضة الدولة الحديثة. وبهذا، ركزت القاعدة في البداية على معارضة الحكام والنظام الدولي أحادي القطب.

بالتالي، لم تسع القاعدة للسيطرة على الأرض، بل ركزت على بناء شبكات تأثير تنفذ عملياتها في مناطق معينة لتحقيق هدف دولي محدد، موجه أساساً ضد إرادة الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها، مع الاكتفاء باعتبار التهديدات الأخرى تهديدات ثانوية.

على النقيض، قدمت داعش خطاباً طوّر مفهوم السيطرة المباشرة؛ حيث استهدفت تحويل التنظيمات إلى كيان يسيطر فعلياً على الأراضي، ويقوّض بنية الدولة والمجتمع، من خلال بناء هيكل للهيمنة والنفوذ يتضمن احتكار العنف والتشريع، وإعلان "الخلافة" على أرض ذات معالم وحدود محددة ولو مؤقتاً. أي أنها تقدّم نفسها كفاعل دولي، انقلابي شامل. حرّض الدارسين المغيبين للحديث عن دولة انفصالية، ودول جديدة، ومفاهيم تأسيس الدولة.

فرغم أن مفهوم "الدولة" لدى داعش في العراق يختلف عن المصطلح الويستفالي الحديث، فإنه يعتمد على استغلال مظالم التهميش المحلية وتوظيفها لاستقطاب المهمشين وإشباع مصالحهم. استمر هذا النهج حتى سقوط عظم "خلافة" داعش بعد معركة الباغوز، لكنه ظل حاضراً عبر ما عُرف بـ "فرع الولايات البعيدة"؛ حيث استمر الترويج لفكرة الخلافة عبر وسائل افتراضية وخلايا عنقودية تشن هجمات مباغتة تعتمد أسلوب حرب العصابات.

كان سلاح التكفير، والتوسّع فيه إحدى الأدوات السياسية، التي توفّرها الدعاية الداعشية لجذب المنظومات السياسية والاجتماعية المستهدفة، وتمكينها، من شرعنة حالة الانتقام والإعدامات الجماعية، وتبريرها أيضاً، من جهة، ولكنّه يضمن عدم خروج المجنّدين من جهةٍ أخرى أيضاً، لذا يعرض عليه الشرعيون بالنواجز!

إذ كان مجرد الانضواء تحت لواء داعش، وأخذ الاسم الفرعي لها، كافياً لمنح المَباييع رخصةً تمكنه من قتل وإبادة خصومه، وإعادة رسم خريطة ديموغرافية تحت اسم "داعش"، لا اسم تنظيمه الأولي. وهو ما جعل لأيديولوجية التنظيم جاذبية لدى حركات تمردية، في حالة ضعف، تريد الاستفادة من فلسفة التنظيم، وهالته الإعلامية، ومع هذه الإتاحة، فتح الفرصة لتوظيف الإمكانية أيضاً.

وكانت داعش، تحاول توسيع دائرة التكفير، ومنع العذر بالجهل مثلاً، عبر تكفير كل من "يؤمن بالديمقراطية"، فتصممه بأنه "خارج عن الملة، وأنه من الثوابت عند أهل السنة والجماعة أن الدعوة إلى إقامة حكومة مدنيّة تعدديّة ديمقراطيّة عملٌ مخرجٌ من ملة الإسلام، وإن صام دعائها وصلّوا وحجّوا وزعموا أنّهم مسلمون؛ لأنّها تدعو لصرف التحاكم الذي هو حقّ محضٌ لله تعالى، إلى الطاغوت"¹.

والإصرار على التأكيد على أنّ الصلاة والصوم والحج وغيرها من العبادات ليست دليلاً على الإسلام، لوقوع الناس في كفر نابع من فلسفة الحاكميّة التي بدأها الهندي أبو الأعلى المودودي، وشرعها القطبان (سيد ومحمد)، وتلقفه المتأثرون بهما.

واستدلت داعش، بقول الظواهري من قبل إن الجماعة دولة شرعيّة، وليست جماعة، بما جاء في اللقاء المفتوح معه على موقع التوحيد والجهاد، حين قال: "الدولة خطوةٌ في سبيل إقامة الخلافة أرقى من الجماعات المجاهدة، فالجماعات يجب أن تباع الدولة وليس العكس، وأمير المؤمنين أبو عمر البغدادي من قادة المسلمين والمجاهدين في هذا العصر، نسأل الله لنا وله الاستقامة والنصر والتوفيق"². وكان الظواهري قال ذلك، في زمن أسامة بن لادن، وقبل الانسحاب الأميركي من العراق، واستخدم لفظة الدولة، ولم يستخدم الخلافة، لتعميق التلاعب.

لاحقاً، رأت ما سميت بلجان التنظيم أن "دولة العراق الإسلاميّة تحظى بالشرعيّة المستندة إلى الحق الثابت المتقرر في الشريعة الإسلاميّة، وفقهها، وتحظى بقدر طيب ووافٍ من الشعبيّة، وهي إمارة وولاية أقامها مسلمون مجاهدون في سبيل الله تعالى، لهم قوة في بعض بقاع الأرض، فأقاموا إمارة، واختاروا رجلاً منهم بايعوه، وأقاموا ما قدروا عليه من الدين وأحكام الشريعة، وهذه الدولة تُثبت وجودها في الميدان وعلى الأرض، وتزداد قوة بحمد الله وتتطور رغم كيد أعدائها الكبار العظيم، ولذا وجبت بيعتها، وأنها دولة لم تأت بقرار من مجلس أممي بل جاءت بعد التضحية بالقادة، وبعد تناثر الدماء والأشلاء"³. يقول التنظيم: "إن الدولة لدى داعش أسست ببيعة شرعيّة واختيارٍ ومشورة، وأنها لم تقم إلا بعد تمكين وشورى، وبسطة سلطانٍ على أجزاء واسعة من أرض العراق، وإن البيعة قد انعقدت للخليفة

انعقادًا صحيحًا باختيار، ومشاورة أهل الحل والعقد، وإن الدولة التي يطلبها الشرع هي مرتكزة على عقيدة التوحيد، ومنبثقة عنها، وتحكم بمقتضى الشرع في السياسة والعلاقات الخارجية، كما تحكم بمقتضى الشرع في النظم والسياسات الداخلية، وهذا يتوفر في الدولة الناشئة التي لم تتسلم أي ميراث من دولة سبقتها، فهي بناء إسلامي ينتهض من واقع جاهلي⁴.

كانت الخطوة التالية، هي ندب المسلمين للهجرة إليها في الخلافة في بداية التأسيس. ثم في وقت لاحق كانت تكتفي بقبول ضمّ تنظيمات عالمية، ولكنها تحولها إلى ولايات من الفلبين إلى أقصى أفريقيا، ويتم التعامل مع هذه الولايات على أنها ملاذات آمنة، وموارد للمقاتلين والذهب، وتمنح التنظيمات المحلية القدرة على الاستقواء على المنافسين.

كانت هذه الدول المهاجرة إليها تحتوي على شبكة تنظيمات، لها تاريخ متهايك، فبوكو حرام تعصف بينها الخلافات آنذاك، وجماعة التحالف الديمقراطي في أوضاع سيئة؛ إثر تخلي جنودها عن الجماعة واستفادتهم من العفو الأوغندي، وفي الصومال كانت الانشقاقات تعصف في داخل حركة الشباب.

ولكن السؤال كيف هي أوضاع الإرهاب، وسياقات تشكله في دول وسط أفريقيا الرئيسية، والتي تعين على فهم القصة؟ أوغندا والكنغو وموزمبيق، فهي ثمرة الإرهاب في السودان والصومال وتنزانيا من جهة، ونيجيريا من جهة أخرى.

ثانيًا: داعش في وسط أفريقيا - أوغندا فالكونغو وموزمبيق

قد يبدو البدء من التاريخ القديم للإسلام في القارة الأفريقية، مألوفًا ومكررًا، ولكنه مهم لفهم أمرين أولهما: الأشواق الدينية لفكرة الخلافة والإمبراطورية الدينية التي تحمي العرق وتحالف العشائر، كممالك غانا، ومالي، وسنغاي، وكانم، والبرنو، وحتى سِنار، والتي قدّمت لجماهيرها نظيرًا لا يقل أثره عن تأثير السلطنة العثمانية على البلدان التي

اتسعت عليها. فأضحت روح الأمة الجامعة والحنين كلاهما واقعًا في كلّ هذا البلدان، لا سيّما، وأنّ ظروفًا سياسية جعلت من المسلمين، رهيبي توازن الضعف، يهربون منه إلى استعادة التاريخ الباذخ لهذه الممالك، أو الاستقواء بأفكار خارج الدول في الواقع.

استحضار، هذا الواقع ببعده النفسي على الجماعات والأقليات المأزومة خاصة في أفريقيا يفسّر جاذبية فكرة الخلافة لدى كثير من المتعاطفين مع المتطرفين، أو حتى من هم دونهم.

خاصةً أنّ التشكلات السياسية للمجموعات في أفريقيا عمومًا هي ابنة الضعف، وهي مظاهر حدائية بجوهر تقليدي عرقى يبدو الدين ذاته فيها كحالة تقديميّة تدوّب الفوارق. لذا كان الاحتفاء المدني الأوّلي فيها، بالتدين المتسامح والتصوف، بينًا في كل دول القارة فترة ما بعد الاستعمار، فكل حزب هو تمظهر لمعطى عرقى وآخر ديني تقريبًا.

على أي حال، شهد المشهد الديني والسياسي في أفريقيا تحولات جذرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين فعلى المستوى الديني، هيمن النموذج الصوفي التقليدي على الممارسة الإسلامية في معظم الدول الأفريقية حتى سبعينيات القرن العشرين؛ حيث تميز بطابعه المسالم والمتكيف مع السلطة المركزية. غير أن هذا النمط التقليدي شهد تحولًا تدريجيًا نتيجة عوامل متعددة؛ منها صعود الحركات السلفية، وتأثير الثورة الإيرانية عام 1979، والتحول السياسي المتسارع في القارة. وقد ارتبط هذا التحول بشكل وثيق بالتغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها القارة في فترة ما بعد الاستقلال.

شكلت الفترة من (1960-1975) مرحلة محورية في تاريخ القارة الأفريقية؛ حيث شهدت معظم دولها موجة من الاستقلال تبعتها صراعات أيديولوجية حادة. تميزت هذه المرحلة بتأرجح العديد من الدول بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي؛ مما أدى إلى سلسلة من الانقلابات العسكرية والصراعات على السلطة. وقد حاولت بعض الأنظمة فرض نماذج "الثورة الثقافية" التي استلهمت في كثير من جوانبها التجربة الصينية؛ مما عمق الانقسامات المجتمعية القائمة.

مثل سقوط الاتحاد السوفيتي نقطة تحول رئيسية في تاريخ القارة؛ حيث شهدت الفترة من 1989 إلى 1994 سلسلة من التحولات السياسية العميقة. بدأت هذه المرحلة بوصول نظام البشير في السودان عام 1989، تلاه نجاح ثورة إدريس ديبي في تشاد عام 1990. وفي عام 1991، شهدت المنطقة ثلاثة أحداث مفصلية: سقوط نظام منغستو في إثيوبيا وصعود ميليس زيناوي، واستقلال إريتريا، وانهيار الدولة المركزية في الصومال. أدت هذه التحولات إلى تغيير عميق في موازين القوى الإقليمية وفي طبيعة العلاقة بين الدين والدولة في المنطقة.

تفاقمت الأزمات في منطقة البحيرات العظمى مع تصاعد الصراع العرقي في رواندا وبوروندي بين عامي 1993 و1994، وامتدت تداعيات هذه الصراعات إلى الكونغو الديمقراطية. وفي المقابل، شهدت موزمبيق نهاية لحربها الأهلية في عام 1992؛ مما أسهم في إعادة رسم خريطة التحالفات السياسية والعسكرية في الجزء الجنوبي من القارة. أدت هذه التحولات المترامنة إلى إعادة تشكيل المشهد السياسي والديني في القارة بأكملها، وأسهمت في ظهور أنماط جديدة من العلاقات بين المؤسسات الدينية والسلطة السياسية.

تأثرت موازين القوى بشكل واضح، وبدأت الدول باستنفار طاقتها للتشكّل الجديد، وتوظيف الأيديولوجيات الناشئة، فالتقطت تيار الإسلام السياسي والتطرف والإرهاب كأيديولوجية معارضة وتمثل التمرد على النظام العالمي الجديد بعض الدول بينما دعمتها دول أخرى كنظام البشي كأداة للتوسع والتأثير في المحيط الأفريقي.

أوغندا من مساجد عيدي أمين إلى التمرد على موسفيني بدعم ديني موجه :

كان يوري موسفيني قائد أوغندا وصانع التغيير فيها على خصومة جدية مع نظام عمر البشير، وله جِلْفٌ قوي مع قائد الحركة الشعبية لتحرير السودان جون قرنق، وهكذا برر نظام البشير دعمه لأي حركة تمرد على موسفيني بما فيها جيش الرب للمقاومة LRA، المسيحي، وتحالف القوى الديمقراطية الذي تحوّل لأكبر حركة إرهابية في المنطقة بعد عقود. ولكنّه لم ينبت من فراغ.

قبل سنوات من دعم نظام البشير الثوري والمبني على تصدير الثورة حينها؛ قامت جماعة التبليغ بجملة حركات، انتهت بـ "جميل موكولو"، وهو يستولي على مسجد كمبالا القديم نكاسيرو في كمبالا عنوةً، ويوظفه ليكون منبراً للهجوم على بدع الصوفية وخيانتهم للمسلمين ومما لآتهم للحكومة الباطلة.

كان الاستيلاء على المسجد واحتلاله حالةً فارقة لأن "الجهاديين لم يكن لديهم مكان للذهاب والتجنيد دون رقابة"⁵. ثمة من يزعم أن موكولو كان في بداية أمره في جماعة التبليغ، ولم تكن جماعته تتبنى فكرًا جهاديًا عنيفًا حينها إلى أن تحالف مع جناح مسلح يسمى "المسلمين الأوغنديين المقاتلين من أجل الحرية". والذين يدرسون التطرف بتتبع الشخصيات، يقفون عند "اعتقال موكولو" عام 1991 وسجنه لمدة ثلاث سنوات، ويجعلون ذلك نقطة تحول في مساره نحو العنف المنظم.

فبعد إطلاق سراحه عام 1994، وجد نفسه معزولاً عن المراكز السلفية الرئيسية التي منعتَه من إلقاء الخطب، بعد دخول الدولة في خطٍ من المفاوضات؛ لذا قاومها رفقة بعض العسكريين الموالين له، ولكن سرعان ما انهزم، وانسحب إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية رفقة جماعته التي أضحت اسمها: "القوات الديمقراطية المتحالفة (ADF) في 1995"⁶.

ولكن ما شأن مسجد كمبالا واحتلاله، وما دافع هجوم موكولو على الدولة منه. وما علاقة المساجد بالتطرف في هذه الدول، التي كانت تحاول الحفاظ على معضلة "مكافحة التطرف الديني" دون تقويض الأسس العلمانية.

كان الرئيس يوري موسفيني اعتمد على مؤسسة المجلس الإسلامي الأعلى في أوغندا (UMSC)، ولم يكن المجلس من إنجازاته الشخصية، بل ورث هذا النظام الذكي في تدبير الشأن الديني، من العهد السابق لعبيدي أمين، الذي أسسه عام 1974، وتعاقب على رئاسته مجموعة من رجال الدين التقليديين، المعروفين بقربهم من التصوف مثل الشيخ رزاق ماتوفو (Sheikh Razaku Matovu) الذي أقاله أمين، ثم خلفه الشيخ سليمان (Sheikh Salayiman) الذي أُقيل أيضًا عام 1978، ولم تخل ملابسات تأسيس المجلس من أحداث سياسية، غايتها الحفاظ على المجال الديني

الأوغندي، في ظل سيادة التنافسات، بين الأشعرية والسلفية، أو تأثير تنافس الدول الإسلامية في المحيط الأفريقي آنذاك.

ولأسلوب عيدي أمين أهمية، يعكسها الباحث سباستيان الذي يقول عن بداية تأسيس "بعد ثلاثة أشهر من توليه السلطة، شرع أمين في تشكيل المجلس الإسلامي الأعلى في أوغندا (UMSC)، كان لديه ثلاثة دوافع رئيسية؛ أولاً: كان مسلماً متديناً، ولديه اهتمام جوهري في تعزيز الإسلام، الذي كان متأخراً عن المستويات الاقتصادية والتعليمية للأغلبية المسيحية. ثانياً: كان لديه مصلحة سياسية في إبعاد الإسلام عن السياسة وتعزيز الإشراف الحكومي على الشئون الإسلامية. فقد رأى كيف أن تسييس المجال الإسلامي ساعد في تقويض سلفه أوبوتي⁷. ثالثاً: خشي أمين من صعود السلفية وتأثيرها في حكمه. فبحلول منتصف السبعينيات، عاد إلى أوغندا علماء إسلاميون درسوا وحصلوا على شهادات في اللاهوت الإسلامي من مصر والشرق الأوسط. بدأ بعضهم في الترويج لـ "التعاليم الجديدة"، داعين إلى تفسيرات حرفية للقرآن. انتقد هؤلاء العلماء روابط أمين الوثيقة مع الصوفية، والطبيعة العلمانية للدولة الأوغندية، وسجل حقوق الإنسان لنظام أمين⁸. طوال السبعينيات أقامت إدارة أمين روابط وثيقة بين وزارة الداخلية وجميع مساجد الجمعة القائمة في جميع أنحاء البلاد. وكانت عينه مفتوحة على الخطاب المتطرف الجاف ممثلاً في السلفية والخطاب المسييس الناعم ممثلاً في خطاب الإخوان المسلمين، وكان الخطابان يلتقيان رويداً رويداً، ولكنهم لا يجدون المنابر الكافية لتحكم المجلس الإسلامي الأوغندي في المساجد.

أطلق عيدي أمين في عام 1972، حملة طرد واسعة النطاق للآسيويين، باعتبارهم "مستعمرين اقتصاديين" في حالة شعبية تشبه التوجهات الثورية السائدة لدى ضباط الأفارقة وحركات التحرير، وقد أدى هذا الطرد إلى جملة نتائج اقتصادية، منها فقدان العديد من المحلات التجارية والمشاريع الصغيرة التي كان يديرها الآسيويون؛ مما أثر بشكل كبير في الاقتصاد المحلي، ولكن ما يهمنا أثره هو، فضاء العبادة المكاني الذي كان يملؤه المطرودون، أي المساجد التي كانوا يؤمنونها.

فمع غياب العديد من صنّاع المجال الديني، الذين شغل بعضهم مناصب قيادية في المساجد، تمكنت الجماعات السلفية من الاستيلاء على دورهم في هذه المساجد. وقد استغل السلفيون هذه الفرصة لترويج أفكارهم ومعتقداتهم، حيث انتقدوا التقاليد الصوفية التي كانت سائدة في المجتمع⁹.

مما مكّن المجتمع السلفي من الاستيلاء على المساجد الكبرى، ومنها مسجد نكاسيرو بكمبالا. وفي خطب الجمعة لم يكتفوا بانتقاد التقاليد الصوفية المتسامحة والمتوائمة مع فكرة الدولة والنظام والاستقرار، بل طالبوا بانتخاب مجلس جديد يمثل جوهر الصحة والثورية، وهي الأزمة التي انتهت بسجن جميل مكلو، الزعيم البارز في الشباب الثائرين والداعين للتغيير. بل كان جميل مكلو (Jamil Mukulu) قائداً لحركة الشباب المسلم، فانتهى الجدل معه إلى السجن، بينما فرّ قادة آخرون إلى كينيا. وهنا وصلت الصحة الأوغندية إلى ذروة الصراع. وعلينا أن نتذكر أنها كانت في زمانٍ تسنّم الإسلاميون فيه الحكم في الشمال البعيد في السودان، وذاع بين الناس أثر أسلمة جنوب السودان، وبعث الحركة في كثيرٍ من خبايا أفريقيا، فقد كان موت خميني إيران، كالإيدان بموت خميني أفريقيا حينها!

شهدت أوغندا ظهور تنظيمين جهاديين محليين هما تحالف القوى الديمقراطية (ADF) وحركة أو جيش الحرية الوطنية الأوغندية، أما التحالف فهو بقيادة مكلو، واستهدفت تحويل أوغندا إلى دولة إسلامية. وقد حصلت الحركة التي بدأت سياسية، ومن جماعات متفرقة لديها مواقف من الرئيس موسفيني، ثم تم اختطاف قيادتها بسبب الدعم المالي واللوجستي من كل من السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية حينها، وبسبب رؤية المتطرفين أمام تداعي فكر الديمقراطيين الذين أوذوا وبقي اسمهم فحسب!

في البداية، سعت الحركة لتجنيد الأعضاء من المساجد السلفية، لكن محاولاتها تعرقلت بسبب الروابط القوية بين الفصيل السلفي مقلّم الأظافر أو قل المعتدل، وبين الحكومة الأوغندية، والمجلس الإسلامي الأوغندي (UMSC)؛ مما ترك الجهاديين بلا مساحة للتجنيد. فقد كانت الحكومات في التسعينيات، تنظر

إلى الزوايا الإيجابية بأنّها تعيد خلق تيار سلفي شبه وطني، وتحاول أن تعوّل على السلفية الكامنة لمواجهة الإخوان المسلمين لتقليص حظوظهم السياسية، وكانت هذه لعبة خطيرة، ولكنّها تسكّن الألم قليلاً، ولم يكن بيدهم خياراً أمام تكاسل المتدينين التقليديين عن تقديم خطاب وطني صلب وبديل يستطيع استيعاب الدولة والمجتمع.

نجحت الدولة في عزل جمهورٍ معتبر بإجراءاتها الحوارية، ونجحت أيضًا في مواجهة الميدانية التي اختارها التنظيم، فأجبرت قوات الأمن الأوغندية (ADF) على نقل عملياتها إلى شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية¹⁰.

الكونغو الديمقراطية: جحيم الإبادات وملاذ الهجرات:

كانت السلطات الكونغولية في البداية، متهمّة بأنها تأوي خصوم موسفيني، وتتواصل مع السودان. وكان وجود التحالف الديمقراطي داخل أراضيها مسكوتاً عنه لاعتبارات عرقية، ولصلاتها بما يدور في دول الجوار الأخرى التي كانت تفيض مذابحاً.

أوغندا، كانت تسعى لإسكات البنادق بصفة دائمة، فالنظام قدّر أن الخطر يتمثل في جيش الرب، وأنّ الإسلاميين ضئيلي التجربة والعدد يمكن إعادة إدماجهم. وكانت السياسية التي تراهن على تعبهم، تضيف بنداً وهو إصدار عفو مجدّد، يفتت وحدة التنظيم. ففي عام 2000، أصدرت حكومة موسفيني قانون العفو الذي منح جميع المتمردين الأوغنديين حق العفو مقابل تسليم أسلحتهم. وقد تعاونت الحكومة مع المجلس الإسلامي الأعلى (UMSC) والأمم المتحدة في الدول المجاورة للترويج لهذا البرنامج؛ مما أدى إلى إضعاف تماسك الحركتين؛ (ADF) من (UNFM/A)، ويعتبر المحللون المحليون أن عام 2006 كان العام الذي شهد انتهاء الحرب ضد النشاط والأيديولوجية الجهادية على الأراضي الأوغندية.

ويمكن فهم ذلك، بأنّ الظروف التي قضت بالدعم الخارجي لهذه الجماعات انحسرت، فكان ذلك الوقت ضمن أعوام السلام بين السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق؛ مما أدى لإعادة ترتيب المنطقة. بالإضافة إلى

ظروف الحرب على الإرهاب، التي جعلت مسألة الحرب على الإرهاب، جاذبة للدول الكبرى، وكلما تمرّست دولة فيها، كلما صارت لها حظوة.

ولكنّ الدعم الخارجي، ليس السبب الوحيد، فثمة أسباب هيكلية في هشاشة الدولة وسيادة الحق، فبالرغم من أن الكونغو تمتلك مواردًا معدنية قدر قيمته بنحو 24 تريليون دولار، بما في ذلك احتياطات ضخمة من المعادن الحيوية كالكوبالت والكولتان. إلا أنّ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي لا يتخطى 577 دولارًا سنويًا، مع انتشار واسع للبطالة والفقر متعدد الأبعاد. وتحتل البلاد المرتبة 179 من أصل 191 دولة على مؤشر التنمية البشرية. بسبب الصراعات الدموية المتكررة في شرق الكونغو والتي استفحلت بعد الإبادة الجماعية في رواندا، قد أدت إلى انتشار الفقر والنزوح وتفكك المجتمعات المحلية. وفي ظل هذه الظروف المأسوية، لم تتمكن الحكومة من توظيف الثروات الطبيعية بفاعلية لرفع مستويات المعيشة، بل زادت الأمور تعقيدًا بانتشار المجموعات المسلحة الضالعة في اقتسام عائدات التعدين والغابات¹¹.

لم يكن وجود المسلمين في المجتمع الكونغولي موضع نقاش قط، إلى درجة أن آخر بطل كونغولي حقيقي كان العقيد مامادو مصطفى ندا (قائد الكتيبة كوماندوز 42) التابعة لوحدة الرد السريع بالجيش الكونغولي، حيث تولى قيادة العمليات القتالية ضد (حركة 23 مارس) المتمردة¹²، وقد كان مسلمًا، وأثار اغتياله في عام (2014) حالة من الحزن والغضب الوطني وحصل بعد وفاته على أرفع الأوسمة العسكرية تقديرًا لجهوده في خدمة البلاد.

ومع ذلك، منذ عام 2014، تجلّى الخوف من الإسلام المتطرف والعنيف في جمهورية الكونغو الديمقراطية. ينبع هذا الخوف من السياق الدولي، باعتبار أن أفريقيا واحدة من مناطق توسع الحركة الإرهابية، ولكنه ينبع أيضًا من واقع محلي عنيف بشكل خاص؛ "عمليات القتل المتكررة على يد قوات القوات الديمقراطية المتحالفة"، كان التنظيم بدايات لوصم المسلمين في مقاطعة كيفو، بالإرهاب.

حصلت هذه القوات في التسعينيات على دعم من الرئيس الكونغولي موبوتو سيسي سيكو (Mobutu Sese Seko)، الذي كان مهتمًا بمواجهة أوغندا وروندا اللتين كانتا تدعمان الجماعات المتمردة في الكونغو لإسقاط نظامه.

رأى موبوتو سيسي سيكو، آنذاك في هذه الجماعة قوة مفيدة ضد التوغلات الأوغندية في البلاد، وكان سعيدًا بتزويدها بالأسلحة والمعلومات الاستخباراتية¹³. وبدا خليفته لوران كابيلا، وابنه الرئيس المنتهية ولايته جوزيف كابيلا، راضيين بمنح قوات القوى الديمقراطية المتحالفة، حرية التحرك في المناطق الحدودية، أو على الأقل بذل القليل من الجهد لاحتوائها.

أتاحت الحرية التي منحتها الحكومات الكونغولية المتعاقبة، لقوات القوى الديمقراطية المتحالفة، فرصة الدخول في شراكات قصيرة الأجل مفيدة مع جماعات متمردة أخرى، والاستفادة من التجارة غير المشروعة على الحدود، وكسب دعم الجهات الفاعلة الدولية. على سبيل المثال، كان السودان يرسل بانتظام الأسلحة والأموال إلى الجماعة¹⁴. تعطي حالة القوى الديمقراطية المتحالفة، صورة عامة عن تلاعب الحكومات الأفريقية، والتنافس فيما بينها عبر الجماعات المسلحة، وكيفية تحولها فيما بعد لظاهرة ممتدة لتهديد الأمن والاستقرار.

في أواخر التسعينيات، شنت (ADF) سلسلة من الهجمات في أوغندا انطلاقًا من قاعدتها الكونغولية، لكن جهود مكافحة التمرد الأوغندية أضعفتها تدريجيًا. وفي عام 2005، شنت القوات المسلحة الكونغولية (FARDC) وبعثة الأمم المتحدة في الكونغو (MONUSCO) عمليات ضدها؛ مما أجبرها على فترة من الخمول النسبي، بعد العام 2006 كما مرّ بسبب التوافق بين موسفيني والبشير بعد توقيع اتفاق السلام.

غير أن (ADF) عادت للنشاط في الفترة 2010-2011؛ حيث شنت هجمات عشوائية ضد المدنيين في بني (Beni) انتقامًا لتعاون البعض مع القوات الكونغولية. وفي الفترة 2013-2014، شنت هجومًا جديدًا، قتلت فيه المدنيين وهاجمت قوات الأمن الكونغولية، كما أقامت تحالفات مع مليشيات محلية ومع ضباط في القوات

المسلحة الكونغولية لزعزعة الاستقرار قبيل الانتخابات عام 2016. لكن الجيش الكونغولي تمكن من الرد عليها وإجبارها على التراجع إلى "حافة الإبادة"¹⁵.

كان زعيم الجماعة جميل متوائماً مع أهدافها المرحلية آنذاك. ولكن التحول ووصول القائد الجديد موسى بالوكو (Musa Baluku)، وهو المولود في 1977، والمتحدّر من مقاطعة كاسيسي بأوغندا، والمنتمي إلى قبيلة موكونجو، على عكس معظم قادة ADF الذين ينتمون إلى قبائل باغاندا وسوغا، له الأثر الكبير في الإفراط في التوحش، وهلع القيادة بما يمنع الانشقاقات بأي طريقة أيديولوجية.

غير موسى بالوكو (Musa Baluku)، اتجاه الحركة لبناء دولة إسلامية في الكونغو، وفق أيديولوجية سلفية جهادية عابرة للحدود. ومن هنا سيعلم بالوكو ولواء الجماعة لأبي بكر البغدادي زعيم تنظيم الدولة الإسلامية في حزيران (يونيو) 2018، ليتم بعدها اعتماد "ولاية وسط أفريقيا" التابعة للتنظيم الإرهابي.

ولكن الهدف الجوهرى من هذه التلاعبات، كان الحفاظ على ولاء أنصاره المتبقين، وتقديم الجماعة كأداة وظيفية دولية، في منطقة غنية بالموارد النادرة التي تحتاجها، وبناء هيمنة حقيقية، وتبرير التوسع باستخدام الأيديولوجية الداعشية.

وخلفية ذلك، وأنه نتيجةً للتدخل الأوغندي في أراضي الكونغو الديمقراطية، والخسائر الفادحة التي تعرضت لها الحركة بعد اعتقال زعيمها موكولو، وتقلص عدد مقاتليها إلى حوالي (600) مقاتل، كان قرار زعيمها بالوكو في أكتوبر (تشرين الأول) مبايعة تنظيم داعش، وتغيير اسم الحركة من (القوات الديمقراطية المتحالفة) إلى "تنظيم مدينة التوحيد والموحدين" (ADF-MTM) بجانب الاسم الأصلي الذي عُرفت به، وبحسب الخبراء يأتي هذا التغيير للحصول على شرعية تمكن التنظيم من تعويض خسائره، وتجديد المقاتلين من شتى أنحاء المنطقة تحت شعار إسلامي، بالإضافة إلى محاولة منع الانشقاقات، وذلك في تفسير الباحث.

كانت الجماعة قد توغلت في استقبال التوحش، فهي أولاً مهاجرة وبعيدة عن الناس، وأضحت بلا سند، بسبب التغيرات السياسية، لذا سارعت في تبني أفكارها

الإقصائية، حتى قبل اتباع داعش، وكان زعيم الجماعة "جميل موكلو" يقول عن سكان القرى الذين قد يبلغون عنهم في عام 2014: "إذا رأك المدنيون، اقتل المشركين منهم كما يقتلونك. اذبحهم واقطع رؤوسهم على الفور. لا تُعطهم فرصة ثانية. لا تتردد في قطع رؤوسهم".

لذا؛ تختلف استراتيجية قوات التحالف الديمقراطية في الكونغو عن التمردات التقليدية التي تسعى لكسب دعم محلي، هم يسعون للهيمنة على الأرض والحفاظ على السلطة، وبناء الدولة على فكرة صدمة المواطنين، واحتكار العنف بعد انهيار الدولة القديمة.

وهنا يمكن الإشارة، إلى أن الجماعة هنا اختارت الأرض، وبدأت في عملية احتلال المدن، وبناء منطقة هيمنة ميدانية، وهي ظاهرة اجتاحت الحركات الداعشية ويمكن التذكير بالفلبين، حيث كانت مراوي مثيلةً للموصل، وتزامن ذلك مع سحق الجيش المصري لمحاولة التنظيم إنشاء إمارته في سيناء.

الباحثون يتفقون على أن التهديد العابر للحدود، مرتبط بأسباب أوسع وتاريخ يجب قراءته في إطار كلي، يرتبط بتشكيل منطقة البحيرات العظمى. فقد استغل التنظيم التنافس العرقي والجيوستراتيجي بين دول مثل جمهورية الكونغو الديمقراطية ورواندا وأوغندا وبوروندي، أو استغلته الجماعات التي لجأت للتنظيم، لخلق بيئة مواتية لتعظيم فرص بقائها.

وما يفهم أنه كان تهاون مع الظاهرة، قد لا يكون سوى ضعف من الحكومة المركزية في الكونغو، والدول الأفريقية التي تمتد لمساحات شاسعة، من الصعب إدارتها مركزياً، ومن المخيف تركها لكم الأفراد المحليين، وهذه معضلة الدولة الأفريقية، التي توصف بأنها عبء الرجل الأبيض، بمعنى أنها لم تنتج داخل سياق التجربة الأفريقية وتطور مجتمعاتها؛ مما أدى لتشوّهات كبيرة، وتنوّات تظهر، ويجري استغلالها. فمن يتحكم بالحدود الهشة بين دول المنطقة التي تعبر عبرها الأسلحة والمقاتلون والنزاعات على سبيل المثال.

هذه التحركات مدفوعة بالأيديولوجيا، وبحسابات الرؤساء والأجهزة الأمنية والإدارات المتعاقبة، مع الأخذ بالاعتبار الحروب الأهلية السابقة، ونتائجها. وهذه النتائج، تكون دائمًا في المناطق الحدودية والنائية.

يعود تمدد تنظيم داعش في جمهورية الكونغو الديمقراطية إلى عوامل عدة؛ من بينها الصراع المستمر بين دول الجوار الجغرافي والانقسامات الإثنية؛ حيث كان هذا الصراع سببًا في انتقال النزاعات بين دول منطقة البحيرات العظمى؛ مما أتاح فرصة غير مسبوقة لداعش للتوسع في الكونغو والدول المجاورة. وكان هذا التوسع نتيجة للتنافس العرقي والجيوستراتيجي بين دول مثل جمهورية الكونغو الديمقراطية، رواندا، أوغندا، وبوروندي.

في أواخر عام 2021، دخلت القوات الأوغندية، جمهورية الكونغو الديمقراطية لمحاربة "القوات الديمقراطية المتحالفة" (ADF). هذا التدخل العسكري أسهم في تجدد الاشتباكات الحدودية بين الكونغو ورواندا، وأدى إلى تعميق الأزمة الإنسانية في المنطقة.

من ناحية أخرى، أدى الصراع إلى تعطيل الأنشطة الزراعية وطرق التجارة؛ مما تسبب في تفاقم الفقر وإعاقة جهود التنمية، وأسهم في تصاعد الانقسامات الإقليمية وانتشار ظاهرة الحروب بالوكالة وتصادم الإرادات بين القوى الإقليمية، وهي عوامل أسهمت في توسيع نفوذ تنظيم داعش في المنطقة.

وفي كتاب بعنوان "تنظيم الدولة في أفريقيا"، نشرته جامعة أكسفورد في مارس (آذار) 2022، تطرق أحد الفصول إلى ولاية وسط أفريقيا التابعة لتنظيم داعش، مع التركيز على جمهورية الكونغو الديمقراطية كنموذج.

جاء في الكتاب أن ولاية وسط أفريقيا هي الولاية الوحيدة التي أعلن عنها بعد سقوط معركة الباغوز في مارس (آذار) 2019.

تتألف ولاية وسط أفريقيا من جناحين رئيسيين؛ "أحدهما في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية، والآخر في شمال موزمبيق". تمكن تنظيم داعش من التوسع

في مناطق جديدة باعتماد الجناح الكونغولي لتنظيم داعش (ISCAP - Congo)؛ ومن خلال منح قوات التحالف الديمقراطية "صلاحيات المنفعة التابعة" واعتبارها جناحاً لولاية وسط أفريقيا الجديدة في أبريل (نيسان) 2019؛ مما مكنه من الاحتفاظ بمكانته البارزة داخل المجال الجهادي العالمي على الرغم من الخسائر التي تعرض لها في العراق وسوريا.

رغم الضغوط العسكرية الكبيرة التي تعرض لها التنظيم، فإنه استطاع، بفضل دعمه المركزي وإن كان محدوداً، أن يظل أحد أقوى التمردات وأكثرها فتكاً، خاصة بعد وفاة البغدادي.

هذا التمدد يعكس استغلال التنظيم لبيئة الصراعات الإقليمية وانهيار الحكم الرشيد، ويظهر كيف يمكن للفاعلين غير الدوليين أن يستفيدوا من الاضطرابات المحلية لتحقيق مصالحهم الاستراتيجية.

يرجع البعض نشأة داعش الأفريقية إلى السلفية المنتشرة في أوغندا وموزمبيق والكونغو، ومنذ عام 2010 أطلق الجهاديون الموزمبيقيون على أنفسهم اسم الشباب، ومع ذلك فهم يختلفون عن حركة الشباب الصومالية أو جماعة "الشباب السلفي" داخل الحركة السلفية التنزانية، وصولاً إلى السلفية في أفريقيا الوسطى وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وحركة الشباب الصومالية.

ولكن يمكن المجادلة بأن الادعاء بأن نشأة تنظيم داعش في أوغندا وموزمبيق وجمهورية الكونغو الديمقراطية تعود إلى السلفية المنتشرة في تلك المناطق ليس دقيقاً، ويتجاهل السياق الذي ولدت فيه هذه التطرفات، ومنشأ سرعة التفسير النمطي، الذي يريد أن يحوّل الحركات المتطرفة إلى حالة فكرية عائمة لا رأس لها (اسمها السلفية)، ويتجاهل أموراً منها -لفهم السلفية نفسها-؛ وأولها: التداخل مع تنظيم الإخوان، المسئول عن التوظيف السياسي للتطرف، والتهوم في الإفادة السياسية والاقتصادية منه. والثاني: السياق السياسي لفشل الدولة، وما توفره من عناصر للاحتقانات التي يمكن المتاجرة بها. والثالث: يتصل بالحركات المتمردة

والمنافسة للدولة، ودعمها للإرهاب باسم الديمقراطية أو خلخلة النظام. والرابع: الإطار الجيوسياسي العالمي وما فيه من تنافس.

ويتبنى هذا التفسير من يرى أنه حتى جماعة "داعش الكونغو" أو "ولاية وسط أفريقيا"، المنبثقة عن التحالف الديمقراطي، كان إلهامها متأثراً بالديناميكيات الدولية للانتساب الجهادي ورغبة الجماعات في الحصول على الدعم اللوجستي والشرعية على مستوى عالمي. بينما في رواية، وفي تفسير متشائم آخر، يمكن الإشارة إلى أن الدول تريد حشد دعم عالمي لمواجهة التمرد، فتعمل على دفع الجماعات المتطرفة لفخ داعش، وهو تفسير ناقص ولكنه مهم.

يمكن الانتباه إلى أن التحالف الديمقراطي، تجاوز الحالة الوطنية فلم يعد مهموماً بمجابهة كمبالا، ولا مواجهة الكونغو فحسب، بل انفتح تجاه فكرة الحدود المفتوحة، ومثلت له الساحة الداعشية والدعوة إليها فرصة ليتمدد هرباً من أزمته الداخلية.

يعكس وجود داعش في هذه المناطق توسعات انتهازية للتنظيم، وليس جهداً منظماً لإنشاء فروع منبثقة من جماعات سلفية موجودة. تشمل العوامل المحركة التهميش المحلي، والشباب المحروم، وغياب الحوكمة الفعالة؛ مما سمح لجماعات مثل "ADF" و"انصار السنة" باكتساب الزخم والانضمام إلى داعش للحصول على الدعم وتعزيز مكانتهم.

كتب بونوا فوكو، ونيكولاس بارييو، وجو باركنسون في صحيفة وول ستريت جورنال بتاريخ 16 أبريل 2021، أن أفول تنظيم داعش انقضى بيزوغ شمس في وسط أفريقيا مستهدفاً دولاً ذات غالبية مسيحية مثل الكونغو وموزمبيق. وأشار المقال إلى أن التنظيم المعروف بفرعه في أفريقيا وسط أفريقيا بقيادة موسى بالوكو، نجح في توسيع نطاق نفوذه بسرعة، حتى أصبحت الولايات المتحدة تفرض عقوبات عليه. ففي أواخر مارس سيطر مقاتلو التنظيم في موزمبيق على مدينة ميناء استراتيجية بعد حصار دام أياماً؛ مما أدى إلى مقتل عشرات الأشخاص وإجلاء شركة توتال الفرنسية لموظفيها من مشروعها الضخم للغاز. يشير إلى أن التحالف بين التنظيم وبين داعش الأم ليس تاماً؛ حيث تلقى الدعم المالي والتدريبات دون توجيه مباشر، وفقاً لمصادر

أمنية غربية. وقد شهدت الجماعة تطوراً في تكتيكاتها من خلال تبني أساليب قتال غير تقليدية والتوسع في تجنيد عناصر جديدة من خلفيات محلية ودولية، إلى جانب تدريب مقاتلين صغار السن وإمدادهم بأسلحة حديثة. يقول المقال إن الارتباط الجديد بالدولة الإسلامية منح ADF شرعية أيديولوجية وفرصاً لتمويل إضافي؛ مما عزز قدرتها على شن هجمات شديدة الفتك واستهداف مصالح غربية؛ مما أثار قلقاً لدى الحكومة الأمريكية التي بدأت في مراجعة سياساتها تجاه أفريقيا¹⁶.

وكانت الجماعة تغازل الجماعات في دول الجوار، فقد تبني بالوكو عقيدة ومنهج داعش، لتبرير نشاط جماعته الإرهابي وإضفاء الطابع الأيديولوجي عليه. وبالطبع لم تتخل عن استهداف أوغندا التي غرّد رئيسها عن إحباط عملية إرهابية للتحالف في 17 أكتوبر 2023¹⁷.

وغدت عمليات الجماعة في أيّ دولة لها صدى عالمي، فخبير اقتحام سجن في مقاطعة منسيّة، صار له اهتمام عالمي ويعلن تنظيم "الدولة الإسلامية" (داعش) مسئوليته عن تحرير نحو 20 سجيناً خلال هجوم في مقاطعة شمال كيفو بشرق جمهورية الكونغو الديمقراطية، ويغطى الخبر بشكلٍ عالمي فقط لأن الجماعة صارت فرعاً لداعش¹⁸! تماماً مثل الخبر الذي يكون لقبلة أمام مركز أوغندي، تغطيه وول ستريت جورنال¹⁹.

بيد أن هذا لا يؤخذ بعيداً عن الإشكال السياسي في الكونغو، فإن الصراع معقد في هذه المنطقة، وتعتمد ديناميكياته على عوامل عديدة. من بينها، دولة بدون مؤسسات عاملة للتعامل بشكل صحيح مع الموقف، والتداعيات الناجمة عن صراعات البلدان المجاورة والجهات الفاعلة الدولية، والإرث الاستعماري والأسئلة المتعلقة بالجنسية وحقوق الأراضي والمواطنة²⁰. وتشير التقديرات إلى أن أكثر من 100 جماعة مسلحة تعمل حالياً في مقاطعات كيفو. ومن بينها حركة 23 مارس، والقوات الديمقراطية لتحرير رواندا، وقوات التحالف الديمقراطي، وجماعات ماي ماي، فضلاً عن الجيش الكونغولي. وجماعات ماي ماي هي جماعات من أصل كونغولي من جماعات عرقية محلية تدافع عما يرون أنه أراضيهم وحقوقهم في الوجود في المنطقة

²¹. تشكلت القوات الديمقراطية لتحرير رواندا من قبل مليشيات الهوتو بعد الإبادة الجماعية عام 1994، وقد دعمتها الحكومة الكونغولية لفترات طويلة²². ومؤخرًا كانت تعمل مع القوات المسلحة لجمهورية الكونغو الديمقراطية والجماعات المحلية لمحاربة حركة 23 مارس²³. تتألف حركة إم 23 في الأساس من التوتسي، ويُزعم أنها مدعومة من الرئيس كاغامي ورواندا²⁴. ويُقال إن تمرد حركة إم 23 هو نتيجة لشعور رواندا بالتهديد في نفوذها وموقعها في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية، وليس الهدف المعلن لحركة إم 23 حماية البنيامولنجي والتوتسي ضد الجماعات المسلحة²⁵.

وفي أكتوبر (تشرين الأول) 2017، نفذت جماعة "أهل السنة والجماعة" بقيادة بالوكو هجوماً كبيراً على مركز الشرطة والمباني الحكومية في (Mocimboa da Praia) بموزمبيق، أسفر عن مقتل 17 شخصاً. وفي أبريل (نيسان) 2018، أعلن بالوكو مبايعة جماعته لتنظيم الدولة الإسلامية²⁶.

ولم يعلن المقاتلون المتمركزون في جمهورية الكونغو الديمقراطية صراحة عن انتمائهم إلى حركة جهادية إلا في عام 2017، وسارع نظراؤهم الموزمبيقيون إلى تسريع حملتهم الهجومية في شمال موزمبيق. وبلغ هذا التمدد ذروته بتعهد المقاتلين الموزمبيين بالولاء لتنظيم الدولة الإسلامية في وسط أفريقيا في عام 2018، وتشكيل تنظيم الدولة الإسلامية الولاية باتساعها في أبريل (نيسان) 2019، والهجوم الأول الذي تبناه تنظيم الدولة الإسلامية في أفريقيا الوسطى بموزمبيق في يونيو (حزيران) 2019، والهجمات التي تلت ذلك على الكنائس، وسرقة البنوك، وقطع الرؤوس، والمذابح المدنية في شمال موزمبيق²⁷.

في موزمبيق، ترتبط جذور التمرد بجماعة "أنصار السنة"، وهي حركة بدأت كمجموعة دينية تسعى لفرض ممارسات إسلامية أكثر صرامة في إقليم كابو ديلغادو.

موزمبيق: العرق أقوى من الدين:

خضع تنظيم السنة والجماعة (ASWJ) عام 2014، لتأثير حزمة من الشباب السلفي المتحمس في بلدة "موكيمبوا دا برايا" بتأثير وانفعال خارجي²⁸، وكانت

أولى الجماعات شمال موزمبيق، متأثرة ومؤثرة في تنزانيا المجاورة²⁹. ودعا التنظيم الشريعة وتطبيقها في مقاطعة «كابو ديلغادو» وخاض نزاعاً مع السلطات الدينية المحلية حول تفسيراته المتطرفة للإسلام. وبرز الكيني عبود روجو محمد (Aboud Rogo Mohammed) -المتورط في الدعم لحركة الشباب الصومالية-، كأحد المؤثرين في خطاب الجماعة. وكان الرجل المتوفي في 2012 صاحب خطابة حماسية. جلبت مع الأفكار المقاتلين الكينيين الذين تشكلت نواة التنظيم الموزمبيقي منه³⁰!

وهنا علينا أن نعود إلى أوغندا، قبل ثلاثين عام، حين خرج من بين يدي موسيفيني معارضون، بعضهم إلى الكونغو، وآخرون إلى كينيا!

انتقل التنظيم من «أنصار السنة» إلى جماعة «الشباب»، التي بايعت داعش عام 2019، وسيطرت على جزء كبير من المنطقة الساحلية، ودعت إلى تطبيق الشريعة في كابو ديلغادو، معلنةً تمرداً كاملاً على قوانين الدولة وأنظمة حكمها. وفي سبيل تجذير وجودها هناك، أنشأت شبكات تهريب مختلفة للحصول على المال والسلاح³¹، وعملت على التخلص من الزعماء الدينيين المحليين المنتمين إلى جماعات إسلامية أخرى، لتكريس حضورها في موزمبيق³².

ومع تمدد الجماعة بدأ قادتها في إنشاء معسكرات تدريب في المناطق الشمالية من كابو ديلغادو، وأنشأوا «مجلس صنع القرار»، الذي ورد أنه مسئول عن وضع الاستراتيجية العسكرية. ونشطت في تجنيد الشباب ليس في الشمال وحسب، وإنما امتدت لخارجه لتشمل تنزانيا ومنطقة البحيرات العظمى، وقام هؤلاء المجندون الأجانب بتدريب السكان المحليين على التقنيات العسكرية³³.

ربما وجد تنظيم داعش في ذلك فرصة للتخفيف من خسائره في أماكن أخرى بعد سقوطه في الرقة والموصل عام 2017؛ مما دفعه إلى إقامة علاقة مباشرة ورسمية مع الجماعة في موزمبيق، بدءاً من عام 2019، ومنذ ذلك التاريخ ظهر التنظيم جنباً إلى جنب مع فروعه الأفريقية الأخرى في الدعاية التي يبثها على منصات الإعلام المتنوعة. وكان لتحول الشباب نحو «داعش» عميق الأثر في نقل فوائد تكتيكية

واستراتيجية لمتبردي كابو ديلغادو³⁴، وتُشير بعض التقديرات إلى أن أعضاء التنظيم الموالي لـ«داعش» قد تصل أعدادهم إلى ما يقرب من (1500) عنصر.

وعلى الرغم من اللوحة الدينية التي غلفت تحركات جماعة "أهل السنة والجماعة" في موزمبيق، فإن ثمة دوافع عرقية واقتصادية تقف خلف نشاطها؛ إذ تشكل عرقية "المواني" (وهي أقلية بالنسبة للعرقيات الأخرى، لكنها تمثل أغلبية في إقليم كابو ديلجادو) العمود الفقري للجماعة، بينما تضم أيضًا عرقية "ماكاو"، وهناك صراع متجذرين "المواني" و"الماكوندي" (المسيطرين سياسيًا واقتصاديًا) على خلفية التهميش. وأسست الجماعة على يد زعماء دينيين موزمبقيين وتزانيين، واستقطبت سكانًا محليين متطرفين، ثم انضم إليهم لاحقًا مقاتلون من دول إقليمية أخرى؛ مما زاد من تطرفها وعنفها³⁵.

ولكن لا بد من الإشارة إلى جذور سياسية، عامة إذ اتسمت سياسة الدولة بعد الاستقلال في عام 1975، وبقيادة حزب جبهة تحرير موزمبيق (Frelimo)، برؤية سياسية وأيديولوجية مناهضة للأديان بشكل عام. تحت مسمى "الاشتراكية العلمية". ولكنها تحولت في الثمانينيات، حين أدركت الدولة أن تركها الفضاء الديني، للمتطرفين يعاظم من دورهم، لذا سعت لإنشاء مجلس موزمبيق الإسلامي برئاسة علي بكر إسماعيل مانجيرا كأول أمين وطني له في ديسمبر 1982، وعمل على تعزيز الدين التقليدي. وفي منتصف التسعينيات فقد المجلس نفوذه، وظهرت مجالس موازية تقودها حركات سلفية، شكلت نواة لأهل السنة والجماعة، وسعت للسيطرة على المساجد أيضًا.

تتسم جماعة "أهل السنة والجماعة" في موزمبيق بنقص الوضوح الأيديولوجي، فهي لا تتمسك بعقيدة متماسكة خاصة بها، وإن كانت تتبنى أهداف الجماعات الراديكالية الأخرى لإنشاء دولة إسلامية وتطبيق الشريعة بصورة متطرفة. واتخذت الجماعة اسمها لتمييز أعضائها عن المجتمعات المحلية التي اعتبروها منحرفة عن الإسلام الصحيح.

أنشأت الجماعة هيكلًا تنظيميًا يقوم على خلايا مستقلة نسبيًا مع وجود تسلسل قيادي مرن، مما يضمن بقاء التنظيم في حال القبض على قادته. وتركزت

جهود الجماعة على التجنيد المكثف في المساجد والمناطق ذات البطالة والفقر المرتفعين، مستغلةً شعور السكان بالتهميش الاجتماعي والاقتصادي.

والت الجماعة أعمالها العنيفة في عام 2017 في إقليم كابوديلاجادو، مستهدفةً المسؤولين المحليين والبنية التحتية الأساسية، بما في ذلك المرافق التعليمية والصحية والمنشآت الاقتصادية. واستطاعت في أوقات مختلفة السيطرة على مناطق واسعة، ومهاجمة مدينة بالما في مارس (آذار) 2021 بما وصف بـ "المجزرة"، مشكلةً تهديدًا مباشرًا لمرافق الغاز الطبيعي في شمال البلاد.

بدأت ملامح الارتباط بين "أهل السنة والجماعة" وتنظيم "داعش" تظهر منذ مايو (أيار) 2018، وذلك مع تداول صورة ظهر فيها ستة مسلحين يقفون ويجلسون أمام علم تنظيم "داعش" على منصة تليجرام، تتضمن رسالة مفادها أن أهل السنة والجماعة قد تعهدت بالولاء لـ "أبي بكر البغدادي" (زعيم تنظيم داعش آنذاك)³⁶.

وفي سياق موزمبيق، لم يتم الاعتراف رسميًا بوجود تنظيم الدولة الإسلامية في وسط أفريقيا إلا في يونيو (حزيران) 2019، عندما أصدر تقريرًا عن أول هجوم له على الإطلاق في البلاد: هجوم على القوات المسلحة للدفاع في موزمبيق في ميتوبي في منطقة موكمبوا دا برايا، وعلى الرغم من أن الحكومة الموزمبيقية في ذلك الوقت نفت وجود تنظيم الدولة الإسلامية في البلاد، فقد أعلن تنظيم الدولة الإسلامية في وسط أفريقيا عن هجوم آخر هناك بعد شهر واحد في 5 يوليو (تموز) 2019، عندما أفاد بأن مقاتليه شنوا هجومًا معقدًا على قاعدة للقوات المسلحة للدفاع في نانغادي؛ مما أسفر عن مقتل وإصابة عدد من الجنود والاستيلاء على كمية كبيرة من الأسلحة. وفي الأشهر التي تلت ذلك، وفقًا لمزاعم تنظيم الدولة الإسلامية، استمرت هجمات تنظيم الدولة الإسلامية في وسط أفريقيا في الحدوث في موزمبيق بانتظام نسبي³⁷.

في مؤشر آخر على العلاقة التنظيمية بينهما، أعلن تنظيم "داعش" في أبريل 2019 عن تشكيل ولاية "وسط أفريقيا"، وذلك بعد تبنيه هجومًا شنه مقاتلو "تحالف القوى الديمقراطية" في جمهورية الكونغو الديمقراطية. وبعد فترة وجيزة، أعلن تنظيم "داعش" مسؤوليته عن هجوم نفذته "أهل السنة والجماعة" في

موزمبيق في يونيو 2019، وبالتالي تم دمج الأخيرة رسمياً في ولاية "وسط أفريقيا" التابعة للتنظيم، والتي أصدرت في 24 يوليو 2019 مقطع فيديو تتعهد فيه بالولاء لـ "البغدادي".

وقد أشار تقرير مجلس الأمن الثلاثون لفريق الدعم التحليلي ورصد الجزاءات المعني بتنظيمي "داعش" و"القاعدة" الصادر عن الأمم المتحدة، يوليو 2022، إلى أن ولاية "وسط أفريقيا" تتبع مكتب "الكرار" الذي يغطي الصومال وموزمبيق والكونغو الديمقراطية، ويتخذ من الصومال مقراً له³⁸، وذلك ضمن هيكل تنظيم "داعش" لإدارة المقاطعات البعيدة خارج سوريا والعراق³⁹.

وفي وقت سابق، أكد تقرير المجلس الخامس والعشرون لفريق الدعم التحليلي ورصد الجزاءات المعني بتنظيمي "داعش" و"القاعدة" الصادر عن الأمم المتحدة في يناير 2020، أن الجماعة التابعة لتنظيم "داعش" في بوتلاند (هي منطقة تقع شمال شرق الصومال) تعمل كقائد لوجستي مهم للدعم الموجه إلى كل من "قوات الدفاع الديمقراطية" و"أهل السنة والجماعة" في كابو ديلجادو؛ إذ لفت إلى أن "الهدف النهائي بالنسبة لتنظيم "داعش" هو تعزيز الاتصال الثلاثي لعمليات الجماعات التابعة له في شرق وجنوب ووسط أفريقيا"⁴⁰.

يمكن وصف القيادة التي يمارسها تنظيم "داعش" على "أهل السنة والجماعة" بأنها نوع من القيادة التفويضية والمفتوحة، حيث اعتمد الأول في مرحلة ما بعد الهزيمة الجغرافية له في معاقلة التقليدية، على توظيف استراتيجية الإرهاب المحلي، التي يقصد بها الاعتماد على جماعات إرهابية محلية نشطة، تقوم بمبايعة التنظيم العالمي وتنسب نفسها إليه، مقابل تلقيها الدعم المالي والبشري واللوجستي، مع تمتعها بقدر من الاستقلالية. وبالتالي يستطيع التنظيم توسيع مساحات نشاطه وإعادة تموضعه الجغرافي في مناطق مختلفة، دون الحاجة إلى السيطرة على الأرض من ناحية، فضلاً عن أن انتماء الجماعات الإرهابية المحلية لتنظيم "داعش"، يرفع من مكانتها داخل ساحة الإرهاب العالمي، ويعزز من قدرتها على التجنيد من ناحية أخرى⁴¹.

تلعب الصراعات العرقية في إقليم كابو ديلجادو الدور الأكبر في تعزيز نشاط هذه الجماعة المتطرفة. فعرقية "المواني" التي تشكل الأغلبية السكانية في المنطقة، قد تعرضت لتهميش سياسي واقتصادي طويل الأمد على يد حكومة حزب "فريليمو" الذي رعى وصول عرقية "الماكوندي" إلى مراكز النفوذ والسلطة. وقد أنتج ذلك شعورًا حادًا بالظلم والاضطهاد لدى "المواني"، دفعهم نحو التطرف والانضمام إلى جماعات مسلحة كـ "أهل السنة والجماعة" التي رُوّجت لخطاب التحرير من هيمنة "الماكوندي". كما لعب البُعد الديني دورًا وظيفيًا في تعزيز نشاط هذه الجماعة؛ حيث استخدمت الخطاب الديني المتطرف كوسيلة لتبرير أعمالها العنيفة وجذب المزيد من المناصرين. وقد وجد هذا الخطاب بيئة خصبة بفعل التحول الذي طرأ على الممارسات الدينية في موزمبيق، من طابع صوفي تقليدي إلى نزعة سلفية راديكالية تغذيها التأثيرات الخارجية والتمويل الأجنبي. ولكن هذا البُعد الديني ينبغي فهمه في سياق تفاعله مع الصراعات العرقية السابقة"⁴².

يقول بعض الخبراء من الميدان "هذه الجماعة ليست لها صلات مباشرة بحركة الشباب الصومالية ولا ترتبط بشكل وثيق بشبكات السلفية التنزانية كما قد يُعتقد. بدلًا من ذلك، كان تحول "أنصار السنة" إلى فرع تابع لداعش مدفوعًا بالسخط المحلي، والتهميش الاجتماعي والاقتصادي، واستغلال التنظيم لحالة الاستياء لتكوين قاعدة من الأتباع".

يصف علماء الاجتماع، الموزمبيقيون مثل جواو فيجيو، الجماعة المحلية، المعروفة باسم "الشباب"، بأنها "فرع" تابع للعلامة التجارية لتنظيم الدولة الإسلامية، ويشرح أنها رغم استقلالها فإنها تستخدم أساليب التنظيم في الانضباط والتجنيد والتدريب. فيذكر فيجيو أن الأسلحة تُحصل محليًا من الهجمات على قوات الدفاع الموزمبيقية. حيث قامت الجماعة في هجوم على بلدة موسيمبوا دا برايا الساحلية بنهب مركبات وأسلحة عسكرية واستخدامها لاحقًا للهجوم على مشروع الغاز الطبيعي المسال لشركة توتال إنرجيز في مدينة بالما في مارس 2021؛ مما أسفر عن مقتل العديد من المدنيين. وقال في كتابه *God, Grievance and Greed: War in Cabo Delgado, Mozambique*، أن الحركة حاولت إقامة حكومة بنظام مركزي، تشمل

إدارات مدنية وصحية وقضاء إسلامي، إلى جانب جناح عسكري يعتمد على وسائل عنيفة مثل قطع الرؤوس وخطف الأطفال وتدريبهم! وفي إطار النقاش ذاته أوضحت الباحثة ليزات بونات مفهوم "الأبعاد المحلية-العالمية"؛ حيث تستغل الجماعة الأيديولوجية العالمية للتنظيم لتغذية السخط المحلي تجاه الدولة. كما أشارت إلى التوترات العرقية والدينية بين الشباب المسلمين ومجتمع الماكوندي الذي يضم أنصاراً للرئيس السابق فيليب نيوسي؛ مما أسفر عن توترات أثارتها الهجمات على قرى الماكوندي في عام 2020. وترى بونات أن اكتشاف الغاز في منطقة بالما أدى إلى تفشي الفساد وسرقة الأراضي؛ مما زاد من شعور السكان المحليين بالإقصاء⁴³.

ثالثاً: الهجرة من العراق والشام إلى ملاذات أفريقيا الآمنة مهاجرون وأنصار

قال السفير إسماعيل شرقي، مفوض السلم والأمن بالاتحاد الأفريقي: "إن الدول الأفريقية ستحتاج إلى العمل بشكل وثيق مع بعضها البعض وتبادل المعلومات الاستخباراتية لمواجهة المتشددين العائدين، إن هناك تقارير عن وجود 6000 مقاتل أفريقي بين 30 ألف عنصر أجنبي انضموا إلى هذه الجماعة الإرهابية في الشرق الأوسط"، وقال: "إن عودة هذه العناصر إلى أفريقيا تشكل تهديداً خطيراً لأمننا الوطني واستقرارنا وتتطلب معاملة خاصة وتعاوناً"⁴⁴.

بالنظر إلى مجموعة الدول في وسط أفريقيا فنحن إزاء ثلاث ولايات لداعش الأم؛ أولها: ولاية موزمبيق، والثانية: ولاية وسط أفريقيا التي تضم الكونغو، وولاية غرب أفريقيا التي تضم تشاد، وبالنسبة إلى ولاية وسط أفريقيا الداعشية فهي تتألف من القوات الديمقراطية المتحالفة بزعامة "موسى بالوكو". وأما ولاية موزمبيق فهي تتألف من جماعة أهل السنة والجماعة (أو الشباب) بزعامة التنزاني "أبي ياسر حسن"، وهي مجموعة من المقاتلين المتمركزين في مقاطعة كابو ديلجادو شمال موزمبيق، وهي التي أعلنت في منتصف عام 2020 مسئوليتها للمرة الأولى عن هجوم في مقاطعة كابو ديلجادو.

وتعتبر موزمبيق والكونغو من أكبر مسارح عمليات تنظيم داعش في أفريقيا الآن، بعد أن نجح في تكوين وتشكيل شبكات له، باتت قادرة على تنفيذ عمليات إرهابية واسعة النطاق، وتحالف مع حركة الشباب الموزمبيقية. هذه الاستراتيجية تظهر رغبة التنظيم في خلق "حزام أمني" يمر تحت منطقة الساحل، مستفيداً من هشاشة الدول المعنية، وسعيها لجذب دعم دولي لمكافحة الإرهاب.

ويقوم التنظيم بعمليات شبه يومية الآن، بل وكشف الجيش الموزمبيقي عن استخدام التنظيم لطائرات مسيرة كانت تستخدم أنظمة (RF Technologies) (MCTECH)، وكان الغرض من تلك الطائرات جمع المعلومات الاستخباراتية، وأيضاً شن هجوم على الجيش في شمال البلاد⁴⁵.

أما تشاد التي عدها التنظيم كجزء من ولاية غرب أفريقيا، فقد نشأ بها كامتداد لجماعة بوكو حرام في عام 2015، وهو العام الذي شهد أولى عمليات التنظيم داخل الدولة في المنطقة الجنوبية الواقعة على حوض بحيرة تشاد؛ ردّاً على انضمام القوات التشادية لتحالف عسكري لمواجهة التنظيم، الذي بايع في هذا الوقت تنظيم داعش المركزي، ولما جرت الخلافات بين أبي بكر الشكوي مع بروناي، تم تقويض جماعة بوكو حرام وادماجها في ولاية غرب أفريقيا، بعد أن احتدم الصراع بين الفرقاء إلى أن وصل إلى مقتل الشكوي عام 2021، وأصبحت ولاية غرب أفريقيا هي المعبر الوحيد عن داعش في تشاد والكاميرون، والأخيرة نفذت الجماعة فيها خلال عام 2023 حوالي 400 هجوم في أقصى الشمال، كان أغلبها يستهدف المدنيين في قرى بمناطق مايو تساناغا ومايوسافا على طول جبال ماندارا⁴⁶.

والجذر نفسه يمكن تطبيقه على نيجيريا، الإسلام في شمال نيجيريا يعتمد على المذهب المالكي والطريقة الصوفية وينقسم بين التيجانية والقادرية. خلال رحلة الاستقلال، عملت شخصيات مثل محمد بيللو ومستشاره أبو بكر جومي على توحيد المسلمين وتجنب الصدام مع الصوفية. بعد وفاة بيللو، تحول جومي إلى مهاجم للصوفية، وأسس حركة "إزالة البدعة وإقامة السنة" التي أصبحت النواة الأولى لظهور التيارات السلفية في المنطقة. كان لهذا التوجه العرقي والديني

دور في تجذير التنافس بين الفئات الاجتماعية في نيجيريا وتهيئة الساحة لظهور جماعات متشددة.

لاحقاً أنشئت حركة سلفية لإزالة البدعة عام 1978 تحت قيادة إسماعيل إدريس وتوجيه من أبي بكر جومي الذي رعى تحولها من حركة إصلاحية دينية إلى تيار سلفي قوي. ركز جومي هجماته على اتباع الطريقة التيجانية؛ مما أدى إلى مواجهة عنيفة بين التيجانية وحركة "إزالة" وانتشار الصراع الديني. هذا التحول أدى إلى تحفيز الجماعات السلفية لتوسيع نفوذها الاجتماعي والسياسي، وخلق فجوة كبيرة بين المسلمين في نيجيريا.

حاولت حركة "إزالة" تحطيم بنية المؤسسة الدينية القائمة بإنشاء شبكة واسعة من المدارس والمؤسسات التعليمية التي تعتمد على الفكر السلفي؛ مما جذب العديد من الأتباع، خصوصاً من الشباب المتحمسين والنساء المتعلمات. كما زاد انتشار هذه المدارس من عدد أعضاء الحركة ليصل إلى الملايين، وخلق تغييراً جذرياً في القيم الاجتماعية والدينية في نيجيريا؛ حيث أصبحت السلفية منافساً قوياً للتصوف.

أدت الظروف الاجتماعية والسياسية التي أسستها الحركات السلفية إلى ظهور جماعة "بوكو حرام" في مايدوغري بزعامة محمد يوسف. انطلقت الجماعة في نهاية التسعينيات كجماعة رافضة للتعليم الغربي وتطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية. شهدت الجماعة تحولاً في مسارها بعد مقتل محمد يوسف عام 2009، لتصبح حركة مقاتلة تتبنى العنف ضد الدولة النيجيرية، وتحاول تحقيق استقلالية للمناطق الشمالية على أسس دينية متشددة.

أسهم الصراع العرقي والديني داخل نيجيريا في زيادة الاستقطاب بين التيارات السلفية والصوفية، بينما أثر التيار الشيعي الذي نشأ نتيجة دعم الثورة الإيرانية بشكل كبير على المشهد الديني. لعبت الجماعات الشيعية، بقيادة إبراهيم الزكزاكي، دوراً في تعزيز الخلافات بين المسلمين في نيجيريا وإثارة مخاوف الهيمنة العرقية والدينية. انقسمت الجماعات الإسلامية وأصبح هناك منافسة محتدمة بينها

لتحقيق الهيمنة الدينية والسياسية؛ مما أدى إلى تصاعد العنف والانقسام بين المسلمين في نيجيريا⁴⁷، وفي 8 مارس (آذار) 2015 بايعة «بوكو حرام» تنظيم داعش في بيان صوتي بُث عبر حساب الحركة على تويتر، على لسان زعيمها أبي بكر شيكاو، الذي أعلن بيعته والتزامه بالسمع والطاعة في العسر واليسر.

إن ولاية وسط أفريقيا تبدأ من الصومال على المحيط الهندي، ولا تنتهي في الساحل المقابل للأطلسي، بحدود الكونغو الديمقراطية، والكعب العالي بعد انهيار المركزية الإسلامية في السودان، أضحى لصالح الصومال، أو بوكو حرام، في منح التعميد ولكن يعتقد أن تنظيم الدولة الإسلامية في الصومال قد سهل "المدرين والاستراتيجيين التكتيكيين والدعم المالي" لمساعدة جهود تنظيم الدولة الإسلامية في أفريقيا الوسطى وشبه القارة الهندية؛ حيث من المرجح أن يكون المدرسون التابعون لداعش قد أجروا تدريبات في كينيا وتنزانيا ورواندا وأوغندا وموزمبيق وجمهورية الكونغو الديمقراطية. وفي عام 2021، استهدفت قوات القوى الديمقراطية المتحالفة عاصمة أوغندا، كامبالا، بتفجيرات انتحارية ومحاولة هجوم على جنازة جنرال أوغندي ومحاولة اغتيال فاشلة لوزير في الحكومة. وكانت هذه الحوادث هي أولى هجمات يتبناها تنظيم الدولة الإسلامية في أوغندا واستمرت في إظهار "التصعيد الكبير في النطاق العملي لقوات القوى الديمقراطية المتحالفة" منذ بدء علاقتها بتنظيم الدولة الإسلامية. وأعلنت السلطات الرواندية أيضاً عن اعتقال عدد قليل من خلايا قوات القوى الديمقراطية المتحالفة على أراضيها؛ حيث لم تكن قد نفذت هجمات من قبل ولكن تم تجنيد أعضاء من تنظيم الدولة الإسلامية فيها.

أظهرت تقارير متضاربة إلى حد ما افتقار تنظيم الدولة الإسلامية إلى الإشراف على العمليات اليومية لقوات القوى الديمقراطية المتحالفة بينما لا تزال توثق علاقات واسعة النطاق بين المجموعتين. وعلى الرغم من أن تنظيم الدولة الإسلامية كان قادراً على تعزيز وتشكيل تكتيكات المنظمات التابعة في حالات أخرى، مثل تلك التي قام بها فصيل بوكو حرام الذي أصبح تنظيم الدولة الإسلامية في غرب أفريقيا، فإن هناك القليل من الأدلة التي تشير إلى أنهم فعلوا ذلك بالدرجة نفسها مع قوات القوى الديمقراطية المتحالفة. على سبيل المثال، هناك مقاطع فيديو متعددة تثبت الطريقة

التي تستخدم بها قوات القوى الديمقراطية المتحالفة النساء والأطفال كمقاتلين، وحملهم الأسلحة ولعبهم أدواراً نشطة في الهجمات، وهو موضوع ورد أن مركز الدولة الإسلامية كان على خلاف بشأنه مع تنظيم الدولة الإسلامية في غرب أفريقيا.

وبالمثل، وجد تقرير للأمم المتحدة صدر عام 2020 أن تفاصيل ادعاءات مركز الدولة الإسلامية بشأن هجمات قوات القوى الديمقراطية المتحالفة كانت غير دقيقة في كثير من الأحيان؛ مما أثار تساؤلات حول مستوى المعرفة والسيطرة التي يتمتع بها مركز الدولة الإسلامية على تلك العمليات⁴⁸.

في مقال نشرته صحيفه Mmegi بتاريخ 7 أكتوبر 2022، كتبت الصحفية بورجيس نهمير، المستشارة في معهد الدراسات الأمنية (ISS)، أن النزاع في كابو ديلغادو، موزمبيق، قد يكون ناجماً جزئياً عن اكتشاف الغاز في حوض روفوما. وتوضح نهمير أن اكتشاف الغاز في 2011 أسهم في إشعال الآمال بالازدهار، لكن في المقابل، "هناك من يزعم أن هذا الاكتشاف هو السبب الأساسي لاندلاع العنف". وتشير الصحفية إلى أن الإجراءات الحكومية المثيرة للجدل، مثل تقييد وصول المجتمعات المحلية إلى البحر لأغراض الصيد والاستيلاء على الأراضي دون تعويضات ملائمة، أسهمت في خلق مشاعر الاستياء. وتضيف: "أولويات الحكومة باتت واضحة؛ حيث تركز الجهود الأمنية على حماية مشاريع الغاز بدلاً من حماية السكان المحليين". في هذا السياق، توضح نهمير أن القوات الأجنبية، كالجنود الروانديين وقوات SADC، تم توجيهها لحماية المناطق المرتبطة بمشاريع الغاز؛ مما فاقم شعور المجتمعات المحلية بالإهمال وأكد على أن "الصراع على الموارد، وتحديدًا الغاز، يلعب دورًا أساسيًا في استمرار العنف في كابو ديلغادو"⁴⁹.

كتب لويس نياكوتي في صحيفة (Mail&Guardian) أن بونومادي ماشودي عمر، المعروف بأسماء متعددة مثل "ابن عمر" و"أبو سليفة محمد"، كان من أبرز قادة التمرد في شمال موزمبيق؛ حيث عمل على تنفيذ عمليات عسكرية تهدف إلى فرض الشريعة الإسلامية في إقليم كابو ديلغادو. وفقًا للسلطات الموزمبيقية، انتهت حياة بونومادي في معركة حاسمة في غابة كاثوبا في منطقة ماكوميا. وقد أفاد الجيش أن الإرهابيين نفذوا هجومًا جريئًا في منتصف أغسطس 2023، استهدف رئيس أركان

الجيش الموزمبيقي، جواكيم ريبا منغراس، في محاولة لزعزعة استقرار الحكومة عبر استهداف كبار قادتها العسكريين، في خطوة تعكس تصعيداً كبيراً في تكتيكات التمرد!

إحدى أبرز محطات تمرد بونومادي كانت احتلاله لمسقط رأسه في مدينة موسيمبوا دا برايا عام 2020، وهو احتلال استمر لأكثر من عام وألحق خسائر جسيمة بالحكومة الموزمبيقية. خلال هذه الفترة، شنّ المتمرّدون هجمات على عدة قرى وقواعد عسكرية؛ مما أسفر عن مقتل أو إصابة ما لا يقل عن 50 جندياً حكومياً واستيلائهم على عشرات الأسلحة، ليستخدموها في تعزيز ترسانتهم القتالية وشنّ عمليات عسكرية مستقبلية. يمثل هذا الاحتلال نقطة تحول كبرى؛ حيث أظهر ضعفًا في قدرات الدفاع الحكومية أمام قدرات التنظيم المتمرّد؛ مما أثار انتقادات كبيرة حول كفاءة الاستراتيجية العسكرية للدولة. وقد وظف تنظيم "ولاية وسط أفريقيا التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية (ISCAP)" بونومادي كقائد ميداني ومسئول عن التنسيق العسكري، مما يشير إلى كيفية توظيف التنظيم لشخصيات محلية في تنفيذ أجنده الإرهابية؛ الأمر الذي يعقّد جهود السلطات الموزمبيقية لاستعادة السيطرة الأمنية في المنطقة⁵⁰.

رابعاً: ملاحظة وتحليل آخر عمليات التنظيم

تواصلت استراتيجية محاولة السيطرة على الأرض، فقد حاول التنظيم عبر فروعه المختلفة في وسط أفريقيا السيطرة على بعض البلدات المهمة، وتطبيق أحكامه عليها، "سيطرت عناصر داعش خلال الفترة (21 حتى 31 يناير 2024) على بلدة موكوجو في موزمبيق، وهذا وفر لعناصر داعش الوصول إلى ملاذات آمنة في ساحل ماكوميا وغابة كاتوبا، وعلى صعيد مُتصل، قام نحو 300 من عناصر التنظيم خلال الفترة (2 حتى 16 مارس 2024) بالسيطرة على بلدة كيسانجا الساحلية على بعد 25 ميلاً جنوب موكوجو بالدولة نفسها⁵¹.

ولم يكتفِ التنظيم بالتمركز في مناطق ساحلية بدأ بها، بل بدأ بالعمل على التشبث بالنقاط الحاكمة، التي تبدو رخوة، في خاصرة الدولة، فسعى للتحرك أفقياً

في شكل مجموعات هجومية أصغر لتوسيع نطاق نشاطه بعيداً عن منطقة ساحل موزمبيق التي تتركز فيها قوات الأمن، مُستغلاً في ذلك نقص القوات الموزمبيقية خارج تلك المنطقة، والفجوات القائمة في مستويات التنسيق المعلوماتي بين هذه القوات والقوات الإقليمية الأخرى الشريكة في مكافحة الإرهاب.⁵²

واصل التنظيم صناعة التنظيمات الموازية وبناء شبكة علاقات مع جماعات محلية مدفوعاً باستراتيجية العمل مع الجماعات المسلحة المحلية التي يمكن أن تتحول إلى أذرع رسمية، ومدفوعة هي بالحاجة إلى وسيط دولي. بالإضافة لمجموعات التي انشقت عن لجماعات إرهابية أخرى على صلة بتنظيم "القاعدة"، قد انضمت لداعش، حيث توجد في القارة العديد من الجماعات والتنظيمات، أبرزها جماعة "بوكو حرام" في نيجيريا، و"القاعدة في المغرب الإسلامي"⁵³.

تبني التنظيم سياسة العمل مع البيئة الحاضنة والسكان المحليين، في محاولة لاستمالتهم لصفوفه وتأليبهم ضد حكومات وسط أفريقيا، ومن ثمّ تعزيز شرعيته وترميم الخسائر البشرية التي يتكبدها، وتضمن ممارسات مرنة تجاه سكان المناطق التي يسيطر عليها من قبيل توزيع بعض الغنائم على السكان المحليين، وطمأنة النازحين العائدين بأنه لن يهاجمهم، وطرح سرديات مُناهضة للحكومات، وشراء البضائع من السكان أو عرض تعويضهم عن الأشياء المسروقة، كمدخل للحصول على تعاطفهم ومن ثمّ ضمهم لصفوفه، وكأداة للحصول على التمويل من خلال فرض الإتاوات على السكان مُقابل ضمان أمن أرواحهم وممتلكاتهم.⁵⁴

على سبيل المثال، بعد سيطرة عناصر التنظيم على بلدة كيسانجا الساحلية في موزمبيق، لم يقوموا -وفقاً لشهادات بعض السكان- بمهاجمة سكان البلدة، وبدأوا في ممارسة أنشطتهم الدعوية، وتوقفوا كذلك عن نصب الكمائن وحرق المركبات على الطرق، وفرضوا بدلاً من ذلك رسوماً على سائقي السيارات مُقابل السماح لهم باستخدام الطرق، وفي مثال آخر، قام عناصر داعش في أعقاب سيطرتهم على بلدة "ماكوميا" خلال مايو 2024 باقتحام المخازن والمستودعات الحكومية واستولوا على المؤن والمواد التموينية بداخلها، وقاموا بتوزيعها بعد ذلك على سكان البلدة.⁵⁵

المعوقات أمام القضاء الحرب على التنظيم:

1. **عدم الرغبة في التمييز بين الجريمة والإرهاب والتمرد:** "هناك دليل على ذلك في تبني التمييز في النضال ضد الإرهاب بوسط أفريقيا، ففي موزمبيق لم يغير تدخل جيوش رواندا ومجموعة التنمية لأفريقيا الجنوبية (سادك) المنظور القائم على نهج عسكري، متجاهلين القضايا الاجتماعية والاقتصادية والعرقية العميقة النموذجية لشمال الدولة، ومن بينها، عدم التركيز بشكل خاص على الاستيلاء على الأراضي التي تمارس ضد المجتمعات المحلية في ماخوا وكيواني، لصالح نخبة فريليمو في ماكوندي وكذلك المستثمرين الدوليين. وهذا التداخل في مجابهة الإرهاب بين المصلحة الاستراتيجية للمناطق التي تنفذ فيها استثمارات، مثل "توتال" واستثماراتها الضخمة في الغاز والمصلحة المتوازنة في المناطق الأخرى المتفرقة في مقاطعة كابو ديلجادو، وبين المناطق الأخرى، يوضح مدى فاعلية هذا النهج في حماية المصالح الاقتصادية للنخبة السياسية المحلية والشركات الأجنبية، على حساب مصالح المجتمعات المحلية،" فالتدخلات والسياسات الخارجية للدول الكبرى تجاه القارة وأقاليمها ودولها واحدة من أهم الإشكاليات المستديرة التي تواجه العديد من الدول الأفريقية في ظل التنافس الشديد بين القوى الكبرى القديمة كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي وتلك الصاعدة مثل روسيا والصين على النفوذ في القارة والنفوذ إلى مقدراتها الاقتصادية، وتكشف المقارنة بين تلك القوى وسياساتها عن اختلاف الأهداف والأدوات والمناطق والدول ذات الاهتمام، وعن وضعية القارة المكلومة بين الوحوش المفترسة في الغابة العالمية"⁵⁶.

يتذرع كثيرون بعدم وجود تعريف قانوني منضبط، ويسعى آخرون للحفاظ على ميزانية مكافحة الإرهاب أو توسيعها. ولكنّ المهم أن يكون هناك آلية لضبط ذلك.

2. **الفشل التنسيقي العسكري في مجابهة داعش:** سنجد هذا واضحاً في دولة موزمبيق التي حاولت التعاقد مع شركات عسكرية خاصة لمجابهة الإرهاب، وفشل ذلك المسلك، ولعبت الحكومة الموزمبيقية على طاولتين؛ طاولة رواندا وطاولة مجموعة دول جنوب أفريقيا للتنمية، مفضلة الأولى؛ الأمر الذي أثار مشاكل خطيرة

إلى حدٍ ما في علاقاتها مع مجموعة دول جنوب أفريقيا للتنمية نفسها. وقد أسهم الافتقار إلى التنسيق بين الجيشين، فضلاً عن أجهزة الاستخبارات المختلفة في بلدان مجموعة دول جنوب أفريقيا للتنمية، وبين هذه الأجهزة ورواندا، في الفشل الجزئي للمهمة العسكرية.

فالمهمة التي شهدت تدخلات متوازية من جانب جيشين مختلفين، لم تندمج قط في استراتيجية مشتركة. وعلى الصعيد الدولي، مول الاتحاد الأوروبي كلاً من قوات ساميم ورواندا. ولكن مع القرار الأخير الذي تم اتخاذه، يبدو أن الميزان قد انحراف لصالح رواندا، وربما يرجع ذلك إلى النفوذ الفرنسي، الذي لديه مصالح مشتركة واضحة مع كيغالي في لعبة الطاقة التي تُلعب في موزمبيق. ومن ناحية أخرى، عاشت مجموعة دول جنوب أفريقيا للتنمية لفترة طويلة في وهم مفاده أن منطقتها كانت واحة في قارة أفريقية مهددة بالإرهاب الجهادي، وهم أدى إلى تأخيرات هائلة على المستوى السياسي والعسكري على حد سواء⁵⁷.

3. استثمار داعش في القضايا المحلية: تدخل التنظيم في المشكلات الحياتية للمناطق التي تخضع لنفوذه، مثل الصراعات على الأراضي والمعارك بين المجتمعات المحلية، على سبيل المثال؛ مما أعطى جاذبية لهم وقوة مكنتهم من إجبار السكان المحليين على قطع علاقاتهم مع قوات الأمن الموجودة، ودفعت تلك التصرفات السكان المحليين إلى عصيان الحظر الذي فرضته السلطات فيما يتعلق بالصيد في المناطق المحمية، وصيد الأسماك، ونقل الماشية، واستخراج الذهب، وهذه الإيرادات جذبت العديد من الأشخاص إليهم، وقد وفّر داعش للعصابات الإجرامية شرعية دينية لممارساتهم الإجرامية، بل والحماية للعديد من الهاربين منهم، الذين فروا لتلك الجماعات وحصل تبادل بينهم في الأموال والحماية والانتقال بين الطرق الوعرة وعداء الجيوش الوطنية⁵⁸.

4. الحدود الرخوة وسهولة انتقال الدواعش: إن دول وسط أفريقيا تمتاز بسهولة حدودها، وسيولتها بشكل يدفع لانتقال الإرهابيين بشكل ميسور من الوسط على الجنوب، أو من الشمال للوسط، "وقد كشف العديد من التحقيقات عن دخول

متطرفين إلى جنوب أفريقيا باستخدام وثائق سفر مزورة، وكشفت الأجهزة الأمنية في 30 يوليو عن اعتقال خلية مكونة من خمسة أجانب، وكان من بينهم صومالي وإثيوبي، وهي المسؤولة عن هجمات ديربان في 2018، وتم العثور على أعلام ومقاطع فيديو "داعش"، وأشارت التحقيقات إلى أن الخلية مرتبطة بأفراد سافروا للقتال إلى جانب "داعش" في موزمبيق"⁵⁹.

5. **الفساد في أجهزة الأمن والهيكل الاستخباراتي:** وقد أدى هذا إلى إضعاف قدرة قوات الأمن على المواجهة، واستفادة داعش من الفراغات الأمنية، التي يتركها انسحاب قوات مجموعة التنمية لجنوب أفريقيا "ساداك"، وقوات رواندا المشاركة في مكافحة معاقل التنظيم، وذلك على غرار استفادة التنظيم من انسحاب كل من بعثات الأمم المتحدة، وقوة برخان الفرنسية في منطقة الساحل وغرب أفريقيا؛ إذ أتاح ذلك للتنظيم حرية انتشار أوسع وإعادة هيكلة عناصره في تلك المناطق⁶⁰.

6. **شبكات التمويل:** تعتبر أحد أهم دعائم وجود واستمرار تنظيم داعش في وسط أفريقيا، فبالتوازي مع خسارة تنظيم الدولة الإسلامية خلافته الإقليمية في العراق وسوريا، اضطر التنظيم لأن يصبح أكثر لامركزية في تمويله للفروع التابعة له من خلال الاعتماد على الوسطاء الماليين أو الشبكات المالية العالمية المترابطة، والتي غالبًا ما تكون تحت إشراف القيادة المركزية لتنظيم داعش، وهو ما ساعد على تنشيط هذه التنظيمات؛ ويمكن الإشارة إلى أنه بمجرد مبايعة موسى بالوكو للتنظيم، بدأت قوات الدفاع الديمقراطية في امتلاك أسلحة أكثر قوة وعززت من قدرتها على تجنيد عناصر جديدة للقتال في صفوفها.

7. **نشاط تنظيم داعش في وسط أفريقيا:** أتبع التنظيم استراتيجية مزدوجة في تطوير نشاطه وتعزيز موارده الذاتية التي أتاحت له قدرات كبيرة في التوسع والانتشار، وهو ما يمكن الاستدلال عليه من خلال المواقع التي يسيطر عليها التنظيم وفيما يتعلق باتجاهات عملياته؛ حيث تصاعدت وتيرة استهدافه لمجموعة من المناطق في دول منطقة وسط أفريقيا كما حدث في تنزانيا باستهدافه المناطق الغنية بالثروات والمناطق الحدودية بالنظر إلى أن تنزانيا هي حلقة الوصل جغرافيًا التي تربط بين شرق الكونغو

الديمقراطية وشمال موزمبيق الغني بالغاز، وهو الأمر نفسه الذي تكرر بسيطرة التنظيم على مدينة بالما في بدايات عام 2021، والتي تبعد كيلومترات قليلة عن مشروع غاز عملاق تديره إحدى الشركات الفرنسية (مجموعة توتال) كما شن هجمات على إقليم إيتوري الغني بالذهب والنفط الواقع على الحدود بين أوغندا وشرق الكونغو.

وبصورة عامة استغل تنظيم "ولاية وسط أفريقيا" احتدام الصراعات المسلحة في مقاطعة كيفو الشمالية بعد تصاعد نشاط حركة 23 مارس (آذار)؛ حيث اتجه التنظيم إلى تكثيف هجماته في مناطق سيطرته منذ ذلك الحين؛ إذ شن نحو 85 هجومًا في الربع الأول من عام 2024، مقارنةً بتنفيذ خلاياه 28 هجومًا فقط في الربع الأخير من عام 2023، كما عزز التنظيم من نطاق عملياته باتجاه مناطق غرب أوغندا المجاورة، وتنفيذه 11 هجومًا عام 2023، بعد انقطاع نشاطه عنها، بجانب ذلك اتجه تنظيم "ولاية موزمبيق" إلى توسيع نطاق هجماته وأهدافه كماً وكيفاً، بعد انسحاب قوات صميم من هناك بعد انتهاء ولايتها، وظهر ذلك بوضوح في تحولات عملياتية عدة، أهمها تركيز التنظيم على تفريغ القرى المسيحية من سكانها الداعمين للقوات الحكومية. وتطوير التنظيم لنشاطه ليشمل مناطق ظلت خارج النطاق المركزي لعملياته مدة طويلة، مثل الهجوم على منطقة "ماكوميا" التي تحتضن قاعدة رئيسية للجيش، ولم يسجل فيها نشاط هجومي كبير لداعش منذ منتصف عام 2020.

النتائج والتوصيات:

سعت الورقة إلى دراسة التحالف بين التهميش والأيديولوجيا الدينية، الذي أصبح أكثر وضوحاً وانتشاراً في القارة الإفريقية، مترافقاً مع التحديات الناشئة عن الاهتمام المتزايد بموارد القارة وتدخلها في الصراعات الجيوسياسية العالمية. وتتناول الدراسة تحدياً تنظيم داعش في وسط أفريقيا، مسلّطة الضوء على تأثير النزاعات السياسية الداخلية التي تُهيمن في الحكومات والصراع بين مراكز القوى المتنافسة داخلها، إضافة إلى التنافس بين الأجهزة الأمنية المتعددة؛ مما يؤدي ليس فقط إلى بروز تيارات داخل الفواعل غير الحكومية، بل يمكن أيضاً من توظيفها ضمن شبكة معقدة من المصالح المتضاربة. وبالتالي، فإن التحدي يكمن في فهم النزعات

التمردية المناهضة للدولة، والأسباب الداخلية لرفض الحوكمة والنظام السياسي، وكذلك الدوافع الخارجية لهذه التوجهات. في هذا السياق، تظهر داعش والقاعدة والتنظيمات الإرهابية المحلية كعناصر مؤثرة ضمن هذه المعادلة؛ حيث تختلف نظرة الأطراف المختلفة إلى دور هذه التنظيمات، وتبرز الحاجة لفهم أسباب نشأة الإرهاب وآليات مكافحته بوصفها أدوات رئيسية في هذا المشهد المعقد.

كانت دراسة الإرهاب في أفريقيا، مرتبطة بالحركات داخل البلد الواحد، أو الإقليم المترابط، ولكن شبكة التحديات أثبتت ظهور طور جديد، أدى لتوسيع مفاهيم جغرافية وثقافية. فإذا كانت بوكو حرام، والحركات حول بحيرة تشاد، وغيرها، كانت تقتضي آثار ممالك قديمة وسلطنات، وتسوّق نفسها للمجتمع المحلي على أنها تستعيد مجداً، أو تحافظ على إرث روحي تدمره الدولة الوطنية التي أسسها المستعمر، حسب نظريتنا، فإن داعش، تقدّم نموذجاً أبعد في المستوى، لأنها تربط أسباباً سياسية إلى جانب عقائدها الأيديولوجية، وتوظّف الأخيرة، لإنشاء مستعمراتها في البلدان المستهدفة. لذا؛ كان لافتاً أن وسّع داعش مفهوم وسط أفريقيا ليشمل مناطق غنية بالثروات وضعيفة في البنية الأمنية مثل الكونغو الديمقراطية وموزمبيق. كان هذا التوسع لدى داعش يهدف إلى "خلق واقع جغرافي جديد يخدم استراتيجيتها في فرض السيطرة على الأرض وإقامة دولة خلافة فعلية"⁶¹.

مثّلت حقبة السبعينيات، حالة من الممارسات المدنية القسرية التي ألقت بظلالها على المجال الديني، وأثّرت عليه، وقلصت وجوده؛ مما أنتج رد فعل استثمارته الحركات الإسلامية، وسعت إلى إحداث حالة أسمتها بالصحوّة، في أوغندا وموزمبيق، وقد نجحت الدولتان مؤقتاً في بناء مجالس لتدبير المجال الديني، وتمثيل المسلمين، ولكن نموّ الحركات الراديكالية من جهة، وإهمال تأهيل القيادات الدينية التقليدية، أديا معاً لتآكل شعبية ومشروعية المجالس، لصالح التيارات الجديدة. كان نموذج القاعدة، وإيران، والجمهورية القومية الإسلامية السودانية، والحركات الجزائرية، سبباً ملهماً لبناء حركات جادة، وشبه عنيفة، وتوثق إنشاءها بسبب التنافس بين الأجهزة النظامية، واستغلالها للحركات التي تؤذي الجيران. بقي الفكر المتطرف، يلتحف بالمشاعر المهمشة، يؤسس الجذر المحلي لكل حركة إرهابية، وصار التوظيف هو خيار مفضل لهذه الحركات.

وفي خضم هذا لا بد من النظر في اتجاهات:

أولاً: إنشاء مجلس موحد للدول ذات الترابط، يكون مسئولاً عن تدبير الشأن الديني، يقوم على الجذر التقليدي، الصوفي، فيعيد تواصل الطرق، ورجال الدين، والزعامات في مجالس شرعيتها تستمد من الحاكم، ويكون لها دور في مكافحة الفكر المتطرف.

ثانياً: مراعاة الحمولة التاريخية للعرق، والدين، وبناء سياسات تحترم الهوية وذاكرتها، وتسعى لربط مؤسسات الدولة بالذاكرة الوطنية.

ثالثاً: تعزيز التعامل الأمني في ملف الإرهاب تحديداً، وفصله عن الحسابات السياسية، والتأكيد على ملاحقة الفكر المتطرف بكل اللغات.

رابعاً: تشكيل مجالس لمكافحة التهجير الديموغرافي، وتخفيف آثار الإرهاب، وبحث أساليب تعويض الفاقد التعليمي، في المناطق المتأثرة، إن الذي فعلته داعش في أفريقيا لا يلقي الاهتمام الكافي، ولا يجد السعي لتلافيه، بالرغم من أن آثاره تمتد وتتحرك، ومن المهم إدراج هذه الآثار في الأروقة ذات الاهتمام.

خامساً: اختبار نظريات صلة الإرهاب بالاقتصاد، والمشاريع الاقتصادية، وخطوط الغاز، وحقول النفط والموانئ، لا يعني إهمال الجذر الأيديولوجي، ولكنه يعني إحداث تفاهم مشترك، بين الجميع على إلغاء التأثير السلبي.

20. Rapanyane 2021, Kisangani, 2012, Vlassenroot & Huggins, 2004.
21. International Crisis Group, 2022.
22. Ntung, 2019, p. 143; Wolters, 2023.
23. UN, 2023.
24. International Crisis Group, 2022.
25. Wolters, 2023.
26. أنظر: حمدي عبد الرحمن، دلائل تمدد "داعش" في أفريقيا الوسطى، مصدر سابق.
27. Jacob Zenn. ISIS in Africa: The Caliphate's Next Frontier newlinesinstitute .May 26, 2020.
<https://newlinesinstitute.org/nonstate-actors/terrorism-and-counterterrorism/isis-in-africa-the-caliphates-next-frontier>
28. Daveed Gartenstein-Ross, Emelie Chace-Donahue, Colin P. Clarke The Evolution and Escalation of the Islamic State Threat to Mozambique, Foreign Policy Research Institute, April 13, 2021:<https://www.fpri.org/article/2021/04/the-evolution-and-escalation-of-the-islamic-state-threat-to-mozambique>
29. Fernando Caldeira da Silva, ibid.
30. Daveed Gartenstein-Ross, Emelie Chace-Donahue, Colin P. Clarke, ibid.
31. Fernando Caldeira da Silva, ibid.
32. أنظر: مصطفى زهران، التنظيمات الإرهابية في موزمبيق،
33. المرجع نفسه.
34. Emily Estelle, ibid.
35. تقى النجار، الإرهاب في موزمبيق: بين العرق والدين، كتاب المسبار، 210، العرق والدين.
36. Tore Refslund Hamming, "The Islamic State in Mozambique," The Law fare Institute, 24 January 2021:
<https://www.lawfaremedia.org/article/islamic-state-mozambique>
37. Aaron Y. Zelin, Ilana Winter - One Year of the Islamic State Worldwide Activity Map - The Washington Institute - Mar 20, 2024
<https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/one-year-islamic-state-worldwide-activity-map>
38. Thirty report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2610 (2021) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities, United Nations Security Council, 15 July 2022.
39. تجدر الإشارة إلى دور "المكاتب الإدارية" المشرفة على الولايات التابعة لتنظيم "داعش" (يطلق عليها في بعض الأدبيات الإدارة العامة للولايات أو الإدارات البعيدة)، ففي أعقاب خسارة التنظيم خلافته المزعومة، أقام "مكاتب إدارية" للولايات التابعة له بغرض الحفاظ على استمراريته والتكيف مع مرحلة الضغط، وهي مؤسسات إدارية لا تعمل فقط كجسرين بين القيادة المركزية للتنظيم "داعش" ومختلف ولاياته، ولكنها أيضاً مسؤولة بشكل مباشر عن إدارة الشؤون رفيعة المستوى داخل مجال الولايات، منها مكتب "الأرض المباركة"، ومكتب "الصديق" ومكتب "الكرار"، ومكتب "الفرقان".
- انظر، تقى النجار، و-32، CTC Sentinel, July/August 2024, "The Financial Future of the Islamic State." Davis, Jessica.
40. Twenty-fifth report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2368 (2017) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities, United Nations Security Council, 20 January 2020.
41. Tom Van Rentergem, "Al-Shabab in Mozambique: Taking Stock of an Insurgency Under Cover," Egmont institute, June 2022: https://www.egmontinstitute.be/app/uploads/2022/06/PB-281-Tom-VR_AI-Shabab-in-Mozambique.pdf?type=pdf
42. تقى النجار، مرجع سابق، بتصرف
43. Levy, Janet. "Inside Mozambique's Jihadist War." Business Day, November 7, 2024, 8.
44. News24 - 6 000 ISIS jihadists could return to Africa, AU warns - 11 Dec 2017
<https://www.news24.com/News24000--6/isis-jihadists-could-return-to-africa-au-warns-20171211>

45. أنظر: صلاح خليل، تداعيات امتلاك داعش للدرونز في موزمبيق، المركز المصري للفكر والدراسات، 2022/04/04.
<https://ecss.com.eg/19066/>
46. أنظر: إدريس الكنبوري، بحيرة تشاد في مواجهة مخاطر الإرهاب الإقليمي، التحالف الإسلامي لمكافحة الإرهاب، 2022/01/29.
<https://www.imctc.org/ar/eLibrary/Articles/Pages/article29.1.2022.aspx>
47. عمر البشير الترابي، الإسلام في غرب ووسط أفريقيا، مركز المسبار للدراسات والبحوث، أكتوبر 2019، ص 47-86.
48. Hall, Jake. "Can Environmental Peacebuilding Tools Effectively Combat Terrorism in the Democratic Republic of the Congo? A Case Study of the Islamic State's Central Africa Province." Cornell International Affairs Review (2023).
49. Borges Nhamirre, "Mozambique's People Should Come Before Resources," Mmegi, October 7, 2022, 23.
50. Luis Nhachote, "Cabo Delgado's most wanted man," Mail & Guardian, 8 Sep 2023, p. 17.
51. أنظر: منى قشطة، مخاطر متنامية: دلائل استعادة "ولاية داعش موزمبيق" نشاطها، المركز المصري للفكر، 2024/05/22.
<https://ecss.com.eg/45849/>
52. أنظر: جيسون وارنر وآخرون، تنظيم الدولة الإسلامية في أفريقيا: نشوء وتطور ومستقبل الجبهة الجهادية المقلبة، أكسفورد، الصفحات 227-228.
53. Tomasz Rolbiecki, Pieter Van Ostaeyen, Charlie Winter. The Islamic State's Strategic Trajectory in Africa: Key Takeaways from its Attack Claims August 2020, Volume 13, Issue 8
<https://ctc.westpoint.edu/the-islamic-states-strategic-trajectory-in-africa-key-takeaways-from-its-attack-claims/>
54. أنظر: منى قشطة، مصدر سابق.
55. IntelBrief: Islamic State Resurging in Mozambique, thesoufancenter. March 21, 2024.
<https://thesoufancenter.org/intelbrief-2024-march-21/>
56. أنظر: مروة يوسف، أفريقيا في عالم متغير، مجلة قضايا، مركز الحضارة للبحوث، عدد 27 أكتوبر (تشرين الأول) 2023.
<https://hadaracenter.com/wp-content/uploads/2022/10/%D9%82%D8%B6%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D9%88%D9%86%D8%B8%D8%B1%D8%A7%D8%AA-27-%D8%A3%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%A8%D8%B1-2022.pdf>
57. Luca Bussotti. Struggling the Islamic State in Austral Africa: The SADC military intervention in Cabo Delgado (Mozambique) and its limits.
https://www.frontiersin.org/journals/political-science/articles/10.3389/fpos.2023.1122373/full?_x_tr_hist=true
58. أنظر: مخاطر الأوضاع الهشة، المركز العالمي لمكافحة التطرف، 2022/2/20.
<https://etidal.org/reports/Countries-of-the-African-Sahel/>
59. أنظر: حمدي بشير، مخاطر تمدد داعش، مركز الإمارات للسياسات، 31 أغسطس (آب) 2020.
https://epc.ae/ar/details/brief/risks-of-islamic-state-expansion-in-south-africa#_edn12
60. أنظر: حمدي بشير، مصدر سابق.
61. Richard Barry, "ISIS Strategy in Africa," ICCT, 2021.

7 تحويلات الخطاب الإعلامي لداعش بين التمدد والانحسار

هاجر أيمن*

يعد الخطاب الإعلامي إحدى أبرز الاستراتيجيات التي أسهمت في تصدر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) للمشهد الدولي في عام 2014، وذلك عبر استراتيجية إعلامية متكاملة عملت على توظيف ما تتيحه التطورات في تكنولوجيا الاتصالات والإعلام من إمكانيات في تقديم التنظيم ليس فقط في صورة القوة العسكرية التي تحقق الانتصارات، بل أيضًا في صورة الدولة التي تحمل مشروعًا دينيًا عالميًا لإعادة إحياء الخلافة الإسلامية؛ الأمر الذي أسهم في تحقيق أهداف التنظيم من نشر أيديولوجيته، واستقطاب المجندين، وإضفاء شرعية على ممارساته الوحشية.

وبالرغم من تراجع الخطاب الإعلامي لداعش بعد هزيمته وفقدانه لمناطق سيطرته في سوريا والعراق، فإنه استطاع الحفاظ على حضور جيد على الساحة الدولية من خلال بعض التحولات في استراتيجيته الإعلامية للتكيف مع واقعه الجديد والتحديات التي يمر بها. وهو ما يتطلب استكشاف التحولات التي طرأت على مضمون الخطاب الإعلامي للتنظيم في فترات قوته وانحساره، ودراسة مستقبل استراتيجيته الإعلامية، وما الأدوات التي يمكن أن يستخدمها لضمان إيصال رسائله واستمرار تأثيره؟ وهو ما تحاول الدراسة الإجابة عليه في النقاط التالية:

أولاً- العلاقة بين الإرهاب والإعلام

يرتبط الإرهاب ارتباطاً وثيقاً بالإعلام؛ حيث يعد الحصول على تغطية إعلامية تتميز بالتهويل والتضخيم والترهيب هو الهدف الأهم لأي عملية إرهابية، وذلك بهدف الوصول لأكبر عدد من الجماهير للتأثير في الرأي العام، ومن ثمّ التأثير في عملية صنع القرار¹.

وترتبط العلاقة بين الإعلام والإرهاب بإطار تاريخي يعود للفترة من يونيو 1793 إلى يوليو 1794 من الثورة الفرنسية والتي تعرف باسم (عهد الإرهاب)، والتي تم استخدام مصطلح الإرهاب فيها لأول مرة؛ حيث حكمت المحكمة الثورية الفرنسية على آلاف المقاتلين بالإعدام بقطع الرأس على أن يكون التنفيذ بشكل علني لنشر الخوف والفرع بين الجماهير من أجل إيقاف حالة الفوضى التي مرت بها البلاد².

وفي العصر الحديث، أصبح الإرهابيون أكثر عرضة لفرص جديدة لممارسة أهدافهم وذلك من خلال التقدم الكبير في تكنولوجيات الاتصال، فحلت وسائل الإعلام والتكنولوجيا محل الجمهور في عمليات الإعدام في الساحات. ومنذ أن أدركت التنظيمات الإرهابية أهمية وسائل الإعلام في الوصول إلى الجماهير العالمية، لم تتأخر في استغلال التطورات المتلاحقة في تكنولوجيا الاتصال والإعلام لتحقيق أهدافها، فغزت وسائل الإعلام وخاصة الإعلام الجديد، وأصبحت لديها الآلاف من المواقع تستغلها لأغراض الدعاية ونشر المعلومات وتجنيد الشباب وجمع الأموال والاتصال والتنسيق مع أتباعها. وبهذا أصبحت وسائل الإعلام بشقيها التقليدي والجديد واحدة من أهم الأدوات الحيوية لنجاح التنظيمات الإرهابية³.

ويُعد تنظيم داعش من أكثر التنظيمات الإرهابية استغلالاً لتكنولوجيا الاتصالات ووسائل الإعلام المختلفة، وقد استطاع التنظيم تطوير خطاب إعلامي متطور، نجح في نشر أيديولوجيته وأفكاره، ومكنه من تجنيد الآلاف من الأعضاء، والحصول على الدعم المادي والمعنوي من المتعاطفين مع أفكاره، ولم يكن داعش أول التنظيمات الإرهابية استخداماً للتكنولوجيا الإعلامية والاتصالية، ولكنه أصبح أنجحهم في استغلال ما أتاحت من إمكانيات لتحقيق أهدافه بشكل فعال، فأصبح للتنظيم العديد من المواقع الإلكترونية، والمجلات الرقمية، كما لديه الآلاف من الحسابات على مواقع التواصل الاجتماعي، أُستخدمت هذه الأدوات ضمن استراتيجية إعلامية متطورة ومخطط لها بدقة نجحت في تحقيق أهداف التنظيم.

ثانياً - الاستراتيجية الإعلامية لتنظيم داعش

أدهش تنظيم "داعش" العالم منذ أن أعلن "البغدادي" قيام "الدولة الإسلامية" عام 2014 بقدرته على الاستيلاء وفرض سيطرته على الأراضي في العراق وسوريا، وتحقيق الانتصارات العسكرية، ولكن هذا النجاح لم يكن نتيجة لنجاحاته العسكرية فقط، بل كانت هناك استراتيجية إعلامية واتصالية عملت على قدم المساواة مع العمليات العسكرية، وفاقته ما وصلت إليه التنظيمات الإرهابية الأخرى بما فيها تنظيم القاعدة في القدرة على توظيف وسائل الإعلام المختلفة، وحولت معاركه من حرب محلية إلى ظاهرة عالمية.

أسهمت هذه الاستراتيجية في تشكيل خطاب إعلامي متطور استطاع جذب انتباه العالم ككل، من خلال إطلاق فكرة الخلافة والدولة الإسلامية على وسائل الإعلام التقليدية والجديدة مع محتوى إعلامي غزير، وتصاميم احترافية، ومنصات إعلامية بلغات متعددة، وتمت إدارة هذا المحتوى من خلال هيكل تنظيمي واضح متمثل في ديوان (وزارة) خاصة عُرفت باسم (ديوان الإعلام المركزي)، وهي كيان افتراضي -خوفاً من استهدافها من قبل الغارات الأميركية أو الجيش العراقي-، أدارت شبكة إعلامية فاعلة على شبكة الإنترنت، وتم تخصيص ما يقارب المليون دولار كميزانية مبدئية

لتأسيس تلك الوزارة الافتراضية، التي أدارت أدوات وأبواق التنظيم الإعلامية من قنوات راديو وتلفزيون.

أهداف الاستراتيجية الإعلامية لتنظيم داعش:

تستهدف الاستراتيجية الإعلامية لتنظيم داعش بشكل أساسي الدعاية والترويج لأفكاره وأيدولوجيته، وتجنيد أكبر عدد من الأعضاء للانضمام إلى التنظيم، وهو ما سوف تتم مناقشته بالتفصيل فيما يلي:

1. الدعاية:

يمثل تنظيم داعش أحدث ثلاثة أجيال في تطور الدعاية الجهادية؛ الجيل الأول: تمثل في عصر "أسامة بن لادن" واعتمدت الدعاية في هذه الفترة على فيديوهات لنشر رسائل "بن لادن" وتم استخدام كاميرا واحدة ثابتة لتصوير الفيديوهات التي تتضمن عادة خطابات طويلة باللغة العربية، ثم يتم تسريبها إلى بعض القنوات التلفزيونية من أجل أن يتم بثها، أما الجيل الثاني: للدعاية الجهادية كان يمثلها "أنور العولقي"، - رائد الدعاية الجهادية على اليوتيوب -، وكان لديه مدونة وصفحة على فيسبوك Facebook، وساعد أيضًا في إنتاج المجلة الإلكترونية لتنظيم القاعدة "إنسباير" الصادرة باللغة الإنجليزية.

يمثل تنظيم داعش الجيل الثالث للدعاية الجهادية وذلك لاعتماده الكامل على أحدث تكنولوجيا الاتصالات، وكافة وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، ومن خلال استغلال الأدوات الإعلامية المختلفة استهدفت الدعاية تحقيق مجموعة من الأهداف، أبرزها:

- تأطير الصورة الذهنية للتنظيم لدى الجمهور المتلقي بصورة الدولة الإسلامية المثالية التي تطبق الشريعة وتسعى لإقامة "الخلافة الإسلامية" وفق رؤيتها الخاصة؛ من خلال نشر الأخبار والسرديات التي تبرز إنجازاتها، وتعزز من صورتها كدولة قوية.
- إضفاء الشرعية على أعمال العنف المفرط والإرهاب التي يقوم بها وتبريرها من خلال تضمين تفسيرات دينية مغلوطة في دعايتها تصور هذه الأفعال بأنها جزء من الجهاد المشروع.

■ التأثير في الرأي العام، سواء داخل المجتمعات الإسلامية أو في الغرب، من خلال استغلال المظالم السياسية التي يمر بها المسلمين في الدول العربية من حروب وانتهاكات على يد الدول الغربية في سوريا والعراق وغيرها من الدول، أو العنصرية والاضطهاد التي يمر بها المسلمون في الدول الغربية، لتعزيز سردية التنظيم بأنه المدافع عن جميع المسلمين ويضفي الشرعية على نشاطاته.

2. التجنيد:

يعد التجنيد أحد الأهداف الرئيسية للاستراتيجية الإعلامية لتنظيم داعش، والذي يتم عبر استغلال التطورات التكنولوجية في الاتصال ووسائل الإعلام لوضع استراتيجيات فعالة لجذب واستقطاب المتعاطفين مع أيديولوجية وأفكار التنظيم المتطرفة خاصة من الشباب.

ويعتمد التنظيم في عملية التجنيد واستقطاب أعضاء جدد على استراتيجية إعلامية قامت على آلية النشر المتواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ليس فقط للبيانات الصادرة عن التنظيم، وإنما أيضاً لمقاطع الفيديو التي تتسم بقدر كبير من الوحشية، في محاولة لتوجيه رسالة للمشاهدين، بمن فيهم الشباب، بتضاعف إمكانات التنظيم، الذي بات قادراً -وفقاً لتلك الرؤية- على مواجهة بعض الجيوش النظامية التقليدية، بالإضافة إلى استغلال الأزمات والاضطرابات السياسية والاقتصادية؛ لتقديم نفسه كقوة مناهضة للظلم والفساد، مستغلاً مشاعر الاستياء والاغتراب لجذب المقاتلين والمتعاطفين من خلال تقديم وعود بالعدالة والتمكين.

تبدأ عملية التجنيد الإلكتروني عندما يقوم المجند المحتمل بالتفاعل مع محتوى التنظيم أو مع أفراد ينتمون له عبر منصات مثل "فيسبوك" و"تويتر"، من هنا يبدأ أعضاء التنظيم في تقديم أنفسهم كأصدقاء جدد، ويشترون في محادثات وبناء علاقات موثوقة معهم، وبمجرد تهيئة المجند المحتمل نفسياً وثقافياً يتم إدخال الأيديولوجية الجهادية بالتدريج أو من خلال وضع أسئلة ميدانية حول إمكانية الانضمام إلى داعش، وبعد التأكد من جدية الشخص المستهدف، يتم توجيهه لاستخدام منصات مشفرة وآمنة للتواصل

معهم، وذلك لمنع تعقب المحادثات. وفي هذه المرحلة، يتلقى المجند تعليمات حول كيفية السفر إلى مناطق يسيطر عليها، التنظيم أو حتى أوامر بتنفيذ هجمات إرهابية فردية⁴.

الأدوات الإعلامية لتنظيم داعش:

استطاع التنظيم استغلال التكنولوجيا في خطابه الإعلامي بشكل غير مسبوق، لما تتيحه من سرعة وسهولة الوصول إلى جمهور واسع وتحقيق تأثير كبير في المستوى العالمي، هذا الاستغلال لم يقتصر فقط على الوسائل التقليدية، بل امتد إلى استخدام تقنيات متطورة وأساليب مبتكرة لنشر رسائله من خلال دمج وسائل الإعلام التقليدي والجديد، فامتلك التنظيم شبكة من مختلف الأدوات الإعلامية من قنوات تلفزيونية أو محطات إذاعية أو المجلات الإلكترونية المتوفرة في مختلف مواقع الويب المجانية، وتم إصدارها بلغات متعددة لجذب جمهور واسع⁵.

وفيما يلي أبرز الأدوات التي اعتمد عليها التنظيم في استراتيجيته الإعلامية:

1. القنوات الإعلامية:

وظف التنظيم الإعلام المرئي والمسموع لخدمة أهدافه الدعائية، فعمل على إنشاء أذرع إعلامية خاصة به، من ضمن هذه الأذرع محطة راديو "البيان" ومحطة التلفزيون "مركز الحياة الإعلامي"، بالإضافة إلى شبكة "أعماق" الإخبارية التي أصبحت وكالة الأنباء الرسمية التي تنقل الأخبار العاجلة والأنباء السياسية والعسكرية على مدار الساعة، وكان لها مجموعة من المكاتب الإعلامية المختلفة في الولايات.

كما أنشأ داعش مؤسسة "الفرقان"، الجناح الإعلامي الرسمي، التي أصدرت أكثر من 160 مادة سمعية ومرئية لقيادات التنظيم، بما في ذلك سلسلة "رسائل من أرض المعارك الملحمية"، والتي تروج لإنجازات الدولة الإسلامية. بالإضافة إلى مؤسسة "الاعتصام" التي اختصت ببث المعارك في سوريا والعراق من خلال مجموعة من المراسلين، إلى جانب إنتاج أكثر من 100 مادة إعلامية متعددة اللغات. وأيضاً مؤسسة "أجناد"، حيث يتم فيه تسجيل أناشيد دينية والجهادية، المصاحبة لمقاطع الفيديو

المصورة لعمليات التنظيم، ومؤسسة "البتار" ومؤسسة "الخلافة"، وقناة "الحياة" التي اختصت بمونتاج للفيديوهات التي تصور عمليات القتل التي يقوم بها التنظيم⁶.

علاوة على ذلك، امتلك التنظيم في كل الولايات التابعة له منفذه الإعلامي الخاص الذي يركز على أخبار المناطق المحلية تحت سيطرته. وقد وفرت الأدوات السمعية البصرية المتطورة قدرة على إنتاج محتوى إعلامي عالي الجودة؛ مما ساعد في جذب انتباه العالم وتحقيق أهداف التنظيم في الدعاية وتجنييد أعضاء جدد.

2. الاتصالات المشفرة:

استخدم التنظيم التقنيات المتقدمة في الحوسبة، مثل أدوات القرصنة، وبرامج التشفير، التي تسهم في إخفاء الهوية وتأمين المحادثات، بالإضافة إلى قرصنة واختراق المواقع والقنوات التلفزيونية لبث رسائل التنظيم، ففي يناير 2016، تمكن تنظيم داعش من اختراق محطة التلفزيون "Bein HD4"، وهي قناة رياضية عربية مشهورة تبث عبر شركة الأقمار الصناعية المصرية "نايل سات"، لنشر محتوى دعائي يتضمن أخبار التنظيم، بالإضافة إلى محاضرات تتعلق بالجهاد وتمجيد المقاتلين.

من جانب آخر، شجع داعش أتباعه استخدام التقنيات المشفرة في الاتصال لتجنب المراقبة، وأبرز هذه التقنيات تطبيق المحادثة الشهير "تليجرام ماسينجر" الذي يُعرف بأنه نظام مراسلة فوري آمن بفضل تشفير البيانات والاتصالات من البداية إلى النهاية، كما يوفر خاصية المحادثة السرية secret chat والتي تتسم بالتشفير العالي بين أطراف المحادثة بحيث يتم تشفير المحادثات قبل مغادرتها الهاتف ولا يتم تخزين أي محادثة على خوادم الشركة، بالإضافة إلى خاصية التدمير الذاتي للرسائل؛ مما يساهم في تأمين المحادثات ومنع تعقبها⁷.

كما أتاح "تليجرام" إنشاء القنوات العامة والخاصة على المنصة، وتمكن هذه الميزة المستخدمين من إنشاء قنوات خاصة بهم لمشاركة المعلومات مع عدد غير محدود من المشتركين المجهولين، وهو ما استغله التنظيم في شكل استراتيجي؛ حيث أغرق التنظيم بعدد كبير من القنوات على المستويات الخاصة والعامة بلغات متعددة، مثل قنوات مثل "أخبار الخلافة"، "أخبار الجهاد"، "إصدارات الخلافة"، "نقطه إعلام

الدولة الإسلامية" و"شجرة الخلافة". كل قناة تشمل الآلاف من الأعضاء يقوم بنقل المواد الأيديولوجية والدعائية للتنظيم، بالإضافة إلى أن هذا تسهيل لأنشطة التنظيم الأخرى بما في ذلك التخطيط للهجمات الإرهابية⁸.

3. الفيديوهات عالية الجودة:

على عكس أشرطة الفيديو الدعائية للتنظيمات الإرهابية في الماضي، والتي كانت في غالبيتها إنتاجات غير متطورة يظهر فيها قادة الإرهاب يلقون خطاباً طويلاً ومملة، اتجه تنظيم داعش إلى إنتاج فيديوهات عالية الجودة والإنتاج تعادل في جودتها وحرفيتها أفلام هوليوود من حيث التقنيات والمؤثرات البصرية والسمعية، استخدمت هذه الفيديوهات كأداة إعلامية تستهدف جمهور الشباب وتؤكد على فكرة الجهاد، والدعوة للانضمام إلي صفوف المجاهدين⁹. وركزت هذه الفيديوهات على ثلاث سرديات رئيسية هي: الاضطهاد، أو مجتمع الخلافة المثالي، أو العنف الوحشية، وبعض هذه الفيديوهات تضمنت السرديات الثلاث معاً¹⁰.

وفي فترة قوة التنظيم، عمل على مزامنة إنتاجه للفيديوهات مع انتصاراته العسكرية، فقد تزامن نشره لواحد من أهم فيديواته باسم "changing of sword" "تغيير السيوف" قبل غزوه لمدينة الموصل العراقية؛ مما يؤكد أهمية الاستراتيجية الإعلامية، وأنها كانت على قدم المساواة مع الاستراتيجية العسكرية في تحقيق أهداف التنظيم.

ومن أجل تحقيق أهدافه في تجنيد أكبر عدد من الأعضاء، عمل التنظيم على إثارة مشاعر الدفاع والغضب والتعاطف للمتلقي، عبر احتواء بعض الفيديوهات على صور للأطفال المسلمين والضحايا القتلى تحت أنقاض المباني والبيوت المدمرة، لتحفيز الجمهور للانضمام للتنظيم، للدفاع عن المسلمين المدنيين الأبرياء ضحايا الولايات المتحدة وحلفائها من الدول الغربية، ويعد هذا التكتيك إحدى أنجح استراتيجيات التجنيد والتي اعتمدته تنظيمات أخرى سابقة كتنظيم القاعدة؛ حيث جندت العديد من الأعضاء عبر توزيع أشرطة الفيديو التي تضمنت المذابح التي تعرض لها المسلمين في البوسنة والشيكان. ويعد الهدف الرئيسي لهذه الفيديوهات هو الوصول إلى جمهور

عالمي وإلى عموم المسلمين، والدعوة إلى الجهاد، وأيضاً بث الرعب والخوف في النفوس كأسلوب للدعاية للتنظيم في مختلف أنحاء العالم¹¹.

4. ألعاب الفيديو:

تجمع صناعة ألعاب الفيديو أعداداً هائلة من المستخدمين من حول العالم، حيث يقضي مستخدمو وسائل الإعلام الجديدة 3 مليارات ساعة في الأسبوع يلعبون هذه الألعاب عبر الإنترنت، وتمتلك هذه الألعاب العديد من وسائل الاتصال وعدد كبير من اللاعبين الذين يمكنهم الدردشة والتفاعل بحرية وبدون تحديد هويتهم؛ وهو ما استغله تنظيم داعش من خلال تطوير ألعاب عنيفة للتفاعل مع هذا المجتمع الكبير عبر الإنترنت¹².

استخدم التنظيم ألعاب الفيديو في استهداف الشباب، وذلك لأنهم الفئة التي يمكن تغيير توجهاتها بسهولة، والأكثر قدرة على حمل السلاح في المعارك، لذا قام التنظيم بتصميم ألعاب وتحميلها على المتاجر الإلكترونية، والمنتديات الجهادية بهدف توفيرها لمناصري التنظيم واستغلالها كأداة في عمليات التواصل بينهم، فصمم التنظيم ألعاباً جديدة مثل لعبته الأشهر "صليل الصوارم"، وعمل على إعادة تصميم ألعاب أخرى مثل "أرما3" وهي من الألعاب الحربية القتالية الأكثر شهرة على مستوى العالم، والتي تم إعادة تصميم أجزائها، وإضافة تعديلات برمجية لإضافة الصور والأصوات التي روجت للتنظيم وأيديولوجيته¹³.

واستخدم التنظيم هذه الألعاب لتحقيق أهدافه من تحقيق الدعاية والانتشار، واستقطاب الشباب للتجنيد، بالإضافة إلى محاولة تحقيق المحاكاة الافتراضية للعمل الميداني عبر التخطيط والتنفيذ لمعارك افتراضية داخل هذه الألعاب بعيداً عن التعقب والمراقبة¹⁴.

5. منتديات الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي:

توفر شبكات التواصل الاجتماعي، مثل تويتر وفيسبوك وتطبيقات الهواتف المحمولة ومنتديات الدردشة وما إلى ذلك، مجموعة واسعة من المميزات كسرعة وسهولة التواصل، كما لا تتطلب أي بيانات شخصية دقيقة للتحقق؛ الأمر الذي يتيح

للتنظيمات الإرهابية التواصل مع مناصريهم وداعميهم وخاصة الشباب من أجل تحقيق أهدافها من الدعاية والتجنيد للعناصر المحتملة¹⁵. أدرك تنظيم "داعش" هذه الميزات، فأصبح أكثر التنظيمات الإرهابية استخدامًا لمواقع التواصل الاجتماعي حتى الآن.

استخدم داعش هذه المواقع كأداة للتواصل مع أعضائه، ونشر رسالته، وتجنيد المقاتلين المحتملين، واتضح أهمية هذه المواقع للتنظيم من خلال الطريقة التي ظهرت فيها صور "أي بكر البغدادي" يعلن قيام دولة داعش وعودة الخلافة في 4 يوليو 2014 على موقع تويتر قبل تحميل الفيديو الكامل الخاص بإعلان الخلافة على اليوتيوب؛ مما ساعد على ضمان انتشار هذا الخبر على معظم شبكات الأخبار الدولية الرئيسية¹⁶. ومن أبرز مواقع التواصل الاجتماعي التي اعتمد عليها التنظيم:

- اليوتيوب: يعد تطبيق "يوتيوب" من أكثر التطبيقات التي اعتمد عليها التنظيم لنشر رسائله وأيدولوجيته، وقد تم رفع فيديوهات التنظيم على الموقع، التي أصبحت متاحة للمشاهدين عن طريق إجراءات بحثية بسيطة على الموقع، وتم استخدام هذه الفيديوهات كأداة لتجنيد المقاتلين، وأداة للإرهاب في إطار الحرب النفسية ضد أعدائه؛ حيث احتوت مقاطع الفيديوهات مشاهد عنيفة لتطبيق عمليات إعدام جماعية، مثل إطلاق النار، قطع الرؤوس، وإلقاء الأفراد من أعلى المباني، وغيرها من المشاهد التي استهدفت بث الرعب وتهديد الخصوم¹⁷.

- موقع تويتر: يعد موقع تويتر أكثر المواقع الاجتماعية الذي استخدمه التنظيم في الترويج لأيدولوجيته الدينية، واستقطاب المجندين المحتملين، حيث تم استخدامه كأداة اتصال داخل المنظمة وكذلك للاتصال الخارجي، كاختراق الحركات الاجتماعية المغلقة أو المنعزلة والمجموعات الناشطة التي تشاركه في الخطاب نفسه.

عرفت استراتيجية التنظيم على تويتر باسم "قنابل تويتر" "Bombs Twitter" والتي اعتمدت على الوجود الكبير للتنظيم على الموقع، والوصول إلى الجماهير في كل أنحاء العالم، بلغ عدد حسابات التنظيم على الموقع في 2016 ما لا يقل عن 46,000 حساب، يتم تشغيلها بواسطة متعاطفين مع التنظيم، على سبيل المثال "The

Ghuraba "الغربة"، وهو حساب مؤيد للتنظيم على تويتر اضطلع بمسئولية نشر المقالات والكتب الجهادية عبر الموقع¹⁸.

كما أطلق في أبريل عام 2014، تطبيقاً على تويتر باللغة العربية باسم "فجر البشير" على الأندرويد وأجهزة الكمبيوتر الشخصية، وشهد التطبيق رواجاً كبيراً بين المؤيدين للتنظيم؛ حيث قام عدد يتراوح بين 5000 إلى 10000 شخص، في الفترة من أبريل حتى يونيو 2014، بتنزيل التطبيق لمتابعة تقدم داعش وللحصول على آخر الأخبار حول أنشطتها، ولم يكن التطبيق فقط أداة للدعاية، بل أُستخدم أيضاً للوصول إلى معلومات المستخدمين الشخصية؛ حيث عند تحميل التطبيق، يتم طلب الإذن للوصول إلى محتوى الوسائط، وشبكات الواي فاي، والمعلومات الخاصة بالمستخدمين؛ مما مكن التنظيم من جمع البيانات عن الأفراد المستهدفين، بما في ذلك اهتماماتهم، أصدقائهم المقربون، وحتى مواقعهم¹⁹.

ومن هذا أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي الوسيلة الأمثل للدعاية بالنسبة لتنظيم داعش والتي من خلالها تحقق أهدافها من تجنيد الأفراد ونشر أيديولوجية التنظيم؛ لذا اتخذت مواقع التواصل الاجتماعي تدابير ضد التنظيمات الإرهابية والمتطرفة، وحددت قواعد الاستخدام التي تحظر استخدام خدماتها لتعزيز الأنشطة الإرهابية، وتم إغلاق العديد من الحسابات الرسمية والعامة لتنظيم داعش، بالإضافة إلى الرقابة المستمرة على المحتوى في محاولة للحد من نفوذ داعش وقدرته على بث رسائله، ولكن لا يمكن اعتبار التدابير التي تم اتخاذها كافية تماماً، فلا يزال التنظيم وغيره التنظيمات الأخرى قادرين على التكيف مع استراتيجيات الرقابة لهذه المواقع، كما أن الطبيعة الديناميكية لمواقع التواصل الاجتماعي تجعل من الصعب السيطرة عليها بشكل كامل؛ مما يسهم في استمرار نشاط التنظيمات الإرهابية عليها²⁰.

6. المجالات الإلكترونية:

أصبحت المجالات الإلكترونية لتنظيم داعش "دابق" ومن بعدها "رومية"، إحدى أهم الأدوات الأساسية في الاستراتيجية الإعلامية للتنظيم، فأصدر "مركز الحياة الإعلامي" مجلة دابق كمجلة دورية في 5 يوليو 2014، لتكون إحدى أدوات الدعاية

والتجنيد للتنظيم، وتم اختيار اسم "دابق" لما يحمله من دلالات تاريخية ودينية؛ حيث يشير الاسم إلى منطقة في شمال سوريا باسم دابق، وهي المنطقة التي حدثت فيها معركة مرج دابق التاريخية قرب حلب في سوريا في 1516 بين المماليك والعثمانيين، والتي انتهت بانتصار الجيش العثماني، كما يحمل الاسم بعداً دينياً يشير إلى المعركة الفاصلة في آخر الزمان بين المسلمين وأعدائهم.

ركزت المجلة على قضايا التوحيد والهجرة والجهاد والجماعة، وكيفية تعزيز داعش لسلطتها، وتبرير أفعالها من خلال الاستشهاد بالتفسيرات الدينية المغلوطة لإضفاء الشرعية على ممارساتها الوحشية، وأيضاً احتوت على خطابات للقادة، وتغطية لمعارك التنظيم في ولاياته المختلفة. وقد أطلقت هذه المجلة باللغة الإنجليزية لاستهداف أكبر عدد من المشاهدين لتحقيق أهدافها من الدعاية والتجنيد²¹.

صدر عن دابق 15 عددًا قبل أن تتوقف المجلة بشكل مفاجئ في 31 يوليو 2016، وذلك بعد شعور التنظيم بقرب فقد السيطرة على مدينة دابق في 16 من أكتوبر 2016، وقد سارع التنظيم في إطلاق مجلة جديدة تحت اسم "رومية" في 5 سبتمبر 2016 قبل أسابيع من سقوط مدينة دابق من سيطرة التنظيم ويشير توقيت هذا التغيير إلى التحضير السابق للتكيف مع التغيرات التي يمر بها التنظيم، وبالرغم من تغيير عنوان المجلة فإنها تضمنت المحتوى الذي تضمنته دابق قبلها، ولكن بزيادة المحتوى الذي يتضمن التحريض على الهجمات الإرهابية الفردية أو ما يعرف بـ "الذئاب المنفردة"، وتراجع التعبيرات عن الخلافة والدولة وذلك بسبب الهزائم المتكررة للتنظيم وفقدانه لمناطق سيطرته في العراق والشام، صدر عن المجلة 13 عددًا وتوقفت في 9 سبتمبر 2017. وبالرغم من توقف هذه المجلات فإنها كانت إحدى الأدوات الرئيسية للخطاب الإعلامي للتنظيم التي أسهمت في انتشار أيديولوجيته وأفكاره حول العالم.

ثالثاً - مضامين الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش

مر الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش بالعديد من التحولات عبر مراحلها المختلفة منذ ظهوره وحتى انحسار قوته، فمع الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام

(داعش)؛ تبنى التنظيم خطاباً إعلامياً ركز على إبراز انتصاراته العسكرية، وتوسعاته الإقليمية، ثم تحول الخطاب تدريجياً مع تصاعد الهزائم وفقدان جميع معاقل التنظيم بحلول عام 2019 إلى خطاب دفاعي يدعو للصمود والبقاء في مواجهة التحديات. ويمكن تقسيم مضامين الخطاب الإعلامي للتنظيم إلى مرحلتين رئيسيتين؛ المرحلة الأولى: التمدد والقوة، المرحلة الثانية: التراجع والانحسار (ما بعد البغدادي).

المرحلة الأولى: التمدد والقوة:

وهي المرحلة منذ الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام (دولة الخلافة) في عام 2014، والتي ارتبطت بمرحلة قوة وانتصارات التنظيم وسيطرته على مناطق واسعة في كل من سوريا والعراق، وفيما يلي أبرز مضامين الخطاب الإعلامي في هذه الفترة:

■ التركيز على القضايا الدينية:

اعتمد تنظيم داعش على التبريرات الدينية والاقتباسات من القرآن والأحاديث الشريفة كأحد أهم محاور الخطاب الإعلامي؛ وذلك لإعطاء التنظيم شرعية دينية، واستقطاب وتجنيد الأعضاء المحتملين من خلال التأكيد على أنه ينفذ الشريعة مستنداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وتفسيرات مغلوطة لعلماء الدين وخاصة "ابن تيمية" و"ابن القيم"؛ وذلك لتبرير أفعالهم وآرائهم المتطرفة²². علاوة على ذلك، وصفوا زعيم التنظيم السابق "أبا بكر البغدادي" باسم القرشي الهاشمي، سليل الحسين بن علي، لاكتساب النفوذ والشرعية الدينية، واستمر هذا النهج مع كافة قادة التنظيم من بعد البغدادي الذين ادعى التنظيم عودتهم للأصول نفسها.

من جانب آخر، يعد "الجهاد" من أبرز القضايا الدينية التي ارتكز عليها الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش، حيث تم اعتباره واجباً دينياً على جميع المسلمين؛ للحفاظ على عقيدتهم والدفاع عن الإسلام. وإلى جانب الجهاد، كانت ركز الخطاب على "الهجرة" التي تم اعتبارها إحدى استراتيجيات تجنيد أعضاء جدد، فشجع التنظيم على الهجرة إلى أراضي الخلافة؛ حيث ادعى أن قيام دولة الخلافة أصبح إلزاماً على المسلمين

الهجرة إليها، وإذا كانت الهجرة غير ممكنة بسبب الاعتبارات الأمنية أو غيرها من الأسباب، فمن الممكن أن يعلن الفرد عن بيعته وولائه للتنظيم من البلاد التي يعيش فيها. وتم تقديم هذا الطرح في خطاب الإعلان عن قيام دولة داعش في عام 2014²³.

عودة الخلافة الإسلامية

ركز تنظيم "داعش" خلال فترة قوته على إبراز انتصاراته الميدانية وتوسعه في الأراضي السورية والعراقية، وجعل من مفهوم "الخلافة الإسلامية" إحدى أهم ركائز خطابه الإعلامي؛ فقد سعى التنظيم إلى تقديم نفسه كإحياء للخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، وأنه المدافع الأول عن كرامة وأمجاد المسلمين المفقودة. وتم التركيز في هذه السردية على مفهوم "الهجرة"؛ حيث طالب التنظيم المسلمين جميعاً بالهجرة إلى مناطق سيطرة التنظيم في سوريا والعراق، مدعياً أن قيام دولة الخلافة أصبحت الهجرة إلزاماً دينياً على جميع المسلمين.

استغل داعش سردية "الخلافة" لزيادة جاذبيته؛ وللتأكيد على أنه يستمد شرعيته من القرآن والسنة، ولترسيخ فكرة أن "دولة داعش" هي الامتداد التاريخي لدولة المسلمين الأولى؛ مما يمنحها قوة رمزية وجاذبية دينية وتاريخية.

الدولة القوية

ركز خطاب داعش على تأطير التنظيم في شكل الدولة القوية الفاعلة والمزدهرة التي لديها إقليم وجيش كبير وتسيطر على عدد كبير من السكان، من خلال إبراز امتلاك التنظيم للمؤسسات والبنية التحتية، ولها تقسيمات إدارية وتوفر الخدمات العامة والرعاية الصحية، ولديها نظامها القضائي الخاص المتمثل في المحاكم الشرعية التي تطبق الحدود وتجمع وتوزع الزكاة وفقاً للشرعية الإسلامية؛ بمعنى تصوير أراضي التنظيم كدولة متكاملة بعيداً عن الشكل النمطي للتنظيمات الإرهابية؛ مما يساعد في عملية تجنيد واستقطاب المقاتلين للانضمام للتنظيم.

تقسيم العالم لمعسكرين وتوصيف الأعداء

حرص التنظيم في خطابه الإعلامي على تأطير رؤيته للعالم وللأعداء؛ حيث قسم العالم إلى معسكرين: معسكر الإسلام والإيمان والذي يضم المجاهدين من حول العالم وكل من ينتمي إلى التنظيم، ومعسكر الكفر ويشمل المسيحيين واليهود وجميع الأديان الأخرى ويقود هذا المعسكر الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا واليهود، وأيضاً دول التحالف الدولي ضد التنظيم. وفي هذا الإطار أكد التنظيم على انتهاء المنطقة الرمادية بمعنى أن بعودة الخلافة - في ذلك الوقت - انتهت المنطقة الوسطى بين الكفر والإيمان، فإما أن تكون تابعاً للمجاهدين والتنظيم أو أن تكون مع الكفار، وتشمل المنطقة الوسطى (الرمادية) - وفقاً لخطاب داعش - التنظيمات الجهادية التي لا تتبع التنظيم مثل (النصرة) و(القاعدة) وعلماء الدين الراضين للتنظيم والصوفيين والشيعة وكل من يعارض التنظيم. وبهذا، يُعتبر أي مسلم لا يطيع التنظيم بمثابة منافق ومرتد، وسيتم التعامل معه كما لو كانوا من معسكر الكفار؛ فتمت إجازة محاربته وقتله.

أما عن تأطير الرؤية للأعداء، تم تقسيم الأعداء في الخطاب الإعلامي لداعش في فئتين؛ العدو القريب والعدو البعيد، يتمثل "العدو القريب" في الدول العربية المسلمة أو غير العربية المسلمة مثل تركيا وإندونيسيا، والرافضة أو الصفويين - وهي المصطلحات التي تم إطلاقها على الشيعة -، والمسلمين السنة المعارضين لفكر التنظيم الذين تم وصفهم بالمرتدين والمنافقين، وتشمل هذه الفئة علماء الدين الراضين للتنظيم الذين اعتبرهم التنظيم أئمة الكفر ودعاة على أبواب جهنم. والصوفيين الذين تم توصيفهم بالمرتدين والمشركين عبدة الأضرحة والمقابر. والطواغيت وهو اللقب الذي تم إطلاقه على حكام العرب، الذين يحكمون بالقوانين الوضعية ويرفضون الحكم بالشريعة الإسلامية.

أما "العدو البعيد" يتمثل في الدول الغربية والديانات غير إسلامية، من المسيحيين واليهود الذي اعتبرهم التنظيم الأعداء الأذليين للإسلام والمسلمين، و"الإيزيديين" وهم أصحاب الديانة "الإيزيدية" التي وصفها التنظيم بعبادة الشيطان، وقد حلل التنظيم قتلهم وسبي نساءهم، و"الهندوس" وهي الديانة الوثنية لغالبية أهل الهند وأيضاً يجب قتلهم.

التضخيم من الانتصارات وتمجيد المجاهدين

اعتمد تنظيم داعش في خطابه الإعلامي على نشر إنجازاته ونجاحاته العسكرية والتنظيمية بشكل مكثف؛ لخلق الاعتقاد بأن قوته تتزايد باستمرار من خلال انضمام مقاتلين جدد، أو من خلال السيطرة الإقليمية على مناطق جديدة، فتم تدشين حملات دعائية مكثفة عن انتصاراته على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة تضمنت مقاطع الفيديو والصور الأخرى التي تظهر الانتصارات العسكرية للتنظيم ونجاحاته في السيطرة والتمدد الإقليمي، كما تضمنت مقالات تحتفي بالمجاهدين وتمجد ممن قُتلوا في أثناء العمليات العسكرية بوصفهم شهداء. استهدف التنظيم بهذه السردية تأطير نفسه في صورة القوة العسكرية القادرة على هزيمة كافة أعدائها؛ مما يسهم في جذب واستقطاب أكبر عدد من الأعضاء للانضمام إلى التنظيم.

الوحشية والعنف

ركز الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش على إبراز العنف والوحشية المفرطة كوسيلة لخلق دعاية كبيرة، وإثارة الرأي العام العالمي، من خلال رفع صور وفيديوهات العنف الذي يرتكبها ضد الأعداء والمعارضين كقطع الرؤوس أو الحرق وغيرها من الطرق الوحشية، مع تأطيره بوصفه تطبيقاً للالتزام الديني والشريعة واستجابة لدعوة الجهاد في القرآن والسنة، فالجهاد أصبح -وفقاً لخطاب التنظيم- فرض عين على جميع المسلمين وليس فرض كفاية، ومحاربة وقتل الأعداء هو جزء من الجهاد في سبيل الله ورسوله ودفاعاً عن الدين. ويمكن استخلاص دوافع الاعتماد على العنف في الخطاب الإعلامي، في النقاط التالية:

- جذب انتباه وسائل الإعلام وخلق حالة من الصدمة لدى العامة، فتضمن الخطاب الإعلامي مقاطع فيديو خاصة بعمليات إعدام وحشية للأعداء والمعارضين بقطع الرؤوس أو الحرق وغيرها من الطرق الوحشية التي تهدف إلى تجسيد قوة التنظيم وإرهاب خصومه. كما يأتي ضمن سياق الحرب النفسية التي تستهدف ليس فقط الضحايا، بل إثارة الخوف والرعب لدى المشاهدين.

- إعادة توجيه الانتباه بعيداً عن خسائره في ساحات القتال، ففي فبراير 2015، بعد أسبوع واحد فقط من الانسحاب من مدينة كوباني السورية، -التي كانت أكبر خسارة عانى منها التنظيم في ذلك الوقت-، أصدر التنظيم شريط فيديو يصور إعدام الطيار الأردني معاذ الكساسبة عن طريق الحرق، وجاءت توقيت اختيار نشر الفيديو للتغطية على هزيمته وانسحابه من أحد أهم معاقله في سوريا.
- التأثير في مشاعر المؤيدين المحتملين؛ حيث قد تسهم مشاهدة أعمال العنف في خلق رغبة لمحاكاة هذه الأفعال من الأفراد الذين لديهم ميول للعنف والعدوانية؛ مما يدفعهم للانضمام إلى صفوف التنظيم²⁴.
- إضفاء الشرعية على أفعاله؛ حيث ربط الخطاب الإعلامي بين أعمال العنف التي يرتكبها وبين ضرورة الانتقام والثأر للضحايا المسلمين الذين سقطوا بسبب العدو الغربي المتمثل في الولايات المتحدة والدول الغربية، كما تم تأطير التنظيم في صورة المدافع عن المسلمين؛ وذلك لتبرير أعمال العنف التي يرتكبها، وجذب واستقطاب المجندين.

خطاب الضحية

يعد خطاب الضحية من أكثر السرديات التي ركز عليها الخطاب الإعلامي لداعش؛ حيث سمحت هذه السردية لداعش على تأطير معركته بأنها معركة دفاعية ضد أعداء المسلمين؛ حيث يدّعي التنظيم الدفاع عن المسلمين الأبرياء في سوريا والعراق الذين عانوا من عدوان الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة.

ولم يقتصر على المسلمين الخاضعين لسيطرته، وإنما تطرق خطابه إلى المسلمين في الدول الغربية الذين يعانون من الاضطهاد والتمييز في الغرب، ويمنعوا من ممارسة حياتهم وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية؛ مما يستقطب المزيد من المجندين؛ حيث تم تقديم دعوة صريحة للمسلمين في الغرب للهجرة لأراضي الخلافة في العراق وسوريا -المجتمع الإسلام المثالي- الذي يمكنهم من الحياة وفقاً للشريعة الإسلامية دون تمييز أو اضطهاد.

ومن هذا، استخدم التنظيم هذا الخطاب كأداة دعائية تستهدف إثارة مشاعر المتلقين وتحفيزهم على الثأر والانتقام لإخوانهم وأخواتهم الذين قتلوا جرّاء قصف التحالف الغربي، وأيضاً الانتقام من الإذلال والتمييز على وجه العموم ضد المسلمين في أنحاء العالم، وبالتالي محاولة إضفاء الشرعية على وجوده، وتبرير أفعاله، وتعزيز عملية استقطاب وتجنيد أعضاء جدد.

تشويه المنافسين

يعد التخوين والتكفير وتشويه المنافسين إحدى ركائز الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش، حيث أولى التنظيم اهتماماً كبيراً بمراقبة أفعال أعدائه ورصد ما يرتكبونه من أخطاء لاستغلالها في تقويض شرعية المنافسين واستقطاب المزيد من المجندين، ولم يتطلب إعداد هذا النوع من الخطاب جهداً كبيراً من قبل صانعي المواد الإعلامية في التنظيم، فكل الأمر يتطلب التركيز على مراقبة أعمال العدو أو ردود أفعاله وتصيد أخطائه؛ ومن ثمّ الترويج لهذه الأخطاء بين الجماهير بطريقة تجعلهم يعيدون تقييم علاقاتهم مع تلك الجهات؛ مما يسهل استقطاب المزيد من المجندين²⁵.

استخدم تنظيم داعش الأيديولوجيا للتغلب على أعدائه وخاصة من التنظيمات الإرهابية الأخرى، فسعى لتقويض شرعية كل من تنظيم القاعدة وحركة طالبان، منافسيه الأساسيين في المجال الجهادي للتوسع بنجاح في مناطق تعد مناطق نفوذ تقليدية للتنظيمين (أفغانستان)، من خلال الترويج لامتلاك التنظيم قوة تنظيمية وعسكرية تفوق أي تنظيم أو مجموعة جهادية أخرى.

بالنسبة للقاعدة: قدم تنظيم داعش نفسه بأنه الاستمرار المنطقي لمسار مؤسس القاعدة أسامة بن لادن؛ وذلك لتبرير رفضه لأي زعيم آخر للقاعدة من بعد بن لادن. كما روج -بعد الإعلان عن قيام دولته في -2014 لفكرة أنه "دولة" في مقابل كون القاعدة مجرد "تنظيم"؛ مما يعكس التفوق المفترض على القاعدة. ويرجع الخلاف بين التنظيمين لمجموعة من النقاط الخلافية ترتبط بنوعية العدو المستهدف والاستراتيجية المتبعة في مواجهته؛ حيث وضع "القاعدة" وفروعه ضرب مصالح الدول الغربية عموماً والولايات المتحدة على نحو خاص، هدفاً رئيسياً لهجماته بينما فضل "داعش" استهداف "العدو

القريب " قبل " البعيد "؛ فالبدائية تكون بالعدو القريب من الطواغيت (حكام الدول العربية)، والرافضة (الشيعة) الذي أعلن التنظيم عن تكفيرهم ووجوب قتالهم.

طالبان: أطلق تنظيم داعش على الحركة في خطابه لقب "مليشيا طالبان المرتدة"، كما عمل على الترويج لضعف الحركة في مواجهة الحكومة الأفغانية، والتشكيك في شرعيتها الدينية والسياسية لعدم قدرتها على إنفاذ حكم الشريعة الإسلامية، في المقابل كان داعش أكثر قوة ووضوحاً، فإنشاء الخلافة كان الدليل على أنه التنظيم الجهادي الوحيد القادر على مواجهة أعداء الإسلام.

جبهة النصرة: قاد داعش صراعاً طويلاً على الشرعية مع منافسه الأساسي في مناطق تمركزه -السابقة- في سوريا "جبهة النصرة"، فخاضا التنظيمان -طوال عام 2014- معركة خطابية طويلة، تبادل فيها الطرفان الانتقادات والانتهاكات في إطار التنافس بينهما على النفوذ، كما تم اعتبار "أبا محمد الجولاني" قائد الجبهة "مرتدًا" وتم إجازة القتال ضد أعضاء النصرة، بعد تخوينهم وتكفيرهم؛ مما انعكس في محاولات التخلص من قادة وأعضاء الجبهة عن طريق الاغتيالات والسيارات المفخخة والخطف.

حركات الإسلام السياسي: أطلق داعش حملة خطابية شرسة ضد حركات الإسلام السياسي، بما في ذلك الإخوان المسلمون وحركة حماس. وتم تكفير هذه الحركات، باعتبارها حركات مرتدة، فأطلق التنظيم على جماعة الإخوان المسلمين لقب "الإخوان المرتدين"، هذا الانتقاد الشديد لحركات الإسلام السياسي يعود لأيديولوجية التنظيم "السلفية الجهادية" التي ترفض خضوع مثل هذه الحركات للقوانين الوضعية، التي تضع حكم الإنسان فوق حكم الله، وبالتالي انحرفت هذه الحركات عن أساسيات الشريعة الإسلامية، وفقاً لأيديولوجية التنظيم.

المرحلة الثانية - التراجع والانحسار (ما بعد البغدادي):

شهد الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش تراجعاً ملحوظاً عقب هزيمته وفقدانه لمناطق سيطرته الإقليمية في سوريا والعراق؛ ومقتل "أبي بكر البغدادي" وقادة المؤسسة الإعلامية للتنظيم وعلى رأسهم المتحدث الرسمي باسم التنظيم "أبو الحسن المهاجر"؛ حيث انخفض معدل ونوعية الإنتاج الإعلامي للتنظيم بشكل حاد، إذا تمت مقارنته بالخطاب السابق في أثناء قوة التنظيم؛ كما فقد التنظيم غزارة الإنتاج والنشر مع توقف نشاط العديد من أذرعه الإعلامية السابقة.

واتضح مدى تضرر المؤسسة الإعلامية لداعش في التراجع الحاد للإنتاج الإعلامي، فبحلول أوائل عام 2021، كان هيكلها الإعلامي أقل إنتاجية بنحو 7٪؛ مما كان عليه في أوائل عام 2016، كما تغيرت التركيبة الموضوعية لعلامة الدولة الإسلامية تمامًا بين عامي 2015 و 2020.²⁶

وعلى الرغم من هذا التراجع فإن التنظيم أبدى مرونة كبيرة واستجابة سريعة للتكيف مع هذه المتغيرات من خلال ما يلي:

التكيف والمرونة التنظيمية: فعلى الرغم من الضربات الموجهة التي وُجّهت للمؤسسة الإعلامية لداعش، فإنها لم تؤد إلى تفكيكها بشكل كامل، فمع تولي أبي إبراهيم القرشي (أمير محمد سعيد عبد الرحمن المولى) قيادة التنظيم بعد "أبي بكر البغدادي"، بدأ التنظيم في عملية إعادة هيكلة تنظيمية للتكيف مع فقدان التنظيم لجميع المناطق التي كان يسيطر عليها، فبدأت مؤسسات التنظيم بالتحول من المركزية إلى اللامركزية.

سمحت اللامركزية للتنظيم بالمزيد من المرونة والابتكار المستمر لطرق ووسائل لإيصال رسائلهم لمؤيديهم ولأكبر جمهور ممكن. كما منحته القدرة على التكيف مع المتغيرات في البيئة الخارجية كالانتقال نحو هياكل تنظيمية أكثر أو أقل بيروقراطية، ووفقًا للتطورات التي تحدث أو من المتوقع حدوثها. بالإضافة إلى القدرة على استغلال الفرص التكتيكية عندما تتوفر له.

التحول نحو الفروع (الولايات): شهد تنظيم داعش توسعًا هائلًا في شبكة فروعه العابرة للحدود منذ الإعلان عن قيام دولته عام 2014، وعلى الرغم من الاختلاف وعدم الاتساق في إدارته لهذه الفروع، فإن في مرحلة إعادة هيكلة التنظيم بعد مقتل البغدادي، تم تحديد مجموعة أساسية من المعايير لقبول الفروع، مثل مبايعة الخليفة واعتناق العقيدة (الأيدولوجية) والمنهج الخاص بالتنظيم، وأتاح تبني فروع وولايات التنظيم لأيدولوجيته وعقيدته محتوى وخطابًا إعلاميًا مستمرًا يعكس استمرارية وبقاء التنظيم وفاعلية استراتيجيته في الحرب والحكم.

وفي مرحلة ما بعد البغدادي، اعتمد التنظيم على استمرارية الإنتاج الإعلامي والتنسيق بين الفروع عبر حملات دعائية عالمية تنشر النجاحات العسكرية والانتصارات لولايات التنظيم، تعكس هذه الحملات استمرار التنسيق العملياتي والإعلامي السابق بين المؤسسة الإعلامية المركزية وفروع التنظيم، كما يظهر قدرة التنظيم على التكيف مع المتغيرات الاستراتيجية.

التحول في سرديات ورسائل الخطاب الإعلامي: اضطر المجلس الإعلامي لداعش بعد فقدانه مناطق سيطرته الإقليمية في العراق وسوريا إلى تغيير خطابه من الانتصارات العسكرية وبناء الدولة إلى التركيز على مفاهيم الشهادة والصمود والبقاء والتشجيع على القيام بالهجمات الإرهابية المنفردة حول العالم أم ما يعرف بالذئاب المنفردة. وجاءت أبرز مضامين الخطاب الإعلامي لداعش في هذه المرحلة كالآتي:

التحول إلى فكرة الخلافة الافتراضية

بسبب فقدان "داعش" سيطرته على الأقاليم وهزيمته، تحولت فكرة الخلافة من أمر على أرض الواقع إلى الخلافة الافتراضية والحفاظ على وجود افتراضي من خلال الاستفادة من التكنولوجيا والمنصات عبر الإنترنت، فتراجع الإنتاج اليومي المتعلق بإدارة الشؤون الدولية والتعبيرات المتعلقة بالخلافة والدولة كالهجرة من 50٪ في عام 2015/2016، إلى 2٪ فقط بحلول عام 2020، وحلت بدلاً منها الموضوعات الخاصة بتنفيذ عمليات إرهابية لأعضاء التنظيم في مناطق وجودهم حول العالم²⁷. كما تحول خطاب داعش من خطاب القوة والتمدد إلى التأكيد على فكرة الاستمرارية والبقاء، وتم استخدام مصطلح "باقية" بشكل متكرر في الدعاية الإعلامية للإشارة إلى أن دولة الخلافة لم تنته.

رفع المعنويات وتعزيز سرديّة الصمود والبقاء رغم الهزائم

خصص تنظيم داعش جزءاً كبيراً من خطابه لرصد الأخبار المتعلقة بالتنظيم في الصحف ومراكز الأبحاث الدولية التي أشارت إلى استمرار قوة التنظيم واحتمالية عودته في العراق وسوريا على الرغم من الصعوبات والملاحقات الأمنية، أو تمدده في مناطق أخرى مثل غرب أفريقيا وجنوب شرق آسيا، بالإضافة إلى التقارير الاقتصادية

التي تتحدث عن قدرة داعش على تمويل نفسه رغم خسائره الإقليمية، وتم الاهتمام بعرض وترجمة هذه التقارير كدليل على قوة التنظيم وقدرته على الانتشار مرة أخرى، وذلك لرفع الروح المعنوية للأعضاء والجماهير المستهدفة، والتأكيد على أن الهزائم العسكرية ليست نهاية مشروع الخلافة²⁸.

التحريض على العنف وهجمات "الذئاب المنفردة"

تحول خطاب العنف للتنظيم من صور وفيديوهات لعمليات إعدام وحشية ضد سكان المناطق التي سيطر عليها في العراق والشام إلى خطاب تحذيري من القعود عن الجهاد، وتحريضي يشجع ويوجه الأعضاء والمتعاطفين حول العالم لتنفيذ عمليات إرهابية وانتحارية ضد الحكومات والأعداء أو ما يعرف بعمليات (الذئاب المنفردة).

لم تقتصر الدعوة للقيام بعمليات إرهابية على الرجال فقط، فقد تم تشجيع النساء أيضاً للانخراط في تنفيذ عمليات انتحارية ضد الأعداء عبر خطاب ديني يؤكد على أن الجهاد أصبح فرضاً ملزماً على السيدات كما على الرجال؛ الأمر الذي يمثل تراجعاً عن الخطاب السابق الموجه للمرأة الذي قصر دورها في الأدوار التقليدية كونها زوجة وأمّاً لأشبال الخلافة، أو في الأدوار اللوجستية الداعمة. هذا التحول في دور النساء يمثل تكيفاً أيديولوجياً مع المتغيرات التي يمر بها التنظيم؛ حيث أصبح يسعى لاستغلال جميع الفئات في جهوده لتعزيز نشاطه؛ مما يعكس مرونته التنظيمية والأيدولوجية في مواجهة التحديات²⁹.

من جانب آخر، دعا داعش إلى اقتحام السجون وتحرير الأسرى التابعين للتنظيم فيها، وتكررت هذه الدعوة في الخطابات الرسمية للمتحدث باسم التنظيم، والمنصات والإصدارات الإعلامية الصادرة عن التنظيم تحت مسمى عمليات "هدم الجدران"، وتم تأطير هذه الدعوة في صورة الواجب الديني وأنه جزء من واجب الجهاد. كما نشر التنظيم -عبر أدواته الإعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي- رسائل مصورة لأسرى من داخل السجون تظهر الظروف القاسية التي يعيشها أعضاؤه في السجون لتأجيج مشاعر الأتباع؛ لتحفيزهم على المشاركة في العمليات التي يشنها لتحرير الأسرى. ومن أبرز العمليات التي أطلقها التنظيم لتحرير الأسرى، كان الهجوم على سجن الحسكة في سوريا عام 2022، وعلى الرغم من صد الهجوم، تم الاحتفاء به كدليل على قدرة التنظيم على تنفيذ عمليات كبرى.

التركيز على نشاط فروع وولايات التنظيم في وسط وغرب أفريقيا

بعد الخسائر الإقليمية في الشرق الأوسط، ركز الخطاب الإعلامي للتنظيم على أنشطة فروعه وولاياته بالأخص في القارة الأفريقية التي صورها كساحة جديدة لجهاده العالمي، وأصبحت انتصارات الولايات في غرب ووسط أفريقيا تشكل حيزاً كبيراً من الخطاب الإعلامي لداعش، وهو ما اتسق مع اتجاه داعش لتثبيت موضعه في أفريقيا، خاصة في إقليم الساحل والصحراء، مستغلاً في ذلك حالة عدم الاستقرار في هذه المناطق من خلال تصوير تدخلاته كجزء من صراع أوسع ضد الحكومات الفاسدة غير المسلمة.

كما استخدمت الانتصارات في أفريقيا كأداة للتجنيد؛ حيث أظهرت مقاطع الفيديو والصور التي تم نشرها على منصاته الإعلامية وعلى مواقع التواصل الاجتماعي معسكرات تدريب منظمة وإدارة ناجحة للمناطق الخاضعة لسيطرتهم، بهدف استقطاب المجندين من أفريقيا وخارجها.

التفاعل مع الأحداث العالمية واستغلالها

يعد تفاعل تنظيم داعش مع القضايا والأحداث العالمية جزءاً من الاستراتيجية التي اعتمدها التنظيم في خطابه الإعلامي؛ حيث حرص على توظيف التطورات على الساحة الدولية لخدمة أهدافه الأيديولوجية والجهادية؛ والحفاظ على حضوره على الساحة الدولية والترويج لأيديولوجيته واستقطاب وتجنيد أعضاء جدد.

فقام داعش بالتعليق على العديد من القضايا على الساحة الدولية، مثل فيروس كورونا الذي اعتبره "أباً حمزة القرشي" المتحدث الرسمي لداعش -في هذا التوقيت- في خطبة بعنوان "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار": عقاب إلهي ضد الدول الغربية والعربية التي تحارب التنظيم وتحالف شرع الله³⁰.

ومن أبرز القضايا التي يركز التنظيم على التعليق عليها واستغلالها مؤخراً، كانت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة 2023، فتكرر نشر عدد من الموضوعات في أكثر من عدد لصحيفة "النبأ" -الصحيفة الرئيسية لداعش-، وفي تسجيل صوتي للمتحدث الرسمي للتنظيم "أبي حذيفة الأنصاري" تحت عنوان "يا أسود الإسلام،

تصيدوا فرائسكم من اليهود والنصارى وحلفائهم في الشوارع والطرق في أمريكا وأوروبا والعالم"³¹ حرص الأنصاري على التحريض على العنف وتنفيذ عمليات إرهابية ضد اليهود والمسيحيين حول العالم انتقاماً لأهالي غزة؛ كما حرص على تجنيد واستقطاب أكبر عدد من المتعاطفين مع القضية الفلسطينية عن طريق تأجيج مشاعر المسلمين من خلال تأطير هذه الحرب في صورة الحرب الدينية على المسلمين.

رابعاً - مستقبل الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش

أظهر التحليل السابق، قدرة تنظيم داعش الكبيرة على التكيف بفاعلية مع المتغيرات العالمية واستغلالها في خدمة أهدافه. فمنذ ظهور التنظيم على الساحة الدولية، نجح في استغلال ما تتيحه التطورات الهائلة في مجالات الاتصالات والتكنولوجيا، في التطوير المستمر في أدواته الإعلامية؛ مما يسهم في تحقيق أهدافه الاستراتيجية، سواء في الدعاية والترويج لأيديولوجيته أو تجنيد المقاتلين الجدد، والحفاظ على وجود وتأثير إعلامي على الساحة الدولية بالرغم من الهزائم العسكرية التي لحقت بالتنظيم. وفيما يلي أبرز المسارات المتوقعة لمستقبل الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش:

استغلال التطورات التكنولوجية

من المتوقع أن يستمر التنظيم في تطوير وتطويع استراتيجياته الإعلامية استجابة للتطورات التكنولوجية؛ وللبحث عن طرق جديدة للتواصل مع جمهوره، وفيما يلي أبرز التقنيات والأدوات الإعلامية التي من المتوقع أن يستغلها التنظيم في المستقبل:

- الذكاء الاصطناعي: قد تصبح تقنيات الذكاء الاصطناعي من الأدوات الرئيسية التي قد يستخدمها التنظيم في كافة أنشطته ومجالاته، فعلى مستوى الدعاية يمكن استخدام تقنياته المتطورة في إنتاج صور ومقاطع فيديو تنشر أيديولوجية التنظيم بسهولة وبصورة أكثر واقعية بالإضافة إلى توليد وترجمة المحتوى الدعائي عبر روبوتات الدردشة إلى أكثر من لغة وبكفاءة عالية. وفي عملية التجنيد والاستقطاب، يمكن استخدام الذكاء

الاصطناعي في تحليل البيانات الضخمة في تحديد تفضيلات الأفراد وسلوكهم على الإنترنت؛ مما يسمح باستهداف فئات محددة بدقة؛ مما يساعد في التوصل إلى الأفراد المتعاطفين مع أيديولوجية وأفكار التنظيم؛ وبالتالي استقطابهم وتجنيدهم بفاعلية أكبر. كما يمكن للتنظيمات الإرهابية استغلال الذكاء الاصطناعي في تحليل أنظمة الأمان، وتحديد الثغرات الموجودة في البنى التحتية الرقمية؛ مما يساهم في تحسين نوعية وفاعلية الهجمات السيبرانية، فضلاً عن تعزيز قدرة التنظيم على إخفاء الهوية والتشفير؛ مما يجعل تتبع نشاطه أكثر صعوبة على السلطات الأمنية.

وقد تم الكشف في مارس 2024 عن بداية استخدام تنظيم داعش لتقنيات الذكاء الاصطناعي؛ حيث انتشر فيديو لأحد أعضاء التنظيم يرتدي زيًا عسكريًا وخوذة يشيد بالهجوم الذي قُتل فيه أكثر من 140 شخصًا، بعد أيام من الهجوم الإرهابي على قاعة للحفلات الموسيقية في روسيا. وهو الفيديو الذي أكدت مجموعة "سايث" للاستخبارات (SITE Intelligence Group)، -وهي منظمة تتعقب وتحلل المحتويات الرقمية للحركات الإرهابية والمتطرفة على الإنترنت-، أنه تم إنشاؤه بشكل كامل باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي كجزء من برنامج إعلامي جديد يسمى "حصاد الأخبار" -أنتجته وكالة "أعماق" الإخبارية إحدى الأذرع الإعلامية لداعش-، وقد قدم منذ مارس 2024 فيديوهات شبه أسبوعية حول عمليات داعش في جميع أنحاء العالم³². ويشير هذا التطور إلى أن الذكاء الاصطناعي سيكون إحدى الأدوات الأكثر أهمية في تشكيل الخطاب الإعلامي لداعش في المستقبل القريب.

■ الإنترنت المظلم (Dark Web): إلى جانب الذكاء الاصطناعي، ومع تزايد القيود على استخدام التنظيمات الإرهابية لمواقع التواصل الاجتماعي التقليدية "فيسبوك" و"تويتر"، من المتوقع أن يعتمد تنظيم داعش على المنصات والتطبيقات الأكثر أماناً وسرية لضمان عدم المراقبة، مثل شبكات الإنترنت المظلم (Dark Web) - وهو الإنترنت الذي يتطلب استخدامه

برامج وتقنيات خاصة، ويتميز بأنه مشفر ومخفي ولا يخضع لأي ضوابط أو قوانين-، وتتيح هذه المميزات للتنظيمات الإرهابية بيئة آمنة تمامًا، تمكنها من التواصل بسرية مع أعضائها، وجمع الأموال، ونشر الدعاية، وحتى التخطيط للعمليات الإرهابية دون أي تعقب من الأجهزة الأمنية³³.

■ **تقنيات الواقع المعزز (AR) والواقع الافتراضي (VR):** من المتوقع أن يسعى تنظيم داعش والتنظيمات الإرهابية الأخرى إلى استغلال؛ مما تتيحه تقنيات الواقع المعزز والافتراضي خاصة مع التطور الهائل لهذه التقنيات في خلق عدد لا نهائي من العوالم الافتراضية التفاعلية التي تحاكي الواقع، ويتم إنشاؤها بالكامل عبر الإنترنت، ويستطيع المستخدم التحكم فيها بشكل كامل عبر نظارات ثلاثية الأبعاد، وأدوات التحكم المحمولة، والقفازات الذكية³⁴.

تتيح هذه التقنيات للتنظيمات الإرهابية القدرة على تعزيز جهودها في استقطاب وتجنيد أكبر عدد من المؤيدين من حول العالم عبر دعاية أكثر تطورًا تسمح للأفراد بالتفاعل مع مشاهد العنف أو الدعاية بشكل مباشر؛ مما قد تكون أكثر تأثيرًا في المتلقين، بالإضافة إلى إمكانية الإسهام في تحسين التواصل والتنسيق بين الأفراد عبر اجتماعات افتراضية سرية، كما يمكن أن توفر منصات للتدريب على استخدام وصناعة الأسلحة والعبوات الناسفة من خلال محاكاة كاملة وشبه واقعية لمسرح العمليات.

وفيما يخص القضايا التي من المتوقع التركيز عليها في الخطاب الإعلامي المستقبلي لتنظيم داعش:

في ظل سعي التنظيم إلى البقاء، ومع المتغيرات الدولية المتسارعة، من المرجح أن تتبع الآلة الإعلامية للتنظيم استراتيجية المرونة والتكيف السريع مع المتغيرات، بما يضمن استمرار حضور التنظيم كفاعل على الساحة الدولية من خلال إعادة صياغة دورية لأيديولوجيته بما يتناسب مع التطورات العالمية تضمن إضفاء الشرعية على تحركات وخطاب التنظيم، وفي هذا من المتوقع استمرار استخدام التفسيرات المغلوطة للقرآن والأحاديث الشريفة بما يخدم أهدافهم.

وللحفاظ على حضور على الساحة الدولية، من المتوقع أن تستمر المنصات الإعلامية للتنظيم في تخصيص أجزاء من محتواها للتعليق والتفاعل مع الأزمات والمتغيرات الدولية كالحروب والأوبئة والأزمات السياسية، من خلال تأطير هذه المتغيرات بما يخدم تحقيق مستهدفات التنظيم في الدعاية لأيديولوجيته وأفكاره المتطرفة، واستقطاب أكبر عدد من المؤيدين المختلفة.

وفي إطار رفع المعنويات وتعزيز سرديّة الصمود والبقاء رغم الهزائم، من المتوقع تركيز الخطاب الإعلامي على أنشطة وانتصارات فروع وولايات التنظيم الإقليمية خاصة في أفريقيا، والتي يتمتع فيها التنظيم بنفوذ متصاعد، للتأكيد على بقاء وتمدد التنظيم حول العالم على الرغم من انهيار دولة الخلافة في العراق والشام، وللتأكيد على استمراره كقوة جهادية عالمية.

ومع اشتعال منطقة الشرق الأوسط، إثر الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة؛ من المتوقع التركيز بشكل كبير على ما ارتكبته إسرائيل من مذابح وفظائع في القطاع، لتأجيج مشاعر المتعاطفين مع أفكار التنظيم، وتجنيدهم وحثهم على الانتقام للضحايا من خلال تنفيذ عمليات إرهابية ضد الأعداء حول العالم، كما من المتوقع أن تستخدم هذه الحرب في الترويج لسردية الحرب العالمية على الإسلام والمسلمين، ومختلف هذه السرديات تستهدف استقطاب المجندين بحجة الدفاع عن الإسلام.

ومع تحول التنظيم نحو اللامركزية، ومع استمرار الملاحقات الأمنية، من المتوقع تشجيع التنظيم لأتباعه ومؤيديه على تنفيذ عمليات إرهابية فردية (الذئاب المنفردة) حول العالم، مع توفير التوجيهات الخاصة لضمان نجاح مثل هذا العمليات عبر منصات الإعلام - على غرار التوجيهات التي نشرها التنظيم في مجلة رومية في عام 2016 كيفية تطبيق هجمات منفردة باستخدام السكين وكيفية اختيار الضحايا وتحديد أخطر المناطق في الجسد لطعنهم³⁵.

الخاتمة والاستنتاج

حاصل ما تقدم، يمكن القول إن تنظيم داعش نجح عبر استراتيجيته إعلامية متطورة تجمع بين وسائل الإعلام التقليدية والحديثة مع استغلال ما تتيحه التطورات التكنولوجية الحديثة من إمكانيات، في تشكيل خطاب إعلامي استثنائي أصبح إحدى الأدوات المحورية التي جعلت من التنظيم ظاهرة عالمية، ونموذجاً لقدرة التنظيمات الإرهابية على استغلال التكنولوجيا في الدعاية والترويج لأفكارها المتطرفة، واستقطاب المجندين من مختلف أنحاء العالم.

مرّ الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش بالعديد من التحولات عبر مراحلها المختلفة منذ ظهوره وحتى انحسار قوته، فمع الإعلان عن قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) عام 2014، تبنى التنظيم خطاباً إعلامياً ركز على العنف المفرط، وإبراز انتصاراته العسكرية، وتوسعاته الإقليمية، وتأطير نفسه في صورة الدولة القوية وعودة للخلافة الإسلامية، كما اعتمد على استراتيجية الدعاية والتسويق بالصدمة عبر صور ومقاطع فيديو هات وحشية أدت إلى إثارة ردود فعل قوية من المتلقين؛ مما أسهم في تصدده للمشهد الدولي، ونجح في استقطاب المجندين بأعداد غير مسبوقة من حول العالم.

ومع فقدان التنظيم لمناطق سيطرته في العراق والشام بحلول عام 2019، شهد الخطاب الإعلامي للتنظيم تراجعاً ملحوظاً؛ حيث انخفض معدل ونوعية الإنتاج الإعلامي بشكل حاد، وعلى الرغم من هذا التراجع فإن التنظيم حافظ على حضور إعلامي جيد على الساحة الدولية عبر اتباع بعض الاستراتيجيات الجديدة كالمرونة واللامركزية التنظيمية، وتكييف خطابه مع واقعه الجديد والتحديات التي يمر بها، فتحول الخطاب من التركيز على الانتصارات العسكرية وبناء الدولة إلى التركيز على مفاهيم الشهادة والصمود والبقاء، كما تحول الاهتمام من سوريا والعراق إلى الانتصارات التي يحققها التنظيم في القارة الأفريقية والتشجيع على استمرار الجهاد عبر القيام بالهجمات الإرهابية المنفردة حول العالم أو ما يعرف بالذئاب المنفردة.

وعن مستقبل هذا الخطاب، وفي ظل سعي التنظيم إلى التكيف مع المتغيرات الدولية المتسارعة من حوله، من المتوقع أن يستمر التنظيم في تطوير وتطوير استراتيجياته الإعلامية استجابة للتطورات التكنولوجية المتسارعة؛ للبحث عن طرق جديدة لإيصال رسائله للعالم، وللحفاظ على حضور على الساحة الدولية، وتعد تقنيات الذكاء الاصطناعي والإنترنت المظلم والواقع الافتراضي من أبرز الأدوات التي من المتوقع أن يستغلها التنظيم لتحقيق أهدافه في المستقبل القريب.

ومن جانب آخر، من المتوقع أن تتطور سرديات الخطاب بما يتناسب مع التحديات التي يمر بها التنظيم والمتغيرات الطارئة على الساحة الدولية، من خلال تأطير وتوظيف هذه المتغيرات بما يخدم تحقيق مستهدفات التنظيم في الدعاية لأيديولوجيته وأفكاره المتطرفة، واستقطاب أكبر عدد من المؤيدين. وبناءً على ما تقدم، يمكن القول إن الخطاب الإعلامي لداعش سيظل يمثل تحدياً طويلاً للأمد للمجتمع الدولي، خاصة مع ما أظهره من مرونة وقدرة كبيرة على التكيف مع المتغيرات؛ مما يتطلب تطوير استراتيجيات إعلامية فعالة تتصدى لأفكار التنظيم وتقلل من تأثيرها في الجماهير المستهدفة.

قائمة المراجع:

1. Brigitte Nacos, Mass-Mediated Terrorism: The Central Role of the Media in Terrorism and Counter Terrorism, (Maryland, Rowman and Littlefield, 2007), pp.41–47
2. Gabriel Weimann, The Psychology of Mass-Mediated Terrorism, American Behavioral Scientist, Volume 52, Issue 1, 2008, pp.70-72.
3. Gabriel Weimann, From Theaters to Cyberspace: Mass-Mediated Terrorism, The Global Connections Foundation and the University of Central Florida's Global Perspectives Office and Political Science Department, Volume 13, Issue 1, 2015, pp. 1-4.
4. Michael McCaul, Bennie Thompson et al., the task force on Combating terrorist and foreign fighter travel, (Final report of Committee of Homeland Security, House of representatives, Washington 2015), pp.10-11.
5. Marcin Styszynski, ISIS Communication strategy, Przegląd Strategiczny, Volume 9, Issue 9, 2016, pp. 171-180.
6. هاجر أيمن، الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام: تحليل مضمون مجلة دابق الإلكترونية، (ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة)، 2019.
7. Ahmet S Yayla, Anne Speckhard, Telegram: The Mighty Application that ISIS Loves, International Center for the Study of Violent Extremism (ICSVE), 2017.
8. Ahmad Shehabat, Teodor Mitew, Encrypted Jihad: Investigating the Role of Telegram App in Lone Wolf Attacks in the West, Journal of Strategic Security, Volume 10, Issue 3, 2017, pp. 27-53.
9. Lauren Williams, Islamic State Propaganda and the mainstream media, LOWY institute for international policy, 26 February 2016, Accessed August 2, 2024,
10. <https://www.lowyinstitute.org/publications/islamic-state-propaganda-and-mainstream-media>
11. ألبرتو فرنانديز، باقية وتتمدد: مواجهة شبكات الدعاية الخاصة بداعش، (ورقة قدمت إلى مؤتمر "منتدى أمريكا والعالم الإسلامي"، مشروع العلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي التابع، معهد بروكنجز، ٢٠١٩).
12. Mark D. Chang, Trolling New media: Violent Extremist Groups Recruiting Through social media) Master, Naval Post graduated School, Homeland Security and Defense, 2015).
13. إيهاب خليفة، الإرهاب الذكي: كيف توظف الحركات المتطرفة التطورات التكنولوجية، السياسة الدولية، العدد 210، أكتوبر 2017.
14. Ahmed Al-Rawi, Videogames, terrorism, and ISIS's Jihad 3.0, Terrorism and Political Violence, 2016, pp. 7-15.
15. Gabriel Weimann, Terrorism in Cyberspace; the Next Generation, (Washington: Woodrow Wilson Center Press, 2015).
16. Richard Barrett, Foreign Fighters in Syria, The Soufan Group, June 2014, Accessed August 2, 2024, <http://soufangroup.com/wpcontent/uploads/2014/06/TSG-Foreign-Fighters-in-Syria.pdf>.
17. Steve Johnston, The Islamic State's Tactics in Syria: Role of social media in Shifting a Peaceful Arab Spring into Terrorism, (The Ethics of Future Warfare, Simons Center Special Report, 2017), p. 80.
18. تود س. هلموس، إليزابيث بودين-بارون وآخرون، دراسة الشبكات الداعمة والمعارضة للدولة الإسلامية في العراق وسوريا عبر تويتر، كاليفورنيا: مؤسسة راند، 2016)، ص 1.
19. Dana Hadra, ISIS: Past, Present and Future? Pro-ISIS Media and State Formation, (The College of Arts and Sciences, Boston College, 2015).
20. J.M Berger, Jonathan Morgan, The ISIS twitter census: Defining and describing the population of ISIS supporters on Twitter, The Brookings project on U.S. Relations with the Islamic World, Volume 20, Brookings Institute, 2015, p. 23.
21. Harleen Gambhir, The Virtual Caliphate: ISIS's Information Warfare, the Institute for the Study of War, December 2016, Accessed August 14, 2024, <https://www.understandingwar.org/sites/default/files/ISW%20The%20Virtual%20Caliphate%20Gambhir%202016.pdf>.
22. ماركو لومباردي، الدعاية والإعلام، أدوات توغل في يد "داعش" (ورقة قدمت إلى مؤتمر "سرايا الجاذبية: داعش، الدعاية والتجنيد"، مؤسسة فريديريش إيريت، الأردن، 2016). ص 85-90

23. Dorian Leppink, Recruitment Propaganda of the Islamic State Recruiting Narratives in the Islamic State's Propaganda, (BA-Thesis TCS, 2017), pp.13-15.
24. Adam Badawy, Emilio Ferrara, The Rise of Jihadist Propaganda on Social Networks, University of Southern California, Information Sciences Institute, 2017, p.5.
25. Daved Gartenstein-Ross, Nathaniel Barr, et al, The Islamic State's Global Propaganda Strategy, International Centre for Counter Terrorism, pp.17-19.
26. Mohammad Abu Rumman, After the Caliphate": Ideology, Propaganda, Organization, and Global Jihad. Will ISIS Make a Comeback? (Amman: Friedrich-Ebert-Stiftung, 2021).
27. Charlie Winter, Redefining propaganda: The media strategy of the Islamic State, The RUSI Journal, Volume 165, Issue 1, pp. 38-42.
28. Anthony H. Cordesman, The Real World Capabilities of ISIS: The Threat Continues, September 9, 2020, Accessed August 14, 2024, <https://www.csis.org/analysis/real-world-capabilities-isis-threat-continues>.
29. هاجر أيمن، ماذا تغير في الخطاب الإعلامي لداعش؟، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية، 29 يوليو 2023، تاريخ الدخول: 17 سبتمبر 2024، [/https://ecss.com.eg/35568](https://ecss.com.eg/35568)
30. أبو حمزة القرشي، "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار"، مؤسسة الفرقان، ديوان الإعلام المركزي لتنظيم داعش، 28 مايو 2020.
31. أبو حذيفة الأنصاري، يا أسود الإسلام، تصيدوا فرائسكم من اليهود والنصارى وحلفائهم في الشوارع والطرق في أمريكا وأوروبا والعالم، 4 يناير 2024.
32. Pranshu Verma, These ISIS news anchors are AI fakes: Their propaganda is real, The Washington Post, May 17, 2024, Accessed August 2, <https://www.washingtonpost.com/technology/2024/05/17/ai-isis-propaganda/>
33. Nikita Malik, Terror in the Dark: How Terrorists use Encryption, the Darknet, and Cryptocurrencies, (London: The Henry Jackson Society, 2018), pp.17-23
34. Gabriel Weimann, Roy Dimant, The Metaverse and Terrorism: Threats and Challenges, Perspectives on Terrorism, Volume XVII, Issue 2, June 2023.
35. Rumiya issue 1, Al-Hayat media center, The Islamic State, 5 September 2016.

العائدون من داعش: هل عادوا؟

8

د. وفاء صندي*

أزيد من خمس سنوات ونصف على هزيمة تنظيم "داعش" في آخر معاقله في سوريا، في معركة الباغوز، تاركًا خلفه الآلاف من مقاتليه والتابعين له محتجزين في معسكرات وسجون في جميع أنحاء شمال شرق سوريا. رغم محاولاته استعادة الأراضي التي خسرها، إلا أنه فشل في تحقيق ذلك، وكان تمردّه محدودًا بسبب العمليات العسكرية التي شنتها قوات التحالف الدولي، إلى جانب قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، وهي الجناح العسكري "للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا". وقد تراجعت الهجمات التي تبناها التنظيم في سوريا من 1055 في عام 2019 إلى 608 في عام 2020، و368 في عام 2021، و297 في عام 2022، و121 في عام 2023¹، قبل أن تعاود الازدياد في الربع الأول من عام 2024.

* استشارية دولية لدى الأمم المتحدة وباحثة في قضايا التطرف والإرهاب

على الرغم من الخسار "داعش"، فإنه لا يزال قادرًا على الصمود والاستمرارية، ولا يزال قادرًا على تشكيل تهديدات على المنطقة والعالم. تشير تقارير إلى أن التنظيم تكيف مع الأساليب المستخدمة ضده. وقد حذرت الحكومة الأمريكية في آخر عام 2023، من أنه لا يمكن استبعاد عودة التنظيم في سوريا². تبنى التنظيم، منذ 14 مارس 2024، مسؤولية 84 هجومًا في سوريا؛ مما يشكل زيادة في الهجمات بالمقارنة بالسنوات القليلة الماضية. كما أن مقاتلي التنظيم لا يزالون ملتزمين بإعادة بناء "الخلافة" المزعومة. ومع استمرار احتجاجات عشرات الآلاف من أتباع التنظيم وعائلاتهم في مخيمات مغلقة (روج والهول)، في وقت باتت قوات قسد تفقد السيطرة عليها، فقد يؤدي ذلك إلى تفاقم الأوضاع، بحيث سيشكل هؤلاء المحتجزين استمرارية "داعش" أو نواة أي تنظيم يأتي بعده.

بعد معركة الباغوز (مارس 2019) ذكرت تقارير أن قسد اعتقلت أكثر من عشرة آلاف مقاتل (أي ما يعادل نحو ثلث عدد مجمل التنظيم في كل من سوريا والعراق) بينهم ثمانية آلاف من العراق وسوريا، وألفان من أكثر من 50 دولة، بالإضافة إلى أزيد من 70 ألف من عائلات المقاتلين ممن تم احتجازهم في مخيمات أبرزها مخيم الهول. تشير تقديرات إلى أن 94٪ من المحتجزين داخل الهول هم من النساء والأطفال³، 86٪ منهم عراقيون وسوريون. يضم المخيم أيضًا أزيد من 11000 امرأة وطفل أجنبي من 51 دولة⁴. بعد خمس سنوات من عمليات العودة وإعادة إلى بلدانهم، انخفض عدد سكان الهول إلى حوالي 43,446 شخص⁵. وعلى الرغم من هذا الانخفاض، لا تزال أيديولوجية "داعش" قائمة في المخيم، ولا يزال الأطفال تحديدًا عرضة للتلقين العقائدي.

يشكل مخيم الهول أكبر تجمع للاجئين وعائلات تنظيم "داعش"، وبات يشكل هاجسًا دوليًا وأمنيًا، ليس فقط من ناحية الأعداد الهائلة من الأشخاص داخله، لكن أيضًا بسبب كونه يشكل بؤرة للإرهاب. لأول مرة في التاريخ يجتمع هذا العدد الكبير من عناصر تنظيم إرهابي وعائلاتهم في رقعة جغرافية صغيرة. وإذا كان من سكان المخيم النازحين من عبر عن فرحته لتحرره من قيود "داعش"، فمنهم الكثير ممن لم يخفوا أيديولوجيتهم المتشددة، وممن يعتبرون أن هزيمة التنظيم في سوريا والعراق ليست

نهاية الخلافة ولا نهاية الفكرة التي أسّس لها التنظيم. وقد أظهرت موادٌ دعائيةٌ للتنظيم من داخل المخيم في منتصف يوليو 2019، ومرة أخرى في عام 2023، نساء التنظيم وهن يرفعن علم التنظيم ومقاطع لأطفال وهم يرددون شعارات مؤيدة له. إلى جانب كون المخيم بؤرة للإرهاب، فهو يشكل أيضاً مأساة إنسانية لا يمكن التغاضي عنها. فمحتجزو المخيم يعيشون في ظروف صعبة وغير إنسانية، متمثلة في قلة التغذية والدواء وكثرة الأوبئة والأمراض؛ مما يعرضهم، والأطفال تحديداً، إلى الوفاة.

على الرغم من هذه الظروف المأساوية، بقي الوضع الأمني والإنساني في شمال شرق سوريا مستقرًا نسبيًا، منذ 2019. وعلى الرغم من مرور ما يزيد عن خمس سنوات، فوضع المحتجزين لا يزال كما هو عليه، باستثناء العراق والولايات المتحدة وبعض الدول الآسيوية والأوروبية التي بادرت بالاستعادة التدريجية لمواطنيها، خاصة النساء والأطفال.

هناك بعض المتغيرات الأمنية التي يمكن أن تؤثر بشكل مقلق في استقرار الأوضاع في شمال شرق سوريا، خاصة داخل المخيمات ومراكز الاحتجاز. فقد طالبت الحكومة العراقية بإنهاء مهمة التحالف الدولي في العراق، الذي يشكل قاعدة الدعم الرئيسية لعمليات الولايات المتحدة والتحالف في سوريا. إن تغيير العلاقة العسكرية مع بغداد، يعني إلغاء الأساس القانوني والقواعد اللوجستية التي تتيح العمليات الأمريكية في سوريا؛ مما قد يرغم الولايات المتحدة وشركائها على الانسحاب، وإذا تم ذلك لن تكون "قسد" قادرة على محاربة تنظيم "داعش" بشكل مستقل، ولن تستطيع فرض سيطرتها على السجون والمخيمات، مما يعني عمليات هروب كبيرة ستشهداها هذه الأخيرة؛ مما قد يؤدي إلى عودة التنظيم، وربما بصورة أقسى وأعنف مما كان عليه.

لتفادي هذا الخطر القادم، ولأن قوات التحالف لن تبقى طويلاً في سوريا والعراق، يبقى على الدول التي لديها رعايا في سجون ومخيمات شمال شرق سوريا اتخاذ خطوات جديّة لاستعادتهم. اتخاذ هذا القرار لا يزال مستبعداً لدى بعض الدول لأسباب قانونية وأمنية بحيث ترى في مواطنيها العائدين خطراً داهماً على

أمنها القومي، لكن ربما سينتهي بها الحال إلى استعادتهم أو سينتهي بهم المطاف إلى الهروب من السجون والمخيمات، والتكتل مرة أخرى ضمن تنظيم "داعش" أو أي تنظيم إرهابي آخر، ليعودوا وينفذوا عمليات إرهابية انتقامية سواء في بلدانهم، التي رفضت استقبالهم، أو في مناطق أخرى حول العالم.

أولاً- دوافع انضمام المقاتلين الأجانب إلى "داعش" وطبيعة أدوارهم

ظاهرة المقاتلين الأجانب:

تعتبر ظاهرة المقاتلين الأجانب من الظواهر الغريبة القديمة. تشير بعض الدراسات إلى أن مقاتلين أجانب اشتركوا فيما يقدر بحوالي 69 حرباً أهلية من أصل 313 حرباً، في الفترة من 1815 إلى 2015، ضمنها الحرب الأهلية الإسبانية، في ثلاثينيات القرن الماضي (1936-1939). شارك في هذه الحرب ما يزيد عن 30 ألف مقاتل أجنبي، كانوا يعرفون باسم "الألوية الدولية"، وهي وحدات عسكرية شيوعية تشكلت من متطوعين أجانب من 54 جنسية شاركوا إلى جانب جيش الجمهورية الثانية في مواجهة القوات الفاشية المنقلبة على الحكومة الجمهورية في 18 يوليو 1936.

انتقلت ظاهرة المقاتلين الأجانب من الغرب إلى أفغانستان في مطلع ثمانينيات القرن الماضي، وأخذت بعداً أيديولوجياً، وأطلق على هؤلاء القادمين من مجموعة من دول الخليج ومصر وباقي الدول العربية اسم "الأفغان العرب"، أو "المجاهدون الأنصار" كما سمو أنفسهم. عاد مصطلح المقاتلين الأجانب للانتشار بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 والحرب التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية على أفغانستان والعراق، وهذه المرة كان يطلق عليهم "الجهاديون".

مع ظهور تنظيم "داعش"، عادت تعريفات المقاتلين الأجانب إلى الواجهة وتضاربت الآراء بخصوصها. هناك من يعتبر أنهم "الأشخاص الذين يقومون بأدوار قتالية في الحروب خارج حدود وطنهم". وقد عرفهم مجلس الأمن في القرار 2178 (2014) بأنهم "الأفراد الذين يسافرون إلى دولة غير التي يقيمون فيها أو يحملون جنسيتها، بغرض ارتكاب أعمال إرهابية أو تديرها أو الإعداد لها أو المشاركة فيها

أو توفير تدريب على أعمال الإرهاب أو تلقي ذلك التدريب، بما في ذلك في سياق النزاعات المسلحة".⁶ يقول سيرون مور، الأستاذ المتخصص في العلاقات الدولية في جامعة برمنجهام: إنهم "المشاركون في أعمال عدائية في دول خارج إقليمهم بدافع الدين أو القربة أو الأيديولوجية وليس بدافع مالي". مور في هذا التعريف يستثني المرتزقة من خانة المقاتلين الأجانب، على اعتبار أن ممارساتهم القتالية هي ذات هدف معيشي اكتسابي، وليست بالضرورة ممارسة قتالية ذات هدف أيديولوجي أو سياسي.

طرح هذا التعريف مجموعة من الإشكاليات مع تنزيله على السياق القتالي في سوريا والعراق، حتى قبل إعلان "الخلافة" المزعومة، بحيث من المؤكد أن أغلب المقاتلين الأجانب كانوا يتلقون رواتب من مختلف التنظيمات المسلحة الموجودة على الأراضي السورية، كتنظيم "داعش"، و"جبهة النصرة"، و"أحرار الشام". على الرغم من أن هذه التعويضات ترفع صفة المقاتل الأجنبي عن أصحابها، وفقًا لتعريف سيرون مور، لكنها في الوقت ذاته لا تجعلهم مرتزقة لأن دافع السفر إلى سوريا كان أيضًا بدافع أيديولوجي.

تباين التعريفات عمق من إشكالية هل نحن أمام مرتزقة، أم مقاتلين أجانب، أم جنود وطنيين؟ لكن، بغض النظر عن اختلاف التسميات، وما خلقه تنظيم "داعش" من جدل في التعريف بمقاتليه، فإن النتيجة واحدة: آلاف الأشخاص، رجال ونساء وفتيان وفتيات، من جنسيات مختلفة، قرروا في لحظة معينة ولأسباب معقدة ترك حياتهم وبيئاتهم وأوطانهم واستقراهم، و"الهجرة" إلى بلد آخر من أجل الالتحاق بتنظيم إرهابي لا يكاد يخفي أحكامه الوحشية ونمط حياته المنغلق.

الأسباب والدوافع المحتملة للانضمام لـ "داعش":

سؤال الأسباب عن أهميته، إلا أنه غالبًا، لا يستأثر باهتمام كبير لدى صناع القرار وهم يخوضون حريهم ضد الإرهاب. الاستراتيجيات المعتمدة، إلى حدود السنوات الأخيرة، كانت تقوم على الحرب العسكرية والأمنية، التي فشلت فعليًا في القضاء على الإرهاب، بل ربما تكون أججته وكانت سببًا في انتشاره بالشكل الذي أصبح عليه

اليوم. عندما شنت الولايات المتحدة حربها ضد تنظيم القاعدة في 2001، كان عدد المقاتلين في صفوف التنظيم لا يتجاوز المئات، بينما كانت فروعها معدودة جدًا. اليوم هناك ما يزيد على 230 ألف مقاتل إرهابي ينشطون في نحو 70 دولة في العالم تتصدّرها سوريا وأفغانستان وباكستان؛ مما يتجاوز أضعاف المرات معدلات عام 2001.

بلغ عدد المقاتلين الإرهابيين الأجانب الذين التحقوا بتنظيم "داعش"، وفق تقارير أممية، 40 ألف مقاتل يمثلون 93 جنسية. مواطن واحد على الأقل، مما يزيد على 100 دولة، سافر إلى سوريا والعراق للقتال. توزيع هؤلاء المقاتلين اختلف من قارة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى، واختلف أيضًا من منطقة إلى أخرى داخل الدولة نفسها. في بعض الدول، ظهرت بعض البيئات الحاضنة، الجديدة نسبيًا، في إنتاج متطرفين سافروا إلى سوريا، بينما بقيت مناطق أخرى، ممن صدّرت مقاتلين، تشكل حواضن راسخة ومشعة للسلوك المتطرف.

بلغ سن أصغر مقاتل في تنظيم "داعش" 12 عامًا والأكبر 69 عامًا، بينما بلغ متوسط عمر المجندين، بين 26 و27 سنة⁷. سعى التنظيم إلى استهداف فئة الشباب بالدرجة الأولى، الذين كانت تختلف خبراتهم القتالية باختلاف المناطق التي قدموا منها. من حيث المستوى التعليمي كشفت بعض التسريبات، أن الكثير من المجندين في "داعش" أكملوا المرحلة الثانوية، وعدد آخر ليس بالقليل يحمل شهادات عليا. المستوى التعليمي للتنظيم يصنف بأنه "جيد"، بحيث إنه على الرغم من تدني المستوى التعليمي لعدد كبير من عناصر التنظيم، فإن منهم، أيضًا، من يحمل شهادات جامعية عليا في مجالات علمية مختلفة. المقاتلون الغربيون هم أكثر الحاملين للشهادات الجامعية العليا. أما القادمون من بلدان عربية أو آسيوية فيحملون شهادات أساسية أو ثانوية. وهناك تدنّي في عدد الحاصلين على شهادات في العلوم الدينية والشريعة الإسلامية، بحيث أن 70٪ من عناصر "داعش" يعرفون الدين الإسلامي بشكل سطحي وبسيط، وأغلب الذين يملكون خبرة ودراية دينية كافية هم من بلدان عربية وإسلامية كإندونيسيا، ومصر والسعودية.

ما أكدته "تسريبات" داعش"، وقبلها وبعدها شهادات عناصر منشقة عن التنظيم، أن التطرف والإرهاب ليسا حكراً على العرب والمسلمين، ولا حكراً على مجتمع دون الآخر، ولا فئة اجتماعية دون الأخرى، ولا مستوى تعليمي دون غيره⁸. الدول الغنية في الاتحاد الأوروبي هي التي شهدت أكبر عدد من المنتمين لـ "داعش" في صفوف مواطنيها⁹، ومن أصل 160 أسيرة فرنسية هاجر أبناءها إلى التنظيم، ثلثا الأسر لها وضع مالي مريح، وتنتمي إلى الطبقة المتوسطة، ولم تكن من الطبقة الفقيرة أو المهمشة¹⁰. و69٪ من مقاتلي التنظيم يتحصلون على مستوى تعليمي متوسط، والربع منهم أنهاوا دراستهم الجامعية، كما أن نسبة كبيرة منهم كانوا يعملون بشكل مستقر في الدول التي ينتمون إليها، في حين ترتفع نسبة قادة التنظيم، وحتى الانتحاريون في صفوفه، الذين يتوفرون على مستوى تعليمي جيد¹¹، بينما فقط أقل من 2٪ من مقاتلي التنظيم أميون¹². وتونس، الدولة العلمانية والأكثر تحرراً في المنطقة العربية، هي أكثر دولة صدّرت مقاتلين ومقاتلات أجنبيات إلى سوريا وليبيا.

استطاع "داعش" استقطاب وتجنيد الآف المقاتلين حول العالم. وبالرغم من أنه جمع كل هؤلاء حول أفكار واحدة مثل: الخلافة، الهجرة، الجهاد، تطبيق الشريعة، الجنة والنار ونهاية العالم، لكن تبقى خلف كل مقاتل أسباب ودوافع ومؤثرات ومسارات تحوّل دفعته في النهاية إلى التمرد على واقع يعيشه ويعرف تفاصيله والاتجاه نحو طريق مجهول عناوين وهمية كبيرة مكتوبة بالدم والعنف¹³.

إن الأسباب التي دفعت الشباب والنساء والأطفال للالتحاق بتنظيم "داعش" هي كثيرة ومعقدة، يصعب حصرها في قالب واحد، ويصعب أيضاً الجزم بأنها مرتبطة بالفقر، مثلاً، أو الجهل أو الأيديولوجية أو غيرهم من الأحكام الجاهزة والسطحية. إذا كان تحديد أسباب الإرهاب والتطرف العنيف بهذه السهولة لما وقف العالم عاجزاً لما لا يقل عن عقدين أمام تزايد وتفاقم وتيرتهما في العالم. الظاهرة غاية في التعقيد، بحيث ليس هناك "نمط موحد"، ولا خلفية اجتماعية أو سياسية واحدة، ولا حتى ثقافة دينية متطابقة، بين الأفراد الذين ينجذبون لفكرة "الجهاد" أو القتال الأجنبي. وليس هناك أسباب ثابتة ومحددة للتطرف، فما يمكن أن يدفع شخصاً إلى تبني فكر أو سلوك متطرف، يمكن ألا يؤثر في غيره. وحتى نسب التطرف

(كفكرة) تختلف من شخص لآخر، قبل أن يتمكن من فئة دون الأخرى داخل المجتمع نفسه وتحت الظروف نفسها ويتحوّل إلى إرهاب (فعل مادي).

هناك مجموعة من العوامل يختلف بسببها تقبّل شخص ما لفكر متطرّف عن شخص آخر، فالبعض يرفض هذا الفكر، والبعض يقف عند تربيته، أما البعض الآخر فيحوّل هذا الفكر إلى أفعال عنيفة. والتحوّل من شخص عادي إلى متطرّف، ثم المرور من شخص متطرّف إلى إرهابي، عملية معقدة ومتشابكة لا تتم بين ليلة وضحاها، وإنما تستغرق وقتاً طويلاً وسياقاً تدريجياً، توفره بيئة حاضنة، سواء كانت منتجة أو متفاعلة مع العنف، وتتداخل فيه مؤثرات خارجية، سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، مع أسباب ودوافع ذاتية، التي بها يكتمل نصاب التحول من شخص عادي إلى مقاتل وإرهابي. البنية النفسية التي يحملها الفرد، وتنشئته الاجتماعية، وتجاربه الحياتية وإحساسه بعدم الرضا، وقدرته على تخيل بدائل أخرى لحياته، تؤدي جميعها دوراً في مسيرة التحوّل نحو الإرهاب.

هي، إذن، منظومة مركّبة ومتشابكة تتداخل فيها مجموعة من الأسباب والدوافع الذاتية التي تتفاعل مع مجموعة أخرى من المؤثرات الخارجية في حياة شخص ما يجد نفسه في لحظة معينة قد تبنى أفكاراً متشددة وبدأ يؤمن بها، ودخل في حالة يأس وإحباط تقوده إلى الانعزال عن عالمه الخارجي، قبل أن يختار عالماً بديلاً يبدأ رحلة البحث عنه والالتحاق به والانصياع لأوامره المتشددة والدموية. في بعض السياقات، النزاعات العالقة دون حل، فضلاً عن ضعف دولة القانون وانعدام الحكامة الرشيدة، انتهاكات حقوق الإنسان، الظلم، والتمييز المبني على العرق أو الجنس أو الدين يمكن أن تشكل سواء مجتمعة أو متفرقة عوامل محتملة كفيلة بتسهيل التحول نحو التطرف العنيف والإرهاب. أيضاً، الظلم والاقصاء الذي تمارسه بعض الدول على فئة معينة من مواطنيها قد يؤدي إلى تغذية الكراهية والعداء، ويمكن أن يكون أحد عوامل التطرف الذي يقود إلى الإرهاب.

المقاتلون الأجانب الوافدون من أوروبا هم إما متحولون من المسيحية إلى الدين الإسلامي، وإما من أبناء الجيلين الثاني والثالث الذين ولدوا في أوروبا وحملوا جنسياتها، وتشربوا من ثقافتها العلمانية ومع ذلك تركوا حياة الحرية واختاروا التشدد الديني والانضمام إلى "داعش"، حيث الانغلاق والوحشية. التحول إلى التطرف العنيف في هذه الحالة هو هروب من ظلم يُمارَس عليهم من دولهم من خلال تعرضهم للإقصاء والتهميش وإحساسهم بأنهم مواطنون درجة ثانية أو ثالثة مقابل بحث عن هوية جديدة والانتماء لوطن بديل. الأمر نفسه يقاس على المواطنين الذين يعانون سياسات طائفية والظلم والإقصاء المبني على المذهب أو الطائفة.

في سياقات أخرى، عدم المساواة وتهميش بعض المناطق غالباً ما يشكل دافعاً لتبني الأهالي للعنف كوسيلة للرد على إقصاء الدولة. فأينما يضعف وجود الدولة بمختلف مؤسساتها وخدماتها، ويشتدُّ في المقابل، وجود أنصار الجماعات الإرهابية، تكون هذه البيئة أكثر عرضاً للإصابة بخطر التطرف والانسجام معه، دون أن تكون بالضرورة منتجة للعنف. بمعنى أن هذه البيئات يمكن أن تتعاطف مع أي جماعة متطرفة أو إرهابية ويمكن أن تساعد، أيضاً، في مواجهة الدولة، دون أن تنساق فعلياً خلف أفكارها أو تتبناها أو تنضمَّ إلى صفوفها. ويمكن أن تفرز هذه البيئة أيضاً أشخاصاً متطرفين عنيفين أو على الأقل داعمين.

هذه بشكل عام ومختصر بعض العوامل الذاتية والخارجية التي يمكن أن تقود إلى التطرف العنيف، لكن أي محاولة جادة للقضاء على التطرف العنيف والإرهاب تستدعي تحليل الظاهرة بشكل دقيق من خلال دراسات ميدانية لكل منطقة على حدة لتحديد أسباب التطرف العنيف ودوافعه وسياقاته، ومن ثمَّ معالجة تلك الأسباب قبل أن تتحول إلى إرهاب.

أدوار النساء داخل تنظيم "داعش":

لم تتغير طبيعة أدوار الرجال داخل تنظيم "داعش"، فأغلبهم "هاجر" للتنظيم من أجل القيام بأدوار قتالية سواء كانت عبارة عن التخطيط أو المتابعة أو التنفيذ، أو لوجستية أو تقديم الخدمات للتنظيم. في المقابل كان دور النساء داخل "داعش" مفاجئاً وصادماً.

قبل 2004، كان دور النساء داخل التنظيمات الإرهابية تقليدياً، ومحدوداً وهامشياً؛ حيث كان هناك تأكيد في الخطاب "الجهادي" على رفض دخول المرأة ميدان القتال والمعارك، وتفضيل عدم هجرتها إلى مناطق الصراع، إلا بوصفها زوجة أحد المقاتلين، بينما كان دورها يقتصر على التبعية للرجل / الزوج وتلبية طلباته ودعمه، وإنجاب الأطفال وتربيتهم على الأفكار المتطرفة¹⁴. وقد كان المقاتلون العرب في الشيشان، وتنظيم القاعدة في العراق، وبوكو حرام، أول من دعا إلى تولي النساء مناصب متشددة؛ حيث تم استخدام النساء كانتحاريات، في الوقت الذي أكد فيه زعيم القاعدة السابق، أسامة بن لادن، وأيمن الظواهري، على أهمية دور المرأة في "الجهاد كأمهات وزوجات"¹⁵. لم تشارك المرأة القاعدية في العمليات القتالية إلا بعد 2004، عندما دعا "أبو مصعب الزرقاوي" النساء إلى القيام بهذا النوع من العمليات. وقد شهدت العراق أول تفجيرين انتحاريين على يد نساء في العام الأول للاحتلال الأمريكي، قبل أن يتحوّل الأمر إلى ظاهرة عام 2007، عندما شهد العراق ثماني تفجيرات انتحارية قامت بها نساء.

مع ظهور "داعش"، سرعان ما تحوّلت ظاهرة "الإرهاب النسائي" إلى واقع متصاعد بعدما انخرطت النساء المقاتلات بصورة كبيرة في التنظيم، وقُمن بأدوار بارزة ومحورية منها تجنيد نساء أخريات، القيام بعمليات تهريب الأموال والسلاح، الإسهام في التخطيط وتنفيذ عمليات إرهابية، بعدما أصبح لهن كتاب متخصصة، إذ تحول دور المرأة من "زوجة المجاهد" إلى "المرأة المجاهدة"¹⁶.

تشير بعض التقارير إلى أن ما يصل إلى 4761 من الذين التحقوا بتنظيم "داعش" (من الخارج) كانوا من النساء¹⁷. نسب المشاركة كانت متفاوتة، حيث سجلت دول شرق آسيا أعلى نسبة بمعدل 35٪ من النساء المقاتلات الأجنيات، تلتها أوروبا الشرقية 23٪، وأوروبا الغربية 17٪ ثم الأمريكيتان وأستراليا ونيوزيلندا 17٪ ثم آسيا الوسطى 12٪، والشرق الأوسط وشمال أفريقيا 6٪، وأخيراً جنوب الصحراء الكبرى أقل من 1٪. هذا بالإضافة إلى النساء والفتيات من المجتمعات المحلية اللاتي التحقن طوعاً أو كرهاً بالتنظيم، أو تعاوناً أو تعاطفن معه. على أهمية هذه الأرقام، وتزايد استهداف التنظيمات الإرهابية للنساء والفتيات، يميل الانطباع

عن النساء المتورطات مع هذه التنظيمات إلى تصويرهن إما كضحايا مكرهات أو كمرتكبات نشاطات لأعمال العنف. لكن في الواقع، تتخطى الأدوار التي تلعبها النساء في الإرهاب هذه النظرة الثنائية البسيطة¹⁸. في السنوات الأخيرة، مع تطور البحوث والممارسات المتعلقة بمكافحة التطرف العنيف، تم إلقاء الضوء على التجارب المختلفة للنساء والفتيات اللاتي شاركن في هذه الظاهرة وتأثرن بها. أظهرت الأبحاث وجود اختلافات واضحة بين الموجة الحالية من التطرف العنيف النسائي وبين الموجات السابقة. تشير الدراسات إلى أن الموجة الحالية أكثر تعقيداً وأكثر عالمية وأكثر تنوعاً من حيث العمر والجنس والخبرة في مناطق النزاع¹⁹.

هناك تباين جنساني بسيط، وربما لا يوجد تباين يذكر، في دوافع التطرف الرئيسية بين الرجال والنساء. ومراحل عملية التطرف متشابهة بين الجنسين على حد سواء²⁰. مثل الرجال، تكون دوافع النساء في تبني الفكر المتطرف العنيف معقدة ومتنوعة ومتداخلة ومختلفة من امرأة لأخرى. أيضاً لا يوجد هناك "نمط موحد" للنساء المتطرفات العنيفات، لكن هناك مجموعة متداخلة ومعقدة من عوامل الدفع والجذب التي يمكن أن تقود النساء إلى التطرف العنيف منها: التبعية للرجل، القناعات الأيديولوجية (التفسير المتشدد للدين)²¹، الرغبة في أن تشكل النساء عناصر فعالة في بناء مجتمع إسلامي جديد، الرغبة في التمكين، غياب أو ضعف التعليم، الإحساس بالظلم العام أو الظلم الذاتي، الفقر والهشاشة الاجتماعية وغياب فرص العمل وفقدان الأمل في المستقبل، الرغبة في الانتقام لوفاة أو اعتقال فرد من العائلة أو المجتمع، التمييز المبني على الجنس، العنف المبني على الجنس. في هذه الحالة الأخيرة، يشكل الإكراه والاعتصاب أحد الدوافع للانضمام لتلك التنظيمات. تجارب النساء مع العنف تؤثر في رفضهن أو دعمهن للجماعات المتطرفة، في بعض الحالات تتعرض النساء للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي من قبل الإرهابيين أنفسهم ككتيك للتجنيد، لأن هذا يشكل وصمة للنساء ويسهل استغلالهن. جدير بالذكر هنا، أن النساء يمارسن التطرف والعنف بطرق معقدة. أحياناً تكون المرأة ضحية للجاني في البداية، كأن يتم إرغامها على الانضمام للتنظيم أو اختطافها أو اغتصابها، غير أنها يمكن أن تتحول بعد ذلك إلى منفذة للعمل الإرهابي،

أما من أجل تحسين وضعها داخل التنظيم، أو نتيجة تلقينها للأفكار المتطرفة. في الكثير من الحالات، كان الفرق بين الضحايا ومرتكبي الأفعال غامضاً، وبالتالي فإن درجة أهلية المرأة، وبالتالي مسؤوليتها القانونية، غير واضحة²².

بالنسبة لأدوار النساء داخل التنظيمات الإرهابية، في السابق، كان دورهن مقتصرًا على الزواج والإنجاب والتمريض وتربية الأبناء على الفكر المتطرف وفكرة الخلافة. مع تنظيم "داعش"، بالإضافة إلى أدوارهن التقليدية، يتخذ انخراط النساء في أعمال التطرف العنيف أشكالاً معقدة، بما في ذلك التمويل وجمع التبرعات، الدعاية والتنظيم، التهريب، الاستطلاع والتجسس، التجنيد على الإنترنت، المشاركة في المنظومة الأمنية (كتيبة الخنساء) فضلاً عن إدارة سجون النساء والسبايا، إنفاذ قوانين الأخلاق ضد النساء المخالفات لتعاليم التنظيم، التدريب على استخدام السلاح، تنفيذ عمليات انتحارية وأخيراً القتال في الصفوف الأمامية.

استخدام النساء من طرف "داعش" مبني على مجموعة من الأسباب؛ ضمنها؛ أولاً: تعدد أدوار المرأة داخل التنظيم، بخلاف الرجل، سواء على المستوى التريوي، أو الحركي أو العملي. ثانياً: وجود عنصر نسائي ضمن هيكل التنظيمات المتطرفة العنيفة يشكل عامل دعاية وعامل استقطاب أوسع للشباب المقاتلين، لاعتبارات نفسية ومجتمعية. ثالثاً: وجود المرأة داخل التنظيم يستقطب الإعلام الذي سيقوم بتضخيم الخبر في حال اكتشاف أن المرأة هي المسؤولة عن العملية أو مشاركة فيها. رابعاً: قدرة المرأة على الهرب من مجموعة من إجراءات المراقبة لتمتعها بما يشبه الحصانة المجتمعية؛ حيث تستطيع التسلل عبر نقاط التفتيش والقواعد العسكرية، خامساً: المرأة الأكثر تأثيراً في الأسرة والمحيط المجتمعي، وإذا ما تم تدجينها بالأفكار المتطرفة فستنقلها مباشرة إلى أطفالها ومحيطها؛ مما يعني إعداد جيل من المتطرفين، وهذا ما يراهن عليه "داعش".

ثانيًا - الإشكاليات السياسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية التي تواجه العائدين

في الربع الأخير من عام 2016، عندما كان العالم لا يزال منشغلاً بمسائل مكافحة الإرهاب، ومخاطر تجنيد الشباب عبر الإنترنت والتحاقهم بمناطق الصراع، كانت قضية العائدين قد بدأت بالفعل في الظهور بشكل موسّع، بينما كانت هناك حالات فردية، قبل ذلك التاريخ، لعودة أشخاص التحقوا بالساحة السورية قبل أن يعودوا إلى بلدانهم الأصلية - بالطريقة السرية نفسها التي سافروا بها - وفيها قاموا بتنفيذ أو محاولة تنفيذ عمليات إرهابية. في يوم 24 مايو 2014، أقدم المقاتل الفرنسي العائد من سوريا، "مهدي نموشي"، على قتل أربعة أشخاص في المتحف اليهودي في بروكسل، بعد قضائه عامًا واحدًا في سوريا يقاتل إلى جانب "داعش"، قبل عودته إلى أوروبا. واعتُقل مقاتل فرنسي الجنسية يُدعى "إبراهيم بودينا"، في فبراير من السنة نفسها، في منطقة كوت دازور الفرنسية حينما كان يخطط لشنّ هجومٍ باستعمال مواد شديدة الانفجار، وذلك بعد عودته من سوريا عن طريق اليونان في يناير 2014²³.

لمواجهة مخاطر العودة، توجهت بعض الدول إلى تعديل قوانينها المتعلقة بمكافحة الإرهاب وجعلها أكثر صرامة في وجه مقاتليها العائدين، بينما اختارت، دول أخرى، نهجًا ناعمًا لإعادة تأهيلهم ودمجهم، مرة أخرى، داخل المجتمع.

السياسة الصلبة لمواجهة العائدين من سوريا والعراق:

أمام الخطر المتنامي من عودة المقاتلين الإرهابيين الأجانب، تداركت مجموعة من الدول الأوروبية والعربية، ضمنها المغرب وتونس والجزائر، الثغرات القانونية لديها. وقامت، كمرحلة أولى، بإدخال تعديلات على قوانينها المتعلقة بمكافحة الإرهاب، وذلك للتعامل مع التهديد المحتمل الذي تشكّله عودة المقاتلين. تشمل هذه التشريعات تجريم السفر إلى مناطق النزاع الخارجية. وقد تبنت المغرب في 2015 قانونًا جديدًا لمواجهة ظاهرة المقاتلين العائدين من بؤر التوتر، سواء سلّموا أنفسهم طواعية أو أُلقي عليهم القبض. ينص القانون على عقوبات بالسجن تتراوح بين 5 إلى 18 سنة. ويتيح لمصالح الشرطة توقيف العائدين وإخضاعهم للاستجوابات قبل إحالتهم على العدالة.

أيضاً، قامت دول أوروبية بتعزيز صلاحيات النيابة العامة، وتوسيع نطاق تدابير تسليم الأفراد إلى بلدانهم الأصلية، وإلغاء وثائق السفر، وزيادة صلاحيات الاستخبارات للمراقبة ومنع بعض المشتبهين من السفر وحجز جوازاتهم، وتجريم السفر إلى مناطق الصراع. بل أكثر، تم إجراء تغييرات قانونية من أجل جعل المزيد من الأدلة مقبولة في المحكمة. وشملت التدابير المعتمدة في المملكة المتحدة وهولندا وألمانيا والنمسا وفرنسا، وأماكن أخرى، التعامل مع المقاتلين الأجانب كقضية أمنية، سواء فيما يتعلق بالمغادرة إلى الخارج أو العودة²⁴.

أدخلت الحكومات في بعض الدول العربية وفي معظم أنحاء أوروبا الغربية، تشريعات صارمة في قوانين الإرهاب، لمواجهة تجنيد المقاتلين وتسفيرهم إلى الخارج، وأيضاً مواجهة التهديد المحتمل الذي تشكّله عودتهم، لكن اختلفت النظم القضائية التي يمكن بمقتضاها محاكمة العائدين. مثلاً، القانون البلجيكي فرض عقوبات قصيرة على هؤلاء؛ مما يهدّد بعودتهم سريعاً للمجتمع، بخلاف القانون الفرنسي الذي يسمح بفرض عقوبات تصل للسجن المؤبد، وقد يصل الأمر في بعض الحالات لإسقاط الجنسية. وفي بريطانيا تتيح المادة 40 من قانون الجنسية البريطانية للسلطات، على نطاق محدود، إمكانية سحب جوازات السفر من المواطنين ذوي الجنسية المزدوجة. لكن السلطات البريطانية ذهبت لأبعد من ذلك عندما قامت بتجريد مواطناتها المقاتلة في صفوف التنظيم والاحتجزة الآن في أحد المخيمات السورية "شميمة بيغوم" من جنسيتها البريطانية، في وقت تبين أن الفتاة البالغة من العمر 19 سنة (آنذاك) لا تمتلك أي جنسية ثانية، في الوقت الذي يمنع القانون الدولي الحكومات من جعل الناس عديمي الجنسية عن طريق إلغاء جنسيتهم الوحيدة. الشيء نفسه بالنسبة للأمريكية "هدى مثنى"، العالقة في مخيم الروج منذ أكثر من خمس سنوات مع ابنها البالغ من العمر الآن 7 سنوات بعدما ألغت إدارة ترامب جواز سفرها لأسباب فنية في عام 2019، وقالت إنها ليست مواطنة أمريكية.

إذا كانت السياسة الصلبة ذات البعد الأمني قد منعت أو ردت تهديدات محتملة متعلقة بالمقاتلين على المدى القصير، وجعلت عودتهم إلى أوطانهم أمراً يترتب عليه السجن الفوري أو المنع الكلي من استعادتهم والتهديد بإسقاط

الجنسية عنهم، فإن من شأن هذه السياسة أن تولّد نوعاً من الكره والحقْد والإحساس بالظلم، سواء من طرف أهاليهم والمتعاطفين معهم في الداخل، أو من طرف المقاتلين أنفسهم وعائلاتهم، الذين سيجدون من يحتضنهم ويحرضهم على الانتقام. أيضاً من شأن السياسات الصلبة أن تمنع عودة بعض الملتحقين بالتنظيمات الإرهابية الذين يمكن تصنيفهم بأنهم غير خطرين سواءً من النساء أو الأطفال؛ مما سيحوّل قرار رفض عودتهم إلى إرهابيين حقيقيين، لا يملكون خياراً سوى الانضمام إلى تنظيمات إرهابية جديدة والتفاعل الإيجابي معها، في وقت كان من الممكن استعادتهم وإعادة تأهيلهم والاستفادة منهم كمصادر معلومات وأيضاً كتجارب إنسانية واقعية يمكن استخدام شهادتها كإحدى آليات مكافحة التطرف ونزع الشرعية عن التنظيمات الإرهابية.

السياسة الناعمة لاحتواء وإعادة إدماج العائدين :

أولت بعض الحكومات الأولوية لاستراتيجيات إعادة التأهيل وإعادة الإدماج. في الدانمارك، انخرطت الشرطة والمجلس البلدي لمدينة آرهوس، بالتنسيق مع المنظمات غير الحكومية والمجتمعات الإسلامية، في عملية تشجيع المقاتلين على العودة من خلال "برنامج الخروج"، بحيث تم تقديم المساعدة للعائدين وتأمين فرص عمل وسكن وتعليم وإرشاد نفسي، بينما تتولّى الأجهزة الأمنية عملية اعتقال ومحاكمة أولئك الذين ثبتت مشاركتهم في الإرهاب. وفي ألمانيا تم تصميم مشروع "حياة"، الذي يقوم على عملية ثلاثية الأبعاد لنزع التطرف والتشجيع على إعادة الإدماج:

1. البعد العقائدي ويقوم على نزع الشرعية وإبطال خطاب الجماعات الإرهابية وتشجيع المقاتلين الأجانب على التصالح مع ماضيهم.
2. البعد العملي من خلال مساعدة المقاتلين الأجانب في العثور على عمل أو تعليم أو تدريب، وعلى إيجاد سكن.

3. البعد العاطفي بحيث تتم معالجة الاحتياجات العاطفية لكي يجدوا الدعم من قبل عائلاتهم وإنشاء مرجعية اجتماعية بديلة.

العراق، أيضاً، من الدول التي اختارت استعادة مواطنيها بشكل تدريجي من شمال شرق سوريا ونقلهم بشكل انتقالي إلى مركز الجدعة (1) لإعادة التأهيل النفسي؛ حيث يستفيدون من خدمات انتقالية تشرف عليها وزارة الهجرة والمهجرين العراقية بدعم من المنظمات الدولية، بالإضافة إلى إخضاعهم بشكل طوعي لبرامج إعادة تأهيل نفسي وتدريب مهني، مع تسجيل الأطفال في المدارس واستغلال فترة وجودهم داخل المركز من أجل استصدار أوراقهم الثبوتية والإدارية. وقد استطاع العراق من خلال هذا النهج الناعم استعادة أزيد من 8000 شخص من مخيم الهول، فيما هناك حديث على أنه سيتم مستقبلاً استعادة مجموعات أيضاً من مخيم روج.

في البداية، واكب قرار الحكومة العراقية استعادة مواطنيها من شمال شرق سوريا رفضاً شعبياً لعودة الأهالي للعراق ورفضاً آخر لعودتهم لمناطقهم الأصلية. ومع مرور السنوات، بدأ الرفض يتراجع تدريجياً بسبب الجهود التي تقودها العشائر ووكالات الأمم المتحدة والسلطات المحلية للوصول إلى نوع من المصالحات المجتمعية والعشائرية. ومع ذلك، لا تزال نسبة العائدين إلى مناطقهم الأصلية قليلة، بينما اختار أغلبية العائدين التوجه إلى مناطق معينة، منها كركوك، أو التجمع داخل أحياء هامشية في الموصل باتت تعرف بأحياء "عوائل داعش"؛ حيث ظروف العيش سيئة والتجمع في مكان واحد، مرة أخرى، يشكل تهديداً متنامياً.

بكل تأكيد لكل سياسة من الاثنتين (الصلبة والناعمة) سلبياتها وإيجابياتها، ويبقى من الأفضل المزج بين السياستين ضمن استراتيجية أكثر شمولية. فعندما يتجاهل تحقيق الأهداف الأمنية قصيرة المدى القضايا طويلة الأجل، مثل السماح بالعودة، العلاج النفسي، الاندماج الاجتماعي، والعلاقات بين الدولة والمواطن إلخ، تكون التداعيات أكبر وأعمق. وعندما يتم اعتماد السياسة الناعمة فقط دون أخذ المخاطر بعين الاعتبار، والمتابعة والمراقبة ما بعد العودة إلى المناطق الأصلية، تبقى التهديدات الأمنية قائمة.

تداعيات بطة وتيرة العودة من سوريا والعراق:

منذ خمس سنوات وإلى الآن، عبرت بعض الحكومات، وأيضاً المجتمعات عن رفضها فكرة عودة المقاتلين الأجانب، بمن في ذلك النساء والأطفال. في فرنسا، مثلاً، عندما تناول الإعلام الفرنسي عزم حكومته، في وقت سابق، إعادة ما بين 130 و150 فرنسيّاً من عناصر التنظيم، تراجعت الأخيرة عن قرارها، بعد عاصفة النقد الداخلي التي رافقت خبر عودة مقاتلي التنظيم، وقالت إنها ستكتفي بالنظر في عودة كل حالة على حدة. وفي المغرب، رغم بعض المطالب الحقوقية باستعادة المواطنين المغاربة من شمال شرق سوريا، فإن السلطات لا تزال تدرس قرار الاستعادة.

أمام التهديد الأمني، وبالنظر إلى ما يعكسه ملف المقاتلين العائدين، والمقاتلين المحتجزين في سوريا والعراق، من تعقيدات وما يتناسل منه من أسئلة وما يترتب عليها من عواقب، حاولت، بداية الأمر، بعض الدول الأوروبية اقتراح حلول بديلة عن استرجاع مقاتليها الأجانب. اقترحت الحكومة السويدية، بدعم فرنسي، مطلع العام 2019، إنشاء محكمة دولية مخصصة لمقاتلي التنظيم. لكن هذا الحل واجهته صعوبات، خاصة أن القانون الأوروبي يحظر تسليم المشتبه فيهم للمحاكمة في بلدان قد يواجهون فيها عقوبة الإعدام، أو قد يتعرّضون فيها لظروف غير إنسانية في السجن، وهو الأمر المحتمل حدوثه - في تقديرهم - إذا ما تم إنشاء محكمة دولية سواء في سوريا أو العراق.

في المقابل، رأى البعض أن محاكمة مقاتلي "داعش" في أوطانهم تطرح مزيجاً من التحدّيات القانونية والإصلاحية والاستخباراتية، ولا تقدّم في الوقت نفسه رهاناً أكيداً على أن العائدين سيُحجمون عن تنفيذ أي أعمال إرهابية على المستوى المحلي. هذا ما يفسر عدم وجود رغبة جديّة، إلى حدود الآن، من الدول المعنية، في استرجاع مواطنيها لما يشكّلونه من تهديد، ليس على أمنها الداخلي فحسب، بل أيضاً على الأمن الإقليمي والدولي. وقد أبانت تجارب سابقة عن ضلوع بعض المقاتلين الأجانب؛ الذين شاركوا في حروب البوسنة وأفغانستان ثم عادوا لبلدانهم مرة أخرى في أعمال إرهابية.

هذه المخاوف تفسر رفض استعادة الدول لمواطنيها، وخلال خمس سنوات أعادت كل من ألمانيا وهولندا والدانمارك وكوسوفو وبلجيكا وفنلندا والنمسا وإيطاليا وإسبانيا وبريطانيا عددًا من الأفراد من مخيم الهول ومخيم روج كلهم من النساء والأطفال، وتم إخضاع النساء فقط للمحاكمة. أما فرنسا فقد قررت إعادة الأطفال فقط دون أسرهم. وتمت استعادة ما بين 20 إلى 30٪ من النساء والأطفال في النمسا وبلجيكا وفنلندا وفرنسا وإيطاليا، و18٪ في إسبانيا وهولندا، و33٪ إلى 45٪ للعائدين من النساء والأطفال في ألمانيا وبريطانيا.

بسبب رفض وبطء الدول في استعادة مواطنيها، فإن ما يقدر بنحو 30 ألف طفل محتجز حاليًا فيما لا يقل عن 27 مركز احتجاز ومخيمات -الهول والروج- في شمال شرق سوريا، وفقًا لمنظمة العفو الدولية، وهو ما يمثل أعلى تركيز للأطفال المحتجزين تعسفيًا في أي مكان في العالم. بالنسبة لمخيم الهول، انخفض عدد المحتجزين بنسبة 42٪ من الذروة التي تجاوزت 73 ألف شخص في عام 2019، ويوجد حاليًا في المخيم أزيد من 42 ألف شخص أغلبهم نساء وأطفال، ضمنهم 6700 امرأة وطفل أجنبي لهم صلات بمقاتلي "داعش" من أكثر من 60 دولة. الجزء الأكبر من المحتجزين داخل المخيم هم من دول ليس لها أي تعاون مع التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة، ومن بينهم الروس والأويغور الصينيون والسوريون من المناطق التي يسيطر عليها النظام؛ مما يجعل احتمال إغلاق مخيم الهول بشكل دائم غير واقعي. وبمعدل الإعادة الحالي، سيستغرق الأمر، وفق تقارير، سبع سنوات إضافية على الأقل لخفض عدد سكان المخيم الحالي إلى النصف.

في المقابل، يتم شهريًا تهريب عشرات القاصرين الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و15 عامًا من مخيم الهول إلى معسكرات تدريب "داعش". خلال المداهمات الأمنية الدورية للمخيم، يقول مسئولو قسد إنهم يعثرون بشكل روتيني على مقاطع فيديو للتدريب على الهواتف المحمولة، إلى جانب أدلة مروعة على عمليات القتل على يد أنصار "داعش".

في سياق آخر، هناك ازدياد حالات الولادات داخل مخيم الهول بشكل غير طبيعي. وقد تم تسجيل 60 حالة ولادة شهرياً، بحيث يتم إرغام الأطفال على الزواج داخل المخيم من أجل الانجاب وتفريخ جيل جديد من المقاتلين بناء على فتاوى أصدرها "داعش" وينفذها التابعون داخل المخيم. لمواجهة تزايد حالات الإنجاب داخل مخيم الهول، أدخلت قسد سياسة رسمية تفصل الأولاد البالغين من العمر 14 عاماً عن أمهاتهم، وتضعهم في منشأتين مخصصتين تسميهما مراكز "إعادة التأهيل". والملاحظ أن قوات قسد تتمادى في تنفيذ هذه السياسة، بحيث تفصل الأطفال من عمر 10 سنوات عن أمهاتهم؛ مما يشكل معضلة إضافية على الأم والطفل.

تهريب الأطفال من قبل عناصر "داعش"، أو تزويجهم أو أبعادهم عن أمهاتهم، وما يحملة كل ذلك من مخاطر وتهديدات من ناحية. والبيئة الفوضوية في مخيم الهول المتمثلة في الاكتظاظ السكاني، وعدم وجود قواعد لسكانه، والعنف المستمرين السكان، وأعمال الشغب المستمرة، والمتطرفين الممزوجين بالمعتدلين في كل الأقسام والمجمعات، وتمتع المحتجزين داخل المخيم بفرصة الاجتماع والاتفاق والتشاور والتخطيط والتأثير في باقي المقيمين، والتطبيق الصارم لقوانين "داعش"، وعدم وجود تواصل مناسب وفعال بين عناصر قسد والسكان، والترهيب والخوف.. إلخ، من ناحية أخرى، كل ذلك جعل المخيم يتحول إلى بيئة معقدة لا يستهان بخطورة الخارجين منها، ولا بخطورة إبقاء المخيم على الوضع الذي هو عليه. وتبقى استعادة الدول لمواطنيها هو الحل الوحيد القابل للتطبيق لهذا الوضع المعقد والخطير.

بالنسبة للمحتجزين داخل سجون قسد أو داخل السجون العراقية، نسبة منهم سينتهي بهم المطاف إلى قضاء مدة حبسهم ثم سيتم الإفراج عنهم ومن ثمة تسليمهم إلى دولهم في وقت سيكون التعامل معهم أشد صعوبة وأكثر تعقيداً بسبب ظروف الاحتجاز مع عناصر "داعش" الأكثر خطورة. بعد تسليمهم لبلدانهم سينتقل عبء مسؤوليتهم من أماكن الاحتجاز في سوريا والعراق إلى حكومة بلدانهم الأصلية، التي يتوجب عليها تحديد المخاطر والاستجابات الأكثر فاعلية لكل حالة عائد على حدة، بحيث يصعب وضعهم جميعاً في الإطار نفسه، أو التعامل معهم بالتدابير والإجراءات نفسها.

ثالثاً - مستقبل ظاهرة العائدين: المسارات والسياسيات

المسارات الدولية والأممية:

بسبب حجم التحديات الإنسانية والحقوقية والأمنية ذات الصلة بالعائدين من "داعش"، أصدر مجلس الأمن القرارات والإرشادات للدول الأعضاء حول هذه القضية، وأهمها:

■ قرار مجلس الأمن رقم 2396 (2017): الذي طلب من لجنة مكافحة الإرهاب مراجعة مبادئ مدريد التوجيهية، في ضوء الخطر الذي يفرضه المقاتلون الإرهابيون الأجانب العائدون. وأكد القرار أن النساء يحتجن إلى اهتمام خاص لدى وضع استراتيجيات مصممة خصيصاً للملاحقة القضائية وإعادة التأهيل وإعادة الإدماج. وشدد على أهمية تقديم المساعدة إلى النساء والأطفال المرتبطين بالمقاتلين الإرهابيين الأجانب الذين قد يكونون ضحايا للإرهاب، ومراعاة الاعتبارات الإنسانية وتلك المتعلقة بعامل السن لدى القيام بذلك²⁵.

■ الملحق للمبادئ التوجيهية حول المقاتلين الإرهابيين الأجانب (2018)²⁶ الصادر عن لجنة مكافحة الإرهاب: أسفرَ اجتماعٌ خاصٌّ للجنة في 13 ديسمبر 2018 في نيويورك، عن صياغة ملحقٍ لمبادئ مدريد التوجيهية لعام 2015، تضمّن 17 ممارسةً إضافيةً لمساعدة الدول الأعضاء على التصدي لظاهرة العائدين. يقدم هذا الملحق إرشادات مفصلة حول النهج المراعي للاعتبارات الإنسانية في قضية العائدين. وتشمل هذه الإرشادات، من بين أمور أخرى: المبدأ الإرشادي 30، والذي يدعو الدول الأعضاء، كجزء من نهج معالجة كل حالة على حدة، إلى تنفيذ الاستراتيجيات للتعامل مع الفئات المعينة من العائدين، وخصوصاً القاصرين والنساء وأفراد الأسر والأشخاص الآخرين الذين قد يكونوا من الضعفاء، ومقدمي الخدمات الطبية والاحتياجات الإنسانية الأخرى، والعائدين المحبطين المرتكبين لجرائم أقل خطورة.

■ في أبريل 2019، عمل نظام الأمم المتحدة على المبادئ الرئيسية لحماية وإعادة وملاحقة وإعادة تأهيل وإعادة إدماج النساء والأطفال ذوي الروابط مع الجماعات المدرجة على قوائم الأمم المتحدة للإرهاب. تهدف المبادئ إلى تعزيز ترابط نشاطات الأمم المتحدة ومساعدة الدول الأعضاء على تصميم وتنفيذ السياسات والأعمال تبعاً للقانون الدولي، ويشمل قانون حقوق الإنسان الدولي، والقانون الإنساني الدولي، وقانون اللاجئين الدولي.

تشمل إرشادات الأمم المتحدة الأخرى، ذات الصلة، قواعد نيلسون مانديلا الصادرة عن الأمم المتحدة، وقواعد الأمم المتحدة لمعاملة السجينات والتدابير غير المقيدة للحرية للمجرمات (قواعد بانكوك) والتي تفصل المعايير الدولية، تبعاً لقانون حقوق الإنسان الدولي، لمعاملة وظروف النساء في الاحتجاز. هناك أيضاً مذكرة "روما" حول إعادة إدماج السجناء المتابعين في ملفات التطرف العنيف والإرهاب، ومذكرة "مراكش-لاهاي"، ثم مذكرة "الرباط" التي تدعو إلى أن تعمل أنظمة المؤسسات السجنية على منع "أي أعمال تطرفية أخرى من السجناء وتمنع الأنشطة الإرهابية التي يتم توجيهها أو دعمها من داخل منظومة السجن".

أما على المستوى الوطني، تقوم كل دولة بنهج سياسات تستجيب لاحتياجاتها وتراعي خصوصيتها السياسية، الثقافية والاجتماعية.

السياسات والأطر الوطنية:

يُعدُّ إثبات تورُّط المقاتلين الأجانب في أعمال إرهابية من أكبر المشكلات التي تواجه سلطات القضاء في مختلف الدول. في كثير من الحالات يمكنُ للنيابة العامة إثبات رحيل أفرادٍ إلى مناطق الصراع، لكنَّها لا تستطيع إثبات انتمائهم إلى منظمة إرهابية، أو مشاركتهم في جرائم قتالية. ما يزيد الأمر تعقيداً هو غياب الأسس القانونية، وغياب إطار محدّد للجرائم الإرهابية. في حين قد تكون بعض أحكام القانون الجنائي كافيةً لضمان المحاكمة في بعض الحالات، غالباً ما تكون العقوبات خفيفة، ولا تُبرز حجم الخطر في تلك القضية.

أزمة المقاتلين المحتجزين في سوريا والعراق وضعت العالم بين خيارين؛ كل واحد منهما أصعب من الثاني. الخيار الأول: استعادتهم ومحاكمتهم في محاكم كل دولة، وذلك يعني خطر استقطابهم عناصر جديدة داخل السجون، واحتمال تنفيذ عمليات إرهابية بعد استكمال مدة حبسهم. الخيار الثاني: رفض استعادتهم ومحاولة التخلّص منهم أو دفعهم لساحات قتال عالمية جديدة، على اعتبار أنهم يشكّلون خطراً لا بدّ من إبعاده عن دولهم الأصلية، خاصة وأنهم لقّنوا أصول حرب العصابات، بما في ذلك كيفية صنع عبوات ناسفة، وزراعة الألغام، وتقنيات القتال، والاستطلاع. فضلاً عن أن المقاتلين العائدين إلى أوطانهم لديهم أصدقاء ومعارف من التنظيم نفسه ومن مختلف أنحاء العالم؛ الأمر الذي يتيح لهم توسيع شبكاتهم أكثر فأكثر من أجل مواصلة القتال.

اختارت بعض الدول العربية، مثل تونس والأردن، التعامل مع ملف العودة من منظور أمني عسكري. في البداية، كان هناك إجماع رسمي وشعبي بعدم الترحيب بعودة المقاتلين الإرهابيين، على اعتبار أنهم يشكلون قنابل موقوتة بسبب تأثيرهم بالأفكار والأيدولوجية التكفيرية، وخبراتهم القتالية والتنظيمية التي اكتسبوها عبر السنين في ساحات القتال. مع ازدياد الضغوط بضرورة استعادة كل دولة لمواطنيها، بدأت هذه الدول تعيد النقاش بخصوص التعامل مع العائدين. في تونس، مع ضعف البيانات والمعلومات الخاصة بالملتحقين بالساحة السورية والعراقية، يرى فريق ضرورة إبقاء العائدين منهم في السجون، وعدم دمجهم من جديد في المجتمع التونسي. ويستند أصحاب هذا الرأي إلى حُجَج أهمّها: أن التركيبة النفسية للعائدين خطرٌ على الأمن والسّلم الاجتماعي. بينما يرى فريق آخر أن السّجن قد يؤدّي إلى نتائج عكسية، ويتحول إلى فضاء للاستقطاب والتجنيد، وبالتالي ضرورة التعامل مع العائدين كل حالة على حدة، ومحاكمة فقط المدانين منهم بجرائم خطيرة.

في المغرب يتم سجن كل العائدين من بؤر الصراع. وقد أنشأ المغرب نظام سجون موازٍ يهدف إلى فصل المحكومين في قضايا إرهاب، بما في ذلك العائدون، عن المجرمين العاديين. هناك الآن ما بين 16 و17 سجيناً داخل المملكة، يتم تصنيف السجناء المحتجزين داخلها في ثلاث فئات. المتشددون الدينيون، وممولو الإرهاب أو

المتورطون في التعبئة الأيديولوجية. تعتبر هذه الفئة الأخيرة الأكثر خطورة بين الفئات الثلاث. بالنسبة للأشخاص الذين يبدوون رغبة في مراجعة أفكارهم، اعتمد المغرب برنامج مصالحة لإعادة تأهيل المحكومين في قضايا الإرهاب.

أستراليا وفرنسا والدول الأخرى التي قاومت فكرة العودة بدأت تعيد النظر في سياساتها. وفي هولندا وألمانيا وأمريكا هناك قضايا مرفوعة ضد نساء منتميات إلى "داعش"، والتي كان يُعتقد منذ فترة طويلة أنها الأكثر صعوبة في المقاضاة. كما أدت الأبحاث وتقييمات المخاطر وآليات التقييم الخاصة بجهود إعادة الإدماج، إلى مساعدة البلدان على تحديد الخطوات التالية اللازمة ليس فقط فيما يخص القاصرين، ولكن كذلك البالغون بعد مغادرتهم السجن. هذه التطورات والخبرات المكتسبة بعد تجاوز صدمة "داعش"، ربما تسرع وتيرة العودة مستقبلاً.

رابعاً - مصير العائدات والأطفال من مخيم الهول

إلى حدود الآن، معظم دول العالم ليس لها سياسات أو قوانين واضحة وحاسمة تتعلق بمعاملة العائدين من مناطق الصراع. هذا صحيح بشكل خاص في حالة النساء. نتيجة لذلك فإن الاستجابات المعتمدة تكون أحياناً غير متناسقة مع الاحتياجات والمخاطر المحتملة. الأمر الذي يجعل النساء والفتيات، تحدياً، عرضة للإهمال، وأحياناً للإساءة، التضيق، المساومة والوصمة. بعض المجتمعات المحلية والرأي العام يميلون إلى اعتبار العائدات لا يستحقون المساعدة. هذا الوضع يشكل عائقاً أمام إعادة إدماجهم داخل مجتمعاتهم.

بالنسبة للعائدات من مخيم الهول، هن يشكلن مجموعة غير متجانسة على نحو كبير، بحيث يصعب تصنيفهن تصنيفاً بسيطاً ضمن نوع أو نمط معين.

هذا التمايز يستدعي الحاجة لأدوات تقييم تركز على النظر في كيفية تفاعل الاحتياجات والاستجابات، مع المخاطر ونقاط الضعف وعوامل الوقاية عند كل حالة على حدة. لا يمكن الجزم بأن كل العائدات هن مذنبات وجانيات وبالتالي وجوب إخضاعهن لقوانين مكافحة الإرهاب. ولا يمكن، في المقابل، القول إنهن ضحايا وتابعات، وبالتالي إغفال التهديدات الأمنية المحتملة وحرمانهن من الاستفادة من برامج إعادة التأهيل والاندماج.

العودة واعتبارات السن والجنس:

منذ عام 2016، أعادت الولايات المتحدة 51 مواطناً، بينهم 30 طفلاً و21 بالغاً، منهم 11 تمت إعادتهم مطلع مايو 2024، من الذين أقاموا في مخيمي الهول وروج في شمال شرق سوريا. كما سهلت عمليات إعادة عدد من الأطفال (حوالي 8 أطفال) إلى كندا وهولندا وفنلندا. في الفترة ذاتها، أعادت روسيا، 32 طفلاً (12 فتاة و20 فتى) تتراوح أعمارهم من 5 إلى 17 سنة. كما أعادت كل من أوزبكستان وكازاخستان وقرغيزستان مواطينها من مخيم الهول. والأخيرة استعادت منتسبها بصورة كاملة خلال فبراير 2023، وعددهم 18 امرأة و41 طفلاً²⁷. ألمانيا، أيضاً، بدأت باستعادة مواطينها منذ عام 2019م. وقد تمكنت من استعادة حوالي 40٪ من حوالي 1150 فرداً، ويشمل ذلك 108 من النساء والأطفال.

يتم التعامل مع العائدين، النساء والأطفال تحديداً، وفق سياسات كل دولة. طورت ألمانيا نهجاً شاملاً يتضمن إجراءات التحقيق والملاحقة القضائية والقضاء على التطرف. فيما يتعلق بفك الارتباط، تستخدم ألمانيا نهجاً متعدد الأبعاد يشمل العمل الاجتماعي الشامل والدعم النفسي المستهدف والمراقبة من قبل الأجهزة الأمنية، ومن العناصر الحاسمة في هذا النهج تحقيق التوازن بين تعزيز إعادة التأهيل وإعادة الإدماج وضمان الأمن الوطني.

في أندونيسيا، لتلبية الحاجة المتزايدة للعودة، تم في عام 2016، تقسيم العائدين طوعاً وأولئك الذين أعيدوا قسراً إلى وطنهم على أساس وضعهم العائلي. إذا كان لديهم أطفال، يتم إيواؤهم في مركز للشباب في جي بامبو أبوس في جاكرتا. أما إذا كانوا بالغين عازبين، فيتم إيواؤهم في مركز روماه بيرليندونجان للصدمات في سيراكاس. يخضع العائدون لبرنامج طوعي لنزع التطرف، يستمر لمدة 30 يوماً، يقوم على نهج واحد يتم تطبيقه على الجميع دون بذل الكثير من العمل لفهم الفرد واحتياجاته²⁸.

تتبع أغلب البلدان نهجاً يراعي نوع الجنس في العودة، حيث أعادت النساء والأطفال دوناً عن الرجال البالغين والمراهقين. في هذه الحالات، اعتمدت بعض البلدان نهجاً قائماً على الملاحقة القضائية للنساء العائدات (فرنسا)، في حين ركزت بلدان أخرى فقط على إعادة الإدماج (العراق). مثل هذه السياسات (إقصاء

المراهقين من عملية العودة لوطنهم أو التركيز فقط على جهود إعادة الإدماف فجاه النساء) يعكس ثغرات سياسية وأمنية سيقفات منها التنظيم بكل تأكيد، كما أنه يحقق التحيزات القائمة على الجنس والسن. من هنا، يجب تشجيع الدول على إعادة كل الأفراد إلى أوطانهم، مع تطبيق جهود المقاضاة وإعادة التأهيل وإعادة الإدماف المناسبة التي تجمع بين نهج قائم على نوع الجنس وآليات التقييم.

الحالة العراقية:

في مايو 2021، قررت الحكومة العراقية، لاعتبارات إنسانية وحقوقية، الاستعادة التدريجية لمواطنيها المحتجزين في مخيم الهول والذين يقدر عددهم بحوالي 31 ألف شخص، أغلبهم نساء وأطفال ضمنهم 1184 يبلغ عمرهم سنتين أو أقل، 5883 تتراوح أعمارهم بين 3 إلى 4 سنوات، و16,941 تتراوح أعمارهم بين 5 إلى 11 سنة²⁹. في العراق تمنح الأولوية للأطفال خلال عمليات العودة، مع إيلاء اهتمام أكبر للحالات الخاصة مثل اليتامى والأطفال بدون مرافقين والأطفال الذين يحتاجون إلى الرعاية الطبية.

إلى حدود سبتمبر 2024، استعاد العراق ما يزيد على 8000 شخص، أغلبهم نساء وأطفال، يتم نقلهم كمجموعات من مخيم الهول إلى مركز الجدعة 1، حيث يقضون مدة إقامة انتقالية يخضعون فيها لاستكمال إجراءات المراجعة الأمنية واستصدار الوثائق القانونية، ويستفيدون من الخدمات الإنسانية الأساسية، وبعض البرامج التأهيلية. بالنسبة للعراقيين العائدين، الحياة داخل مركز الجدعة (1) هي أفضل كثيرًا بالمقارنة بظروف حياتهم داخل مخيم الهول، ومع ذلك، فمنذ اليوم الأول لوصولهم للمركز وهم يترقبون لحظة الخروج منه وعودتهم إلى مناطقهم الأصلية أو المستهدفة.

في الغالب، العديد من النساء العائدات -إن لم يكن معظمهن- عانين أو تعرضن للعنف الشديد والصدمات النفسية في فترة ما قبل الزواج من مناطقها، وأيضًا في أثناء تنقلها وعبورها الحدود، هربًا من "داعش" أو هربًا معه، أو في أثناء وجودها بمخيم الهول حيث الظروف الإنسانية والأمنية صعبة للغاية. من المحتمل أن يعاني هؤلاء من أعراض نفسية تعرف باضطراب ما بعد الصدمة³⁰، مثل عدم

القدرة على التنبؤ السلوكي، وعدم الاستقرار العاطفي، فضلاً عن "الضرر المعنوي" الذي قد "يؤدي بهم إلى التشكيك في الصورة الأخلاقية المنطبعة في ذهنهم بشأن العالم... ويجعلهم يشعرون بتعرضهم للخيانة من قبل المجتمع"³¹. أغلب العائدات تعرضن لأساليب حياة متطرفة ومنغلقة ناهيك عن الاضطرابات النفسية التي عايشنها تحت حكم "داعش" في مناطقه الأصلية ولاحقاً داخل مخيم الهول.

تشكل المسائل القانونية واستصدار الوثائق الثبوتية والإدارية تعقيداً يواجهه العائدات، بعض الأطفال يعودون دون الوالدين، وهناك تحديات متعلقة بالوثائق الأساسية مثل شهادات الوفاة والولادة والزواج. تعاني الأسر التي تعيلها النساء من معدلات عالية من فقدان الوثائق بشكل خاص، حيث يفتقر 95٪ من الأطفال للوثائق الثبوتية. كما يتعرض العائدون من مخيم الهول لوصمة شديدة. هم يعيشون حالة خوف ورعب من التهديدات والاثهامات التي يتعرضون لها، وهناك مخاوف من استهدافهم بعد العودة لمناطقهم. هذا الخوف من الانتقام أو الوصمة يدفع الكثير من النساء والأطفال إلى اختيار مناطق عودة أخرى غير مناطقهم الأصلية؛ مما يطرح مشاكل اجتماعية واقتصادية إضافية، منها تشكيل مجتمعات مغلقة من النساء والشباب والأطفال من ذوي الانتماء لـ "داعش" حيث ظروف الحياة صعبة وفرص العمل نادرة والوصمة شديدة؛ مما يعني إمكانية تشكيل بؤر جديدة للإرهاب أو الاجرام مستقبلاً.

سأنت الأوضاع الاقتصادية للعائدين بسبب فقدان فرص العمل وسرقة أو تدمير الأصول الاقتصادية (بما في ذلك المنازل والسيارات والآلات الزراعية والأراضي وما إلى ذلك). أدى ذلك إلى صعوبات في تلبية احتياجاتهم الأساسية بعد عودتهم للعراق، والاعتماد بشكل كبير على المساعدات الإنسانية³². يواجه العراق تحديات تتعلق بشح المياه والجفاف نتيجة تغير المناخ. هذا الأمر له آثار سلبية في العودة الآمنة. التأثير الهائل الذي تخلفه الديناميات الناجمة عن المناخ على الأسر العراقية، على وجه الخصوص في المناطق الزراعية والأسر التي تعيلها النساء يؤثر بشكل واضح في عمليات العودة المستدامة³³.

من ناحية أخرى، هناك عدد كبير من النساء والأطفال المحتجزين في الهول على قائمة الانتظار للعودة للعراق وغيرهم غير قادرين على العودة لعدم امتلاكهم ما يثبت أنه عراقيون، أولم يتم التحقق من سلامة موقفهم الأمني بعد. عدد آخر من النساء يرفضن العودة لأسباب مختلفة منها ما هو مرتبط بمصير أزواجهن وأبنائهن؛ مما يطرح تحديات إضافية. في حالات أخرى، إقناع بعض النساء والأطفال، بالعودة إلى ديارهم سيصبح أكثر صعوبة إذا كانوا يخشون من إرسالهم إلى السجن. نساء أخريات يجدن أنفسهن في حالة من عدم اليقين القانوني فيما يتعلق بوضعية أبنائهن، الذين ولدوا في أثناء سيطرة "داعش"، من زوج عراقي أو من جنسية أخرى. في بعض الحالات، هن لا يملكن أي أوراق تثبت النسب للسماح بسفر الأبناء. عدم استطاعتهم الحصول على أدلة كافية حول هوية الأب يمكن أن يحول دون عودتهم للعراق. نساء أخريات، بمن فيهن النساء الإيزيديات المختطفات واللاتي تعرضن للاغتصاب، على الرغم من كونهن ضحايا فإن بعضهن رفضن العودة خوفاً من الوصمة والانتقام. بعضهن ممن استطاع العودة إلى مناطقهن تخلين عن أطفالهن الذين ولدوا من الاغتصاب من مقاتلي "داعش"، بسبب الخوف من وصمة العار وصعوبة الحصول على أوراق هوية.

ختاماً:

تدهور البيئة الأمنية والسياسية في شمال شرق سوريا بشكل مطرد. من ناحية، تعرض الوجود العسكري الأمريكي في شمال شرق سوريا للتهديد، سواء من الناحية اللوجستية أو القانونية، مع سعي السلطات في العراق إلى إنهاء مهمة التحالف. ومن ناحية أخرى، استمرار التهديدات من الجهات الفاعلة الخارجية (خاصة تركيا)، بالإضافة إلى أوجه الضعف الداخلية التي تعاني منها قوات قسد، كل ذلك قد يهدد أمن واستقرار أماكن الاحتجاز التي تضم الآلاف من أتباع "داعش".

في ظل هذه التهديدات، ومع استمرار بعض الدول رفض استعادة مواطنيها، فإنه في حال تمكّن هؤلاء من الهرب فإن التهديدات التي سيشكلونها، على بلدانهم وعلى العالم ستكون كبيرة. يمكن اختصارها في نقطتين؛ التهديد الأول: احتمال

"الهجرة" إلى مناطق صراع جديدة ومحاولة التكتل، مرة أخرى، إما تحت "داعش"، أو تشكيل تنظيم جديد ربما سيكون أكثر ديمومية من سابقه، خاصة وأن كل الشواهد التاريخية والدراسات العلمية تؤكد أن العنف في تزايد، وأن الأجيال التي تتطبع مع العنف تنتج عنفاً أكبر. التهديد الثاني: يتمثل في عودة المقاتلين بطريقة غير شرعية إلى بلدانهم الأصلية (في حال تمكنوا من الهروب) وبالتالي يمكن بعد عودتهم أن يشكلوا خلايا نائمة أو يقوموا بتنفيذ عمليات إرهابية منفردة أو بتخطيط من التنظيم.

إن قضية معقدة ومتشابكة مثل عودة المقاتلين الأجانب لا تعدُّ تهديداً أمنياً على المدى القريب فحسب، بل أيضاً تحدياً على المدى الطويل. إذا أراد المجتمع الدولي أن يحول دون معاودة ظهور "داعش" أو أي تنظيم إرهابي آخر، فعليه أن يستعد لما ستكون عليه سوريا بعد خروج الولايات المتحدة، وأن يعالج معضلة المحتجزين، قبل أن يتحول الأمر إلى كارثة ستهدد العالم بالكامل. ولا بدّ أن تتحمّل كل دولة مسؤوليتها في استعادة مواطنيها.

صحيح لا تخلو عملية العودة من مخاطر، لكن هناك جهود مهمة يقودها التحالف الدولي والأمم المتحدة للتخفيف من تلك المخاطر المستقبلية؛ منها مشاركة أفضل الممارسات في جمع الأدلة، ومحاسبة الأطراف المسؤولة، وتكييف تقييمات المخاطر مع احتياجات كل دولة وكل فرد على حدة، والعمل على مواصلة مراقبتهم وإعادة إدماجهم داخل المجتمع، وابتكار نهج رعاية مراعي للصدمات لأولئك الذين يعاد دمجهم. هذه الجهود، بالإضافة إلى الخبرة التي اكتسبتها بعض الدول في هذا المجال ستشكل دروساً جيدة يمكن أن تستفيد منها وتكيفها بما يتناسب مع كل سياق على حدة لضمان شروط العودة الآمنة ونجاح جهود إعادة التأهيل والإدماج.

قائمة المراجع:

1. The Washington Institute: The Islamic State's Shadow Governance in Eastern Syria Since the Fall of Baghuz - Aaron Y. Zelin, Devorah Margolin, Sep 22, 23.
2. Lead Inspector General Report to the US Government, Operation Inherent Resolve (OIR) and other US Government activities related to Iraq and Syria, Oct 1, Dec 31, 2023.
3. UN Security Council. S2019/949. Implementation of Security Council Resolutions. A report of the Secretary General. Humanitarian Situation in Syria. December 2019. Saad, Neil. The Al Hol Camp in Northeastern Syria: Health and Humanitarian Challenges. BMJ Global Health. 2020.
4. الأمم المتحدة؛ سوريا: بعد زيارة إلى مخيم الهول، وفد أممي رفيع يحذر من مغبة ترك الأوضاع بدون معالجة - 6 يونيو 2022م.
5. The Global Coalition, <https://x.com/coalition/status/1750184332340113473>
6. للاطلاع على نص القرار 2178، انظر: <https://uiuu.me/2>
7. Brian Dodwell, Daniel Milton, Don Rassler, "Then and Now: Comparing the Flow of Foreign Fighters to AQI and the Islamic State" - Combating Terrorism Center at West Point / December 2016. P. 3.
8. داعش.. شرعنة التوحش؛ وفاء صندي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 2020 ص 114.
9. حسب دراسة معهد "جيتيستون" الدولي.
10. حسب دراسة أنجزها المركز الفرنسي لليقظة.
11. حسب تقرير للبنك الدولي.
12. المصدر السابق.
13. داعش شرعنة التوحش؛ وفاء صندي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 2020 ص 122.
14. أبو هنية حسن، أبو رمان محمد؛ عاشقات الشهادة تشكلات الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية - مؤسسة فريدريش آيبر - 2017م.
15. Seran de Leede; « Women in Jihad: A Historical Perspective » ICCT September 2018.
16. داعش شرعنة التوحش وفاء صندي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 2020 ص 165.
17. Joana Cook and Gina Vale; 'From Daesh to 'Diaspora': Tracing the Women and Minors of Islamic State,' International Centre for the Study of Radicalization, 2018.
18. CTED; Gender dimensions of the response to returning foreign terrorist fighters: Research perspectives - February 2019.
19. انظر في هذا الصدد تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - العراق "نساء فاعلات... بين المشاركة في التطرف العنيف والمساهمة في منعه ومكافحته" 2022م.
20. المرأة والتطرف العنيف في الأردن، تقرير هيئة الأمم المتحدة للمرأة واللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة 2016م، ص 9.
21. Beverley Milton-Edwards and Sumaya Attia; Female terrorists and their role in jihad groups - Brookings, 9 May 2017.
22. انظر في هذا الصدد تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - العراق "نساء فاعلات... بين المشاركة في التطرف العنيف والمساهمة في منعه ومكافحته" 2022م.
23. داعش شرعنة التوحش؛ وفاء صندي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 2020 ص 213.
24. داعش شرعنة التوحش وفاء صندي - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 2020 ص 178.
25. قرار مجلس الأمن رقم 2396 (2017م) الفقرة 31.
26. S/2018/177
27. مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة؛ هل تنجح مساعي العراق في إغلاق مخيم الهول؟ مايو 2024م.
28. المنظمة الدولية للهجرة؛ الممارسات الناشئة لإعادة التأهيل في الدول ذات الأغلبية المسلمة؛ 2023م.
29. وفق المراجعة الداخلية للمنظمة الدولية للهجرة في العراق تموز 2023م.
30. UNDP; Reintegration in Iraq, A perception survey to assess community readiness for return and reintegration of families with perceived ISIL affiliation in pilot areas, Aug 2021.
31. Rachel Briggs Obe & Tanya Silverman; Western Foreign Fighters: Innovations in Responding to the Threat - Institute for strategic dialogue - Dec 14, 2014.
32. UNDP; Affiliated with ISIS : Challenges for the Return and Reintegration for Women and Children -2022.
33. المنظمة الدولية للهجرة والاستقصاء الاجتماعي. مناخ هشاشة الإسكان في جنوب العراق: البصرة وذيقار وميسان. (أربيل، 2022م).

كما تم الاستعانة بالعديد من المراجع، أهمها:

1. أبو هنية حسن، أبو رمان محمد؛ عاشقات الشهادة تشكلت الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية - مؤسسة فريدريش آيبر - 2017م.
2. وفاء صندي؛ داعش.. شرعنة التوحش - مركز دراسات الوحدة العربية - لبنان 2020.
3. الأمم المتحدة / الجمعية العامة، الدورة السبعون؛ استراتيجية الأمم المتحدة العالمية لمكافحة الإرهاب - خطة عمل لمنع التطرف العنيف - تقرير الأمين العام، 24 ديسمبر 2015م.
4. الأمم المتحدة / مجلس الأمن؛ تقرير الأمين العام الخامس عن التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) للسلام والأمن الدوليين وعن نطاق الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعماً للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد، 31 مايو 2017م.
5. الأمم المتحدة / مجلس الأمن؛ القرار 2170 المتعلق بالتهديدات التي يتعرض لها السلم والأمن الدوليين بسبب الأعمال الإرهابية - 15 أغسطس 2014م.
6. الأمم المتحدة / مجلس الأمن؛ القرار 2178 - 24 سبتمبر 2014م.
7. الأمم المتحدة / مجلس الأمن؛ القرار 2242 بتاريخ 13 أكتوبر 2015م.
8. الأمم المتحدة / مجلس الأمن؛ القرار 2322، 12 ديسمبر 2016م.
9. المنظمة الدولية للهجرة؛ الممارسات الناشئة لإعادة التأهيل في الدول ذات الأغلبية المسلمة، 2023م.
10. المنظمة الدولية للهجرة والاستقصاء الاجتماعي. مناخ هشاشة الإسكان في جنوب العراق؛ البصرة وذي قار وميسان. (أبريل، 2022م).
11. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - العراق؛ نساء فاعلات.. بين المشاركة في التطرف العنيف والمساهمة في منعه ومكافحته " 2022م.
12. تقرير هيئة الأمم المتحدة للمرأة واللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة؛ المرأة والتطرف العنيف في الأردن 2016م.
13. تقرير هيومن رايتس ووتش، سوريا: ظروف قاسية تعيشها عائلات المشتبه بهم من "داعش" - 23 يوليو 2019م.
14. تقرير "هيومن رايتس ووتش"، لازم كلكم تعترفون، الانتهاكات ضد الأطفال المشتبه في انتمائهم إلى "داعش" في العراق.
15. Brian Dodwell, Daniel Milton, Don Ressler; "Then and Now: Comparing the Flow of Foreign Fighters to AQI and the Islamic State" - Combating Terrorism Center at West Point / December 2016.
16. Vuiart Edouard ; Après Daesh la guerre idéologique continue – Collection influences et conflits, 2017.
17. Vidino Lorenzo, Marone Francesco, Entenmann Eva; Fear Thy Neighbor. Radicalization and Jihadist Attacks in the West – ICCT, ISPI, Program on extremism, 2017.
18. CTED; Gender dimensions of the response to returning foreign terrorist fighters: Researches perspectives – CTED Trends report February 2019.
19. Cook Joana & Vale Gina; From Daesh to 'Diaspora': Tracing the Women and Minors of Islamic State - International Centre for the Study of Radicalization, 2018.
20. Lead Inspector General Report to the US Government, Operation Inherent Resolve (OIR) and other US Government activities related to Iraq and Syria, Oct 1, Dec 31, 2023.
21. Rachel Briggs Obe & Tanya Silverman; Western Foreign Fighters: Innovations in Responding to the Threat – Institute for strategic dialogue – Dec 14, 2014.
22. The Washington Institute: The Islamic State's Shadow Governance in Eastern Syria Since the Fall of Baghuz - Aaron Y. Zelin, Devorah Margolin, Sep 22, 23.
23. UNDP; Reintegration in Iraq, A precertion survey to assess community readiness for return and reintegration of families with perceived ISIL affiliation in pilot areas, Aug 2021.
24. UNDP; Affiliated with ISIS: Challenges for the Return and Reintegration for Women and Children – Oct 2022.

9 داعش ومستقبل العلاقة مع الجريمة المنظمة العابرة للحدود

د. إيمان رجب*

تعد قضية العلاقة بين الجماعات الإرهابية وشبكات الجريمة العابرة للحدود من القضايا الأمنية التي تشغل دوائر صنع السياسات على مستوى العالم وعديداً من الهيئات الدولية متعددة الأطراف، لا سيما في ظل تعدد وتنوع وتحول خريطة الجرائم العابرة للحدود وفي ظل ضخامة المنافع التي تعود على الكيانات الإرهابية من هذه الجرائم؛ مثل العوائد المالية الناتجة عن تهريب الأسلحة والأصول الثقافية والاتجار غير المشروع في المخدرات والموارد الطبيعية، وتهريب الأشخاص والخطف واحتجاز الرهائن.

* مدير عام مركز الخبرة الإقليمي لمكافحة المخدرات والجريمة المشترك مع مكتب الأمم المتحدة UNODC في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

وإذا كان مستقرًا في دوائر صنع السياسات الأمنية أن كل من الإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للحدود على حدة تطرح تهديدات محددة للأمن القومي للدول وللأمن الدولي، فإن تنامي العلاقات بينهما يضاعف من تلك التهديدات ويعزز في حالات أخرى من قدرة الكيانات الإرهابية على البقاء وعلى تحدي أجهزة مكافحة الإرهاب. حيث إن هذه العلاقات تسمح للإرهابيين باستغلال البنية التحتية لشبكات الإجرام المنظم العابر للحدود للحصول على الأسلحة والوثائق المزورة وتحريك السلع والأشخاص بما في ذلك امتلاك أسلحة ثقيلة وهو ما يعني مضاعفة قدرة الإرهابيين على تنفيذ هجمات نوعية. كما تمكن هذه العلاقات الإرهابيين من توليد أموال تستخدم في تمويل أنشطتهم الإرهابية بأنواعها المختلفة.

كما أن تنامي العلاقات بين الكيانات الإرهابية وشبكات الإجرام المنظم يجعل الموارد المحدودة التي لدى الحكومات الوطنية غير كافية لمكافحة فاعلة لكل من الظاهرتين، لا سيما في حالة الدول التي يتراجع فيها مستوى التنمية والخدمات ويرتفع فيها مستوى الفقر والتهemis.

وهذا الوضع ينطبق على تنظيم داعش الإرهابي، فرغم إعلان "التحالف الدولي ضد تنظيم داعش" الهزيمة العسكرية للتنظيم في 2019¹، وما عناه ذلك من إنهاء سيطرة داعش على أجزاء من أراضي العراق وسوريا، وخسارة التنظيم عددًا من قيادات الصف الأول والثاني فيه بسبب عمليات اغتيال نفذها التحالف، فإنه لا يزال قادرًا على الحفاظ على بقائه في مناطق عدة في العالم ويتمتع بقدر من المرونة / الصلابة resilience في تعامله مع الأزمات الناتجة عن جائحة كورونا كوفيد-19²، ولعل هذا يفسر ما تضمنه تقييم التهديدات الصادر عن مكتب مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية لعام 2023 حول تنظيم داعش، والذي يفيد بأن "داعش لا يزال يشكل تهديدًا إقليميًا وعالميًا"³.

ويجادل هذا الفصل في هذا السياق بأن جزءًا كبيرًا من قدرة تنظيم داعش على التكيف مع الهزيمة العسكرية في العراق وسوريا، وعلى الحفاظ على نشاطه في مناطق عدة في العالم مثل آسيا وأفريقيا ترجع بشكل رئيسي إلى نسجه عديدًا من الصلات مع شبكات الجريمة المنظمة العابرة للحدود طوال السنوات الماضية، والتي مكنته من الاحتفاظ باحتياطيات نقدية قدرت في 2022 بحوالي 25 مليون دولار، وهذه الاحتياطيات تعد ممكنًا رئيسيًا للتنظيم في تنفيذ عملياته الإرهابية وفي الحفاظ على ولاء أعضائه فضلًا عن استقطاب أعضاء جدد لصفوفه.

ومن المهم هنا توضيح أن إعلان تنظيم داعش الإرهابي عن نشأته في 10 يونيو 2014 في العراق وسوريا تزامن مع استقرار أنماط للعلاقة بين الكيانات الإرهابية بأنواعها المختلفة وشبكات الجريمة المنظمة العابرة للحدود رصدتها الأجهزة الأمنية خاصة في الدول الأوروبية، وهو ما عمل داعش على الاستفادة منه لتعزيز سيطرته على الأراضي في العراق وسوريا خلال الفترة 2014-2019 وتعزيز طابعه العالمي من ناحية، وحتى يحافظ على بقائه بصور متعددة بعد هزيمته عسكريًا في 2019 من ناحية أخرى.

وفي هذا الإطار، يهدف هذا الفصل لتحليل علاقة تنظيم داعش الإرهابي بالشبكات الإجرامية العابرة للحدود، والأشكال المتعددة لتلك العلاقات من خلال أربعة محاور رئيسية؛ يناقش المحور الأول: العوامل المفسرة لعلاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود، ويحلل المحور الثاني: أنماط علاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود منذ نشأته في 2014 حتى الهزيمة العسكرية له في 2019 مع تحديد المناطق الجغرافية التي رصدت فيها تلك الأنماط من العلاقات. بينما يحلل المحور الثالث: أنماط علاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود في الفترة التالية على هزيمته عسكريًا في 2019 حتى الوقت الراهن وكيف أثرت هذه العلاقات في نشاطه في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

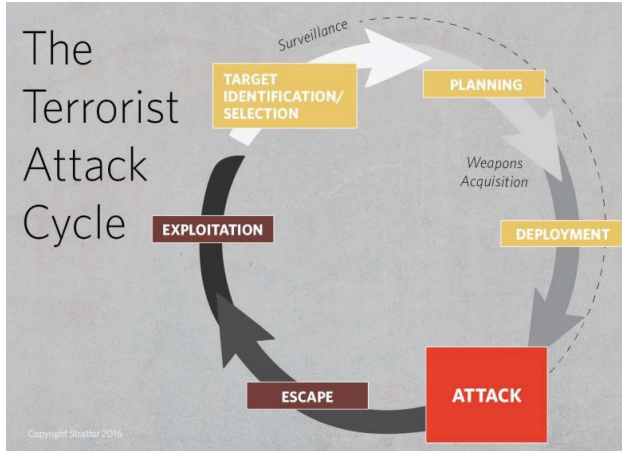
ويهتم المحور الأخير: من هذا الفصل بمناقشة مستقبل علاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود خلال السنوات الخمس المقبلة والمتغيرات المؤثرة في هذا المستقبل وما يعينه ذلك لأجهزة إنفاذ القانون.

ويعتمد هذا الفصل بشكل رئيسي على النشرات الدورية للمنظمات الأمنية الدولية والتقارير الخاصة بالمنظمات الدولية المعنية بالجريمة المنظمة والإرهاب، فضلاً عما صدر من مراكز الدراسات والمؤسسات الإعلامية من تقارير ودراسات ذات صلة.

المحور الأول: العوامل المفسرة لعلاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود

يمكن تفسير اهتمام تنظيم داعش بنسج علاقات مع شبكات الجريمة العابرة للحدود، واهتمام الأخيرة بتطوير علاقة مع تنظيم داعش بالعلاقة المصلحية، فلكل منهما مصالح يتم تحقيقها من خلال هذه العلاقات، واستفاد داعش في تنفيذ هذا التوجه من أنماط العلاقات التي طورتها كيانات إرهابية أخرى مثل القاعدة مع الشبكات الإجرامية في الفترة السابقة على نشأته في 2014.

وجدير بالذكر، أنه حتى فترة قريبة كان الاعتقاد السائد في دوائر صنع السياسات ذات الصلة أن لجوء داعش وغيره من الكيانات الإرهابية للتواصل مع شبكات الجريمة المنظمة يتم في مرحلة التخطيط للهجمات الإرهابية من أجل الحصول على الأسلحة والمتفجرات ووثائق سفر مزورة للتنقل عبر الحدود وموارد مالية لتمويل أنشطته الإرهابية. ولكن تكشف حالات عملية عديدة عن أن الكيانات الإرهابية بما في ذلك تنظيم داعش تستعين بشبكات الإجرام المنظم في كل مراحل تنفيذ العملية الإرهابية وليس في مرحلة التخطيط فقط.



وكما هو موضح في الشكل التالي⁵، تمر عملية تنفيذ أي نشاط إرهابي بخمس خطوات، تبدأ باختيار الهدف أو المكان الذي سينفذ فيه الهجوم الإرهابي وما يصاحب ذلك من عمليات رصد ومراقبة،

والتخطيط لتفاصيل عملية التنفيذ بما يتضمنه ذلك من امتلاك الأسلحة المناسبة للهجوم، ثم نقل الأسلحة والعناصر المنفذة إلى مكان التنفيذ، يلي ذلك تنفيذ العملية، ثم هروب العناصر، والترويج لقدرات الكيان الإرهابي إعلامياً.

وكما سيتضح تفصيلاً في المحورين الثاني والثالث من هذا الفصل، يستعين داعش بشبكات الإجرام المنظم لتسهيل نقل الأسلحة والعناصر الإرهابية لمكان تنفيذ الهجوم الإرهابي، كما أصبح يعتمد عليها في تأمين خروج العناصر الإرهابية من مكان تنفيذ العملية وفي حالات أخرى تهريبهم إلى خارج حدود الدولة التي نفذت فيها العملية باستخدام وثائق سفر مزورة، وكذلك في الحفاظ على بقائه في فترة ما بعد الهزيمة العسكرية 2019.

بعبارة أخرى، تعد العلاقات بين شبكات الجريمة العابرة للحدود وداعش وغيره من الكيانات الإرهابية ذات طبيعة معقدة، ويغذيها عدد من العوامل أهمها:

1. العوامل المالية، حيث تولد الأنشطة الإجرامية بصفة عامة موارد مالية تحتاجها الكيانات الإرهابية للحفاظ على بقائها، وهذا يذكرنا بتصريح وزير الخارجية الأمريكي الأسبق كولين باول في 2001 حين قال: إن "المال هو أكسجين الإرهاب"، كما تحتاج الجماعات الإجرامية للمال دوماً، وقدرتها على الاستمرار في تنفيذ أنشطتها الإجرامية المدرة للمال تتطلب في حالات عدة التعاون مع الإرهابيين.

2. المهارات الخاصة بالمجرمين، فالشخص الذي له خلفية إجرامية هو "إرهابي لم يجند بعد"، لأن لديه عددًا من السمات منها القدرة على المخاطرة، وعلى جمع الأموال من خلال الأنشطة الإجرامية مثل الاتجار غير المشروع في المخدرات، ولا يتردد في اللجوء للعنف ولديه خبرة جيدة في ذلك، ولديه قدرة على الوصول لشبكات الإجرام المنظم التي تحتاجها التنظيمات الإرهابية من أجل شراء السلاح ونقله عبر الحدود وتزوير الوثائق وغسيل الأموال.

3. تزايد استخدام الإنترنت من قبل الإرهابيين والمجرمين يزيد من مساحات التفاعل والتقارب بينهما بأشكال متعددة، لا سيما استخدام الإنترنت المظلم dark web والإنترنت العميق deep web اللذين يمثلان 96% من شبكة الإنترنت، بينما يمثل الـ 4% المتبقية ما يسمى بالشبكة السطحية surface web والتي بإمكان أي شخص استخدامها وتتاح عليها مواقع جوجل والفيسبوك وغيرها. فقد أصبح من المتعارف عليه لدى المؤسسات الأمنية استخدام الإرهابيين والمجرمين للإنترنت في تجنيد عناصر جديدة والتخطيط وتنفيذ العمليات النفسية وتوفير الدعم اللوجستي وجمع الأموال، وكمنصة لممارسة الإجرام الإلكتروني (قرصنة الفيديو، تزوير بطاقات الائتمان، بيع المخدرات، غسيل الأموال وغيرها)، كما يتعلم الإرهابيون من المجرمين كيفية التواصل من خلال الإنترنت بطريقة لا يمكن تتبعها أو اختراقها من قبل الأجهزة الأمنية (الرسائل المشفرة وغيرها).

4. جاذبية الكيانات الإرهابية خاصة الدينية للمجرمين؛ إذ ينظر المجرمون للتعاون مع الكيانات الإرهابية خاصة الدينية منها كوسيلة لـ "الخلاص". ويلاحظ أن تنظيم داعش دأب من خلال الأدوات الإعلامية المختلفة التي يوظفها في المجتمعات الأوروبية على استخدام هذه المسألة في جذب وإقناع عناصر إجرامية من المناطق الأكثر فقرًا وتهمةً في عدة دول أوروبية للانضمام لصفوفه باعتبار أن انضمامهم هو الوسيلة لخلاصهم من الذنوب الناتجة عن ارتكابهم الجرائم، وهو ما سيتم توضيحه تفصيلًا في المحور الثاني من هذا الفصل.

ومن المهم التأكيد على أن التوقيت الذي نشأ فيه تنظيم داعش تزامن مع استقرار أربعة أنماط للعلاقة بين الكيانات الإرهابية بأنواعها المختلفة وشبكات الجريمة المنظمة العابرة للحدود، سواء في الواقع الفعلي أو الفضاء السيبراني، وتتمثل هذه الأنماط الأربعة في الآتي⁶:

التعاون Cooperation، والمقصود به هو أن يدخل التنظيم الإرهابي في علاقات تعاون موقفية transactional مع المجرمين من أجل توفير ما يحتاجه لتنفيذ عملياته الإرهابية، وحتى تحصل الجماعات الإجرامية على ما تحتاجه للاستمرار في أنشطتها.

التعايش Coexistence، فيلاحظ غلبة هذا النمط على العلاقة بين الكيانات الإرهابية وجماعات الإجرام المنظم عندما تتشارك كل منهما النطاق الجغرافي نفسه لممارسة النشاط أو للحصول على الدعم العملياتي. فبسبب وجود مصلحة لكل منهما خاصة بالاحتفاظ ببقائهما في النطاق الجغرافي نفسه يتوصل الإرهابيون والمجرمون لاتفاقيات حول تقاسم مناطق السيطرة والنفوذ، وأحياناً تتضمن هذه الاتفاقيات توفير الحماية للمجرمين مقابل قيام المجرمين بخدمات معينة للإرهابيين أو دفع إتاوات محددة، وهذه الاتفاقيات تضمن استمرار بقائهم في تلك المنطقة الجغرافية.

اكتساب تكتيكات الكيان الإرهابي صفة إجرامية من أجل تحقيق أهداف عملياتية، تقوم الكيانات الإرهابية بقدراتها الذاتية في تنفيذ أنشطة وعمليات ليست ذات صفة إرهابية وإنما ذات طبيعة إجرامية، وذلك من أجل تحقيق أهداف عملياتية، ومن تلك الأنشطة تزوير الوثائق لتسهيل السفر، وتهريب الأسلحة عبر الحدود وغيرها.

الاندماج Convergence، ويعد النمط السابق من العلاقات ممهداً لدخول الكيان الإرهابي مرحلة الاندماج، وهي أقصى درجات الارتباط بين الكيانات الإرهابية وجماعات الإجرام المنظم؛ حيث يندمجان بالكامل في كيان جديد مهجن Hybrid Entity يجمع بين صفات الإجرام والإرهاب في الوقت نفسه. ودرج على تسمية مرحلة الاندماج هذه بين المتخصصين باسم "متلازمة الثقب الأسود"؛ لأنها المرحلة التي يحدث فيها تغير في الكيان نتيجة اكتسابه صفات ليست متسقة مع طبيعته

أو نتيجة قيامه بأنشطة لا تتماشى مع طبيعته. فالكيان الجديد المهجن قد يكون تنظيمًا "إجراميًا مؤدبًا" يحدث عند اكتساب الكيان الإجرامي صفات إرهابية، أو كيانًا "إرهابيًا إجراميًا" يحدث عند اكتساب الكيان الإرهابي صفات إجرامية.

ويكشف تحليل عدة حالات من الكيانات التي مرت بهذه المرحلة، عن نتيجتين رئيسيتين؛ النتيجة الأولى: أن عملية الاندماج هذه في حالة الكيان الإرهابي الإجرامي تنتج عن انضمام أعضاء جدد من خلفيات إجرامية للكيان، وفي حالة الكيان الإجرامي المؤدب عن انضمام عناصر إرهابية للكيان، وصعودها في هيكل القيادي للكيان على نحو يقود لتغير الدافع المحرك للكيان. ففي حالة الكيان الإرهابي الإجرامي يصبح الدافع الرئيسي لممارسة أي أنشطة إرهابية هو الحصول على العائد المادي، بينما يصبح الدافع الرئيسي لممارسة أي أنشطة في حالة الكيان الإجرامي المؤدب هو تحقيق هدف سياسي ما متسق مع الأيديولوجية الخاصة بالكيان.

والنتيجة الثانية: هي أن دخول الكيان الإرهابي في هذا النمط من العلاقات يبدأ عادة بتبنيه عددًا من التكتيكات والأنشطة الإجرامية، وهو نمط العلاقات السابق توضيحه. ومن المهم لفت الانتباه إلى أن اتجاه الكيانات الإرهابية لممارسة الأنشطة الإجرامية من أجل الحصول على المال ليس ظاهرة جديدة، ولكن الجديد هو انخراط عناصر لها خلفيات إجرامية ولها قدرة على استخدام أدوات وشبكات وموارد الإجرام المنظم في الإرهاب، ويُلاحظ أيضًا أنه عادة ما ينجح الإرهابيون في استقطاب عناصر إجرامية لا تمارس أي دور قيادي في شبكات الإجرام المنظم، ولكن لديهم خبرة في غسيل الأموال وتهريب المهاجرين وتهريب الأسلحة والهروين وتهريب الممتلكات.

وقد عمل داعش على الاستفادة من هذه الأنماط في علاقته بالشبكات الإجرامية العابرة للحدود أكثر من كونه استحدث أي منها كما سيتضح لاحقًا، وشمل ذلك شبكات تعمل في مجال تهريب المخدرات والأسلحة وتهريب المهاجرين، وغسيل الأموال وغيرها في أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

وجدير بالذكر أنه من الناحية العملية لا يوجد بالضرورة تدرج في أنماط العلاقة هذه بين داعش وجماعات الإجرام المنظم العابر للحدود، أي أنه ليس بالضرورة أن تمر هذه العلاقات بالتعايش أولاً ثم بالتعاون ثم بالاندماج، فتبني داعش أيًا من أنماط العلاقة الأربعة هذه يتوقف على قوة التنظيم وعلى البيئة التي يمارس فيها نشاطه الإرهابي، فعلى سبيل المثال قد يجمعه مع شبكات الإجرام العابر للحدود علاقات التعايش في منطقة شرق أفريقيا، ولكن في أوروبا يغلب على علاقاته نمط التعاون.

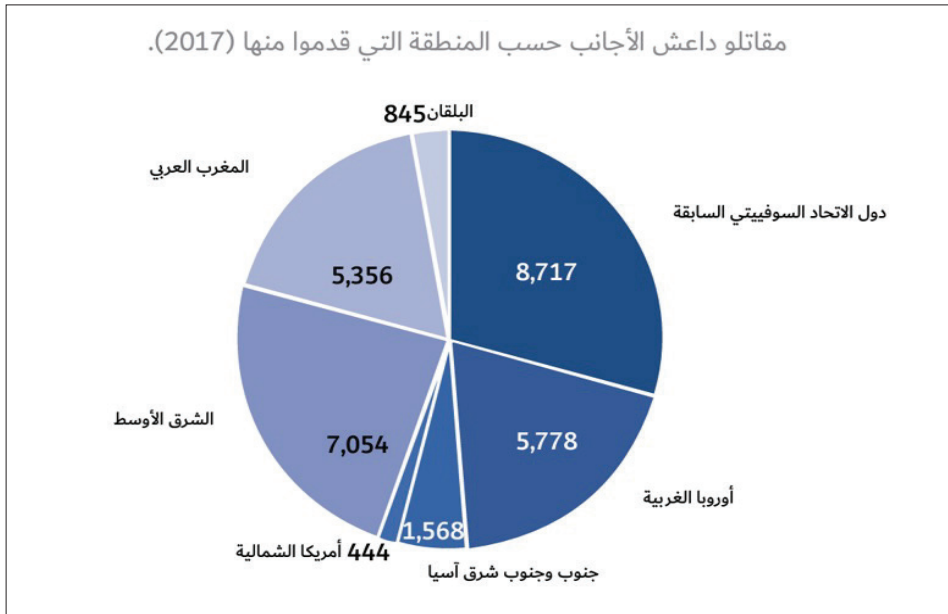
المحور الثاني: العلاقة بين داعش وشبكات الجريمة العابرة للحدود في تمدده وانحساره

يحلل هذا الجزء من الفصل أنماط العلاقة التي جمعت تنظيم داعش بشبكات الجريمة المنظمة العابرة للحدود خلال الممتدة منذ نشأة التنظيم في 2014 حتى إعلان هزيمته العسكرية من قبل التحالف الدولي في 2019. فخلال هذه الفترة، استفاد تنظيم داعش من الأنماط الأربعة للعلاقات مع شبكات الجريمة العابرة للحدود السابق توضيحها، وذلك لحاجته لدعم تلك الشبكات في الحصول على المال وتعزيز سيطرته على الأراضي في العراق وسوريا خلال الفترة 2014-2019 من ناحية، وفي تعزيز طابعه العالمي من خلال تسهيل تنفيذ عمليات وأنشطة إرهابية خارج العراق وسوريا، وتسهيل نقل من يرغبون في الانضمام لصفوفه من مناطق أخرى في العالم، وتسهيل تنقل عناصره عبر الحدود لتقديم الدعم للموالين له في العالم، من ناحية أخرى.

فمنذ نشأة داعش في 2014، دخل في علاقات تعاون مع شبكات الجريمة العابرة للحدود العاملة في مجال تهريب الأسلحة وتهريب المهاجرين من أجل توفير ما يحتاجه لتنفيذ عملياته الإرهابية، وفي المقابل تعاونت معه الشبكات الإجرامية حتى تحصل على ما تحتاجه للاستمرار في أنشطتها. فعلى سبيل المثال، لعبت شبكات التهريب دورًا مهمًا في تمكين داعش من استقطاب أعضاء أجنبية لصفوفه ونقلهم إلى سوريا والعراق، وهي الظاهرة التي عرفت باسم "الإرهابيين/المقاتلين الأجانب". والبيانات التي يتم تداولها حول عدد أعضاء التنظيم قبل تفشي كورونا تفيد بأن

القوة العددية للتنظيم تقترب من 100 ألف، ووفق شبكة التوعية بالراديكالية RAN التابعة للاتحاد الأوروبي فإنه حتى نهاية 2017 كان هناك أكثر من 42 ألف إرهابي أجنبي في صفوف داعش يحملون جنسيات أكثر من 120 دولة.

وتوضح جماعة سوفان جروب أن الجزء الأكبر من الإرهابيين، كما يتضح في الشكل أدناه كان ينتمي للجمهوريات السوفيتية السابقة، ثم الشرق الأوسط المغرب وغرب أوروبا⁷.



وعلاقات التعاون هذه مكنت داعش من تنفيذ عمليات إرهابية في أوروبا تحديداً؛ حيث تعد الهجمات الإرهابية التي شهدتها باريس في يناير 2015 وفي نوفمبر 2015، نتاج تعاون بين داعش والمجرمين الذين سهلوا من انتقال الأسلحة المستخدمة في الهجوم بين 10 مدن حتى وصلت لباريس مكان تنفيذ العملية؛ إذ استخدمت فيها أسلحة من منطقة البلقان خاصة صربيا وكرواتيا والبوسنة. وشملت تلك المدن العشر بالترتيب كما يتضح من الشكل أدناه بارتيزانك في صربيا، ثم مارسينيل في بلجيكا، ثم اينتيغ ان ويب في فرنسا، ثم لودينسارت في بلجيكا، ثم تنقل بين عدة مدن في فرنسا وبدأ بها وبوردين ثم فيلينوف دو أسك ثم لومي ثم فيلينوف دو أسك مرة أخرى ثم فونتييني أوغوسييس وصولاً إلى باريس مكان تنفيذ الهجوم الإرهابي.



المصدر: The World Economic Forum, Global Risks Report of 2024 19th edition: Insights report , the World Economic Forum, Geneva, 2024.p69

كما تلقى مرتكب تفجير مجمع مانشستر أرينا المدعو سلمان عبيدي " في 2017 المساعدة من زملائه الذين كانوا أعضاء في عصابة إجرامية بريطانية- ليبية لتهريب المخدرات في جنوب مانشستر؛ إذ سمح أحد أعضاء العصابة لعبيدي بتخزين مركبة محملة بالمواد المتفجرة في مقر إقامته وهي التي استخدمها في تنفيذ تفجير مجمع مانشستر أرينا⁸.

كما كشفت التحقيقات في الهجمات الإرهابية التي وقعت في باريس وبروكسيل في مارس 2016 ونوفمبر 2015 على التوالي عن تعاون تلك العناصر الإرهابية مع شبكات تهريب المهاجرين من أجل تسهيل انتقال بعضهم إلى داخل منطقة الاتحاد الأوروبي حتى يتسنى لهم الاستفادة من اتفاقية الشنجن للتنقل بسهولة بين المدن الأوروبية⁹.

إلى جانب ذلك، مارس تنظيم داعش تكتيكات وأنشطة إجرامية في عدة دول أوروبية، وذلك من أجل تحقيق أهداف عملياتية، ومن تلك الأنشطة تزوير الوثائق لتسهيل السفر، وتهريب الأسلحة عبر الحدود وغيرها. وتعد خلية الزرقاني Zerkani في بلجيكا من الأمثلة المتعارف عليها في هذا الصدد، وهي كانت متمركزة في مدينة مولونبيك ويرأسها خالد الزرقاني. وكانت هذه الخلية قد بايعت تنظيم داعش، ونفذت عدة أنشطة مخالفة للقانون البلجيكي من أجل الحصول على السلاح

ولتسهيل نقل الإرهابيين من بلجيكا إلى سوريا والعكس. وقد حكمت المحاكم البلجيكية على خالد الزيرقاني بالسجن 15 عاماً لاتهامه بتجنيد من أسمتهم المحكمة بـ "الإسلاميين" بما في ذلك بعض منفذي هجمات باريس وبروكسل¹⁰.

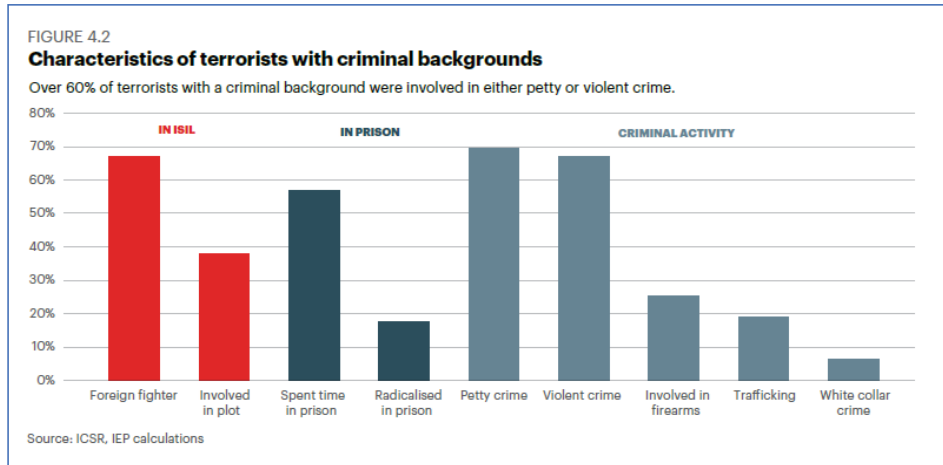
كما تشير التحقيقات في الهجمات الإرهابية التي وقعت في باريس وبروكسيل في مارس 2016 ونوفمبر 2015 السابق ذكرها إلى تورط عدد من العناصر الإرهابية التي نفذتها في أعمال إجرامية، بما في ذلك تهريب المخدرات.

بالإضافة إلى ذلك، نشط تنظيم داعش خلال هذه الفترة في جذب المجرمين السابقين للانضمام لصفوفه، فيما يُعد مؤشراً على دخول التنظيم في متلازمة الثقب الأسود السابق توضيحها، ومن الأمثلة المهمة في هذا الصدد قضية شريف كواشي وأميدي كوليبالي، اللذين التقيا لأول مرة في سجن فلوري ميروجيس بالقرب من باريس في عام 2007، وشكلوا صداقة بعد أن أمضيا سبعة أشهر في العنبر نفسه. وبعد ثماني سنوات، نسقوا تنفيذ هجمات باريس في يناير 2015، والتي أسفرت عن مقتل 17 شخصاً¹¹.

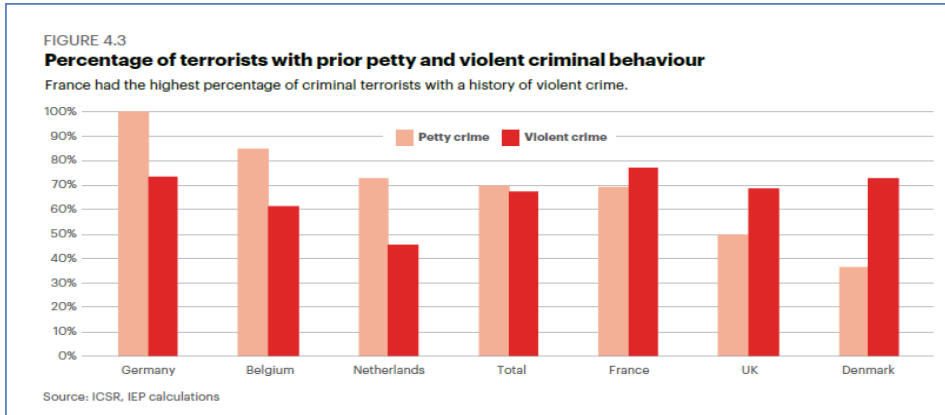
كما نجح تنظيم داعش في استقطاب عناصر جديدة في صفوفه لها خلفيات إجرامية من خلال تقديمه "خطاب الخلاص" لهؤلاء من ماضيهم الإجرامي، وتصوير الانضمام إليه على أنه وسيلة لتكفير المجرمين عما ارتكبوه من جرائم في حق الأبرياء. ورصد المركز الدولي لدراسة الراديكالية قيام جماعة "راية التوحيد" المعروفة بانتمائها لداعش، والتي تتخذ من لندن مقراً لها إطلاقها حملة "راية الله" والتي تروج لفكرة رئيسية هي أن "المجرمين يملكون أسوأ تاريخ، ولكنهم يستطيعون أن يصنعوا مستقبل أفضل" من خلال الانضمام لصفوفها¹².

كما أذانت محكمة فرنسية في ديسمبر 2020 ما لا يقل عن سبعة أشخاص لتورطهم في هجمات يناير 2015 في باريس على مكتب شارلي إبدو، واتهامهم بكونهم أعضاء في شبكات إجرامية بمدينة ليل بفرنسا وأردن بلجيكا، ووفق المحكمة فإن هذه الشبكات اشترت الأسلحة النارية المستخدمة في الهجوم أو قدمت الدعم اللوجستي أو المالي للأشخاص السبعة¹³.

ويشير تقرير المؤشر العالمي للإرهاب لعام 2018 الذي يصدر عن معهد الدراسات الاقتصادية والسلام، إلى عدد 12 تقريراً ودراسة وقاعدة بيانات سعت لتحديد الإرهابيين ذوي الخلفيات الإجرامية، وتشير نتائج تلك الدراسات إلى أن السلطات الألمانية وجدت أن 66٪ من إجمالي الألمان الذين انضموا لصفوف داعش في العراق وسوريا كإرهابيين أجنب خلال الفترة 2012-2016، والذين كان عددهم 778 كانوا من خلفيات إجرامية، وأعلنت السلطات الهولندية عن أنه من بين 319 هولندياً حاولوا السفر للانضمام لداعش كان هناك 64٪ منهم من خلفيات إجرامية. وأنه في فرنسا خلال 2013-2016 بلغ عدد الفرنسيين الذين انضموا لداعش في العراق وسوريا 265 منهم 48٪ من خلفيات إجرامية¹⁴.



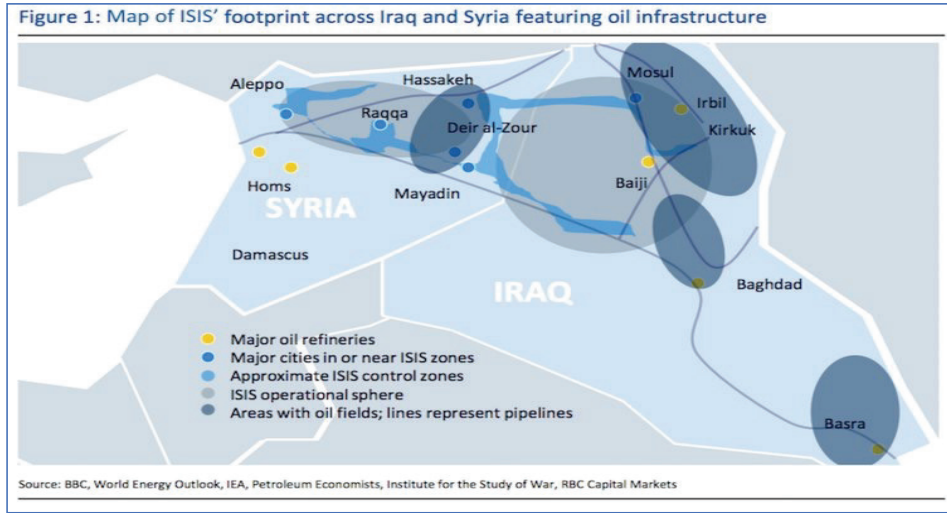
كما يشير التقرير ذاته إلى دراسة للمركز الدولي لدراسات الراديكالية والتي شملت عينة من الإرهابيين الأوروبيين منهم 67٪ إرهابيون أجنب في صفوف داعش في العراق وسوريا و38٪ نفذوا هجمات إرهابية في أوروبا، ووجدت الدراسة أن 57٪ من العينة قضوا وقتاً في السجن و18٪ تبنوا الفكر الإرهابي في أثناء وجودهم في السجن و70٪ من الإرهابيين الذين استقطبهم داعش من خلفية إجرامية ونفذوا جرائم صغيرة وحوالي 67٪ منهم نفذ جرائم عنيفة، و19٪ نفذوا أعمال تهريب و6٪ نفذوا جرائم ذوي الياقات البيضاء¹⁵.



ورُصدت الظاهرة ذاتها في الولايات المتحدة الأمريكية، فعلى سبيل المثال أعلن مواطن من أوهايو وهو أمير الغازي دعمه لداعش في عام 2014 على وسائل التواصل الاجتماعي معرباً عن رغبته في تنفيذ عملية قطع رأس، وشن هجوم على مركز للشرطة، وإخراج قطار عن مساره في الولايات المتحدة. والغازي كان لديه سجل جنائي طويل بما في ذلك تسع إدانات بالمخدرات¹⁶. كما أُلقي القبض على يوسفاني بادي كوني من ميلووكي في سن 17 عامًا بتهمة السطو المسلح كعضو في منظمة "Rolling 60's Crips" الإجرامية، ثم تحول لاحقاً إلى الإسلام في السجن تحت تأثير صديقه "جيسون لودكي"، وسافراً معاً إلى سوريا للانضمام إلى داعش وتقديم الدعم المادي له¹⁷.

وتكشف بعض الاستطلاعات الرأي في الولايات المتحدة عن أنه في عام 2016 كان لدى 28٪ من جميع المتهمين من تنظيم داعش في الولايات المتحدة تاريخ إجرامي سابق؛ وفي عام 2017 بلغت النسبة 26٪، وفي عام 2020 بلغت 32٪¹⁸.

وتكمن أهمية خطاب الخلاص الذي يتبناه تنظيم داعش للتأثير في هؤلاء في أنه يبرر استمرارهم في تنفيذ الأنشطة الإجرامية بعد انضمامهم للتنظيم من أجل توفير التمويل اللازم له. ونتيجة لاستقطاب داعش هذا النوع من الأعضاء، امتلك القدرة على تنفيذ العديد من الأنشطة الإجرامية من أجل توفير الموارد المالية، فبصفة عامة، نفذ تنظيم داعش خلال هذه الفترة في عدد لا يحصى من الأنشطة الإجرامية مثل تهريب النفط عبر الحدود، فمُنذ إعلان التنظيم عن نفسه في 10 يونيو 2014، بدأ يوسع من نطاق سيطرته في العراق وسوريا ليشمل المناطق التي توجد فيها البنية التحتية اللازمة لاستخراج النفط ونقله إلى خارج العراق وسوريا، وتوضح الخريطة أدناه مناطق السيطرة هذه استناداً لبيانات عام 2015.



ونتيجة لعمليات تهريب النفط التي نفذها تنظيم داعش إلى كل من تركيا وإيران لبيعه هناك، نجح في توليد ثروة مالية قدرت في 2015 بما يزيد على 6 مليارات دولار تم إعادة تدويرها في أنشطة اقتصادية رسمية في تركيا وعدة دول أوروبية.

ووفق تقرير وزارة الخزانة الأمريكية، تمكن التنظيم من جمع ثروة مالية تقدر بحوالي 500 مليون دولار خلال الفترة 2014-2016¹⁹. ويوضح تقرير لجنة الاستماع في الكونغرس الأمريكي 7 سبتمبر 2018 أن داعش وفر 81 مليون دولار شهرياً من جمع الضرائب ومبيعات النفط في السوق السوداء ومن أنشطة التهريب²⁰.

المحور الثالث: علاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود

بعد انحساره وحتى المرحلة الراهنة

يحلل هذا الجزء من الفصل أنماط العلاقة التي جمعت تنظيم داعش بشبكات الجريمة المنظمة العابرة للحدود خلال الفترة التالية على الهزيمة العسكرية له في 2019 وحتى المرحلة الراهنة، وذلك في ضوء ما هو متوفر من معلومات معلنة ذات صلة.

وبصفة عامة، تعرض تنظيم داعش بعد الهزيمة العسكرية، لخسائر عدة، بعضها يتعلق بانتهاء سيطرته على الأرض في العراق وسوريا، وبعضها الآخر يتعلق

بقياداته؛ حيث خسروا استبدل عديداً من قيادات الصف الأول والثاني، فعلى سبيل المثال خلال 2022 فقط خسرا اثنين من قياداته في غضون ثمانية أشهر. فعلى سبيل المثال، بعد مقتل زعيم داعش "أبي إبراهيم الهاشمي القرشي" والمتحدث الرسمي باسمه "أبي حمزة القرشي" في فبراير عام 2022، أعلن المتحدث باسم داعش "أبي عمر المهاجر" أن أبا الحسن الهاشمي القرشي "هو الزعيم الجديد للتنظيم حينها"²¹.

ومنذ الهزيمة العسكرية لداعش، تواجه الأجهزة الحكومية في العراق وسوريا تحديات تتعلق بكيفية التعامل مع بقايا داعش، ففي العراق، يوجد 92 مخيماً يستضيفون أشخاصاً نازحين داخلياً منذ 2014 وانضم إليهم منذ 2017 عائلات وأقارب عناصر داعش، وتقع المخيمات في محافظات الأنبار وتكريت والموصل وكردستان، كما تحتجز الحكومة العراقية حوالي 19 ألف من عناصر داعش في سجونها. وفي سوريا يقع معسكران يضمن عناصر من تنظيم داعش وأقاربهم على الحدود العراقية- السورية، وهما:

- مخيم الهول الذي يضم حتى نهاية 2020 حوالي 66 ألف امرأة وطفل منهم حوالي 13 ألف أجنبي والباقي سوريون وعراقيون. ووفق بيانات مارس 2024، بلغ عدد المقيمين فيه حوالي 60 ألف منهم 21 ألف يحملون الجنسية العراقية والسورية و16 ألف يحملون جنسيات 43 دولة أجنبية منها هولندا وروسيا وتركيا وتونس، ومنهم 21500 طفل²².
- مخيم روج الذي كان يضم حتى نهاية 2020 حوالي 4000 امرأة وطفل، ووفق بيانات مارس 2024 أصبح يضم 2500 منهم 2140 أجنبي.
- وحتى 2019 كان هناك مخيم ثالث على الحدود السورية-التركية في عين عيسى، وكان يأوي 13 ألف إرهابي من تنظيم داعش مع عائلاتهم، وفر 750 إرهابي من المخيم في ظل الفوضى التي خلفها التدخل العسكري التركي في سوريا وتم بعد ذلك إخلاؤه بالكامل.

وبصفة عامة، خلال الفترة من يناير-مارس 2024 ظلت أنشطة داعش في العراق محصورة إلى حد كبير، لكنه لا يزال قادرًا على شن هجمات متفرقة ومؤثرة. مع تكرار تنفيذه أنشطة إجرامية من قبيل الاختطاف من أجل الحصول على فدية، وتعطيل البنية الأساسية، والاستهداف الانتقائي لقوات الأمن مع تجنب المواجهات المباشرة. كذلك، عزز تنظيم داعش قدراته الاقتصادية وكلف أعضائه بإنشاء قاعدة بيانات لأهداف الابتزاز المحتملة، إذ يعمل التنظيم على تكثيف أنشطته الإجرامية للحصول على تمويل إضافي²³.

وتشير عدة مصادر إلى أن بقايا داعش في مخيمي الهول والروج على اتصال بعناصر داعش الموجودين في الخارج الذين يقدمون لهم دعمًا ماليًا من خلال شبكة معقدة من الوسطاء، والهدف الرئيس من دعمهم ماليًا هو الحفاظ على ولائهم لأفكار التنظيم خاصة النساء منهم، وتشجيعهم على تعليم الأطفال في هذه المخيمات عقيدة داعش المتطرفة، وبالفعل يوجد في مخيم الهول مثلًا أنظمة تعليمية خارجة عن سيطرة القائمين على إدارة المخيمات وتخضع لسيطرة السيدات المؤمنات بأفكار داعش²⁴.

فعلى سبيل المثال كشفت منظمة فاتف FATF في تقرير مشترك مع المنظمة الأوروبية للتعاون والتنمية OECD للعام 2023 عن عملية معقدة لجمع الأموال وقعت في فرنسا لصالح تهريب سيدة موجودة في مخيم الهول في شمال سوريا، وتضمنت هذه العملية جمع تبرعات بشكل تقليدي، من خلال صناديق التبرع في عدة أماكن عامة في فرنسا ومن خلال حملات لتبرعات على منصات التواصل الاجتماعي، ثم تم تحويل الأموال التي جمعت إلى عملات افتراضية وكوبونات مسبقة الدفع قابلة للتحويل إلى بتكوين، ثم تم تحويلها إلى بنكنوت تم تسليمه نقدًا للعنصر المسئول عن تهريب السيدة.

وكل هذه العمليات تمت من خلال إرهابيين تنقلوا عبر الحدود أو عناصر من المهاجرين الذين تم تضليلهم لنقل الأموال ومن خلال عدة معاملات تمت في الفضاء السيبراني²⁵.



كذلك يقدم داعش دعمًا تمويليًا لبقاياه في العراق وسوريا لتسهيل انتقالهم عبر الحدود، ويحصل في ذلك على دعم من شبكات التهريب عبر الحدود وما يرتبط بها من أنشطة إجرامية مثل تزوير الوثائق الشخصية وتأشيرات السفر وغيرها، وخلال عام 2017 قدرت قيمة تهريب العناصر من إدلب بحوالي 600 دولار للشخص و1500 دولار للعائلة.

وتشير تقارير استخباراتية إلى قيام قيادات التنظيم بتهريب حوالي 400 مليون دولار خارج العراق وسوريا واستخدامها في استثمارات قانونية في دول كثيرة في الشرق الأوسط، بما في ذلك تركيا، ومعظمها في قطاعات الفنادق والمستشفيات، والمزارع، وبيع وشراء السيارات، وذلك إلى جانب شراء كميات كبيرة من الذهب والعملات المشفرة.

ويلاحظ بشكل عام استفادة داعش خلال هذه الفترة من الصراعات الإقليمية وتغير أولويات الدول الخاصة بمكافحة الإرهاب منذ جائحة كورونا كوفيد-19، لتوسيع عملياته وغرس خلايا نائمة في البلدان المجاورة وما ينطوي عليه ذلك من علاقات مع شبكات الجريمة العابرة للحدود، وذلك مع وجود اختلافات في مستوى أنشطة داعش المدعومة من الشبكات الإجرامية من منطقة جغرافية على أخرى. فعلى سبيل المثال، يشير تقرير مكتب الأمم المتحدة UNODC إلى أنه وفق بعض الدول الأوروبية والغربية استغل داعش الصراع بين الإسرائيليين والفلسطينيين وقام عبر الإنترنت بالتجنيد والتلاعب بأفراد غير تابعين للتنظيم لتنفيذ هجمات دون أي إشارة إلى داعش، وقد تم القبض على بعض هؤلاء الأفراد في بلد مجاور لمنطقة الصراع الأساسية²⁶.

كما يواصل بقايا تنظيم داعش أنشطتهم الإجرامية انطلاقاً من سوريا والعراق باتجاه مناطق عدة في العالم، فعلى سبيل المثال تحول العراق لدولة عبور للهيروين المهرب من أفغانستان من جانب بقايا التنظيم متجهًا إلى سوريا، كما يلعبون دورًا مهمًا في بيع المواد المخدرة المهربة من أفغانستان وإيران في السوق العراقي²⁷. والأمر ذاته بالنسبة للكبتاغون الذي ارتفعت صادراته من سوريا ولبنان إلى السوق العراقي²⁸. كما ينشط التنظيم على الطرق السريعة التي تربط المحافظات الغربية والشمالية والشرقية، ويفرض الضرائب على الشركات في مختلف القطاعات، بما في ذلك نقل النفط، وشحن البضائع التجارية، ونقل مواد البناء، ونقل الطاقة الكهربائية، والمنتجات الزراعية. ومن بين التكتيكات التي يستخدمها التنظيم إقامة نقاط تفتيش وهمية متحركة في هيئة نقاط تفتيش تابعة للجيش العراقي أو قوات الحشد الشعبي، وفرض رسوم على المرور الآمن²⁹.

وإقليمياً، يتمتع داعش بحضور من خلال أنشطته الإجرامية في غرب وشرق أفريقيا؛ حيث أوضح خبراء الأمم المتحدة أنه خلال 2023 ضاعف داعش تقريباً مساحة الأراضي التي يسيطر عليها في مالي، وأن منافسيه المرتبطين بتنظيم القاعدة يستغلون الجمود والضعف الملحوظ للجماعات المسلحة التي وقعت على اتفاق سلام عام 2015 في السيطرة على طرق التجارة التي تمر عبر المناطق الشمالية من غاو وكيدال. ووفقاً للخبراء، تظل مالي بؤرة ساخنة للاتجار بالمخدرات في غرب أفريقيا وبين الدول الساحلية في خليج غينيا وشمال أفريقيا³⁰.

كما رصد الخبراء الأمميون أن هناك ارتفاعاً ملحوظاً في استخدام الأجهزة المتفجرة المرتجلة والمحمولة على المركبات من قبل داعش في غرب أفريقيا في عملياته ضد قوات الأمن في شمال شرق نيجيريا³¹. كما يواصل داعش في الصومال تنفيذ استراتيجية التجنيد الخاصة به داخل شرق وشمال أفريقيا، وهو ما نتج عنه تزايد عدد المجندين من هذه المناطق واليمن، والذين يُقدر عددهم حالياً بنحو 300 إلى 500 مقاتل. حيث يعتمد التجنيد على شبكة من المراقبين الذين يربطون المجندين المحتملين بمسؤولي اللوجستيات الذين يرتبون ويدفعون مقابل نقلهم إلى بوتلاند عبر إثيوبيا من خلال استخدام شركات النقل التجارية التي تمر عبر محاور جوية

دولية رئيسية. كما يواصل داعش في الصومال تنفيذ أنشطة الابتزاز داخل منطقة "بوساسو"، مع التركيز على الأعمال التجارية والصادرات وصناعة الشحن، من أجل تعزيز موارد التنظيم، كما يقوم بفرض الضرائب على بعض الأنشطة التجارية والتعدينية والتجارية وإنتاج اللبان والزراعة في بوتلاند³².

أما في ليبيا، تشير التقديرات إلى أن داعش لا يزال نشطًا في الجزء الشمالي الشرقي ويضم ما بين 200 و400 مقاتل على طول الحدود المشتركة بين تشاد والنيجر. فعلى سبيل المثال، ألقت أجهزة المخابرات الليبية عام 2024، القبض على ثلاثة مواطنين ليبيين تم تجنيدهم للسفر إلى مالي للانضمام إلى صفوف الجماعات الإرهابية هناك، وفي مايو 2024 تم تفكيك خلية أخرى تابعة لداعش تتألف من مواطنين سوريين³³.

ويمتد نشاط داعش خلال هذه الفترة إلى أمريكا اللاتينية، فوفقًا لتقرير نشرته مجلة الإيكونوميست في عام 2023، فإن عصابة "بريميرو كوماندودا كاييتال" PCC البرازيلية - وهي أكبر عصابة مخدرات في أمريكا اللاتينية - والكارتلات المكسيكية وحلقات الاتجار بالمخدرات الكولومبية تتحالف مع المنظمات الإرهابية بما في ذلك تنظيم داعش في غرب أفريقيا لتهريب الكوكايين عبر المحيط الأطلسي نحو أوروبا والشرق الأوسط. كما أنشأ داعش قنوات شراء قوية للحصول على وثائق سفر مزورة من خلال الويب المظلم، وهي وثائق تم تزويرها من قبل مزورين مقرهم أمريكا اللاتينية³⁴.

وفي أوروبا، تصنف المنظمات الأمنية الأوروبية خلال 2024 داعش - خراسان على أنه أكبر تهديد إرهابي خارجي للدول الأوروبية. فعلى الرغم من تفكيك العديد من خلايا تنظيم داعش - خراسان في أوروبا، فإن الدعم اللوجستي والمالي لا يزال متاحًا لعناصره التي تنتقل من أفغانستان وآسيا الوسطى إلى أوروبا عبر شبكات من الميسرين تعمل في المناطق الممتدة بين أفغانستان وتركيا، ويشرف عصمت الله خالوزاي، وهو أفغاني الأصل على تمويل أنشطة التنظيم في أوروبا الخاصة بتهريب المهاجرين. ويستهدف داعش - خراسان الجاليات الأفغانية ومن آسيا الوسطى المقيمين في أوروبا والذين هم بالنسبة له "إرهابيون محتملون"، بما في

ذلك المسافرون من أفغانستان وأوكرانيا إلى أوروبا طلباً للجوء. فعلى سبيل المثال، في مارس 2024، أُلقي القبض على فردين أفغانين في ألمانيا وأُتُهما بالتخطيط لهجوم بالأسلحة النارية ضد البرلمان السويدي، وفي الشهر نفسه أيضاً، ألقت قوات الحرس المدني الإسباني القبض على فرد في برشلونة درّب أربعة أعضاء من خلية تابعة لداعش - خراسان في السويد³⁵.

إلى جانب ذلك، تضمن تقرير الاتحاد الأوروبي عن حالة الإرهاب واتجاهاته لعام 2023، كثيراً من الحالات التي ارتبط فيها النشاط الإرهابي الخاص بداعش بالنشاط الإجرامي، ففي النمسا على سبيل المثال، أُدين مواطن روسي بالانتماء إلى منظمة إرهابية وإجرامية وجرائم أخرى في أبريل عام 2022³⁶. حيث سعى الرجل، الذي كان مسجوناً في ذلك الوقت، إلى تجنيد زملائه السجناء لصالح تنظيم داعش وأبلغهم عن استعداداته للانضمام إلى المنظمة الإرهابية بمجرد إطلاق سراحه من السجن. كما خطط مع اثنين من السجناء الآخرين، لتنفيذ هجوم إرهابي في النمسا مماثل للهجوم الذي وقع في فيينا في 2 نوفمبر 2020. كما أنه من بين 380 حالة اعتقال أبلغت عنها الدول الأوروبية في 2022، كان هناك 14 حالة متعلقة بتمويل الإرهاب، فمثلاً أُلقت الشرطة الإسبانية القبض على ثلاثة أفراد بتهمة تمويل الإرهاب في 2022، وكان المشتبه به الرئيسي يستخدم شبكة معقدة من الشركات ذات الوجود الدولي لتحويل الأموال إلى جماعة إرهابية مسلحة مقرها ليبيا ولها صلات بتنظيم داعش³⁷.

كما نشط داعش خلال هذه الفترة داعش في استخدام العملات المشفرة³⁸، خاصة عملة "مونرو" والتي تستخدم تقنيات تشفير مصممة لإخفاء تفاصيل المعاملات. فعلى سبيل المثال أطلقت داعش - خراسان خلال أكتوبر 2023، أول حملة تبرعات لها باستخدام رمز الاستجابة السريعة (QR) المرتبط بعنوان محفظة خاصة بعملة مونرو المشفرة، وأعلن عن هذه الحملة في مجلة داعش - خراسان الإخبارية³⁹. وفي ديسمبر 2022، كشفت وزارة العدل الأمريكية عن شكوى جنائية تتهم أربعة متهمين بالتآمر لتقديم دعم مادي لتنظيم داعش؛ حيث قام المدعى عليهم بجمع أكثر من 35 ألف دولار من خلال العملات المشفرة وغيرها من الوسائل الإلكترونية في محافظ البيتكوين والحسابات التي يعتقدون أنها تمويل داعش⁴⁰.

وبالتوازي مع استخدام العملات المشفرة، يواصل تنظيم داعش استخدام الأساليب التقليدية على نطاق واسع لتحريك وتحويل الأموال مثل الحوالة والبنكنوت؛ حيث لا يزال البنكنوت وخاصة الدولار الأمريكي يشكل أداة أساسية للإرهابيين الذين يجمعون الأموال وينقلونها ويستخدمونها، خاصة عند تحويل الأموال عبر الحدود. في حين أن استخدام النقد أبطأ وأضخم وأقل كفاءة من الآليات الأخرى لنقل الأموال، إلا أن إخفاء الهوية والسيولة ونقص البصمة الإلكترونية يعني أن مسار الأموال النقدية أكثر صعوبة في التتبع ويتجنب التدقيق الذي يأتي مع المعاملات المنفذة من خلال الوسطاء الماليين.

فمثلاً لا يزال أنصار داعش المقيمون في الولايات المتحدة يستخدمون الأموال النقدية لتمويل السفر إلى الخارج أو دعم التنظيم بطريقة أخرى. ففي يونيو 2022، حُكم على ديلكاويوت كاسيموف المقيم في الولايات المتحدة بالسجن لمدة 15 عاماً بتهمة التآمر ومحاولة تقديم دعم مادي لداعش على شكل أموال نقدية، وفي فبراير 2023 حُكم على زوجين أمريكيين بتهمة محاولتهما تقديم دعم مادي لتنظيم داعش. ووفقاً لوثائق القضية كان الزوجان من أنصار تنظيم داعش وقد سعوا إلى السفر إلى الشرق الأوسط للانضمام إلى داعش والقتال في صفوفه⁴¹.

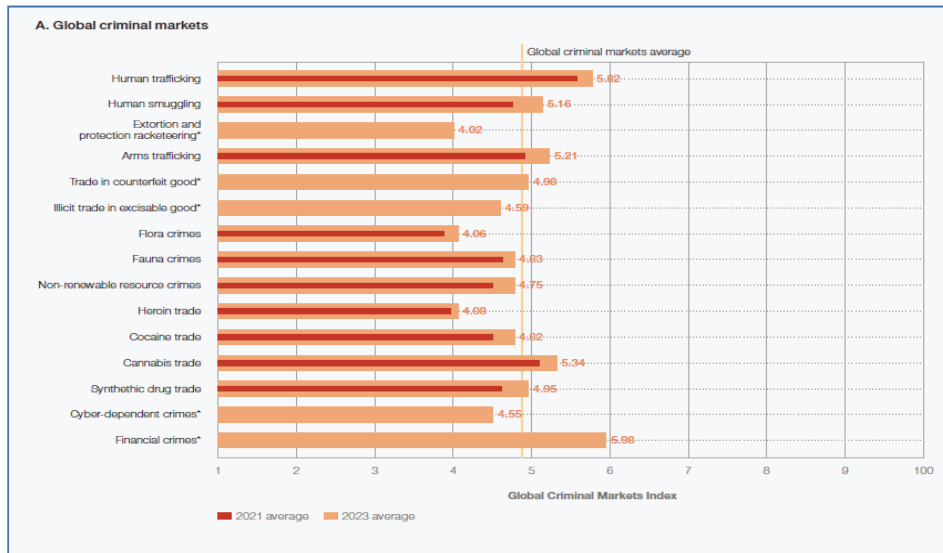
المحور الرابع: مستقبل العلاقة بين داعش وشبكات الجريمة العابرة للحدود

تتطلب مناقشة مستقبل العلاقة بين تنظيم داعش وشبكات الجريمة المنظمة العابرة للحدود خلال السنوات الخمس المقبلة تحديد المتغيرات التي تؤثر في هذه العلاقة، ثم تحليل ما إذا كانت هذه المتغيرات تدفع نحو تقوية هذه العلاقات أم تؤدي إلى إضعافها، وما يعنيه ذلك بالنسبة لأجهزة إنفاذ القانون. ومن أهم هذه المتغيرات الآتي:

1. تنامي أنشطة الشبكات الإجرامية العابرة للحدود على مستوى العالم، وما يمثله ذلك من عامل جذب لداعش من أجل الحصول على الأموال اللازمة للحفاظ على بقائه وتوسيع نطاق تأثيره وانتشاره في العالم خلال السنوات المقبلة.

ويشير تقرير المبادرة العالمية للجريمة العابرة للحدود الخاص بالعام 2024 إلى أن هناك خمسة أنشطة إجرامية عابرة للحدود تتصدر قائمة الأنشطة الإجرامية الأكثر انتشارًا في العالم؛ وهي: الأنشطة المالية الإجرامية ثم الاتجار بالبشر ثم تهريب البشر ثم الاتجار غير المشروع بالأسلحة والاتجار غير المشروع بالحشيش.

ويوضح تقرير المخاطر العالمية للعام 2024 الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي ارتفاع حجم الأنشطة الإجرامية في العالم بمختلف أنواعها، وكذلك تنامي تأثيرها السلبي على الأمن الوطني للدول. ونظرًا لأن هذه الجرائم بطبيعتها لا تخلف قتلى فإنها لا تحظى باهتمام من أجهزة إنفاذ القانون يماثل اهتمامها بالإرهاب، ولكن يذهب التقرير إلى أن ما ينتج عنها من إضعاف للأمن الوطني يتخطى بكثير حجم التأثير السلبي الناتج عن الصراعات المسلحة التي تتسبب في وقوع القتلى.



ووفق تقرير المخاطر العالمية، تتصدر خمسة أنشطة إجرامية عابرة للحدود خلال العام الحالي قائمة الأنشطة الإجرامية العالمية من حيث حجم انتشارها العالمي ومستوى أضرارها بالأمن العالمي، وهي على الترتيب:

أ- الجرائم المالية: والمقصود بها الأعمال والأنشطة التي لا تنطوي على استخدام العنف، ولكن تخلف خسائر مالية للدول والأفراد والكيانات الاقتصادية.

ووفق التقرير تشمل الجرائم المالية طائفة متنوعة من الأنشطة المالية غير المشروعة سواء التقليدية، مثل: التهرب الضريبي وسوء استخدام الأموال، أو الجرائم الحديثة التي تستخدم التقنيات الحديثة والفضاء السيبراني مثل الاختلاس والاحتيال وعمليات غسيل الأموال المرتبطة بها.

وتوضح المبادرة العالمية ضد الجريمة المنظمة العابرة للحدود أن تزايد انتشار هذا النوع من الجرائم مرتبط بتنامي استخدام الإنترنت وهو ما يرجع بشكل ملحوظ إلى فترة كوفيد-19؛ حيث استغل المجرمون أنماط العمل عن بعد للأشخاص خلال الوباء وعمليات الإغلاق، ومع مرور الوقت واستمرار الاعتماد على الإنترنت في فترات التعافي من الجائحة حتى اليوم، أصبح مجرمو الإنترنت ماهرين في تسخير التكنولوجيا واستغلال نقاط الضعف في إلحاق خسائر مالية كبيرة بالدول والشركات والأفراد.

وما يغذي التأثير المتنامي لهذه الجرائم على الأمن العالمي وانتشارها، هو ارتفاع مستويات الإفلات من العقاب ووجود تصورات في المؤسسات الأمنية بأن هذا النوع من الجريمة غير عنيف ولا يخلف ضحايا مثل الجرائم الأخرى.

ب- جرائم الاتجار بالبشر: وهي الجرائم التي تنطوي على تجنيد أشخاص أو نقلهم أو إيوائهم أو استقبالهم بواسطة العنف أو القوة أو الاختطاف أو الاحتيال، وترمي هذه الجرائم إلى تحقيق أغراض محددة بعينها، مثل الاستغلال الجنسي والاستغلال في العمل والإكراه على الإجرام والاتجار غير المشروع في الأعضاء. وقد يجبر ضحايا الاتجار بالبشر على القيام بمجموعة من الأنشطة غير القانونية التي بدورها تدر دخلاً على المنظمات الإجرامية أو لصالح كيانات إرهابية محددة تتعاون معها، مثل السرقة وزراعة المخدرات وبيع السلع المقلدة، فضلاً عن الاحتيال الذي غالباً ما ينفذ من خلال إساءة استخدام التكنولوجيا.

ويشير تقرير المخاطر العالمية 2024 إلى أن إساءة استخدام التكنولوجيا تتيح للمتاجرين بالبشر توسيع نطاق أنشطتهم وزيادة أرباحهم، وفي الوقت نفسه تقليل احتمالات كشف أمرهم من جانب الأجهزة الأمنية. كما ترتبط التكنولوجيا

بجميع مراحل الاتجار بالبشر بدءاً من الاستقطاب، ومروراً بالنقل أو الإيواء والمراقبة والاستغلال والتحويلات المالية.

ج- جرائم الاتجار غير المشروع في القنب: حيث يتسع نطاق الأنشطة المخالفة للقانون المرتبطة بزراعة القنب والاتجار به على مستوى العالم. ويوضح التقرير أنه رغم وجود عديد من الدول تتجه إلى تقنين عملية استهلاك القنب على المستوى الوطني، فإن السوق الموازية التي يتم فيها زراعة القنب والاتجار به بطرق مخالفة للقانون تتوسع ويزداد نشاطها لا سيما مع سهولة زراعة القنب وانخفاض تكلفة زراعته.

وبصفة عامة فإن تعاون داعش وغيره من الكيانات الإرهابية وجماعات تهريب القنب وغيره من المواد المخدرة يوفر لها المرونة والاستقلال المالي وحرية الحركة، كما يمكنها من السيطرة على المجتمعات التي تعمل فيها خاصة بعد إقبال شبابها على تعاطي المواد المخدرة وما يصاحب ذلك من انتشار الفساد وفتح طرق جديدة لتهريب المخدرات وتسهيل تحرك العناصر الإرهابية.

د - جرائم تهريب الأسلحة: تنتعش أنشطة تهريب الأسلحة عبر الحدود مع استمرار الصراعات المسلحة في مناطق عدة في العالم، وتزايدت هذه الأنشطة مع استمرار العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، والتي تغذي مسارات مستحدثة لتهريب الذخائر والأسلحة إلى الأراضي الأوكرانية. ووفق تقرير المخاطر العالمي قد تصبح أوكرانيا مصدراً محتملاً لتوفير السلاح بشكل غير مشروع للمنظمات الإجرامية والعناصر الإرهابية في السنوات القادمة.

هـ- جرائم تهريب البشر: وهي الجرائم التي تنطوي على استغلال الأشخاص الذين يريدون مغادرة بلدانهم الأم إما هرباً من الفقر والنزاعات والأزمات، أو سعيًا لحياة أفضل، والمهاجرون حتى لو بدأوا رحلتهم طوعاً بشكل عام، غالباً ما يقعوا ضحايا للاتجار أو الاختطاف أو الموت.

ويصاحب هذه الجرائم تنامي الهجرة غير الشرعية التي أصبحت تتم بشكل ملحوظ من خلال التقنيات الحديثة، فإذا كان بعض المهاجرين ومهربي المهاجرين يتواصلون وجهًا لوجه في نقاط التقاء معروفة، فإن هذه العملية تتم بشكل متزايد عبر الإنترنت خاصة من خلال شبكاتي الويب المفتوحة والخفي والتي يتم فيها الاستقطاب وجمع المعلومات عن طرق التنقل والتواصل والإعلان عن خدماتها.

وتوفر هذه التقنيات خاصية الهوية الخفية للجماعات الإجرامية، وهو ما يجعل العثور على المجرمين أمرًا صعبًا بالنسبة لأجهزة إنفاذ القانون، إما بسبب أنهم يستخدمون أسماء مستعارة أو وسائل اتصال مشفرة؛ مما يشكل صعوبة كأداء لأجهزة إنفاذ القانون.

2. مستوى التنبيه للعلاقات بين داعش وشبكات الجريمة العابرة للحدود، إن الهيئات الدولية متعددة الأطراف تلتفت باستمرار انتباه الدول والحكومات إلى الثغرات الموجودة في النظم المالية العالمية، وكيفية استخدام الكيانات الإرهابية وشبكات الجريمة العابرة للحدود لها من أجل تنويع مصادر تمويلها بطرق يصعب تتبعها وكشفها من جانب الجهات الحكومية.

وفي هذا السياق، تحرص الأمم المتحدة في إطار جهودها الخاصة بتحقيق السلم والأمن على متابعة تأثير العلاقات المتنامية بين الإرهابيين والمجرمين على الأمن الدولي، وهذا يفسر تعدد القرارات الصادرة عن مجلس الأمن طوال العقدين الماضيين من أجل متابعة تأثير تلك العلاقة على الأمن الدولي، ومن تلك القرارات قرار مجلس الأمن رقم 1373 الصادر في سبتمبر 2003 والذي نبه دول العالم إلى "العلاقة الوثيقة بين الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة العابرة للحدود، وتهريب المخدرات وغسيل الأموال وتهريب الأسلحة غير المشروع والانتقال غير المشروع للمواد النووية والكيميائية والبيولوجية وغيرها من المواد الخطرة". وقرار 2482 الصادر في 2019 والذي يدعو الدول لتبني سياسات تهدف لإضعاف العلاقة بين الإرهاب والجريمة المنظمة. وهذان القراران وغيرهما في المجمل يدعوان الحكومات لتبني سياسات وبرامج أكثر فاعلية في إضعاف العلاقات المتشابكة بين الكيانات الإرهابية وشبكات الإجرام المنظم العابر للحدود.

كما يحرص مكتب الأمم المتحدة للمخدرات والجريمة UNODC على تعزيز قدرات الحكومات لتفكيك العلاقات المتداخلة بين الأنشطة الإرهابية والأنشطة الإجرامية العابرة للحدود، من خلال عدة مبادرات خاصة بتحسين إدارة المناطق الحدودية وتعزيز التعاون الدولي ومكافحة تمويل الإرهاب وتمكين القطاع الخاص من الإسهام في التصدي للأنشطة المالية المشبوهة للكيانات الإرهابية.

إلى جانب ذلك، يهتم صندوق النقد الدولي بشكل ملحوظ بأنشطة غسيل الأموال وغيره من الأنشطة المالية غير المشروعة ودورها في تمويل الكيانات الإرهابية. ويذهب الصندوق إلى أن وجود هذه الأنشطة في دولة ما قد يؤثر سلباً عبر الحدود وربما عالمياً. وعادة ما تمثل الدول الضعيفة بيئة جاذبة للمجرمين العاملين في مجال غسيل الأموال وتمويل الإرهاب، كما يلجأ هؤلاء لإخفاء أنشطتهم المشبوهة من خلال استغلال تعقيدات النظام المالي العالمي والاختلاف الموجود بين القوانين الوطنية، وسرعة تنقل الأموال عبر الحدود.

فوفق تقدير الصندوق فإن هذه الأنشطة الإجرامية تسهم في عدم استقرار الدولة وبالتالي إضعاف حكم القانوني ونظم الحوكمة والأطر التنظيمية فضلاً عن طردها للاستثمارات الأجنبية والتسبب في اضطراب تدفقات رؤوس الأموال عالمياً.

كما تهتم هيئة الإنتربول الدولية في جهودها الخاصة بمكافحة الإرهاب بتفكيك الارتباط بينه وشبكات الجريمة العابرة للحدود، وتركز بشكل رئيسي على كافة الأنشطة الإجرامية التي يمكن أن توفر تمويل للكيانات الإرهابية. ووفق تقدير الإنتربول فإن الكيانات الإرهابية اليوم أصبح في مقدورها استغلال أي جريمة توفر عائد مادي، على نحو أصبح معه احتمال تعرض الدول لمخاطر ناتجة عن تمويل الجماعات الإرهابية أكبر من احتمال وقوع اعتداء إرهابي فيها.

ووفق تقدير الإنتربول، فإن من أكثر الأنشطة الإجرامية العابرة للحدود التي توظفها الكيانات الإرهابية هي جرائم الاحتيال التي تنفذ على نطاق صغير والاختطاف طلباً للفدية والاتجار غير المشروع بالسلع كالنفط والفحم والماس والذهب وأقراص "الكابتاغون" المخدرة والعملات الرقمية.

وعلى المستويات الوطنية، يلاحظ بشكل عام وجود تنبه للتهديدات التي يطرحها كل من الإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للحدود على حدة، مع محدودية في حجم الاهتمام بتنامي العلاقات بينهما رغم ما يطرحه ذلك من تهديدات مضاعفة على الأمن الوطني والأمن العالمي، فضلاً عن محدودية القدرة على المستوى الوطني على إضعاف تلك العلاقات.

3. التطور التكنولوجي؛ حيث تلعب التطورات التكنولوجية التي نشهدها خلال المرحلة الحالية دوراً مهماً في تحديد شكل العلاقة بين داعش وشبكات الجريمة المنظمة خلال الفترة المقبلة، وهذه التطورات أصبحت هي محور الثورة الصناعية الرابعة والتي باتت تتطلب من الدول أن تطور بنيتها التحتية التكنولوجية وتنقل جزءاً كبيراً من سياساتها ونظمها إلى العالم الافتراضي أو الرقمي. ويتزامن مع ذلك تكيف الكيانات الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة مع هذا التطور، ففي حالة الإرهاب، من ناحية تنامي الإرهاب الإلكتروني، ومن ناحية أخرى تنامي سيطرة تنظيم داعش على العالم الافتراضي وتغييره مفهوم الحدود الوطنية؛ حيث أصبحت المؤسسات الأمنية في مختلف دول العالم تواجه مشكلة ما إذا تعرضت البنية التحتية التكنولوجية للدولة لهجوم إرهابي خاصة شبكات الطاقة؟

وفي حالة جماعات الجريمة المنظمة أصبحت هي الأخرى لها نسخة رقمية؛ حيث أصبحت هناك أنشطة الإجرام الإلكتروني، فمثلاً غدت هذه الجماعات تمارس خطف الرهائن على الفضاء الإلكتروني، وهذه المرة الرهائن ليسوا بشراً ولكن الملفات والبيانات الرقمية. ومن أشهر أنشطة الإجرام الإلكتروني الهجمات المعروفة باسم برامج الفدية WannaCry ransomware، والتي تعرضت لها عدة دول في العالم في مايو 2017، حيث استهدفت هذه الهجمات 230 ألف جهاز كمبيوتر يعمل بنظام الويندوز في 150 دولة، وتم تشفير البيانات والملفات ومنع المستخدمين من الوصول إلى حساباتهم على الأجهزة إلا إذا قاموا بدفع فدية بقيمة 300 دولار باستخدام عملة البتكوين، وبعدها ارتفعت الفدية إلى 600 دولار، وفي حال عدم دفع الفدية خلال ثلاثة أيام يتم محو الملفات بصورة دائمة من على الجهاز. وتقدر الخسائر التي تسبب فيها هذه الهجمات بقيمة 4 مليارات دولار على مستوى العالم، ولذا أطلقت شركة كاسبيرسكاى على هذه الهجمات اسم "الجائحة"⁴².

وبعيداً عن هذه الانعكاسات الواضحة للتطور التكنولوجي على أنشطة الإرهاب والجريمة المنظمة، فإن هناك انعكاسات رمادية تجعل هناك تداخلاً بين ما هو مشروع وما هو غير مشروع، على نحو يساعد على تنامي الأنشطة المالية التي يستفيد منها الإرهابيون والمجرمون، ولكن في الوقت نفسه يصعب تكييفها من قبل أجهزة إنفاذ القانون كأنشطة غير مشروعة. ومن ذلك على سبيل المثال، تزايد انتشار العملات المشفرة والذي نتج عنه تنامي استخدام الجماعات الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة لها من أجل توفير ما تحتاجه من موارد مالية، وذلك بسبب الهوية غير المعروفة للشخص المتعامل في هذه العملات، وأن التعاملات تتم بين طرفين دون سابق معرفة ودون وجود وسيط ثالث. كما أن التعامل على هذه العملات بسيط وسريع يتم خلال دقائق ويحتاج فقط إلى وجود اتصال بالإنترنت ووجود تطبيق المحافظ الإلكترونية wallet application، كما أنها أصول رقمية يسهل نقل ملكيتها وتحريكها وتخزينها، ويسهل نقلها من عنوان مشفر لآخر دون أن يؤثر في ذلك الحدود السياسية بين الدول⁴³. ونظراً للطبيعة الرمادية لهذه العملات المشفرة، فإن العديد من دول العالم لا تجرم التعامل عليها، بل على العكس، هناك دول وضعت أطراً منظمة لها.

4. كيفية التعامل مع الإرهابيين الأجانب العائدين من صفوف داعش، فبعض الدول تبني سياسة إيداع الإرهابيين العائدين في السجون. ويترتب على هذه السياسة تحول السجون إلى مكان لتواصل هؤلاء الإرهابيين مع المجرمين المدانين بجرائم عادية وهو ما قد يولد أنماطاً متعددة للعلاقة بين الجريمة والإرهاب⁴⁴، لا سيما في ظل عدم تنبه عديد من الدول التي تتبنى تلك السياسة لأهمية فصل عناصر الإرهابيين عن عناصر المجرمين العاديين.

وبالتالي من المحتمل أن يسهم هذا المتغير في تطوير جديد في علاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود، فبدلاً من استقطاب داعش لعناصر إجرامية في صفوفه كما ذكر سابقاً، ومن المحتمل أن ينتقل عناصر داعش إلى صفوف الشبكات الإجرامية العابرة للحدود، خاصة الإرهابيين العائدين لدولهم في أوروبا، فهم قادرون على التعامل مع الأسلحة، ويعرفون كيفية تجنب الملاحقة القضائية ولديهم مهارات في تكنولوجيا المعلومات، وتعرضوا للعنف أو استخدموا العنف بأنفسهم مثل قطع رؤوس أشخاص والاغتيالات وغيرها⁴⁵.

وهذا التطور في حال تحقيقه، سيعبر عن نمط خامس جديد للعلاقة بين داعش وشبكات الجريمة يسمى بالاندماج المتطور Evolutionary Convergence، والذي بموجبه تتحول الكيانات الإرهابية بالكامل إلى جماعات إجرام منظم وتتحول جماعات الإجرام المنظم بالكامل إلى تنظيمات إرهابية.

وحق يحدث هذا التحول في حالة تنظيم داعش، لا بد أن يتغير الدافع الخاص به، بحيث يصبح لديه دافع واحد يتعلق بالحصول على الأموال كما هو الحال بالنسبة لجماعات الإجرام المنظم.

وجدير بالذكر، أنه عند البحث في أنماط العلاقة بين الكيانات الإرهابية وشبكات الإجرام المنظم طوال العقدين الماضيين، نجد أن تحول الكيانات الإرهابية الدينية إلى جماعات إجرام منظم لم يحدث بعد بصورة كاملة، ولكنه حدث في حالة التنظيمات الإرهابية اليسارية، والمثال الأشهر على ذلك هو التنظيم الإرهابي "17 نوفمبر November 17". وهو تنظيم إرهابي سياسي عمل في اليونان، ونفذ وفقاً لبيانات جهاز الاستخبارات الأمريكية عدد 23 عملية قتل وقعت في أثناء هجمات نفذها ضد أهداف يونانية وبريطانية وتركية وأمريكية. كما اغتال التنظيم في 1975 رئيس محطة المخابرات المركزية الأمريكية في أثينا ريتشارد ويلش.

وقد اتخذ هذا التنظيم قراراً بالتخلي عن هدفها السياسي وتراجعت أعمالها الإرهابية، كما أعلنت الولايات المتحدة في 2015 عن رفع اسمه من قائمة التنظيمات الإرهابية الأمريكية. ولكن تزايدت الأنشطة الإجرامية التي تنفذها مثل التهريب والاحتيال والتزوير والابتزاز⁴⁶.

في ظل هذه المتغيرات الأربعة، قد تشهد السنوات الخمس المقبلة تطوراً بعيداً جديدة لعلاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود، على نحو سيطر على أجهزة إنفاذ القانون الوطنية تحدياً في جوهره يرتبط بسؤال مفاده: هل الأعمال الإجرامية التي يقوم بها داعش تمثل مشكلة أكبر من الأنشطة الإرهابية التي ينفذها؟

وقد يرى البعض أن الهجمات الإرهابية التي ينفذها داعش هي التي لها الأولوية في الاستراتيجيات والسياسات الوطنية ذات الصلة، وبالتالي يتم توجيه موارد وقدرات مؤسسات إنفاذ القانون لها، ولكن من المهم هنا التأكيد على أن تلك الاعمال الإجرامية التي ينفذها داعش تخلق قطاعات مستفيدة من استمرارها وبالتالي استمرار وجود الكيان الإرهابي وتوسع البيئة الحاضنة له على نحو يضعف من جهود المؤسسات الأمنية الخاصة بمكافحة الإرهاب.

وفي هذا السياق يمكن التأكيد على أهمية تعزيز قدرات المؤسسات الأمنية في التصدي للعلاقات المتنامية بين داعش وغيره من الكيانات الإرهابية وشبكات الإجرام المنظم، وتنسيق العمل بين الأجهزة الأمنية المختلفة على كافة المستويات بما يفيد بتحليل أنماط العلاقة بين الكيانات الإرهابية النشطة في الدولة المعنية وشبكات الإجرام المنظم العابر للحدود، وتحديد شبكات العلاقات بين الإرهابيين والعمل على إضعاف هذه العلاقات ومن ثم إضعاف الكيانات الإرهابية.

ختامًا:

بعد تحليل علاقة تنظيم داعش الإرهابي بالشبكات الإجرامية العابرة للحدود والأشكال المتعددة لتلك العلاقات خلال فترتين زمنيتين؛ هما الفترة الممتدة منذ نشأة التنظيم في 2014 حتى الهزيمة العسكرية له في 2019، ثم الفترة التالية على هذه الهزيمة حتى الوقت الراهن. كما ناقش هذا الفصل العوامل المفسرة لحرص تنظيم داعش على نسج صلات وعلاقات مع شبكات الجريمة العابرة للحدود كتلك العاملة في مجال تهريب المخدرات والاتجار غير المشروع بالأسلحة وتزوير الوثائق، وناقش كذلك المتغيرات التي ستحدد مستقبل علاقة داعش بالشبكات الإجرامية العابرة للحدود في السنوات الخمس المقبلة.

وتوصل الفصل لعدة استخلاصات ونتائج، يمكن الإشارة إلى أهمها فيما يلي:

النتيجة الأولى: إن علاقات داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود خلال الفترة من 2014-2019 لم تخرج عن نطاق أنماط العلاقات الأربع وهي التعاون والتعايش،

واكتساب تكتيكات الكيان الإرهابي صفة إجرامية من أجل تحقيق أهداف عملياتية والاندماج، وهي أنماط العلاقة التي حددتها الهيئات الأمنية متعددة الأطراف في تتبعها لتفاعلات الشبكات الإجرامية العابرة للحدود مع الكيانات الإرهابية مثل القاعدة. وبالتالي لم يستحدث داعش أيًا من أنماط العلاقة هذه واستفاد منها في الحصول على المال وتعزيز سيطرته على الأراضي في العراق وسوريا خلال هذه الفترة من ناحية. ومن ناحية أخرى، في تعزيز طابعه العالمي من خلال تسهيل تنفيذه عمليات وأنشطة إرهابية خارج العراق وسوريا، وتسهيل نقل من يرغبون في الانضمام لصفوفه من مناطق أخرى في العالم، وتسهيل تنقل عناصره عبر الحدود لتقديم الدعم للموالين له في العالم.

النتيجة الثانية: منذ هزيمة داعش العسكرية 2019 حتى الوقت الراهن؛ حيث استطاع خلالها داعش عن طريق علاقاته مع شبكات الجريمة العابرة للحدود من الحفاظ على استمرار أنشطته المالية غير المشروعة في الفضاء السيبراني، ومن خلال نظم الحوالة والمراكز المالية الاقليمية وطرق نقل وتهريب البنكنوت، والذي كان عاملاً ممكناً له في الحفاظ على نشاط بقايا التنظيم في العراق وسوريا وفي ليبيا، وفي شرق أفريقيا وغرب أفريقيا، وفي أوروبا وأمريكا اللاتينية، فضلاً عن أفغانستان من خلال داعش - خراسان.

النتيجة الثالثة: إن مستقبل العلاقة بين داعش وشبكات الجريمة العابرة للحدود خلال السنوات الخمس المقبلة، يتشكل من خلال أربعة متغيرات؛ هي تنامي أنشطة الشبكات الإجرامية العابرة للحدود على مستوى العالم ومستوى التنبه للعلاقات بين داعش وشبكات الجريمة العابرة للحدود، والتطور التكنولوجي، وكيفية التعامل مع الإرهابيين الأجانب العائدين من صفوف داعش. وهذه المتغيرات الأربعة في ضوء المعطيات الحالية تفيد باحتمال تطور أبعاد جديدة لعلاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود، خاصة في حال انتقال عناصر داعش لصفوف الشبكات الإجرامية الأكثر نشاطاً عالمياً والأكثر جلباً للأموال بطبيعة الحال، وهو ما قد يدفع الهيئات الأمنية متعددة الأطراف والخبراء لإعادة النظر في الأنماط الأربعة للعلاقة بين الكيانات الإرهابية وشبكات الجريمة العابرة للحدود في اتجاه إضافة نمط خامس وهو الاندماج المتطور، وما يستتبعه ذلك من تغير في سياسات مكافحة إرهاب داعش على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية.

قائمة المراجع:

1. US Department of State, "Fourth Anniversary of the Global Coalition's Territorial Defeat of Daesh/ ISIS in Syria and Iraq", March 23, 2023: <https://www.state.gov/fourth-anniversary-of-the-global-coalitions-territorial-defeat-of-daesh-isis-in-syria-and-iraq/>
2. Eman Ragab, "Recruitment Strategies of Terrorist Groups in the Mashreq Region Amidst COVID-19", EuroMeco Policy study no 21 "Thriving on Uncertainty: COVID-19-Related Opportunities for Terrorist Groups", June 2021, pp.40-59.
3. US Department of the Treasury, "2024 National Terrorist Financing Risk Assessment", February 2024, p.7: <https://home.treasury.gov/system/files/136/2024-National-Terrorist-Financing-Risk-Assessment.pdf>
4. Ibid., p.6
5. "Stratfor on the Terrorist Attack Cycle", Stratfor, October 3, 2012: <https://worldview.stratfor.com/article/stratfor-terrorist-attack-cycle>
6. للمزيد حول هذه الانماط انظر: ايمان رجب، "تطور العلاقة بين الإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للحدود"، اتجاهات استراتيجية (13)، 11 فبراير 2022 مركز تريندز للبحوث والاستشارات، ابوظبي.
7. Eman Ragab, "Returning foreign terrorists: what type of security challenges are they posing?", IEMed Mediterranean Yearbook, 2018, Barcelona: IEMed. : https://www.iemed.org/observatori/arees-danalisi/arxiu-adjunts/anyuari/med.2018/Foreign_Terrorist_Eman_Ragab_Medyearbook2018.pdf
8. Raphael D. Marcus, "The Islamic State Crime-Terror Nexus in the United States: Developments and Wider Relevance", CTC Sentinel, Vol 15, Issue 9, September 2022, p. 3: <https://ctc.westpoint.edu/the-islamic-state-crime-terror-nexus-in-the-united-states-developments-and-wider-relevance/>
9. Europol, SOCTA Report of 2017 "Serious And Organised Crime Threat Assessment", 2017: https://www.europol.europa.eu/cms/sites/default/files/documents/report_soccta2017_1.pdf
10. "Brussels jihadists: Belgian recruiter Zerkani given longer term", BBC news, April 14, 2016: <https://www.bbc.com/news/world-europe-36042877>
11. Renske van der Veer, "The Crime-Terrorism Nexus" in: The Hague Center for Strategic Studies Clingendael, Strategic Monitor 2018-2019, p. 5: <https://www.clingendael.org/pub/2018/strategic-monitor-2018-2019/the-crime-terrorism-nexus/>
12. Charlie Bayliss, "ISIS recruits European criminals by promising REDEMPTION if they join heinous terror cult", Express, October 11, 2016 <https://www.express.co.uk/news/uk/719727/ISIS-International-Centre-Study-Radicalisation-Rayat-Al-Tawheed-Banner-of-God>
13. Raphael D. Marcus, Op.Cit., p. 4
14. Institute for Economics and Peace, "Global Terrorism Index 2018: Measuring the impact of terrorism", Sydenyne, November 2018, p.60: <https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/Global-Terrorism-Index-2018-1.pdf>
15. Ibid., p.61
16. Renske van der Veer, Op.Cit., pp.8-9
17. Raphael D. Marcus, Op.Cit., p. 12
18. Ibid, pp.5-6
19. US Department of the Treasury, Op.Cit., p.6
20. U.S. Government Publishing Office, "Survey Of Terrorist Groups and Their Means Of Financing", House Hearing, 115 Congress, September 7, 2018: <https://www.govinfo.gov/content/pkg/CHRG-115hhrg31576/html/CHRG-115hhrg31576.htm>
21. Europol, "European Union Terrorism Situation and Trend report TESAT 2023", June 14, 2023, p.33: <https://www.europol.europa.eu/publication-events/main-reports/european-union-terrorism-situation-and-trend-report-2023-te-sat>
22. "Syria's Al-Hol camp: child inmates and false identities", France 24, March 18, 2024: <https://www.france24.com/en/live-news/20240318-syria-s-al-hol-camp-child-inmates-and-false-identities>

23. UNODC, Op.Cit., p. 13
24. Eman Ragab , "Recruitment Strategies of Terrorist Groups in the Mashreq Region Amidst COVID-19", Op.Cit, pp 46-47
25. إيمان رجب، "أهمية التعامل الاستراتيجي مع مكافحة تمويل الإرهاب: الفجوات وتوصيات مقترحة"، (ورقة مقدمة في ورشة اقليمية لبناء القدرات حول مكافحة تمويل الإرهاب في اطار تنفيذ الاستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب، مكتب الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب وجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والأمانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب، الرياض، 30 ابريل 2- مايو 2024).
26. UNODC, "Thirty-fourth report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2734 (2024) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities", July 22, 2024, p.12.
27. Sara Kulić & Maarten P. Bolhuis, The persistence of organized crime in post-caliphate Iraq: a case of crime-terror convergence?, Crime Law and Social Change, 80, 23 June 2023, p.579: <https://link.springer.com/article/10.1007/s10611-023-10104-y>
28. UNODC, "Drug Trafficking Dynamics across Iraq and the Middle East (2019 – 2023): Trends and Responses", July 13, 2024, p.21: https://www.unodc.org/romena/uploads/documents/2024/UN_Iraq_ExSum_240318.pdf
29. Sara Kulić & Maarten P. Bolhuis, Op.Cit, p. 580
30. "Islamic State group nearly doubled its Mali territory in under a year, UN says", France24, August 26, 2023: <https://www.france24.com/en/africa/20230826-islamic-state-group-doubled-controlled-territory-in-mali-in-under-a-year-un-experts-say>
31. UNODC, "Thirty-fourth report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2734 (2024) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities", Op.Cit., p. 8.
32. Ibid., pp. 9-11.
33. Ibid., p. 11
34. United Nations Interregional Crime and Justice Research Institute UNICRI , "The Nexus between Transnational Organized Crime and Terrorism in Latin America", June 2024, pp. 27-28 : <https://unicri.it/sites/default/files/2024-06/The%20Nexus%20between%20Transnational%20Organized%20Crime%20and%20Terrorism%20in%20Latin%20America.pdf>
35. Ibid.,pp. 15-16
36. Europol , Op.Cit., p. 14.
37. Ibid.pp.2-24.
38. UNODC, "Thirty-fourth report of the Analytical Support and Sanctions Monitoring Team submitted pursuant to resolution 2734 (2024) concerning ISIL (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals and entities",Op.Cit., pp.2-3
39. Ibid, p. 19
40. Ibid, p. 22
41. US Department of the Treasury, Op.Cit., p.16
42. "What is WannaCry ransomware?", Kaspersky : <https://me-en.kaspersky.com/resource-center/threats/ransomware-wannacry>
43. "5 Reasons Why Criminals & Terrorists Turn to Cryptocurrencies",Cognyte, November 2, 2021: <https://www.cognyte.com/blog/5-reasons-why-criminals-are-turning-to-cryptocurrencies/>
44. Renske van der Veer,Op.Cit., p. 12
45. Ibid., p. 8
46. "Greek leftist group November 17 removed from US terror list", The Guardian, September 4, 2015: <https://www.theguardian.com/world/2015/sep/04/greece-november-17-removed-us-terror-list>

الخاتمة:

بعد عقد من الزمان على ظهور "داعش"، يمكن القول إن التنظيم قد مر بتغيرات جذرية أثرت على بنيته واستراتيجيته ووجوده على الساحة الدولية. لم يعد التنظيم كما كان في سنواته الأولى، حيث فقد السيطرة على معظم الأراضي التي أعلن فيها "الخلافة". ومع ذلك، لا يزال يمثل تهديدًا كبيرًا للأمن الدولي، وذلك بفضل قدرته على التكيف مع المتغيرات، والتحول من تنظيم يمتلك أراضي إلى تنظيم يعتمد على الاستنزاف والخلايا النائمة.

أحد الدروس الرئيسية التي يمكن استخلاصها من تجربة "داعش" هو أن التنظيمات الإرهابية لا تزدهر في فراغ، بل تستفيد من الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. في حالة "داعش"، أدى انهيار الدول الوطنية في العراق وسوريا، وانتشار الفوضى في مناطق واسعة من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلى توفير بيئة مثالية لظهور التنظيم ونموه. هذه الظروف لا تزال قائمة في العديد من المناطق، مما يعني أن تهديد "داعش" قد يستمر في أشكال جديدة.

كما أن تجربة "داعش" تكشف عن أهمية البعد الإعلامي في الحروب الحديثة. فقد استطاع التنظيم استخدام وسائل الإعلام لنشر رسالته وتجنيد آلاف المقاتلين من مختلف أنحاء العالم. هذا البعد الإعلامي يجعل من الضروري تطوير استراتيجيات مضادة لا تقتصر على الجانب العسكري، بل تشمل أيضًا الحرب الفكرية والإعلامية.

على المستوى الدولي، أظهرت تجربة مكافحة "داعش" أن التحالفات الدولية والإقليمية قادرة على تحقيق نجاحات كبيرة في مواجهة التنظيمات الإرهابية، ولكن هذه النجاحات غالبًا ما تكون مؤقتة إذا لم تصاحبها جهود لإعادة بناء المجتمعات المحلية ومعالجة جذور التطرف. فالضربات العسكرية قد تكون فعالة في القضاء على القيادات والبنية التحتية للتنظيم، لكنها لا تستطيع القضاء على الأيديولوجيا التي تقف وراءه.

وفيما يتعلق بالمستقبل، يظل "داعش" تنظيمًا متغيرًا قادرًا على التكيف مع الظروف الجديدة. قد يستمر في استغلال الفوضى في مناطق مثل أفريقيا وأفغانستان، كما قد يسعى إلى تعزيز علاقاته مع شبكات الجريمة المنظمة لتحقيق أهدافه المالية والاستراتيجية. لذلك، فإن مواجهته تتطلب استجابة شاملة تجمع بين الأدوات العسكرية والاستخباراتية والتنمية.

وقد خلّصت فصول الكتاب إلى عدة نتائج، أهمها:

1. يتبنى داعش مفهوم الأفكار قبل المرجعية، فهم لا ينتمون بشكل حقيقي إلى أي مرجعية، بل تجمعهم أهداف نفعية؛ حيث إن هذه الأيديولوجيا، على الرغم من صرامتها الظاهرة، أثبتت مرونة براجماتية في التكيف مع التحديات والبيئات المتغيرة، مما مكن التنظيم من استدامة تأثيره. ويعتمد داعش في استمراريته على الاستغلال الدقيق للأحداث السياسية العالمية، وتوجيه الرسائل التي تلعب على وتر مشاعر الإحباط والمظلومية، مما يخلق سرديات تجذب الأتباع وتبث الشعور بوجود هدف سام يتجاوز الأبعاد الشخصية، وهو ما يمكن استغلاله مجددًا فيما نشهده من أحداث في فلسطين ولبنان والسودان والتوترات الأخرى بالمنطقة.
2. تضائل الإحساس بالوطنية وارتفاع فرص تجنيد الشباب؛ لأن استخدام هذه الفجوات النفسية والسياسية يهدف داعش من خلاله إلى إضعاف الروابط الوطنية، وتعزيز شعور الشباب بالانتماء إلى "الأمة الكبرى" تحت راية التنظيم، مما يزيد من قدرته على تجنيد المحبطين. لأنني أؤكد أن من أخطر الأوقات التي يشكل داعش فيها خطرًا هي أوقات الأزمات؛ حيث يقدم نفسه كملأذ للخلاص، مستغلًا الأوضاع المأساوية والقضايا العاطفية، فينتقل بالولاء الفردي من الهويات الوطنية إلى هوية "خلافة" وهمية تتجاوز بها الدول، وتحول مفهوم الأمة إلى كيان حربي.
3. ما زال داعش لديه القدرة على استقطاب تابعين جدد إذا ما كانت الأنظمة بما تمتلكه من أنظمة أمنية وقوى ناعمة على وعي بهذا الخطر والتصدي الوقائي له من خلال التصدي الفكري أولًا، وإيجاد دوائر حوارية للاستماع للشباب تؤدي إلى الحيلولة دون استقطابهم من قبل هذه الجماعات المجرمة.

4. سيبقى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" تهديدًا متوسطًا إلى مرتفع الحدة للأمن والاستقرار في العراق وسوريا، وسيواصل التنظيم اتباع نهج براجماتي من أجل إيجاد فرص سانحة للعودة للمشهد وإعلان الخلافة المكانية مرة أخرى، وستخدم الظروف الإقليمية والدولية بجانب الأوضاع المحلية المضطربة جهود التنظيم في هذا الصدد، ومن المتوقع أن يبقى التنظيم موجودًا وفعالًا ما بقيت الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي أدت لوجوده، ولذا فإن حلم التخلص من "داعش" سيبقى مجرد أمنية حتى حين.

5. دور قيادة التنظيم الإرهابي على أهميته لا يُعد العامل الحاسم في التعجيل بانتهاء التنظيم، في حالة تمت تصفيته من جانب الأجهزة الأمنية؛ إذ إن هناك العديد من العوامل التي قد تجعل التنظيم يحافظ على تماسكه التنظيمي، حتى في حالة فقدان قيادته الرئيسية، مثل وجود دعم خارجي للتنظيم، بالإضافة إلى قوة الأيديولوجيا التي يتبناها التنظيم الإرهابي، وأخيرًا مدى وجود حاضنة مجتمعية له.

6. على الرغم من أن تنظيم داعش خسّر حوالي خمس قيادات في مدى زمني لا يتجاوز عقدًا من الزمان، فإن التنظيم لم ينهر، بل استمر في تنفيذ عملياته الإرهابية، حتى وإن تراجعت وتيرتها بشكل كبير مقارنة بفترات بروز التنظيم في عامي 2014 و2015. ويرتبط ذلك بامتلاك التنظيم لتنظيمات فرعية مرتبطة به في العديد من الدول حول العالم، فضلًا عن اتجاه التنظيم (الأم) إلى تبني نمط اللامركزية في إدارة عملياته في سوريا والعراق.

7. أبرز العوامل التي تساهم في استمرارية داعش هو سياسات الإقصاء والتهميش التي تبنتها بعض الحكومات العراقية ضد العرب السنة. ولذلك، فإن مواجهة هذه السياسات الطائفية التي استغلها التنظيم الإرهابي لإيجاد حاضنة مجتمعية له، هو العامل الرئيسي والأكثر فاعلية في القضاء على داعش، وليس تصفية قياداته.

8. شهد نشاط تنظيم "داعش - خراسان" منذ عودة حركة طالبان للحكم بأفغانستان في أغسطس عام 2021، تطورًا ملحوظًا جاء مدفوعًا بعدد من

العوامل، لعل أبرزها: الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، وسيطرة حركة طالبان على الحكم في البلاد، إلى جانب التأثيرات السلبية للانشغال الدولي بالصراعات الجيوسياسية والحروب المتصاعدة على جهود مكافحة الإرهاب، ما أتاح للتنظيم فرصة لترميم صفوفه واستعادة نشاطاته مُجددًا.

9. تشن حركة طالبان حربًا عسكرية ضد معاقل وأوكار التنظيم داخل أفغانستان، وهذا لا يعني قدرة هؤلاء الفواعل على تطويق خطر "داعش - خراسان" بشكل كامل، في ظل وجود بعض التحديات والثغرات التي قد ينجح التنظيم على إثرها في إحداث خروقات أمنية وتنفيذ هجمات دامية خلال الفترات المُقبلية، من بينها: اعتماد تحركات "داعش - خراسان" على استراتيجية جديدة تركز بشكل كبير على أنماط عمليات "الذئاب المنفردة"، وشيوع استخدام "داعش - خراسان" لأسلوب "المُناورة التكتيكية" لتضليل الأجهزة الأمنية بشأن التوقيات المُتوقعة لشن هجماته، وتركيز "داعش - خراسان" على تحفيز عناصره، ولا سيما في الدول الأوروبية، على اتباع التكتيكات السهلة كحوادث الدهس والطعن وغيرها. وهذا النوع من التكتيكات يوفر للتنظيم ميزات عديدة، من بينها إمكانية التسلل من بين القيود الأمنية، كونها يصعب التنبؤ بها قبل وقوعها، وضمان إحداث خسائر معنوية واقتصادية.

10. تراجع تنظيم "داعش" في غرب أفريقيا عن توظيف تكتيكات العنف الجماعي، من أجل تطبيع العلاقات مع المجتمعات المحلية التي تأثرت سابقًا بأفعاله العنيفة على خلفية الهجمات الواسعة التي نفذها ضد السكان المدنيين. ومن المرجح أن يعزز من استراتيجيته القائمة على كسب القلوب والعقول من أجل تقديم نفسه كحكومة بديلة وجماعة تهتم بالمدنيين.

11. يجد تنظيم "داعش" بيئة حاضنة لنشاطه في القارة الأفريقية، حيث تؤدي هشاشة الأنظمة الحاكمة وشيوع الانقلابات والاضطرابات السياسية إلى إضعاف قبضة الدولة، ما يتيح مساحات واسعة وثغرات أمنية تستطيع التنظيمات الإرهابية استغلالها لتعزيز نفوذها. ومن ثم تساعد المعطيات

المتوفرة في المنطقة تنظيم "داعش" على شن هجمات واسعة ومتطورة، بجانب السيطرة على الأراضي وإقامه مناطق نفوذ خاصة به.

12. يمثل تمدد تنظيم "داعش" عاملاً محفزاً لاتساع جغرافيا الظاهرة الإرهابية في أفريقيا، ولا سيما في ظل الوضع الأمني المضطرب الذي تعاني منه منطقة الساحل، حيث الانقسامات العرقية، والتباينات الدينية، وتردي الأوضاع المعيشية، ناهيك عن ارتباط منطقة الساحل بالتفاعلات السياسية والمعادلات القائمة في شمال أفريقيا، ما ينبئ بأن الإرهاب سيكون مؤثراً على مستقبل القارة كلها.

13. إن تأثير النزاعات السياسية الداخلية التي تهيمن على الحكومات والصراع بين مراكز القوى المتنافسة داخلها، إضافة إلى التنافس بين الأجهزة الأمنية المتعددة، لا يؤدي فقط إلى بروز تيارات داخل الفواعل غير الحكومية، بل يمكن أيضاً من توظيفها ضمن شبكة معقدة من المصالح المتضاربة. وبالتالي، فإن التحدي يكمن في فهم النزعات التمردية المناهضة للدولة، والأسباب الداخلية لرفض الحوكمة والنظام السياسي، وكذلك الدوافع الخارجية لهذه التوجهات. في هذا السياق، يظهر داعش التنظيمات الإرهابية المحلية كعناصر مؤثرة ضمن هذه المعادلة، حيث تختلف نظرة الأطراف المختلفة إلى دور هذه التنظيمات، وتبرز الحاجة لفهم أسباب نشأة الإرهاب وآليات مكافحته بوصفها أدوات رئيسية في هذا المشهد المعقد.

14. إن تنظيم داعش نجح عبر استراتيجية إعلامية متطورة تجمع بين وسائل الإعلام التقليدية والحديثة مع استغلال ما تتيحه التطورات التكنولوجية الحديثة من إمكانيات، في تشكيل خطاب إعلامي استثنائي أصبح من الأدوات المحورية التي جعلت من التنظيم ظاهرة عالمية، ونموذجاً لقدرة التنظيمات الإرهابية على استغلال التكنولوجيا في الدعاية والترويج لأفكارها المتطرفة، واستقطاب المجندين من مختلف أنحاء العالم.

15. مر الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش بالعديد من التحولات عبر مراحل المختلفة منذ ظهوره وحتى انحسار قوته، فمع الإعلان عن قيام داعش عام 2014، تبنى

التنظيم خطاباً إعلامياً ركز على العنف المفرط، وإبراز انتصاراته العسكرية، وتوسعاته الإقليمية، وتأطير نفسه في صورة الدولة القوية، وعودة الخلافة الإسلامية. ومع فقدان التنظيم مناطق سيطرته في العراق والشام بحلول عام 2019، شهد الخطاب الإعلامي للتنظيم تراجعاً ملحوظاً حيث انخفض معدل ونوعية الإنتاج الإعلامي بشكل حاد، وعلى الرغم من هذا التراجع فإن التنظيم حافظ على حضور إعلامي جيد على الساحة الدولية عبر اتباع بعض الاستراتيجيات الجديدة، كالمرونة واللامركزية التنظيمية، وتكييف خطابه مع واقعه الجديد والتحديات التي يمر بها.

16. من المتوقع أن يستمر التنظيم في تطوير وتطوير استراتيجياته الإعلامية استجابة للتطورات التكنولوجية المتسارعة للبحث عن طرق جديدة لإيصال رسائله للعالم. ومن المتوقع أن تتطور سرديات الخطاب بما يتناسب مع التحديات التي يمر بها التنظيم والمتغيرات الطارئة على الساحة الدولية، من خلال تأطير وتوظيف هذه المتغيرات بما يخدم تحقيق مستهدفات التنظيم في الدعاية لأيديولوجيته وأفكاره المتطرفة، واستقطاب أكبر عدد من المؤيدين.

17. مع استمرار بعض الدول في رفض استعادة مواطنيها، فإنه في حال تمكن هؤلاء من الهرب فإن التهديدات التي سيشكلونها على بلدانهم وعلى العالم ستكون كبيرة. يمكن اختصارها في نقطتين: التهديد الأول: احتمال "الهجرة" إلى مناطق صراع جديدة ومحاولة التكتل، مرة أخرى، إما تحت "داعش"، أو تشكيل تنظيم جديد ربما سيكون أكثر ديمومية من سابقه، خاصة وأن كل الشواهد التاريخية والدراسات العلمية تؤكد أن العنف في تزايد، وأن الأجيال التي تتطبع مع العنف تنتج عنفاً أكبر. التهديد الثاني: يتمثل في عودة المقاتلين بطريقة غير شرعية إلى بلدانهم الأصلية (في حال تمكنوا من الهروب)، وبالتالي يمكن بعد عودتهم أن يشكلوا خلايا نائمة، أو يقوموا بتنفيذ عمليات إرهابية منفردة أو بتخطيط من التنظيم.

18. إن قضية معقدة ومتشابكة مثل عودة المقاتلين الأجانب لا تعدُّ تهديداً أمنياً على المدى القريب فحسب، بل أيضاً تحدياً على المدى الطويل. إذا أراد المجتمع

الدولي أن يحول دون معاودة ظهور "داعش" أو أي تنظيم إرهابي آخر، فعليه أن يستعد لما ستكون عليه سوريا بعد خروج الولايات المتحدة، وأن يعالج معضلة المحتجزين، قبل أن يتحول الأمر إلى كارثة ستهدد العالم بالكامل. ولا بد أن تتحمل كل دولة مسؤوليتها في استعادة مواطنيها.

19. إن علاقات داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود خلال الفترة من 2014-2019 لم تخرج عن نطاق أنماط العلاقات الأربع وهي: التعاون، والتعايش، واكتساب تكتيكات الكيان الإرهابي صفة إجرامية من أجل تحقيق أهداف عملياتية، والاندماج، وهي أنماط العلاقة التي حددتها الهيئات الأمنية متعددة الأطراف في تتبعها لتفاعلات الشبكات الإجرامية العابرة للحدود مع الكيانات الإرهابية.
20. منذ هزيمة داعش العسكرية عام 2019 حتى الوقت الراهن، استطاع خلالها داعش عن طريق علاقاته مع شبكات الجريمة العابرة للحدود الحفاظ على استمرار أنشطته المالية غير المشروعة في الفضاء السيبراني، ومن خلال نظم الحوالة والمراكز المالية الإقليمية وطرق النقل والتهريب، والذي كان عاملاً ممكناً له من الحفاظ على نشاط بقايا التنظيم في العراق وسوريا وفي ليبيا، وفي شرق أفريقيا وغرب أفريقيا، وفي أوروبا وأمريكا اللاتينية، فضلاً عن أفغانستان من خلال داعش-خراسان.

21. يتشكل مستقبل العلاقة بين داعش وشبكات الجريمة العابرة للحدود من خلال أربعة متغيرات، هي: تنامي أنشطة الشبكات الإجرامية العابرة للحدود على مستوى العالم، ومستوى التنبيه للعلاقات بين داعش وشبكات الجريمة العابرة للحدود، والتطور التكنولوجي، وكيفية التعامل مع الإرهابيين الأجانب العائدين من صفوف داعش. وهذه المتغيرات الأربع في ضوء المعطيات الحالية تفيد باحتمال تطور أبعاد جديدة لعلاقة داعش بشبكات الجريمة العابرة للحدود، خاصة في حال انتقال عناصر داعش إلى صفوف الشبكات الإجرامية الأكثر نشاطاً عالمياً والأكثر جذباً للأموال بطبيعة الحال.

في النهاية، يمثل هذا الكتاب محاولة لفهم تعقيدات تنظيم "داعش" من مختلف الزوايا، وهو دعوة للباحثين وصناع القرار لتطوير استراتيجيات أكثر شمولية لمواجهة تهديداته. فبينما قد يكون التنظيم قد تراجع من حيث قوته المكانية، إلا أن جذوره الفكرية والتنظيمية لا تزال تشكل خطراً على الأمن والاستقرار العالميين. القضاء على "داعش" يتطلب جهداً دولياً منسقاً يعالج الأسباب العميقة للتطرف، ويعزز بناء مجتمعات أكثر عدالة واستقراراً.